

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2

معهد الآثار

مصير الطفل بعد الموت في نوميديا وموريتانيا القيصرية ما بين القرنين الأول والثالث
ميلادي: دراسة تحليلية للأثاث الجنائزي في الموقع الأثري ولعينة من الرصيد الإيكونوغرافي و

الإيبوغرافي

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في الآثار القديمة

إشراف الأستاذ الدكتور: سليم دريسي

إعداد الطالبة: سليمة صيادة

لجنة المناقشة

معهد الآثار. جامعة الجزائر 2	أ.د. جهيدة مهنتل: رئيسة
معهد الآثار. جامعة الجزائر 2	أ.د. سليم دريسي: مشرفا ومقررا
المركز الوطني للبحث في علم الآثار	د. حكيم إيديران: ممتحنا
معهد الآثار. جامعة الجزائر 2	د. نجمة سراج: ممتحنة
المدرسة العليا للأساتذة	د. رضا بن علال: ممتحنا
معهد الآثار. جامعة الجزائر 2	د. فريدة منصوري: ممتحنة

السنة الجامعية 2021-2022

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2

معهد الآثار

مصير الطفل بعد الموت في نوميديا وموريتانيا القيصرية ما بين القرنين الأول والثالث
ميلادي: دراسة تحليلية للأثاث الجنائزي في الموقع الأثري ولعينة من الرصيد الإيكونوغرافي و

الإيبوغرافي

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في الآثار القديمة

إشراف الأستاذ الدكتور: سليم دريسي

إعداد الطالبة: سليمة صيادة

لجنة المناقشة

معهد الآثار. جامعة الجزائر 2	أ.د. جهيدة مهنتل: رئيسة
معهد الآثار. جامعة الجزائر 2	أ.د. سليم دريسي: مشرفا ومقررا
المركز الوطني للبحث في علم الآثار	د. حكيم إيديران: ممتحنا
معهد الآثار. جامعة الجزائر 2	د. نجمة سراج: ممتحنة
المدرسة العليا للأساتذة	د. رضا بن علال: ممتحنا
معهد الآثار. جامعة الجزائر 2	د. فريدة منصوري: ممتحنة

السنة الجامعية 2021-2022

تصريح شرفي

أصرح بشرفي بأن الأطروحة التي قنمتها للحصول على شهادة الدكتوراه من معهد الآثار، جامعة الجزائر2، هي نتيجة جهد شخصي، احترمت فيه أخلاقيات البحث العلمي(وخاصة منها: تجنب السرقة العلمية واحترام خصوصيات المبحوثين)، مما يجعلني صاحبة حقوق ملكيتها الفكرية مع تحمل مسؤولية محتوياتها وأعلن أنه يُسمح الاقتباس منها، شريطة الإقرار بذلك وفق قواعد المنهجية العلمية، كما أؤكد أن نص أطروحتي تمت مراجعته لغويا من طرف متخصصين

الشكر

عرفانا لمن تتلمذت على أيديهم خلال مساري الأكاديمي، أتقدم بشكري وتقديري لأساتذتي الأفاضل:
أستاذي ومشرفي، الأستاذ سليم دريسي للإثراء العلمي وخاصة الإنساني ولسعيه المستمر لضمان ما
هو أفضل لمصلحة الطالب.

الأستاذة جهيدة مهنتل، لإيمانها ومساندتها منذ السنة الأولى ليسانس.

الأستاذ حاجي ياسين رابح، للإثراء المعرفي، للصرامة وللإنصاف في التقييم.

الأستاذة جاما كاتيا، للآفاق الفكرية التي فتحتها لي في كل من الميثولوجيا وتاريخ الفن، للنزاهة
وللنظرة الإيجابية.

الأخت والزميلة أمال بودر للمساندة المعنوية والإثراء الببليوغرافي وإلى الأخت سليمة عجابي
لإستضافتها الطيبة.

الإهداء

إلى ذاكرة الأطفال والأهل الذين أتاحوا فرصة إنجاز هذا البحث

إلى ذاكرة أبي وأمي وإلى زوجي ورفيقي

ملخص

ركزت أبحاث الإثنوغرافيين على علاقة وفاة الطفل بمفهوم الموت المشؤومة بناء على الرعب الذي خلفته وفاتهم المبكرة لدى المجتمعات البدائية، مما آل إلى احتمال حرمان الطفل من الاندماج في العالم الثاني وأثر في أبحاث واستنتاجات الآثاريين. تهدف هذه الأطروحة مبدئياً إلى محاولة تحديد ما إن انطبق مفهوم الموت المشؤومة على مقاطعات إفريقيا الرومانية وإن يمكن أن تفوق المسألة قضية مصف الطفل، لتتسع إلى محددات تتحكم في مصيره في العالم الثاني. سنركز بذلك في فصلنا الأول على نوع وتركيبية الأثاث الجنائزي في الموقع الأثري في كل من مقابر مدينتي سيتيفيس (الشرقية) وتيبازة ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الثالث للميلاد، قصد تحديد الطقوس والممارسات الدينية التي قد ينفرد بها الطفل مقارنة بالراشد، لننتقل في الفصل الثاني إلى تركيبية الممارسات التذكارية التي تخص ذات الفئة، انطلاقاً من التناقض الملحوظ ما بين مشهد المتوفي والسن الوارد في النقيشة.

الكلمات الدالة: الموت ؛ الطفل؛ المرفقات؛ الذاكرة، الأنصاب.

Abstract

Ethnographical research has repeatedly focused on the link between the death of children and the concept of bad death. This link rests specifically on the fear that their premature death had aroused among primitive tribes. The present thesis aims to focus on the one hand, on the type and composition of grave furnishings *in situ*, in both the cemeteries of the cities of *Sitifis* (Eastern necropolis) and Tipasa between the first century B-C and the third century A-D, in order to get closer to the religious rites and practices relating to children compared to adults and on the other hand, focus on the commemorative codes and more specifically on the inadequacy between the image of the deceased and the age reported in the inscription.

Keywords: Death; Child; Furnishings; Commemoration; Stelae

قائمة المختصرات

- AE* Année Epigraphique.
Am. J. Phys. Anthropol. American journal of physical anthropology
AnthrAnz: Anthropologischer Anzeiger
AION Annali dell'Istituto universitario orientale di Napoli
ABPO Annales de Bretagne et des Pays de l'Ouest
Ant.af Antiquités Africaines
AntCl L'Antiquité Classique
AntKunst Antike Kunst
ASSR Archives de Sciences Sociales des Religions
BAA Bulletin d'Archéologie Algérienne
BCTH Bulletin du Comité Archéologique des Travaux Historiques et Scientifiques
BIFAO Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale
BSGAO Bulletin de la Société de Géographie et Archéologie d'Oran
BSNAF Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France
CEA Cahiers des Etudes Anciennes
CIL Corpus Inscriptionum Latinarum
CLE Carmina Latina Epigraphica
CRAI Comptes Rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.
DAGR Dictionnaire des Antiquités Grecques et Romaines
DHA Dialogues d'Histoire Ancienne
[DossArch](#) [Dossiers d'Archéologie](#)
***EDCS* Epigraphik-Datenbank Claus-Slaby**
***ILAlg* Inscriptions Latines de l'Algérie**
J. Archaeol. Sci. Journal of archaeological science
JournSav Journal des Savants
JRS Journal of Roman Studies
MEFRA Mélanges de l'Ecole Française de Rome (Antiquité)
MélRome Mélanges d'Archéologie et d'Histoire
RA Revue Archéologique
RAC Reallexikon für Antike und Christentum
RACF Revue Archéologique du Centre de la France
REA Revue des Etudes Anciennes

Rev.Af Revue Africaine
RevNord ou *RDN* Revue du Nord
RHDF Revue Historique de Droit Français et Etranger
RHR Revue de l'Histoire des Religions
RIDA Revue Internationale des Droits de l'Antiquité

مختصرات أخرى:

Ad. Aen.: Ad aeneid

De sign. Verb. : De significatione verborum

Instit. Orat.: Institutions oratoires

De ling. Lat. : De la langue latine

Tusc.: Tusculanes

Bell. civ.: Bellum civile

Ad ed.: Ad. edictum

Cod. Iust.: Codex Iustiniani

Inst.: Institutes

Métam.: Métamorphoses

T.: Tombe

فهرس المحتويات

تصريح شرفي

الشكر

الإهداء

ملخص

قائمة المختصرات

فهرس المحتويات

مقدمة

- 16 1. تمهيد
- 17 2. تاريخ الأبحاث
- 22 3. أهمية الموضوع وإشكالية البحث
- مدخل عام: مفاهيم جنائزية عامة وإشكالية الطفل في المجتمع الروماني
- 30 1. القبر من حيث القانون الروماني
- 37 2. الطفل في القانون الروماني
- 40 3. الطفولة بين الريب والمجهول
- 41 3.1 الموت المشؤومة في تاريخ الأبحاث وتأويلات الباحثين
- 46 3.2 مفهوم الطفولة في المصادر الأدبية الرومانية والإغريقية

50	4. الموت المشؤومة من خلال المخلفات الأثرية
51	4.1 العزل أو الإقصاء
55	4.2 الدفن عوض الترميد
57	4.3 الوضعية البطنية
57	4.4 القبور الأنفورية (النعوش الأنفورية)
الفصل الأول: دراسة تحليلية للأثاث الجنائزي (المقبرة الشرقية لمدينة سطيف - مقابر مدينة تيبازة - شرشال وسيقا)	
61	تمهيد
1. مرحلة الدفن البدائية (نهاية القرن الأول للميلاد - نهاية النصف الأول من القرن الثاني للميلاد)	
67	
68	1.1 القبور بالمقبرة الشرقية: أنماط وتأثيرات
73	1.2 إشكالية بعض القبور
75	1.3 الأثاث الجنائزي في المقبرة الشرقية
78	1.4 الأثاث الجنائزي المتوفر في قبور فئة الأطفال
80	1.4.1 الحلي وأدوات الزينة
81	1.4.2 لمحة عن وظيفة الأثاث في الإطار الجنائزي
83	1.4.3 مخلفات المراسيم الدينية
86	1.4.4 الإبداعات الغذائية والأثاث المحترق
88	1.4.5 الأثاث المعكوس الوضعية وتعزيز الفصل بين العالمين

90	1.4.6 توزيع الأثاث حسب فئة العمر لدى الأطفال
93	1.4.7 تموضع الأثاث الجنائزي في قبور الأطفال (الأواني والمصابيح)
95	1.4.8 علاقة المصابيح بخلود الروح
100	1.4.9 المرفقات الاستثنائية
104	1.5 حماية القبور لحماية الجثث؟
107	1.5.1 حماية قبور الأطفال حسب فئات العمر
109	1.5.2 عمق القبور وحماية الجثث
114	1.6 مخلفات المراسيم التذكارية
115	1.7 رمزية الأثاث الجنائزي ومصير الطفل
116	1.7.1 الحلي
121	1.8 إشكالية العزل أو الإقصاء خلال مرحلة الدفن البدائية
128	2. مرحلة الترميد بالمقبرة الشرقية لمدينة سطيف (النصف الثاني من القرن الثاني-القرن الثالث للميلاد)
130	2.1 تنميط القبور خلال مرحلة الترميد وسبل تحديد فئة الأطفال
133	2.2 نمط الترميد
134	2.3 الأثاث الجنائزي في قبور الأطفال
137	2.3.1 الأثاث المتوفر خلال مرحلة الترميد
140	2.3.2 تموضع الأثاث الجنائزي خلال مرحلة الترميد
140	2.3.3 الأثاث المتواجد في الردم
140	2.3.4 الإيداعات الغذائية ومخلفات المأدبة لدى الفئتين

143	2.3.5 الأثاث الأولي في قبور الأطفال
144	2.3.5.1 وضعية الأثاث الجنائزي
148	2.3.6 الأثاث الاستثنائي
150	2.4 حماية القبور لحفظ الجثث
154	2.5 المراسيم التذكارية
157	2.6 رمزية الزخارف على المصابيح خلال المرحلتين (الدفن والترميد)
170	3. مرحلة الدفن المتأخرة (بداية القرن الثالث - القرن الرابع أو الخامس للميلاد)
173	3.1 ملاحظات عامة
179	4. مقابر مدينة تيبازة
180	5. المقبرة الوثنية الشرقية
182	5.1 مضمون وإشكاليات العينة
184	5.2 المرفقات الجنائزية في المقبرة الشرقية
190	5.3 مخلفات المراسيم التذكارية
190	5.4 الأثاث الجنائزي المتوفر في حملة 1969
191	6. المقبرة الغربية (منزل اللوحات الجدارية)
193	6.1 توزيع الأثاث الجنائزي
195	6.1.1 ملاحظات عامة حول قبور فئة الأطفال

198	7. المقبرة الغربية البونية
201	7.1 الأثاث الجنائزي
206	8. مقبرة ماتارس
206	8.1 إشكاليات المقبرة
208	8.2 تأريخ المجموعات الثلاثة وتحديد عينة الدراسة
208	8.2.1 المجموعة الأولى
209	8.2.2 المجموعة الثانية
209	8.2.3 المجموعة الثالثة
212	8.3 الأثاث الجنائزي
215	8.4 المراسيم التذكارية
217	9. مقابر مدينة شرشال ومقبرة سيقا

الفصل الثاني: الرصيد الإيكونوغرافي والإيبوغرافي

219	1. الذاكرة والمعلم
225	2. الطفل وتقنين مراحل الاندماج
225	2.1 اللباس
229	2.2 التنشئة الإجتماعية وتعابير الوجه

234 3. سيرورة الحداد

248 4. البطاقات التقنية

الفصل الثالث: خلاصة وتحليل النتائج

407 خاتمة الأطروحة

411 فهرس الملاحق

425 القائمة الببليوغرافية

مقدمة

1. تمهيد

تُعد الطقوس والممارسات الجنائزية شواهد مادية تعكس اهتمام المجتمعات القديمة بموتها، كما تشير إلى المصنف الذي كان عليه هؤلاء قبل الوفاة. للتقرب من نظرة تلك المجتمعات للموت عامة ومكانة المتوفين خاصة، يلجأ الآثاري إلى المخلفات المادية التي تكشف عنها الحفريات الدقيقة، مدعماً إياها قدر الإمكان بما يرد في المصادر ولاسيما الآليات المقننة التي تجمع ما بين الإعتبارات القانونية (التي يحددها القضاة والإمبراطور) وتلك الدينية الجنائزية التي تصدر في ما يُعرف بمدونات الرهبان (قبل أن تتدخل السلطات بدورها لتنظيم الجانب الطقوسي)¹.

حتى يتسنى للآثاري التقرب من تلك المفاهيم، لابد من المباشرة بإعادة تركيب الفعل الجنائزي وذلك ابتداء من لحظة دخول المتوفي والأهل إلى المقبرة إلى غاية غلق القبر، فضلا عن ما يتبع ذلك من مراسيم تذكارية والتي مفادها إحياء ذاكرة المتوفي، مكرسة في ذات السياق هيبية روح الأجداد (المانس). من جهة ثانية، فمرحل الفعل الجنائزي وسيلة يلجأ إليها الأحياء لمواجهة الحداد والهلع الذي ينجر عن الموت عامة وتلك التي تخص الأقربين بالتحديد والتي تهدف إلى التخلص من النجاسة الوثيقة الصلة بالجنّة خلال الأيام الأولى التي تلي الوفاة.

انطلاقاً من ذلك، فكل المخلفات التي يتم العثور عليها، بداخل أو حول القبر، تشكل سلسلة من الإجراءات ذات الطابع الطقوسي الجنائزي والتي تقوم على نمط الرسم (دفن الجنّة أو ترميدها)، وضعية الجنّة وتوجيهها، تركيبية الأثاث الجنائزي بداخل القبر، موقعه (في الردم أو ملازماً للجنّة)، تموضعه بالنسبة للجنّة (الرأس، الصدر... الخ)، وضعيته (اعتيادية، معكوسة (مقلوبة-منقلبة-مائلة-منتصبية) أو مكسورة)، نمط الإيداعات الغذائية (حيوانية- نباتية)، نوعها وحالتها (محترقة أو طبيعية)، توفر أو انعدام مخلفات الحطب المفحم أو الألياف الخشبية وكذا شواهد المراسيم التذكارية من قنوات للإرابة، أنصاب، مذابح وموائد للقرابين، فضلا عن أنماط للقبور من الناحية المعمارية. سواء توفرت المعطيات المذكورة

¹ Paturet, 2007, p.362; Van Andringa et Lepetz, 2008, pp.1131.

أعلاه أو قلت، فالمسألة لا تخلو من التعقيدات، ليس من حيث صعوبة الإشكاليات التي يطرحها القبر فحسب وإنما كذلك بسبب قلة المعطيات التي تُحد من فرص الجزم، حيث إن وُجدت هنالك إجراءات مقننة تحرص بدقة على تنظيم تسيير القبور وكل ما له صلة بالمراسيم الدينية والتذكارية، فقليل من المصادر أشارت إلى الجانب الكامن لتلك الممارسات التي نجد آثارها في الموقع دون أن نلقى تفسيراً لخلفتها وهو ما آل بالباحثين إلى التحلي بالحذر في الفصل ما بين الطقس والممارسة وإلى الاعتراف بأن ندرة أو غياب المعطيات في المصادر يعد عائقاً أمام محاولة إبراز ذلك المعنى الكامن، خاصة في المواقع التي التقت فيها ثقافات مختلفة².

2. تاريخ الأبحاث

انحصرت الدراسات في المجال الجنائزي بشمال إفريقيا في ثلاثة مراحل أساسية: تبدأ الأولى من نهاية القرن التاسع عشر، ممتدة على طول العشريات الأولى من القرن الموالي. تأثرت هذه المرحلة بالحربين العالميتين والأولويات السياسية-العسكرية للاحتلال الفرنسي القائمة على الاستكشاف المكثف للمواقع وجمع اللقى؛ لتعرف الأبحاث تراجعاً قبيل الستينيات نظراً للواقع السياسي والأمني لبلدان شمال إفريقيا. أما المرحلة الثالثة، فهي تلك التي شهدت نهضة في شتى مجالات علم الآثار ولاسيما علم الآثار الجنائزي.

خلال المرحلتين الأولى والثانية، تبلورت الأبحاث حول اكتشاف أكبر قدر ممكن من المواقع الأثرية (محلية، بونية أو رومانية) من طرف الإداريين، الجيش، رجال الدين وكذا مختصين جامعيين في مختلف المجالات، مع تركيز الجهود على جمع المخلفات المنقولة وإحصاء الغير منقولة منها، سعياً لتحديد مدى ترسخ وتوسع الوجود الروماني بشمال إفريقيا، مع وصف دقيق للقبور، لمواد وتقنيات البناء وكذلك المرفقات، لكن غالباً على حساب الهياكل، حيث، وفي ظل غياب الدراسات الأثرولوجية، تعذر تحديد سن

² Crubézy, 2007, pp.14-15.

وجنس المتوفين وهو عجز استدرسته أحيانا طبيعة المخلفات (التي سمحت باقتراح احتمالات في المسألة)³ أو بعض الدراسات الأنثروبولوجية⁴.

ابتداء من الستينيات وإلى غاية الثمانينات، عرف علم الآثار الجنائزي نهضة فعلية باللجوء إلى تنظيم حفريات قائمة على القواعد الاستراتيجية، مع تحديد نسبي لفئة العمر من حين إلى آخر (وليس للسنة الكرونولوجية)، اعتمادا على الدراسات الأنثروبولوجية. نذكر منها مقبرة ماتارس بمدينة تيبازة ولو استثنائيا⁵، مقابر مدينة قيصرية (شرشال)⁶، المقبرة الشرقية لمدينة سيتيفيس (سطيف)⁷ بالجزائر، بينما ظهرت الحفريات المبرمجة بنسبة قليلة خلال السبعينيات والثمانينات فما فوق في كل من قرطاج⁸، نيسدروس (الجم) المخصصة لفئة الأطفال⁹، لبتيمينوس (لمطة)¹⁰، بوبوت (حمامات)¹¹ ولبتيس ماغنا (البدية)¹².

فيما يتعلق بفئة الأطفال، نذكر كذلك حفريات الفضاءات الجنائزية التي هُيئت خصيصا لهم والتي وُضعت تحت رعاية الإله ساتورن. في هذا الإطار، تم الكشف بمدينة قرطاج عن ما يقارب 16000 مرمدة، احتضنت هياكل تابعة لمواليد جدد وأطفال تقل أعمارهم عن سنة¹³ والتي أضافت إليها حفريات أ.فرجايوي 18 فضاء مقدسا مكرس إلى نفس الإله¹⁴. أشرف الباحث كذلك على حفريات موقع هنشير الهامي (شمال مدينة جاما حاليا، زاما ريجيا قديما)، بالبروقنصلية، أين كشف عن 170 مرمدة احتضنت جنينات ومواليد لم تتجاوز أعمارهم الأربع أشهر. لا تخلو بقية المقاطعات من الفضاءات المكرسة إلى الإله

³ Delattre, 1893; Vogué, Delattre, A-L. et Delattre, L., 1889; Gauckler, 1902.

⁴ Roffo, 1938.

⁵ Bouchenaki, 1975.

⁶ Leveau, 1976, 1977, 1999.

⁷ Guéry, 1985.

⁸ Lancel, 1978, 1979 ; Bénichou-Safar, 1982, 1988, 2002, 2007, 2010, 2012

استؤنفت الحفريات بتلة ببرسا جراء اتفاقية تونسية- فرنسية عام 1974، تحت رعاية عز الدين بشاوش، حينها مدير المعهد الوطني للآثار والفنون بمدينة تونس، و كذا س. لانسال، أستاذ في جامعة غرونوبل بفرنسا آنذاك والتي انتهت إلى تسجيل الموقع ضمن قائمة المواقع العالمية لليونسكو عام 1979. للتعمق في تاريخ أبحاث مدينة قرطاج والخلفيات السياسية-التاريخية التي تحكمت في مجراها، يُراجع: Gutron, 2008

⁹ Slim, 1975 ; 1984.

¹⁰ Sterling, Mattingly et Ben Lazreg, 2001 cité dans de Larminat, 2016, p.81.

¹¹ Ben Abed et Griseheimer, 2001 ; De Larminat, 2012 ; 2016.

¹² Cifani, Severini, Felici et Munzi, 2008 Cité dans De Larminat, 2015, p.836.

¹³ Poinssot et Lantier, 1923 cité dans de Larminat, 2016, p.79.

¹⁴ Ferjaoui, 2007 cité dans De Larminat, 2012, p.532.

ساتورن وفي هذا الصدد، أحصى م. لوجلي 178 فضاء عبر مجمل مقاطعات إفريقيا، 118 منها بالبروقنصلية، 35 بنوميديا و25 بالموريتانيتين¹⁵. تبقى مقبرة بويوت بمثابة أكثر المقابر دقة من حيث تقنية البحث ودقة النتائج، باعتبار اعتمادها على نخبة من المختصين في مختلف المجالات على غرار الأنثروبولوجيا الفيزيائية وكذا على التحاليل المخبرية، مما سمح بتحديد مضبوط لسن المتوفين ولاسيما الأجنة التي حُددت أعمارها بالأشهر الرحمية¹⁶.

نلتمس مما سبق التعقيدات التي واجهت ولا تزال تواجه علم الآثار الجنائزي ولاسيما علم آثار الطفل، من جهة بسبب عدم تعميم أحدث التقنيات إلى كل المقابر المدروسة ومن جهة ثانية، بسبب هشاشة العظام وكون القبور أقرب إلى السطح من قبور فئة الراشدين، مما يجعلها أكثر عرضة للتلف. إلى جانب ذلك، وفي نطاق أوسع، أتت إشكالية مصف تلك الشريحة من المجتمع لتضفي غموضا أكبر على مسألة الطفل في مجتمع الأحياء وامتدادا له، في الإطار الجنائزي.

على هذا الأساس وللتدقيق في إشكالية بحثنا، استندنا إلى مراجع وتقارير حفريات أفادتنا في تحديد العناصر الأساسية المتداولة في سيرورة الفعل الجنائزي خلال الفترة القديمة (مصرية- إغريقية- رومانية) وبالتحديد تلك المتعلقة بفئة الأطفال والتقرب من خلفيتها في إطار الديانة الجنائزية؛ لجئنا بذلك في الفصل الأول إلى تقارير الحفريات التي تخص بالدرجة الأولى المقابر المدروسة في بحثنا وهي على سبيل المثال:

إيديران، ح. (2017). مقابر مدينة تيبازة القديمة: عمارة وممارسات جنائزية (القرن الـ 1 أو ل- القرن الثالث ميلادي)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2.

Baradez, J. (1957, 10). Nouvelles fouilles à Tipasa .Dans une nécropole païenne. *Libyca V*, 160-221.

¹⁵ Leglay, 1961, 1966 (a-b) cité dans De Larminat, 2016, p.79.

¹⁶ Ben Abed et Grisheimer, 2001 ; De Larminat, 2012, 2016, 2017.

للتعمق في تاريخ أبحاث علم الآثار الجنائزي بإفريقيا، يُراجع: Vismara, 2015 ; De Larminat, 2015, 2016.

Bouchenaki, M. (1975). *Fouilles de la nécropole occidentale de Tipasa (Matarès), 1968 – 1972*. Publication de la Bibliothèque Nationale.

Cintas, P. (1948). Fouilles puniques à Tipasa (Algérie). *Rev.Af* 92 (3^{ème} et 4^{ème} trimestres), 263-330.

Guéry, R. (1985). *La nécropole orientale de Sitifis (Sétif, Algérie). Fouilles de 1966-1967*. CNRS.

Lancel, S. (1970). La nécropole romaine occidentale de la porte de Césarée : Rapport préliminaire, *BAA IV*, 149-226.

تليها تقارير حفريات مقابر مدينة قرطاجة أساسا ومقابر بونية أخرى، على غرار ثيسدروس وبوبوت بالبروقنصلية وكذا غوراية بموريتانيا القيصرية لتحديد التأثيرات البونية على المقابر التي تهم بحثنا وأهمها:

Bénichou-Safar, H. (1982). *Les tombes puniques de Carthage, topographie, structures, inscriptions et rites funéraires*. CNRS.

Bénichou-Safar, H. (2012). Le statut de l'enfant punique et les objets funéraires. In Hermary, A., & Dubois, C. (éds.), *L'enfant et la mort dans l'Antiquité III. Le matériel associé aux tombes d'enfants : Actes de la table ronde internationale organisée à la Maison méditerranéenne des sciences de l'homme d'Aix-En-Provence, 20-22 janvier 2011* (pp.263-272), Aix-En-Provence Publications du Centre Camille Jullian.

Bénichou-Safar, H. (2002). Les Carthaginois sacrifiaient-ils vraiment leurs enfants ?. *Cahier des thèmes transversaux, ArScAn, II, Thème 6 : Rites, Cultes et Religions*, Paris, 2000-2001, 247-249 ou *Journal pour les droits de l'enfant* 33 (1^{er} Trimestre 2008).

استعنا كذلك بتقارير الحفريات التي أُجريت في إيطاليا والمقاطعات الرومانية والتي سمحت لنا بانتقاء العناصر التشخيصية للفعل الجنائزي وخلفيتها في ذات المقاطعات مع التركيز على تلك التي تخص فئة الأطفال ونذكر منها:

Dasen, V. (2010). Archéologie funéraire et histoire de l'enfance : nouveaux enjeux, nouvelles perspectives'. In *L'enfant et la mort dans l'Antiquité. Nouvelles recherches dans les*

nécropoles grecques : actes de la table-ronde, Athènes, Ecole française d'Athènes, 29-30 mai 2008 (Collection Travaux de la Maison René Ginouvès 11) (pp.19-44), Paris : De Boccard.

Papaikononou, I-D (2008). Enfance et identité sexuée dans les cités grecques. In Gusi, F., Jener, I., Olària, C. & Muriel, S. (éds.), *Nasciturus, infans, puerulus vobis mater terra : La muerte en la infancia, Sèrie de prehistòria i arqueologia* (pp. 595-618).

Servei d'investigacions arqueològiques i prehistòriques.

اعتمدنا كذلك على منشورات س. دي لارمينا باعتبارها المختصة الوحيدة التي تطرقت إلى موت الطفل في مقاطعات إفريقيا الرومانية (باستثناء موريتانيا الثلاث مدن والطنجية)، مع استثناء أطروحة الباحثة من رصيدينا الببليوغرافي نظرا للتعديلات التي تباشر بها حاليا تحسبا لنشر لاحق:

De Larminat S. (2012). Gestes et pratiques funéraires autour des inhumations en fosse d'enfants en Afrique romaine à l'époque. In Nenna (M-D.) (éd.), *L'Enfant Et La Mort Dans l'Antiquité II. Types De Tombes Et Traitement Des Corps Des Enfants Dans l'Antiquité Gréco-Romaine : actes de la table ronde internationale organisée à Alexandrie, CEAlex, 12-14 Novembre 2009* (pp.501-538), Alexandrie : Études Alexandrines 26.

De Larminat, S. (2016). Le traitement funéraire des tout-petits en Afrique. In Portat (E.), Detante (M.), Buquet-Marcon (C.), Guillon (M.) (dir.), *Rencontre autour de la mort des tout-petits : Iième Rencontre du Groupe d'Anthropologie et d'archéologie funéraire, 3-4 déc. 2009, Saint-Germain-en-Laye* (pp. 79-89), Condé-sur-Noireau : Gaaf.

أما مراجع الفصل الثاني، فهي تخص من جهة، كل ما يتعلق بمفهوم الطفل في الثقافة الرومانية والإغريقية، سواء تعلق الأمر بمراحل النضج ومبادئ التنشئة الاجتماعية، الحداد أو آليات إحياء الذاكرة ومن جهة ثانية، المفاهيم المتعلقة بقدسية الشواهد والنقل الطقوسي الذي تحمله. استعنا مبدئياً بالمراجع العامة التي تعمقت في الخصوصيات الإيكونوغرافية للفترة الإمبراطورية، تليها مراجع تخص فئة الأطفال بالتحديد من حيث الآليات التذكارية (مشهدا ونقيشة) ومسألة الحداد، فضلا عن كل ما يمس الجانب القدسي الطقوسي للنصب والذاكرة. نذكر منها:

Coltelloni-Trannoy, M. (2017). Le langage des pierres : le mot et l'image sur les stèles votives et funéraires de Caesarea de Maurétanie (Cherchell, Algérie). In Corbier, M. & Sauron, G.

(dirs.), *Langages et communication : écrits, images, sons* (pp.137-169). Éditions du Comité des travaux historiques et scientifiques.

Dasen, V. (2017). *L'enfant qui ne sourit pas*, Sous presse. RA 2, 261-283.

Tulloch, J.H. (2011). Ch. 32. Devotional visuality in family funerary monuments in the roman world. In Rowson, B. (eds.), *A companion to families in the greek and roman world* (pp.542-563).Blackwell.

3. أهمية الموضوع وإشكالية البحث

لقد حاول الباحثون، من خلال أبحاث في تزايد مستمر، تحديد مصف الطفل في المجتمعين الإغريقي والروماني باعتبار الطفولة مرحلة غير واضحة المعالم وباعتبار الشكوك القائمة حول إدماج الطفل وهو حي ضمن العائلة والمجتمع. انجر عن ذلك تساؤل حول مفهوم الطفولة عموما وبالتحديد إشكالية الوعي لدى أفراد العائلة بذلك المفهوم. يعود الأمر جزئيا إلى ما يرد في المصادر ولا سيما لدى كيكرو¹⁷ (Cicero) وبلوتارخ¹⁸ (Plutarque) حول تقادي مراسيم الحداد بالنسبة لتلك الفئة وخاصة منها الطفولة المبكرة.

انطلاقا من ذلك، فمن المنطقي أن تطرح الإشكالية نفسها في الإطار الجنائزي باعتبار أن من لم يتم إدماجه اجتماعيا، قد يحتفظ بنفس المصف بعد الوفاة، خاصة إن أتت قلة أو انعدام المخلفات الأثرية لتعزيز الفرضية وهنا تكمن أهم الإشكاليات التي طرحها الباحثون في ما يخص الطفل في المحيط الجنائزي. إلى جانب ما سبق، نجد إشكالية ثانية تخص الجانب العائلي ولاسيما ذلك الذي يربط الطفل

¹⁷ ماركوس توليوس كيكرو، وُلد عام 106 ق.م بمدينة أربينيوم الواقعة ببلاد الفولسكي، على بعد 100 كم شرقي العاصمة روما وقُتل عام 43 ق.م بمدينة فورمياس بالاتيوم. كيكرو مفكر، خطيب، محامي ورجل سياسي، انتمى إلى عائلة عريقة من مصف الفرسان. اشتهر المفكر بكتاباتة في مجال السياسة ولاسيما خطاباته الأربعة لفضح تحالف كاتيلينا خلال قنصلية عام 63 ق.م، فضلا عن العديد من المؤلفات حول شتى المسائل الفلسفية والقانونية ولا سيما تلك التي تخص الموت، الروح والجنزة. من أشهر المؤلفات في هذا المجال: عن طبيعة الآلهة، عن الشيخوخة، التوسكولاناس.

¹⁸ مؤرخ ومفكر إغريقي، وُلد في مدينة خيرونا بالقرب من مدينة دلفي عام 45 م وتوفي عام 125م. درس بالعاصمة أثينا واكتسب مكانة راقية لدى الإغريق والرومان. اشتهر بانتقاده للتيار الرواقي والأبيقوري. من أشهر مؤلفاته "الأخلاق" أو "الموراليا" و "السير المقارنة للعلماء اليونان والرومان"

بالأم، الطفل بالعائلة وكذا علاقة الأطفال فيما بينهم ونقصد بذلك محددات التنشئة الإجتماعية التي قد تسمح بتحديد مفهوم الطفل في الذهنية الإغريقية والرومانية لكن ضمن عالم الأحياء والتي سنقف عليها في مقدمة الفصل الثاني. نطرح بدورنا إشكالية مصير الطفل بعد الوفاة وليس المصنف فحسب وذلك لسببين:

مبدئيا، لا نرى حجة لإقصاء فئة لا ذنب لها في الوفاة مبكرا ثم حرمانها من فرصة البعث، فالعبيد بدورهم لا يحضون بكيان معترف به اجتماعيا بل حتى قانونيا، في حين لم يتم إدماجهم ضمن ما يُعرف بالموت المشؤومة، كما لم تذكر المصادر إشارة لتواجدهم عند أبواب عالم الأموات ولا حتى لخطر النسيان الأبدي.

ثانيا، فبالرغم من الممارسات الجنائزية التي يربطها بعض الباحثين بذلك المفهوم، يأتي الأثاث الجنائزي في حوراه الرمزي متيحا، بمجرد وجوده، فرصا للتفكير في نقيض للقضية ولاسيما من خلال المخلفات التي قد لا تتفق بسن المتوفي، مما يمنح حسب رأينا كل أهميتها للإشكالية المطروحة في هذا البحث. تأتي مخلفات المراسيم التذكارية مدعمة لطبيعة المرفقات الجنائزية والتي بدورها تجسد أطفالا في هيئة تتناقض في غالبية الأحيان مع السن الوارد في النقيشة وذلك في كل المقاطعات الرومانية وليس بمقاطعات إفريقيا فحسب. نتساءل بذلك، اعتمادا على ما يرد في المصادر¹⁹ وعلى ما هو متداول لدى نخبة من الباحثين من تساؤلات واستنتاجات تخص مصف الطفل²⁰، إن لم يتجاوز الأمر قضية المصنف ليتسع إلى أمل في مصير تتم فيه تلك الفئة مسارها نحو النضج بعد الوفاة. ندعم فرضيتنا بما يرد في المصادر أين نجد إشارتين: الأولى لدى ترتوليانوس (Tertulianus) (القرن الثاني ميلادي) والثانية لدى أوسونيوس (القرن الرابع ميلادي). يصرح ترتوليانوس²¹ ببقاء الأطفال المتوفين أمام أبواب العالم الثاني

¹⁹ Aiunt et immatura morte praeuentas eo usque uagari istic, donec reliquatio compleatur aetatum. Tertullien, *De anima*, 56.

²⁰ Cumont, 1949, pp.307-308 ; Carroll, 2011, p.112 ; Dasen, 2017.

²¹ كوينتوس سبتيوس فلورانس ترتوليانوس، مؤلف ولاهوتي إفريقي الأصل، وُلد عام 160 وتوفي عام 220م. اشتهر بمؤلفاته حول الديانة المسيحية وبمحاربته للهرطقة. من أبرز مؤلفاته: رسالة إلى الوثنيين، رسالة الإحتجاج، وصية النفس، رسالة إلى إسكابولا (قتل إفريقيا)، الرد على اليهود، الرد على ماركيون، جسد المسيح، عن الروح وغيرهم.

"ريثما يتمموا ما كانوا ليعيشونه لو بقو على قيد الحياة"، ليأتي بعده الشاعر أوسونيوس²² (Ausonius) (القرن الرابع ميلادي) بمؤلف ال «Parentalia»، يحيي فيه ذاكرة أفراد عائلته المتوفين وأين نجد مقطعا مخصصا لأخته (ميلانيا أميليا) التي توفيت في سن السنة ونصف²³ والتي يطالبها فيه بتشريف روح والديهما في عالم الأموات باعتبارها سبقتة²⁴.

اعتمادا على ما سبق، نقترح الإشكالية التالية:

ما مصير الطفل المتوفي في مقاطعتي نوميديا وموريتانيا القيصرية ما بين القرنين الأول والثالث ميلادي: هل هو الإقصاء من عالم الأموات أو بالعكس، الأمل الفعلي في الاندماج فيه مع فرصة اتمام المسار نحو النضج؟.

الفرضية الأولى: الموت المشؤومة لا تخص فئة الأطفال في المواقع المدروسة وإنما الموت المبكرة أو الموت المرة.

الفرضية الثانية: للطفل حق الاندماج في العالم الثاني ومعه أمل إتمام المسار نحو سن النضج.

الفرضية الثالثة: أمل إتمام المسار مقنن طقوسيا على المعالم التذكارية.

نلفت النظر إلى أن الإشكالية تتسع إلى أبعد من ذلك فيما يتعلق بالمقاطعات الإفريقية- الرومانية باعتبار تمازج الثقافات. على هذا الأساس، لنا أن نتساءل، في ظل الوجود الروماني، عما إن كان للطفل، لدى المجتمع المحلي، مصفا مغايرا لما اعتيد عليه لدى الرومان. بعبارة أوضح، هل كان الطفل فعلا ذلك

²²ديكيوموس ماكسيموس أوزونيوس، رجل سياسي، مفكر ومعلم غالي-روماني، وُلد عام 309 بمدينة بوردو بفرنسا وتوفي عام 394/395 بفرنسا. اشتهر بحوالي عشرين مؤلفا ومن ضمنها "الأهجية" Epigrammes وهو ديوان مكون من 150 قصيدة. نذكر كذلك ال Parentalia وهو مؤلف يحيي فيه ذاكرة أفراد عائلته المتوفين. أثار انتمائه الديني جدلا في الوسط الأكاديمي ولم يتم الجزم في المسألة حيث هنالك من رأى فيه مسيحيا معتدلا وهنالك من احتمل أنه كان وثنيا، في حين اتهمه البعض الآخر بالإنتهازية الدينية. يبقى أن مؤلف البارنتاليا يحيي ذاكرة أفراد العائلة باللجوء إلى المانس أحيانا ولنا أن نعتبر عنوان المؤلف بحد ذاته.

²³ Etienne, 1964, p.21.

²⁴ Tetullien, *De anima*, 56, p.108 ; *Praemissa ergo vale, Manesque verere parentum*. Ausone, *Parentalia*, paragr.29, pp.139-158.

الكيان الضعيف الذي يكتسب مصفا كلما كبر سنا أم أنه كان مكسبا له مكانته منذ الولادة ومصفا ضمن العائلة والمجتمع الذين ينتمي إليهما؟.

أما عن الفترة الكرونولوجية التي حددناها، فيعود ذلك إلى كونها منعرجا، انتقلت فيه روما من قلة الاعتبار اتجاه فئة الأطفال خلال الفترة الجمهورية، استنادا إلى المصادر والمخلفات الأثرية من أنصاب بمشاهدها ونقائشها (مع اعتبار أن النقائش الجنائزية نادرة عموما خلال ذات الفترة)²⁵، إلى بروز اهتمام تدريجي، ابتداء من فترة حكم الإمبراطور أغسطس بالتحديد، ليلبغ ذروته خلال القرن الثاني ميلادي. في هذا الصدد، تم التطرق إلى مكانة الطفل في العائلة والمجتمع خلال فترة حكم الإمبراطور من خلال الإصلاحات التي باشر بها، في إطار سياسة حرصت على تكريس وترسيخ القيم الأخلاقية للعائلة المثالية؛ اصلاحات تعززها التمثيلات الإيكونوغرافية الرسمية ومن ضمنها معلم الآرا باكيس (*Ara pacis*)، أين تم تخصيص فضاء مبرمج مسبقا لأطفال البلاط تبعا لدرجة ولايتهم للحكم²⁶. نلتمس مما سبق بروز حرص على منح الطفل كيانا فعليا باعتباره المستقبل الواعد الذي سيخدم المصلحة العامة. خلال القرن الثاني، عزز الإمبراطور ترايانوس سياسة الإمبراطور أغسطس، موفرا دعما ماليا للعائلات الريفية من خلال قروض استثمرت فائدتها في تغذية الأطفال تماشيا وتحفيز الزراعة، سواء كانوا شرعيين أو غير شرعيين. يحتمل الباحثون أن مشروع التدعيم ذاك (*Alimenta*) تابع من سابقه، الإمبراطور نرفا كما استمر خلال فترتي حكم أنطونينوس بيوس وماركوس أوريليوس بعده، أين اتخذ تسمية زوجات الإمبراطورين (*Puella Faustianae*) وبعدها خلال حكم السيفيريين (*Pueri puellaeque Mammaeani*)²⁷. يمنحنا ما سبق شهادات أدبية قد تكفي لدراسة الإشكالية التي تهمنا، في ظل التوجه الذي اتخذته الأبحاث إلى حد اليوم بدءا من فكرة الرعب أمام الموت المبكرة إلى غاية المصفا الغامض واحتمال غياب الإهتمام.

²⁵ حوالي عشرون نقيشة جنائزية ما بين القرن السادس وبداية القرن الأول ق.م.

Berrendonner, 2009, paragr.1 et 5.

²⁶ Zanker, 1988, pp.122-123.

²⁷ Néraudau, 1984, p. 203-304; Rawson, 1999, pp.205-206-207-224; Rawson, 2015, pp.23 - 24.

فيما يتعلق بالمنهج، فقد استندنا إلى المنهج الوصفي والتاريخي مع مقارنة تحليلية لخلفية المعطيات المتاحة؛ أما في تقسيم البحث، فاتبنا الخطة التالية:

مدخل عام: تطرقنا فيه إلى مفهوم القبر، حيث صادفنا تناقضا ما بين تحديد المفهوم في القانون الجنائزي الروماني وعدد القبور الإجمالي بمدينة سطيف. بالرغم من لجوء الباحث إلى مصطلح "حفرة" بالنسبة إلى القبور التي تخلو من أية إبداعات (عظمية أو مرفقات)، فقد أدمجها هذا الأخير ضمن قائمة القبور المحصاة. على هذا الأساس، بدى لنا مفيدا أن نعود على مفهوم القبر بشيء من التفصيل وعلى أهم الآليات القانونية والدينية التي تتحكم فيه حتى يتضح سبب التعديل الطفيف الذي باشرنا به في إحصائنا لعدد القبور الإجمالي بالمقبرة الشرقية. تطرقنا بعدها إلى المفاهيم الأساسية المتعلقة بالموت المبكرة في المصادر وبالتحديد فئة الأطفال والتي آلت، بمختلف الإشكاليات التي طرحتها، إلى بروز ما يُعرف بعلم آثار الطفل في علاقته المباشرة بالمخلفات المادية لتلك الشريحة من المجتمع²⁸.

الفصل الأول: خصصناه للدراسة التحليلية للأثاث الجنائزي بداخل القبر والتي حاولنا من خلالها تحديد ما إن وجد هنالك فرق ما بين المراسيم الدينية الخاصة بالأطفال مقارنة بفئة الراشدين، مع إدراج عناصر أخرى بدت لنا مهمة بالنسبة لإشكالية البحث، كعمق القبور (الوثيقة الصلة بحماية الجثة) وكذا رمزية المرفقات الجنائزية من حيث نوع الأواني، وضعيتها وتموضعها بالنسبة للهيكل، دون تجاهل رمزية الحلي. ركزنا كذلك على طقوس السجن بأنواعها من خلال: وضعية وحالة الجثة (استئصال الرأس، التثبيت، الوضعية البطنية)، منح الأولوية لنوع محدد من المرفقات، كالمسامير (اعتبارا لطقس التسمير)، نمط الرسم الذي تم تفضيله (إن وُجد) وأخيرا العزل أو الإقصاء الطبوغرافي. خصصنا أخيرا فقرة إلى مخلفات المراسيم التذكارية من أنصاب، موائد القرابين وقنوات الإرافة، بحثا في كلتا المرحلتين (مرحلة

²⁸ بفعل قلة أو غياب فئة الأطفال ضمن الإهتمامات الأكاديمية، تم إنشاء هيئة أكاديمية دولية تحت تسمية "جمعية دراسة الطفولة في الماضي" والتي تعنى بالبحث في مختلف الآليات التي تسمح بمنح الطفل مكانته الموضوعية ضمن المجتمعات (قديمة وحديثة) ومحاولة ضبط هيكلية نظرية للطفولة ولدراسة الطفولة في علاقتها بالمخلفات المادية. <https://sscip.org.uk> للتعلم في تحديات علم آثار الطفل، مختلف النقص التي واكبت الدراسات في تجاهلها لبعض الجوانب من حياة الطفل ومخلفاتها المادية وكذا مختلف الآليات التي يستوجب تطبيقها لفهم إشكالية الطفل، يُراجع مقال Lillehamer, 2010.

المراسيم الدينية والتذكارية) عما قد ينفرد به الأطفال. في حالة إثبات وجود فروقات يصعب تفسيرها ما بين الفئتين، فقد يعزز ذلك وجود سلوك استثنائي، مما يقربنا من المصنف ومن ثمة المصير الاستثنائي للطفل بعد الوفاة؛ لكن في الحالة المعاكسة، قد تتاح الفرصة لإثبات أنه كان للطفل كيان قائم بذاته في عالم الأحياء والأموات. يتبلور هدف الفصل الأول في محاولة إثبات أو نفي فرصة الاندماج في العالم الثاني بالدرجة الأولى وكذا فرضية المصنف الاستثنائي في مقاطعات إفريقيا الرومانية (نوميديا والقيصرية)، لكن باعتبار أن الأثاث الجنائزي يقترح حوارا يعكس بدوره أمل الأحياء، سمحت لنا بعض العناصر بالنظر في مسألة المصير وبالتحديد أمل إتمام المسار نحو سن الرشد.

الفصل الثاني: وهو الذي يتعلق بالذاكرة. خصصناه لدراسة إيكونوغرافية لعينة من الأنصاب الجنائزية وكذا للرصيد الإيبوغرافي المتوفر، سعيا لإبراز تقنين متفق عليه أو توجه يوحي بأمل في إتمام المسار. في الإطار الإيكونوغرافي، اعتمدنا أساسا على الهيئة ونقصد بذلك شكل الجسم، اللباس، تسريحة الشعر، ملامح وتعابير الوجه، فضلا عن بقية الرموز المتداولة على الأنصاب. استوجب الأمر اقتراح تمهيد لأسس التربية لدى الرومان ولكل ما له علاقة بالحداد الخاص بذات الفئة، كما ركزنا على أهمية الواقعية المعتادة في التمثيلات الإيكونوغرافية الرومانية، مما يسمح بطرح إشكالية تمثيل الطفل في هيئة "كاذبة". استعنا أخيرا بالرصيد الإيبوغرافي الذي قد يحمل دلالات على صلة بمسألة إتمام المسار، على غرار الرابطة بين المهدي والمهدى إليه أو الصفات التي لا تتلاءم وسن المتوفي، محتملين وجود خطاب طقوسي أو تركيبية طقوسية مقننة تشكلها العناصر الواردة على تلك الشواهد التذكارية.

أما الفصل الثالث، فيتضمن خلاصة لنتائج هذا البحث الأكاديمي والتطبيقي مع تحليل لخلقيتها كلما سمحت لنا المعطيات بذلك.

أرفقنا البحث أخيرا بفهرس للملحقات وبقائمة للمراجع والمقالات ذات الصلة المباشرة أو غير المباشرة بموضوع الدراسة.

نشير إلى وجود فارق عددي معتبر في الفصل الأول من البحث ما بين دراسة المقبرة الشرقية لمدينة سطييف ومقابر مدينة تيبازة وذلك راجع من جهة، إلى توفر المادة بشكل واسع ومفصل فيما يخص المقبرة الشرقية لمدينة سطييف، بينما تقل المعطيات التي تهم إشكالية بحثنا في مقابر مدينة تيبازة رغم توفر المادة وذلك نظرا لاتباع الباحثين منهجية تختلف عن تلك التي اقترحها ر.جيري بالنسبة لمدينة سطييف. يعود ذلك أساسا إلى الإطار التاريخي الذي أجريت فيه الحفريات (السبعينيات على الأكثر) والذي لم تتداول فيه المعايير العلمية المعروفة ابتداء من الثمانينات؛ في أغلبية الأحيان، لم يتم مثلا تحديد السن ولا الجنس باعتبار كون الترميد بمثابة الطقس الأكثر تداولًا كما لم يتسن للباحثين، في حالة الدفن، إجراء دراسات أنثربولوجية للفصل في المسألة، هذا فضلا عن العراقيل التي واجهها الباحثون خلال عمليات التنقيب والتي كثيرا ما حددت نطاق مساحة الحفريات، فضلا عن حالة القبور التي تعرضت للتدنيس أو التدمير بفعل العوامل الطبيعية (مقبرة ماتارس).

نضيف أخيرا أنه، إن كان جرد كل ما تتوفر عليه القبور من مرفقات أمر ضروري خلال الفصل الأول لإعداد قاعدة وافية للمعطيات، فقلة الأنصاب الخاصة بفئة الأطفال ولا سيما الكاملة منها، استوجب إنتقاء عينة مما هو متوفر والتي سمحت، رغم قلتها، باقتراح فرضيات حول مسألة المصير.

مدخل عام

مفاهيم جنائية عامة وإشكالية الطفل في المجتمع الروماني

1. القبر من حيث القانون الروماني

تُعد وفاة فرد من العائلة بمثابة فاجعة حتى لو كانت مُنتظرة. بالرغم من حدة الاستياء، فلا بد على الأهل اتخاذ اجراءات في ظرف زمني قصير المدى ولذلك، حرص القانون الروماني على تقنين جملة من التنظيمات ذات الطابع الديني والوقائي والتي بدورها تقوم على أسس طقوسية تنظم بدقة مسار المتوفي ابتداء من البيت إلى غاية المقبرة²⁹. على هذا الأساس، فللقانون والدين³⁰ دور متكامل، يتعلق بالمتوفي لكن كذلك بأثر وفاته على الأحياء (تلطّيح "تقاء" العائلة من جهة وفترة الحداد (*Tempus lugendi*) من جهة ثانية). فيما يخص أثر المتوفي على الأحياء، يتعلق الأمر بضرورة التطهر عاجلا من نجاسة الموت التي تمس العائلة ككل والتي لن تزول إلا جراء المأدبة الجنائزية التي يُهدى جزء منها إلى الإلهة سيراس³¹. من جهة ثانية، تُعد الطقوس الجنائزية بمثابة المحرك الذي يضمن عبور المتوفي إلى العالم

²⁹ تنقسم الطقوس والمراسيم المتعلقة بالوفاة إلى مرحلتين: تلك التي تقام في البيت والتي لا تتدخل فيها أية سلطة دينية باعتبارها تابعة للديانة العائلية أو الخاصة. تنتهي تلك المرحلة لحضة خروج المتوفي من البيت، لتبدأ حينها مرحلة الجنازة بالمعنى الدقيق أي مسار المتوفي من البيت إلى غاية غلق القبر. تليها المراسيم والطقوس المتعلقة بالعائلة. للتفصيل في خطوات الجنازة، ما يسبقها وما يليها، يُراجع: Voisin, 2014, pp.80 à 94.

³⁰ يشير ج. شايد في مقال درس فيه مفهوم الدين، في علاقته بالمجتمع والمؤسسات، إلى أنه لا يتعلق لدى الرومان بالإيمان أو العقيدة وإنما بالحرص، مثله مثل القانون، على اتباع الطقوس بشكل مضبوط. في مؤلف جماعي ثان، خصصه للجنة الدينية، يعزز الباحث أهمية الجانب الطقوسي المقنن في منظور الرومان للديانة، كما يركز على السبل التي يتم من خلالها التكفير عن تلك الجناح باللجوء مرة أخرى إلى طقوس تعويضية بدورها مقننة أو ما يسمى بال *Piacula* أو ال *Instauratio* وهي نابعة من التقاليد المقدسة التي يربعاها الرهبان. نشير أخيرا إلى أن الباحث قد أثبت أهمية الطقس في المجتمع الروماني ليس من منطلق أنه ينظم المجتمع فحسب وإنما من حيث أنه بمثابة ما تبقى من تقاليد راسخة في الفكر الديني أو العقائدي الروماني وذلك تبعا لتحليل الباحث روهد. بعبارة أوضح، فالطقس قد يكون نابعا من غريزة عفائية عتيقة نابعة عن حادثة ظرفية والتي آلت إلى خلق علاقة وطيدة بالآلهة. على مر القرون، بقي الطقس بمثابة الهيكل الذي يسمح باستمراره وثبوت تلك العلاقة. نلتمس العلاقة التي تربط القانون بالدين باعتبار كليهما يشارك في السير الحسن لثتى مظاهر الحياة بنفس الطابع الرسمي، المقنن وبعواقبه الوخيمة على الفرد في إطار الديانة الفردية و/ أو العائلية وكذا المصلحة العامة في إطار الديانة الجماعية. نضيف أخيرا أنه، مثل القانون، ففي الدين كذلك، تأخذ الآلهة بعين الاعتبار نية المسؤول عن الخطأ وإن كانت صادقة، فلا مجال للعقاب، شرط أن يباشر الفاعل بالتكفير عن الخطأ حتى لا تنتقل الزلة إلى مستوى الجنحة؛ هذا بصرف النظر عن التنظيمات التي ترد في القانون الروماني الجنائزي والتي تقوم كذلك على قسسية الفضاءات وتنظيمها يُراجع:

Scheid, 2010, paragr.47 ; Scheid, 1981, pp.121-123 et 124 ; Rohde, 1936, p.115 cité dans Durand et Scheid, 1994, p.26.

³¹ Paturet, 2012, p.2.

الثاني ويفصله من ثمة عن الأحياء³². أما عن المتوفي، فلا بد من رسمه. أيا كان الطقس المتبع، دفنا أو ترميدا، يقف القانون الروماني على ضرورة أن تتم تغطية الجثة بالتراب وفي حالة الترميد، فيكفي لإثبات ذلك أن نُذكر بممارسة عتيقة بروما، تُعرف بال *Os resectum* والتي تنص على استئصال عظم يُغطى بالتراب وهو عنصر يساهم إلى حد واسع في منح شرعية للقبر وإدماجه في الإطار القانوني الخاص بالمسائل الدينية (*Religiosa iura*)³³.

نلتمس مما سبق العلاقة التي تربط الجثة بالتراب الذي لا بد أن يُحشى على القبر، حتى وإن تعلق الأمر بجزء منها (أو من الهيكل). أبعد من ذلك، فتغطية الجثة بالتراب هو ما سيؤهل العائلة لاسترجاع مصفها ضمن العائلات النقية³⁴.

لقد تم التطرق إلى المصطلحات والمفاهيم المتعلقة بالقبر، بنقل الجثة، بالفضاء المقدس المحيط بالقبر وكذا إلى تطور تلك المفاهيم على مر القرون³⁵. نركز بدورنا على مسألة القبر الفارغ وكذلك نقل الجثة (*Translatio*) تحسبا، كما سبق الذكر، لبعض التساؤلات التي سنصادفها خلال الفصل الأول من البحث.

فيما يتعلق بالقبر الفارغ، يشير أ. باتوري إلى أن الجثة شرط وجود القبر، سواء من المنظور الديني أو القانوني³⁶. في مسار معاكس، فالقبر هو ما يضمن كيانا فعليا للمتوفي في عالم الأموات ويتيح فرصة الاندماج في العالم الثاني، بحيث من لم يحظ بقبر (*Insepultus*)، يبقى تائها ما يقارب 100 سنة حول نهر الستيكس (*Styx*)³⁷ (الخريطة رقم 1).

محتوى المادية بدوره مقنن ويتضمن البيض، الخضراوات، الفول، العدس، الخبز، الملح والدواجن. أما عن الجزء الذي يُقدم قربانا للآلهة سيراس، فينحصر في الأحشاء (*Extā*) (الأمعاء، الكبد، القلب... إلخ)، في حين يستقبل المتوفي حصته إما في المحطبة (في حالة الترميد) أو بمحاذاة القبر (في حالة الدفن). للتفصيل في مراحل الجنازة، يُراجع Voisin, 2014, pp.91-92.

³² Paturet, 2012, p.22.

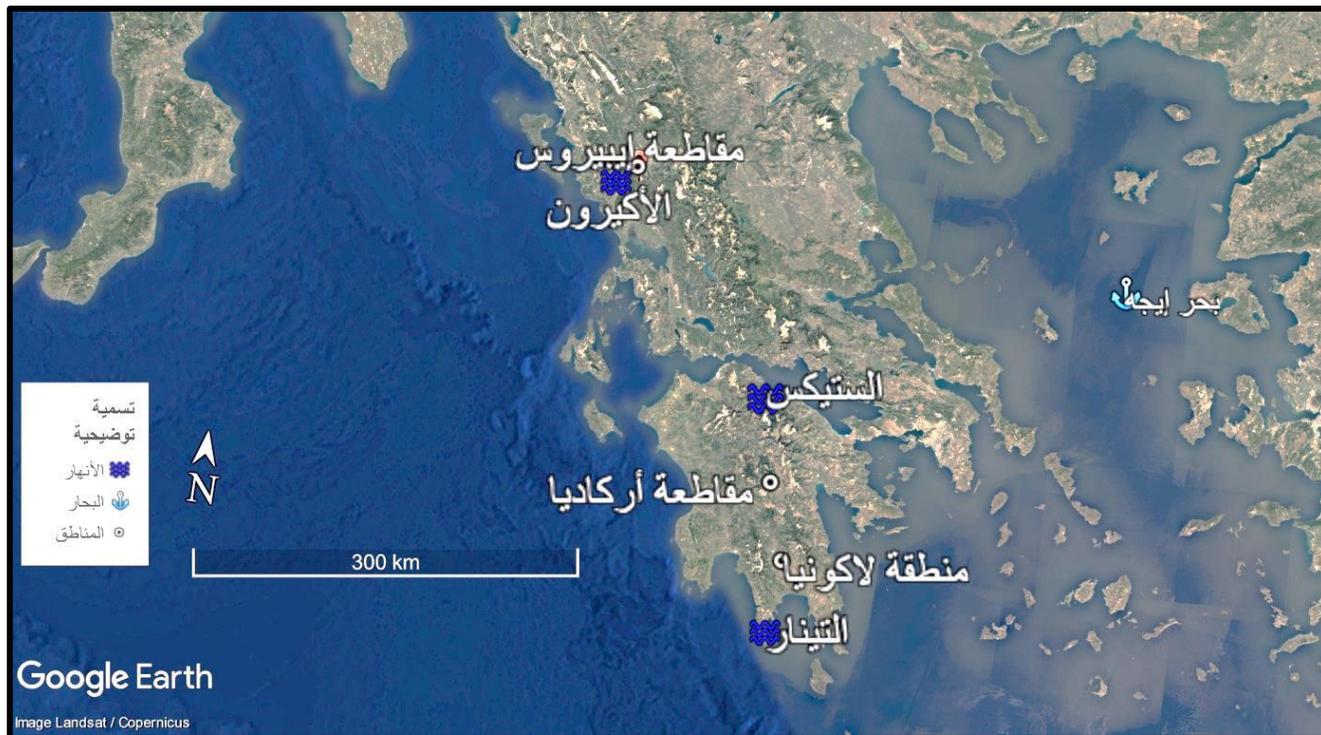
³³ Cicéron, *De Legibus*, II, 22 ; Paturet, 2012, p. 2-3 ; Graham, 2011 ; Laubry, 2012, pp.2-3.

³⁴ Scheid, 1984, p.129.

³⁵ Paturet, 2007, 2012a; 2012b ; Laubry, 2012, 2016.

³⁶ Paturet, 2012, pp.2-3.

³⁷ Cumont, 1949, pp.305.



الخريطة 1: مواقع أهم أنهار عالم الأموات المتوفرة جغرافيا (بلاد الإغريق).

في هذا الصدد، نجد في حادثة مقتل الإمبراطور كاليغولا، تبعا لسويتونيوس³⁸ (Suetonius)، ما يُثبت ذلك. يروي لنا المؤرخ أن روح الإمبراطور استمرت في مضايقة حراس الحديقة الجنائزية التي رُمس بها وكذا البيت الذي قُتل فيه والذي احترق كليا؛ كان ذلك نتيجة الظروف الاستثنائية التي ميّزت جنازته حيث تم ترميده في عجلة، مما انتهى إلى ترميد جزئي للجثة قبل إقامة جنازة سرية³⁹. نستوحي مما سبق أهمية اتباع وإتمام المراسيم الدينية بشكل محكم، كما تتضح لنا خلفية تكامل الاعتبارات القانونية (في تنظيمها للمسائل المتعلقة بالقبر) والاعتبارات الدينية (في تمهيد الطريق نحو الراحة الأبدية)⁴⁰.

³⁸ كايوس سويتونيوس ترانكويلوس مؤرخ ومؤلف حياة مشاهير الرجال، ولد عام 69 م وتوفي عام 170. يُرجح أن مولده كان في مدينة هيون. انتمى إلى مصف الفرسان وكان مقربا للبلاط الملكي. يشير إليه صديقه وحاميه بلينوس الأصغر على أنه رجل معرفة، مارس الحمامة لكن لفترة محدودة، كما تشير نقيشة من مدينة هيون إلى تقلده منصب مسؤول عن الأرشيف والتوثيق وكذلك وظيفة كاهن الإله فولكانوس. أشهر مؤلفاته التي وصلتنا "سير القياصرة الإثني عشر".

³⁹ Suétone, *Caligula*, 59.

⁴⁰ Plutarque, *Vie de Numa*, p.156.

نستعين كذلك بما يرد لدى فارو⁴¹ (Varo) أين يشير المصطلح *Humatus* إلى الدفن كمقابل ل *inhumatus* الذي يخص به الكهنة كل من لم يحصل على قبر. يقصد الكهنة بذلك أولئك الذين تم ترميد جثتهم دون أن تتم تغطية الرماد بتراب "القبر"⁴² (بمعنى تراب الفضاء المقدس أي ال *locus religiosus* وهو فضاء تم تحديده كمقام نهائي وليس ضرفي⁴³)، مما يعيق عودة العائلة إلى مصف العائلة النقية⁴⁴.

أما أوليبانوس⁴⁵ (Ulpianus)، فلجأ إلى مصطلح *Sepulcrum* على أساس أنه المكان الذي تم فيه دفن جثة⁴⁶، بينما ركز ماركيانوس⁴⁷ (Marcianus) على ضرورة "تفادي المساس بالجثة" حين المباشرة بإعادة تهيئة قبر اندثر⁴⁸. ترد نفس الفكرة لدى كيكرو (Cicero) الذي يفيدنا بأن أقدم نمط للرسم تمثل في إحالة الجثة إلى التراب، مُشبهها التربة بالأُم الحامية ومضيفاً أنه بالرغم من الاعتياد على اللجوء إلى مصطلح "القبر" بالنسبة لكل أنماط الرسم، فلا ينطبق المصطلح إلا على ما أتممت فيه المراسيم الدينية مع تغطية

⁴¹ ماركوس تيرنتيوس فارو، مفكر ومؤلف روماني ولد عام 116 ق.م وتوفي عام 27 ق.م. من مصف الفرسان، تقلد مناصب سامية ولاسيما قائد الجيش كماليا ليوليوس قيصر خلال الحرب الأهلية؛ ساند بعدها أوكتافيوس في حملته ضد ماركوس أنطونينوس أين تم إدماجه في الحماية المقربة للقيصر. خلف العديد من المؤلفات في شتى المجالات ولاسيما تلك التي تخص اللغة اللاتينية والبلاغة.

⁴² Et quod terra sit humus, ideo is humatus mortuus, qui terra obrutus. Ab eo qui Romanus combustus est, si in sepulcrum, eius abiecta gleba non est, aut si os exceptum est mortui ad familiam purgandam, donec in purgando humo est opertum (ut pontifices dicunt, quod Inhumatus sit), familia funesta manet. ; Varron, *De ling. Lat.*, V, 23.

De la encore *humatus*, pour désigner un mort enterré, et *inhumatus* (qui n'a pas reçu la sépulture), pour désigner, suivant l'expression des pontifes, l'état du cadavre d'un Romain qui a été brûlé, mais qui n'a pas encore été couvert de la terre sépulcrale ou dont la tête a été détachée pour servir aux purifications de la famille, laquelle est, pendant ce temps, considérée comme souillée. Varron, *De ling. Lat.*, V, 23. Traduction M.Nisard.

⁴³ Nicolas Lauby, 2012, pp.160.

فيما يتعلق بالمصطلحات والمفاهيم، نشير إلى أطروحة فريدة عمروس، أين خصصت الباحثة في الفصل الأول من بحثها، تحليلاً للخلفيات اللغوية والعقائدية المتعلقة بالموت، القبر والمعالم الجنائزية على اختلاف أنواعها، بما في ذلك قدسية الفضاءات التي تحتضنها: فريدة عمروس، 2010/2009، ص ص. 32-17.

⁴⁴ Varron, *De ling. Lat.*, V, 23.

⁴⁵ دوميتيوس أوليبانوس. سياسي وقيه في العلوم القانونية، ولد بمدينة صور وتوفي بروما. من ضمن الوظائف التي تقلدها وظيفة القيم على الأتونة تحت حكم الإمبراطور الإسكندر سيفيروس قبل أن يرتقي إلى أعلى منصب وهو منصب المحافظ البرايتوري. جراء خلات مع الحرص الإمبراطوري (البرايتوريين)، تعرض أوليبانوس إلى القتل عام 223 م. خلف المفكر العديد من المنشورات ولاسيما في المجال القانوني والتي تم توظيفها بشكل واسع في إطار الديجاست.

⁴⁶ Ulpian, L. XXV sur l'édit du préteur, paragr.2 cité dans *Digeste*, XLVII, titre XII, p.288.

⁴⁷ أيلبيوس ماركيانوس، فقيه في العلوم القانونية، عاش بداية القرن الثالث ميلادي وخلف العديد من المقطعات في مجلدات الديجاست و ال *Institutes* وكذا القانون المدني (*Corpus iuris civilis*).

⁴⁸ Marcien, *Inst.*, III cité dans *Digeste*, XLVII, titre XII, p.290.

الجثة بالتراب⁴⁹. يثبت ما سبق الصلة الوثيقة التي تربط الجثة بمفهوم القبر كفضاء مقدس وبالتحديد تراب ذلك الفضاء ومن ثمة، تأثير غيابها على المفهوم ذاته.

أما عن نقل الجثة (*Translatio corporis*)، فباعتبار القبر فضاء مقدس، فهو "نقي" (*Purus*) من حيث القانون الجنائزي ويعني ذلك أنه يُمنع إدماجه في أي نشاط يربطه بعالم الأحياء، كأن يكون محل تجارة من أي نوع أو سكنا، على عكس بقية المعالم والفضاءات التي تندمج في إطار المشاغل البشرية والتي توصف في القانون بالغير النقية (*Sacer-Profanus*) أي دنيوية؛ يندرج كذلك فضاء القبر ضمن المواقع التي لا تخضع للملكية (*Nullius in bonis*)⁵⁰. على هذا الأساس، فالمساس بالجثة ولا سيما نقلها يخضع بدوره إلى تنظيمات قانونية مضبوطة باعتبار الواقع المادي للقبر ضمن إطار جغرافي تابع للمدينة، فضلا عن إشكالية التعفن وخلفياتها الصحية⁵¹، كما يخضع لاعتبارات دينية باعتباره مقدسا ولذلك، يُمنع المساس بجثة تم دفنها، تفاديا لإيقاظ أرواح الأجداد⁵² وإن اقتضى الوضع ذلك، فبترخيص من الحكام أو الرهبان، للمباشرة بالنقل⁵³.

يتم نقل الجثة في حالتين وبطلب من إبن المتوفي أو من كل من له علاقة قرابة عاطفية مع المتوفي: أولا، في حالة ثبوت خطر تدمير أو انتهاك حرمة القبر (*violatio sepulchrae*) وهو ما سبق ذكره من خلال تعريف ماركيانوس، مما يحمي من مباشر بالنقل من أية متابعة قانونية أو تعويضات مالية⁵⁴، كما يقيه ذلك من لعنة المتوفي الموجهة مسبقا ضد كل من يجراً على المساس بحرمة قبره⁵⁵. أما الشرط الثاني، فيتعلق بالكوارث الطبيعية، كفيض واد مثلا وفي تلك الحالة، فلا بد من المباشرة بطقوس تعويذية جماعية مقننة وبتقديم أضحيتين: الأولى قربانا للآلهة مانس، فيما يُعرف بال *Piaculum operis*⁵⁶ ومفادها تكريم أرواح الأجداد، بينما الثانية، فحين يتم تشييد القبر الجديد ويرجح هنا أ.

⁴⁹ Cicéron, *De legibus*, II, 22.

Humbert, 2018, 738-739

⁵⁰ Laubry, 2012, pp.4-5 ; Ulpian, XXV, *Sur l'édit du préteur*, paragr.6 cité dans *Digeste*, XLVII, titre XII, p.289.

⁵¹ Paturet, 2007, p.349-351 et 353 ; Dumont, 2003, p.148.

⁵² Paturet, 2007, p.351.

⁵³ Paturet, 2007, p.353.

⁵⁴ Macer, II, *De publicium iudiciorum* Cité dans *Digeste*, XLVII, titre XII, p.290.

⁵⁵ Paturet, 2007, 355.

⁵⁶ للتدقيق في مختلف خصوصيات الجثث ومفهوم التكفير "*Piaculum*", يُراجع Scheid, 1981

باتوري، أن تكون مهداة للمتوفي⁵⁷. نشير أخيرا إلى ارتفاع الكثافة الديمغرافية بحيث يمكن في تلك الحالة تشييد قبور تُباع لصالح المتوفين شرط أن تكون فارغة، لكن بمجرد إدماج الجثة وغلغ القبور، تمنع التجارة بها⁵⁸. في هذا الصدد، يعزز ماركيانوس ما سبق مشيرا إلى ضرورة تقادي الإخلال براحة المتوفي، باعتبار أن من تم رسمه، فلأبد وليس بنية نقله يوما⁵⁹.

نستنتج مما سبق أن كل التنظيمات والإجراءات التي تخص القبور، قانونية كانت أو دينية، وثيقة الصلة بتواجد جثة وهو بالتحديد ما يمنح شرعية للقبور؛ بذلك، فانعدام الجثة يُفقد القبور تلك الشرعية، مهددا المتوفي بعواقب وخيمة في العالم الثاني وعقوبات أو لعنة على المسؤول ضمن عالم الأحياء. نقتراح في الجدول التالي حوصلة للقوانين التي تتحكم في المفاهيم المذكورة أعلاه (الجدول رقم 1).

القبور في القانون الروماني	
Sepulchri autem appellatione omnem sepulturae locum contineri existimandum est. Ulpian, XXV sur l'édit du préteur, paragr. 3, close 2 cité dans <i>Digeste</i> , XLVII, titre XII, p.288.	فيما يتعلق بتسمية "قبر"، فنعني بها ما تم رسمه.
انتهاك حرمة القبور	
Sepulcri violati actio infamiam irrogat Ulpian, II, Sur l'édit du préteur, cité dans <i>Digeste</i> , XLVII, titre XII, p.287.	انتهاك حرمة قبر يجلب العار.
De sepulchro violato, actio quoque pecuniaria datur. Macer, II, <i>Des jugements publics</i> , paragr.9 Cité dans <i>Digeste</i> , XLVII, titre XII, p.290.	لما يتم انتهاك حرمة قبر، فنحن أمام قضية مالية.
Praetor ait: Cujus dolo malo sepulcrum violatum esse dicetur in eum in factum	يقول القاضي: إن تم الحكم على فرد بانتهاك

⁵⁷ Festus, *De significatione verborum*, XIV, *piacularia auspicia*; Paturet, 2006, p.4 et 5.

⁵⁸ Paturet, 2006, p.5 et 6.

⁵⁹ Marcien, III, *Institutes*, paragr.39 cité dans *Digeste*, XI, 7, p.167.

<p>iudictum dabo, ut ei ad quem pertineat, ob eam rem aequum videbitur, condemnetur. Si nemo erit ad quem pertineat, sive agere nolet, quicumque agere volet, ei centum aureorum actionem dabo.</p> <p>Ulpian, XXV, <i>Sur l'édit du préteur</i>, cité dans <i>Digeste</i>, XLVII, titre XII, p.287.</p>	<p>حرمة قبر، سأحكم عليه وفقا للوقائع، حتى يكون الحكم مطابقا للجنة ولصالح من يهمه الأمر. إن لم يوجد أحد أو لم يرفع أحد قضية، فمئة قطعة ذهبية لمن يرفعها.</p>
<p>Qui de sepulcri violati actione iudicant, aestimabunt quatenus intersit, scilicet ex injuria quae facta est: item ex lucro ejus qui violavit : vel ex damno quod contigit : vel ex temeritate ejus qui fecit.</p> <p>Ulpian, XXV, <i>Sur l'édit du préteur</i>, paragr.8 cité dans <i>Digeste</i>, XLVII, titre XII, p.289.</p>	<p>على كل من حكم أن هنالك انتهاك لحرمة القبر، أن يباشر بتقييم، وفقا لنوع الإهانة، لمداهيل صاحب الفعل، لدرجة الخسارة أو لحدة تهور المسؤول عن الفعل.</p>
<p>نقل الجثة</p>	
<p>Divi fratres edicto admonuerunt, ne justae sepulturae traditum, id est terra conditum, corpus inquietetur. Videtur autem terra conditum, et si in arcula conditum hoc animo sit, ut non alibi transferratur. Sed arculam ipsam, si res exigat, in locum commodiorem licere transferre, non est denegandum.</p> <p>Marcien, III, <i>Inst.</i>, cité dans <i>Digeste</i>, XI, 7, p.167.</p>	<p>أعلن الإخوة الأغسطسين، بأمر قضائي، عن ضرورة عدم المساس بجثة تلتقت قبرا شرعيا، أي أنه تم رمسها، بحيث من المفروض أن تم رمس المرمدة بصفة نهائية وليس بنية نقلها إلى مكان ثان. إن اقتضت الضرورة ذلك، فلا بد من عدم رفض نقل الحاوي إلى مكان ثان.</p>
<p>Nemo humanum corpus ad alium locum sine augustis affatibus transferat.</p> <p>Theodosius-Valentinus-Arcadius, Cod. Just.i, III, titre 44, paragr.14, p.521.</p>	<p>يُمنع نقل جثة شخص من مكان إلى آخر دون ترخيص من الإمبراطور.</p>
<p>Si vi fluminis reliquiae filii tui contiguntur, vel alia justa et necessaria causa intervenit, existimatione rectoris provinciae transferre eas in alium locum poteris.</p> <p>Empereur Antonin, Cod. Just., III, titre 44, paragr.1, p.518.</p>	<p>يمكن لك نقل جثة إبنك إلى موقع آخر بترخيص من حاكم المقاطعة إن خشيت أن يصل فيض الواد إليها (الجثة. من تصرف الطالبة) أو إن وُجدت ضرورة أخرى.</p>

قدسية الفضاء المخصص للقبور	
Si quis in sepulcro habisset, aedificumve habisset ei qui velit, agendi potestas fit. Ulpian, XXV, <i>Sur l'édit du préteur</i> , paragr.6 cité dans <i>Digeste</i> , XLVII, titre XII, p.288.	من يسكن مبنى مشيد في فضاء قبر، يتيح فرصة، لمن أراد ذلك، أن يرفع قضية.

الجدول 1: نصوص قانونية تنظم كيفية تسيير القبور ومختلف المنوعات

2. الطفل في القانون الروماني

ارتئينا تحديد مصف الطفل القانوني لدى الرومان نظرا لأهميتها في دراسة النقائش وخاصة الرابطة خلال الفصل الثاني من البحث. بالنسبة للمصادر القانونية، فالطفل في أغلبية الأحيان كيان معترف به منذ نشأته في رحم الأم. يرد لدى يوليانيوس في مدونة الديجاست بأن كل جنين في بطن أمه يُعتبر مولودا وأبعد من ذلك، له حق كامل في الميراث⁶⁰.

لذلك، نلتزم بوضوح من خلال النصوص القانونية حرص المشرع على تنظيم حقوق الجنين خلال فترة الحمل ولا سيما حقه في الحياة. يظهر ذلك من خلال فرض عقوبات صارمة في حالة الإجهاض العمدي. في هذا الإطار، إن تم إثبات عمدية الفعل، فيصدر حكم بالنفي ضد الأم بقرار من حاكم المقاطعة⁶¹، أما إن تم الإجهاض العمدي بعد طلاق الزوجة قصد حرمان الزوج من ذريته (وليس قتل الطفل مبدئيا)، فيكون النفي مؤقتا⁶².

أما عن مصف الطفل بعد الولادة، فهو مرهون بطبيعة العلاقة التي تربط الوالدين. إن كان الزواج شرعيا⁶³ (*Iustum matrimonium*)، يقع المولود مباشرة تحت السلطة الأبوية وفي حالة علاقة غير شرعية

⁶⁰ Julien, *Digestorum*, 33 cité dans *Digeste*, I, V, 26, p.67.

⁶¹ Ulpian, *Ad.ed.*, 33 cité dans *Digeste*, XLVIII, VIII, 8, p.353

⁶² Hirt, 2004, p.282.

⁶³ *Legitimae sunt nuptiae, si romanus romanam nuptiis intervenientibus, vel consensu ducat uxorem. Le mariage est légitime s'il est contracté entre un romain et une romaine, volontairement et avec les solennités.* Gaius, *Inst.*, I, IV ss, p.40

(ما بين شخصين ليسوا من مصف الأحرار) أو ممنوعة (الأقارب)، يتبع المولود مصف الأم. في الحالة الأخيرة، تشير م. هيرت إلى وجود اتجاهين في القانون الروماني، يتعلق بمصف الأم إما عند نشأة الجنين في البطن أو بمصفها عند الولادة: يخص الأول غايوس وأوليبيانوس (القرنين الثاني والثالث ميلادي) وهو الذي يمنح أولوية لمصف الأم عند الولادة. أما الاتجاه الثاني، فهو ذلك الذي اقترحه ماركيانوس وبولوس (القرنين الثاني والثالث ميلادي) والذي يُبدي رُافة عادلة اتجاه الطفل باعتباره غير مسؤول عن قرارات الوالدين وعلى هذا الأساس، يحظى المولود بأفضل مصف تلقته الأم ما بين نشأة الجنين وولادته. بذلك، فسواء كانت الأم من مصف العبيد عند نشأة الجنين ثم ارتقت إلى مصف المعتوقين أو كانت حرة ثم سقطت إلى العبودية عند الولادة، فمصف الطفل من المعتوقين في الحالة الأولى ومن الأحرار في الحالة الثانية⁶⁴.

فيما يتعلق بالحقوق المعترف بها قانونياً، فقد حرص المشرع على تحديدها وحفظها قبل أن يولد الجنين. في حالة الزواج الشرعي، يكتسب الجنين كامل حقوقه كما سبق الذكر ولاسيما الميراث حيث لا يحق لأيا كان من مصف أدنى الطلب بالأولوية بحجة عدم الولادة ولا لذوي نفس الحقوق المساس بحصة الجنين قبل ولادته⁶⁵. في حالة وفاة الأب وانتقال حق تسيير الميراث لأحد الأقارب أو في حالة ولادة غير عادية، يسعى القانون مجددا لضمان حق الجنين أو المولود في ميراثه.

أما في حالة الطلاق، فلأم والجنين أو المولود الحق في المؤونة والسكن وبالنسبة للطفل، التعليم، إن اعترف الأب بالطفل، مع عقوبات صارمة في حالة تجاهل الأب لواجباته وإلا، فتقع المسؤولية على عاتق الأم. في حالة عدم الإقرار بالطفل، يمنح القانون الأب الحق في عرض الطفل، التخلي عنه وحتى قتله؛ كلها صلاحيات تندمج في إطار السلطة الأبوية وينطبق الأمر بالتحديد على الولادات الشاذة كالمعاقين وذوي الخصوصيات (*Prodigia*). خلال القرن الثالث، تم الحد من تلك الممارسات، سواء تعلق الأمر بالعرض لإثارة الشفقة، التخلي أو القتل⁶⁶. في الجدول أدناه، حوصلة للقوانين الخاصة بالمفاهيم المذكورة سابقا (الجدول رقم 2).

⁶⁴ Hirt, 2004, pp.285-286.

⁶⁵ Hirt, 2004, p.287.

⁶⁶ Hirt, 2004, pp.288-290.

الطفل في القانون الروماني	
Qui in utero sunt, in toto pene iure civili intelliguntur <i>in rerum natura esse</i> . Julien, <i>Digestorum</i> , 33 cité dans <i>Digeste</i> , I, V, 26, p.67.	كل جنين في رحم أمه يُعد في غالب الأحيان مولودا.
Si mulierem visceribus suis vim intulisse, quo partum abigeret, consliterit : eam in exilium praeses provinciae exiget. Ulpian, <i>Ad Ed.</i> , 33 cité dans <i>Digeste</i> , XLVIII, VIII, 8, p.353	إن اتضح أن امرأة عنفت أحشائها (أجهضت. من تصرف الطالبة)، على حاكم المقاطعة إصدار حكم بالنفي.
Sed! et si qua visceribus suis post divortium, quod praegnans fuit, vim intulerit, ne jam inimico marito filium procrearet; ut temporali exilio coerceatur Tryphonianus, <i>Disputationum</i> , 10 cité dans <i>Digeste</i> , XLVIII, XIX, 39, p.418.	...ولكن إن ضهر أن المرأة كانت بالحمل بعد الطلاق وأنها نوت الإساءة إلى زوجها بالإجهاض، فلا بد من نفيها مؤقتا.
Sed et si quis ex matre nascitur libera , patre vero servo, ingenuus nihil ominus nascitur : quemadmodum qui ex matre libera et incerto patre natus est...Sufficit <i>autem liberam fuisse matrem eo tempore, quo nascitur</i> , licet ancilla conceperit Gaius, <i>Inst.</i> , I, IV, paragr.9, pp.41-42	من يولد لأم حرة وأب عبيد، يُعد حرا وكذلك من يولد لأم حرة وأب مجهول الهوية...يكفي أن كانت الأم حرة عند الولادة، حتى وإن كانت عبيدا عند نشأة الجنين.
Martianus probat liberum nasci : sufficit enim ei qui in utero est, <i>liberam matrem vel medio tempore habuisse, ut liber nascatur</i> . Quod et verum est Gaius, <i>Inst.</i> , I, IV, p.16.	يقول ماركيانوس أنه (المولود من تصرف الطالبة) حر، حيث يكفي أن كانت الأم حرة ما بين لحظة نشأة الجنين ولحظة الولادة وهذا عدل.
Hoc edicto rectissime prætor prospexit, ne dum in favorem partus possessionem polliceatur, aliis praedae occasionem praebeat.	بموجب هذا المرسوم، حرص المشرع على أن لا تشكل حصة الجنين فرصة استيلاء طرف ثالث

Ulpian, <i>Ad ed.</i> , 34 cité dans Digeste XXV, V, 1, p.458	على ملكية الزوج.
---	------------------

الجدول 2: القوانين المنظمة لمصنف الجنين والطفل في القانون الروماني

3. الطفولة بين الريب والمجهول

انطلاقاً من بعض المقتطفات الواردة في المصادر واعتماداً على الدراسات التي باشر بها الإثنوغرافيون فيما يتعلق بالمجتمعات البدائية الحديثة⁶⁷، اقترح هؤلاء والمختصون في التاريخ القديم بعدهم⁶⁸ أن بعض فئات المجتمع غير معنية بالبعث وتتمثل في تلك التي صادفتها موت مبكرة، على غرار الجنود المقتولين الذين لم يحظو بقبر، المنتحرين، المعدومين خطأ والأطفال⁶⁹. أُدرجت الموت المبكرة بذلك ضمن مفهوم الموت المشؤومة بحيث تبقى الأرواح، وبالتحديد فئة الأطفال، تائهة على حدود عالم الأموات والأحياء، مما يجعلها عرضة للقوى الشريرة (*Larvae*)⁷⁰. في الواقع، لم يقتصر الأمر على فئة الأطفال وإنما شمل مختلف الفئات التي صادفتها موت مبكرة أو التي لم تُكرم بحق المراسيم الجنائزية⁷¹. في هذا الصدد، يرد لدى أبوليوس⁷² (*Apuleius*) مقطعاً يروي لنا فيه انتقام زوجة الخباز من زوجها بالجوء إلى عالم الأشباح بحيث بعد وفاة الزوج، ظهر هذا الأخير في هيئة شبح متضرر لابنته ليسرد لها تفاصيل مقتله⁷³. نفهم من رواية أبوليوس أن كل من يتوفى جراء حادثة غير طبيعية أو مؤلمة ينتقل إلى عالم الظلمات، ليضيف المؤلف أن إثر الحادثة، بقي الخباز سجين ذلك المحيط؛ قد يعني ذلك أنه بقي تائها ما بين

⁶⁷ Van Gennep, 1909 ; Lévy-Bruhl, 1925.

⁶⁸ Jobbé-Duval, 1923.

⁶⁹ Cumont, 1949, pp.84-306-307 et 308.

⁷⁰ بعد أن كانت تشير إلى الآلهة مانس، أصبحت تشير إلى الأطفال المتوفين وإلى الموت الصادمة. Cumont, 1949, p.83.

⁷¹ Jobbé-Duval, 1923, pp.383-384.

⁷² لوكيوس أبوليوس، مؤلف، خطابي، مسرحي إفريقي الأصل، ولد بمدينة مادوروس (مداوروش - سوق أهراس) عام 125 م وتوفي عام 180 م. اشتهر باهتمامه بمجالات شتى وأهمها الرواية، المسرح، الفلسفة والخطابة ولعل أهمها ما يسمى بـ"مرافعة صيراته" ما بين 143م و 150 م، بعد اتهامه بسحر زوجته للتمتع بثروتها والتي برع خلالها في إثبات جهل المتهمين بالجوء إلى مختلف العلوم وإلى أساليب أدبية قيمة. أشهر مؤلفاته "التحولات" أو "الحمار الذهبي"، أين يتطرق باللغة اللاتينية إلى مغامرات لوكيوس بعد تحوله إلى حمار بفعل السحر. يُعد كتاب التحولات منبعاً ثرياً بتفاصيل قيمة بالنسبة للمؤرخ والأثاري، لكن نجد فيه خلفية مسائل إنسانية تتمحور حول مستوى الدناثة التي يمكن للمرء أن يصل إليها لكسب المال، الشهرة أو ببساطة لطلق العنان لشهواته أو كبرياته. ما أنقذ لوكيوس من وضعيته القاهرة لم يكن بشراً وإنما الإلهة إيزيس التي أعادت له هيئته ومن ثمة كرامته. إلى جانب الرواية والمسرح، درس أبوليوس المادوري الطب بمدينة طرابلس (أويا) بليبيا كما زار مختلف المدن الكبرى والعواصم على غرار روما، الإسكندرية ومصر، فضلا عن المشرق.

⁷³ Apulée, *Métam.* IX, 30, 3 à 7, pp.165-166.

العالمين. إن كان الأمر كذلك، نفهم الوضعية الاستثنائية للموت المبكرة كما يتضح لنا اتساع مفهوم الموت المشؤومة دون تمييز ما بين فئات العمر؛ لكن يضيف أبوليوس أنه بمساعدة من العائلة، أنهت البنات حدادها وفي اليوم التاسع، باشرت بإتمام المراسيم الدينية والتكفل بمسائل الميراث⁷⁴. قد يوحي ذلك بأن الأرواح الشريرة ومسألة الضياع (بل حتى الموت المشؤومة) لم يكن بوضع نهائي. على أية حال، شاعت تلك التأويلات في مختلف الدراسات الخاصة بفئة الأطفال، إلى درجة أن استعان الآثاريون بمثل هكذا تحاليل لتفسير بعض الممارسات التي كشفت عنها الحفريات. نذكر منها التركيز الطبوغرافي مثلاً، الذي احتل فيه الباحثون ميولاً أو رغبة فعلية في إقصاء الأطفال من المقابر العمومية، فضلاً عن جملة من الممارسات الأخرى التي تم ربطها بفكرة الرعب أمام عودة أرواح الأطفال لإلحاق الضرر بالأحياء أو الإنتقام⁷⁵. ساهمت بدورها قلة أو انعدام المرفقات الجنائزية في قبور الأطفال، خاصة منهم المنتمين إلى الطفولة المبكرة⁷⁶، في تعزيز ما يرد في الأدبيات الإثنوغرافية وإنساب موت الأطفال إلى فكرة الحرمان من العالم الآخر، انطلاقاً من غياب الإدماج ضمن عالم الأحياء.

3.1 الموت المشؤومة في تاريخ الأبحاث وتأويلات الباحثين

نعلم أن الإثنوغرافيا علم يقوم على دراسة وصفية لمختلف المظاهر البيولوجية والثقافية للمجتمعات الإنسانية، تماشياً وإطارها الجغرافي والكرونولوجي، بما في ذلك المجتمعات الحديثة والمعاصرة. أما الإثنوأركيولوجيا، فهي اختصاص يركز فيه الباحثون، ضمن اهتمامات أخرى، على مبدأ الوحدة البنوية

⁷⁴ Apulée, *Métam*, IX, 31, 1 à 3, p.165-166.

⁷⁵ إن عودة أرواح المتوفين مفهوم شائع في مختلف الحضارات ولاسيما الإغريقية والرومانية منها وذلك انطلاقاً من فكرة أن الوفاة المبكرة تولد شعوراً بالحرمان قد ينبع منه غضب ومن ثمة رغبة في الإنتقام. على هذا الأساس، يبقى المتوفي على صلة بعالم الأحياء، أين يظهر من حين إلى آخر في شتى الصفات (فيزيائياً أو من خلال الصوت أو اللمس)، لتذكير الأحياء بواجب الذاكرة، لتأنيب الضمير في حالة القتل أو حتى لإلحاق الضرر. يلجأ حينها الأحياء إلى مختلف السبل الدفاعية، إما للتعامل مع تلك الكيانات بأكبر قدر من الإحتراز وذلك في إطار طقوس سحرية مقننة، كما هو الحال بالنسبة للعراقين، أو للتحكم فيها إن ظهرت بصفة غير مبرمجة وغير مرغوبة، ثم إحالتها إلى محيطها مجدداً؛ هذا وقد تعود الأرواح لمساعدة الأحياء كذلك. نرى بذلك أن عودة أشباح المتوفين غير مقتصرة على فئة الأطفال ولا على من صادفته وفاة مبكرة وإن كانت تلك الفئات فعلاً من ضمن الأرواح الأكثر خطراً والأكثر عرضة للخطر باعتبار ضعفها وسهولة استخدامها من طرف المشعوذين. يُراجع: Marlier, 2006, pp.206 à 218.

⁷⁶ نقصد بالطفولة المبكرة الفترة الممتدة ما بين الولادة وسن الفطم (الأجنة، المواليد الجدد والرضع إلى غاية 3 سنوات عموماً) ولو أن في قانون يوستينيانوس، تم تحديدها بفئة الأكل من 8/7 سنوات. توقفتنا عند سن الفطم نظراً للنفاصل التي تخص تلك الفئة والتي تستحق انتباهها خاصة في الإطار الجنائزي.

De Larminat, 2012, p.299.

⁷⁷ (Uniformitarisme) في دراسة الظواهر الإنسانية الماضية؛ شرط تحديد الإشكاليات بوضوح، يمكن للإثنوآركيولوجيا أن تساهم في توضيح بعض الظواهر التي يتكلف علم الآثار بمعالجتها⁷⁸. اعتمادا على ذلك المبدأ، باشر الإثنوغرافيون بتفسير الماضي انطلاقا مما اعتبروه استمرارية له في الحاضر، في حين ركز الآثاريون على قواعد الإثنوآركيولوجيا لتفسير مخلفاتهم الأثرية وكذا ما يرد في المصادر وقد تكمن الإشكالية في هذا النطاق.

إن أهم المصادر التي أشارت إلى وفاة الطفل ومصيره ضئيلة ولعل إحدى أهم الإشارات يرد في ملحمة فرجيل (Vergilius)⁷⁹، أين يسرد الشاعر سفر الملك إينبوس، المؤسس الأسطوري لروما، إلى عالم الأموات. عند وصول الملك إلى الضفة الغربية لنهر الأكيرون (Acheron) (قبل بلوغ أبواب عالم الهاديس)⁸⁰، "سمع على الفور أصواتا وصراخا ضجيجا وكذا بكاء أرواح المواليد الجدد الذين، في مهد الحياة، حُرِّموا من لذة العيش وخُطفوا من صدر الأم"، ليضيف أن "يوما مشؤوما أقصاهم من الحياة وأحالههم قبل الأوان إلى القبر"⁸¹.

⁷⁷ Gallay, 2015, p.2.

⁷⁸ Gallay, 2015, pp.2 et 4.

⁷⁹ بوبليوس فرجيليوس مارو، ولد بمنطقة لومبارديا عام 70 ق.م وتوفي ب مدينة براندس عام 19 م. شاعر وكاتب، اشتهر بملحمة تحمل عنوان "الإنيادة" وهي مكونة من 12 كتابا في شكل قصائد قصصية، تروي لنا مغامرات إينبوس، الملك الأسطوري لمدينة روما، بعد هروبه من دمار طروادة. نذكر كذلك مجموعة شعرية تحت عنوان "قصص ريفية" التي صدرت عام 39 ق.م وبعدها ال "الجورجيكون" أو "العمل في الأرض".

⁸⁰ يتخذ نهر الستيكس منبعه من سلسلة كيلموس (Chelmos) الجبلية، الواقعة بمقاطعة أركاديا (Arcadia)، شمال شبه جزيرة البيلوبونيز. اشتهرت مياه منبع الستيكس بكونها مسمومة وفي ذات الوقت بكونها تحمل طاقة سحرية كثيفة، حيث كانت لها ميزة منح قوة خارقة للعادة لكل من يغوص فيها وتنتكر هنا أسطورة أخيليس؛ أبعد من ذلك، فهي مياه تلجأ إليها الآلهة لتشهد على آدائهم اليمين. حين خالف الإله زيوس يمينه، حُرِّم من التنفس طيلة سنة وكذلك من التغدي والشرب (النيكتار والأمبروزيا) وبعد مرور سنة، استمر عقابه من خلال حرمانه من فرصة المشاركة في مآدب الآلهة خلال تسعة سنوات على التوالي، ليستأنف الإله مهامه في السنة العاشرة. ما نلتمسه من هذا الوصف هو مصف نهر الستيكس، المشبع بكل ما أوتي من طاقة سحرية ومخاطر كما أن له ولاء كل الآلهة، مما يؤهله لأن تستقبل أرواح المتوفين ويصل بهم إلى حيث يُحاكمون. أما نهر الأكيرون (Acheron)، الذي تُطلق عليه كذلك تسميتي Phanariotikos أو Mavropotamos بمعنى النهر المظلم، فهو نهر ينبع من مقاطعة إبييروس الجبلية (Epeiros) (ما بين البلقان وبلاد الإغريق) ويواصل مجراه تحت الأرض، مثله مثل الكوكيتوس (Kōkytós) والفليجيتي (Phlegéthôn) (وهما نهريين وهميين) ووظيفته إيصال الأرواح إلى عالم الأموات.

Grimal, 1986, *Styx et Achéron dans A concise dictionary of classical mythology*, pp. 5 et 410 et 411

⁸¹ Tout de suite, on entend des voix, un immense vagissement, des âmes de nouveau-nés qui pleurent. Au premier seuil de l'âge, exclus de la douceur de vivre, à la mamelle ravis, un jour sombre les emporta, disparus avant la saison dans la tombe. Virgile, *Enéide*, VI, 428-429, p.319.

انطلاقاً مما سبق، اقترح ف. كومون بأن الأطفال مقصين من عالم الأموات⁸²، على إحدى ضفتي نهر الأكيرون، في الجهة الخارجية لأبواب عالم الهادس⁸³.

نركز، تبعاً لـ ف. كومون، على أن فرجيل لم يذكر أن تواجههم هناك بمثابة وضع نهائي. نستند، لتدعيم ذلك، إلى المقتطف المستوحى من كتاب *De anima* لـ تيرتوليانوس (Tertulianus) حيث يقول: "يزعمون أن الأرواح التي صادفتها موت مفاجئة، تجول منسية في هذا المكان، ريثما تنهي من الوقت ما كان لها أن تقضيه"⁸⁴. يبدو واضحاً من خلال تفسير تيرتوليانوس، أن إقصاء الأطفال وبالتحديد الرضع منهم، وضع مؤقت لا مجال للإقصاء النهائي فيه وعلى هذا الأساس، فكل ما نستقيه من مقتطف فرجيل يتلخص في الاستياء الشديد الذي ينتاب تلك الفئات وكذا حزن الملك إينيوس لذلك المنظر المروع.

نذكر مقطعا ثانٍ مقتبس كذلك من فرجيل والذي يقول فيه: " ما كان أكثر شيوعاً في روما، دفن الغير بالغين ليلاً، على ضوء المشعل، خوفاً من أن تُلحق جنازة ذرية توفيت قبل أوانها ضرراً بالبيت"، ليخص بالذكر بعدها أبناء الشخصيات ذات الوظيفة السامية (سياسية أو قضائية)⁸⁵. تم اقتراح عدة قراءات لسبب تشييع جنازة الطفل ليلاً ومسبقاً بمشعل ومن ضمنها، أنه في مدينة رومانية مطبوعة بالطقوسية، لا يصح أن تتم تلك الجنازات في وضوح النهار، تقادياً لأن يصادف الكهنة والأعيان منظراً مشؤوماً⁸⁶ ونحن على علم بمكانة التطير في المجتمع الروماني.

تساءل بدوره ب. بويانسي عن السبب الذي سلط الضوء على نجاسة وتلطّيح جنازة الأطفال بالتحديد لبيت المتوفي؟! اقترح الباحث أنه كانت للنجاسة علاقة بالجنازة الليلية، فهي طقس عتيق لم يقتصر في بداياته

⁸² Cumont, 1949, pp.306-307.

⁸³ Virgile, *Enéide*, VI, 428, p.319.

⁸⁴ Ils affirment que les âmes surprises par une mort prématurée, errent en cet endroit jusqu'à ce que soit accompli le reste du temps qu'ils auraient vécu jusqu'à son terme. Tertullien, *De anima*, 56, p.108.

⁸⁵ Ce qui plus encore était d'usage à Rome était que les enfants non pubères fussent emmenés la nuit, à la lumière des torches, de peur que la demeure fût souillée par les funérailles d'une progéniture morte avant l'heure ; cela était spécialement appliqué aux fils de ceux qui étaient dans une magistrature. Virgile, *Enéide*, XI, 43, traduction Boyancé, 1972 cité dans Dasen et Baills, 2008, p. 597.

⁸⁶ Virgile, *Enéide*, XI, 143 cité dans Boyancé, 1972, p.76.

على فئة الأطفال؛ أما إن تعلق الأمر بضرورة توفر المشاعر، فلا يمكن الإستغناء عنها إن كانت الجنازة ليلية.⁸⁷

اقترح كذلك الباحث حلا للمسألة بالجوء إلى ما ورد في تراجيديا "هركليس المتهيج" للفيلسوف سينيكا (Seneca). في ذات المسرحية، وُصفت، وهي تحت وطأة الحزن، مختلف شرائح المجتمع المتوفية، بحثا في الظلام عن عالم الأموات، في حين خُصت المشاعر للأطفال المتوفين دون سواهم قصد تمهيد الطريق لهم وحتى لا يرتعشوا أمام الظلمات.⁸⁸

نلتمس بذلك أن ما يرد في ملحمة فيرجيل حول الجنازة الليلية، لم يكن هدفة تقادي النجاسة بقدر ما كان يرمي إلى فسح المجال للأطفال ليسوا في كامل قدراتهم لرفع التحدي وهو نفس الاتجاه الذي اتخذه ج. نيروود.⁸⁹

نضيف بدورنا أن فرجيل خص بالذكر أبناء الشخصيات دون غيرهم وفي هذا السياق، فإن اعتبرنا أن مفاد الذرية في الذهنية الرومانية هو أن تصبح عضوا فعالا في المجتمع وأن تخدم المصلحة العامة، فليس موتها ما يندس البيت العائلي بقدر ما قد يكون إخفاق الوالدين في الحفاظ على ذرية مصيرها، على حد قول بليينوس الأقدم، أن تحكم يوما⁹⁰. لتعزيز فكرة مسؤولية الوالدين، توجي أبحاث س.أ. جونسون، أن الأرواح الشريرة المذكورة سابقا بمثابة منتج ثقافي يجسد فكرة إخفاق المرأة أمام دورها الأولي أي فرصة الأمومة⁹¹.

⁸⁷ Boyancé, 1972, p.79.

⁸⁸ Boyancé, 1972, p.80.

لوكيوس أينيوس سينيكا، فيلسوف، مسرحي وخطيب روماني، ولد مرجحا ما بين عامي 4 و 1 م بمدينة قرطبة بإسبانيا وتوفي بروما عام 64 م. يُنعت كذلك بسينيكا الأصغر أو سينيكا الفيلسوف أو سينيكا التراجيدي للفصل بينه وبين أبيه سينيكا الأقدم. كان من التابعين للمدرسة الرواقية. اتهم من طرف الإمبراطور كاليغولا بتجاوزات ذات الطابع الأخلاقي مما آل إلى نفيه إلى جزيرة كورسيكا، ليعود بعدها إلى روما بطلب من أغريبينا أم الإمبراطور نيرون. تقلد حينها منصب مسؤول عن مختلف المسائل المتعلقة بالسياسة كما تكفل بتعليم الإمبراطور. رغم العلاقة الوطيد التي ربطت الشخصيتين، برزت شكوك لدى الإمبراطور في مدى ولاء الفيلسوف، مما آل إلى الحكم عليه بالانتحار عام 65 م. من أشهر مؤلفاته، كل ما يتعلق بفلسفة الأخلاق والأمور الدنيوية على غرار "عن الحياة السعيدة"، "عن العناية الإلهية"، "عن الرحمة"، "عن الغضب" وكذلك كل ما يتعلق بالموت، على غرار "عزاء إلى هيلفيا" و"سخرية من وفاة كلاوديوس". أضيف إلى ذلك "المسائل الطبيعية" و"الرسائل الأخلاقية".

⁸⁹ Néraudau, 1984, p.375.

⁹⁰ Pline L'ancien, VII, 1, paragr.3; Néraudau, 1984, p.22.

⁹¹ Ils Johnston, 1995, pp.366-367.

نلاحظ فيما سبق غياب كل إشارة تربط موت الأطفال بالتحديد بمفهوم الموت المشؤومة، لكن ساهم الباحثون، انطلاقاً من مقارنات أو أحيانا تأويلات، في ترسيخ الفكرة مع اقتراح بعض التوضيحات التي أدرجت الطفل المتوفي ضمن القوى الشريرة المنتقمة بحكم ضعفها الذي يعرضها للقوى الشريرة الفعلية. نذكر من ضمنهم أ. فان جيناب الذي صرح أنه من المعقول أن يُحرم من عالم الأموات أطفال لم يتمموا اندماجهم في مجتمع الأحياء⁹². انطلاقاً من ذلك، يبقى الأطفال تائهين في حيز غير واضح المعالم وهو نفسه المكان الذي، لدى المسيحيين، تجول فيه أرواح الأطفال المتوفين قبل التعميد (Les limbes). نلتمس لدى الباحث مقارنة ما بين المجتمع الروماني والمجتمعات البدائية خلال الفترة الحديثة من جهة، حيث اعتادت هذه الأخيرة على إحاطة الأطفال المتوفين بتابوهات قائمة على الرعب والإقصاء ومن جهة ثانية، ما بين الممارسات الدينية الرومانية والمسيحية، على غرار علاقة طقس التعميد لدى المسيحيين الذي ربطه الباحث بطقس منح الاسم للمولود الجديد لدى الرومان.

في الواقع، هنالك مجال للمقارنة بحيث نجد أن طقوس المجتمعات التي تُنتعت بالمتحضرة، لم تُقص بعد تأثير القوى الشريرة من الحياة اليومية ولاسيما دور العين في الولادة والطفولة أو حتى الرضاعة⁹³ وبذلك، فلما يُنسب أ. فان جيناب أو ل. ليفي ببول موت الأطفال (وعموماً كل من صادفته موت صادمة في المجتمعات البدائية) إلى تأثير تلك القوى⁹⁴، فهي كائنات معترف بها اليوم وكذا في كل من الحضارة الإغريقية، من خلال لاميا، مورمو، أمبوسا وجيلو مثلاً، والرومانية من خلال الستريكس⁹⁵، فقط أن مقاربات الباحثين اتسعت إلى حد التركيز على أن شكل الطفل تهديداً باعتبار وفاته المبكرة، في حين لا شيء في المصادر يُثبت ذلك.

كما أشرنا إليه أعلاه، لقت أبحاث الإثنوغرافيين صدى لدى من تلاهم من المؤرخين ومن ضمنهم ج. بريور و إ. جوبي دوفال، الذين دعما فكرة الموت المشؤومة وحتى إمكانية توظيف المتوفين كسلاح ضد

⁹² Van Gennep, 1909, p.157.

⁹³ Djéribi, 1988, pp.37- 38.

⁹⁴ Lévy-Bruhl, 1925, pp.310 à 317.

⁹⁵ Ils Johnston, 1995, p.365.

الأحياء⁹⁶، مما عزز، بالنسبة ل ج. بريور، خلفية اللجوء إلى الجنازة الليلية على نور المشعل ولاسيما فيما يتعلق بجنازة الأطفال على أساس أن مفادها إبعاد تلك الأرواح الشريرة⁹⁷.

3.2 مفهوم الطفولة في المصادر الأدبية الرومانية والإغريقية

حدد الرومان ثلاث أشواط أساسية لمرحلة الطفولة⁹⁸، تتخللها مراحل ثانوية لا تقل أهمية وهي كالتالي:

- مرحلة الطفولة المبكرة (*Infantia*): وتمتد ما بين لحظة الولادة والسنة السابعة؛ يمر فيها الطفل بمحطات، أولها مرحلة التسنين (7 أشهر)⁹⁹، تليها مرحلة الفطم (3 سنوات عموماً) وأخيراً مرحلة التسنين النهائية (سبع سنوات). تُعدّ الإنفانتيا مرحلة حرجة، خاصة بالنسبة للمواليد الجدد والرُضع وفي هذا الصدد، خصص هيبوقراطوس¹⁰⁰ دراسة مختصرة لكل ما قد يواجه الرضيع من عقبات، مع اقتراح تفسيرات وكذا بعض التنبؤات¹⁰¹. أما أرسطو¹⁰² (*Aristotélès*)، فيرى أن أخطر مرحلة تتمثل في الأسبوع الأول بعد الولادة¹⁰³. تدلي المخلفات الأثرية ولا سيما الدراسة الإحصائية للنقائش بأن تلك المرحلة تسجل بالفعل أكبر نسبة من الوفيات نظراً لضعف المناعة وكذا أحياناً لرداءة نوعية المعيشة، فضلاً عن بعض التقاليد كالعرض والوآد.

⁹⁶ Prieur, 1986, p.14 ; Jobbé-Duval, 1923.

⁹⁷ Prieur, 1986, p.21.

⁹⁸ Isidore de Séville, *Etymologies*, XI, 2, p.241 ; Ariès, 1962, p.21 ; Néraudau, 1984, pp.21-44.

⁹⁹ Pline L'ancien, VII, 15

¹⁰⁰ أبقرط أو أبقرطس الكوسي، ولد عام 460 ق.م وتوفي عام 370 ق.م. يعد مؤسس أول مدرسة طبية وآخر أطباء اليونان السبع. درس لدى جورجياس وديموقريطوس واشتهر بفصل الطب عن الفلسفة والعمل على ترفيقه إلى درجة العلم القائم بذاته، بعيداً عن السحر والشعوذة، كما حدد أسس أخلاقيات المهنة في شكل ميثاق يُعرف ب "قسم أبقرط". إلى جانب القسم، أُنسبت إليه جملة من المؤلفات، من ضمنها الأمراض الحادة، "الفصول" وكتب مخصصة بدقة متناهية إلى تطور الجنين خلال مختلف مراحل الحمل وإلى الجهاز التناسلي للمرأة.

¹⁰¹ Hippocrate, *De la dentition*.

¹⁰² فيلسوف، سياسي، علامة إغريقي ولد عام 384 ق.م وتوفي عام 322 ق.م. درس لدى أفلاطون وأصبح بعدها معلماً للملك الإسكندر الأكبر. كرس جهوده لدراسة شتى المجالات ولاسيما الفيزياء، علم الأحياء، الأخلاقيات، المنطق وحتى الميتافيزيقا، لكن اشتهر بمفاهيم أساسية تخص كيفية تسيير المدينة في كتاب "السياسيات".

¹⁰³ Aristote, *Histoire des animaux*, VII, 11, paragr.1.

- مرحلة الطفولة (*Pueritia*): وتمتد، تبعا لغالينوس، من 7 سنوات إلى غاية 14 سنة بالنسبة للذكور (سن ارتداء التوجه فيريليس وسن الزواج كذلك¹⁰⁴)، بينما حدد فيستوس (*Festus*) سن الزواج بالنسبة للذكور ب 14 سنة و ب 12 سنة بالنسبة للإناث¹⁰⁵. في ذات السياق، تعددت الدراسات التي حاول من خلالها الباحثون تحديد سن الزواج بالنسبة للبنات، سواء في العاصمة روما أو المقاطعات دون الاعتماد على المصادر، كونها لا تجسد إلا واقع الطبقات الراقية من المجتمع. اقتصرنا بذلك على النقائش الجنائزية، لكن بالرغم من توفر ما يكفي لاقتراح حلول وإفوية، لقي الباحثون صعوبات نظرا لغياب قسط معتبر من مختلف شرائح المجتمع (نتيجة الاستثمار المالي الذي تستوجبه تلك المعالم) أو لغياب الزوج، مما عرقل إثبات أو نفي عزوبة المتوفية.

من أهم الدراسات التي اقترحت حلولاً في هذا الصدد، نذكر دراسة ب.شو الذي حدد سن الزواج ضمن الشرائح المتوسطة والبسيطة ولدى فئة الإناث عموماً بأواخر مرحلة المراهقة مع اعتبار توفر عينة من الإناث اللواتي تزوجن في سن أصغر بكثير. أما لدى الذكور، فقد حُدد عموماً بمنصف العشرينيات فما فوق. فيما يخص العائلات الثرية والأرسطوقراطية، فكان سن الزواج فيها بالنسبة للإناث قبل مرحلة المراهقة في حين يبقى معدل السن نفسه بالنسبة للذكور¹⁰⁶. يحدد من جهته ك.ج. هوبكينس سن الزواج لدى الإناث ب 12 سنة، ليأتي م. دوري، ملحا بإصرار على كارثة لجوء الرومان إلى زواج البنت في سن الثانية عشرة، معززا تحليله بأن السن الذي تنص عليه المصادر (12 سنة) لا يوافق حتماً الاكتمال الجنسي للبنات، مع التأكيد أنه بمثابة السن المتداول وحتى أدنى من ذلك أي في السن السابعة. أما بمقاطعات إفريقيا، فتقترح دراسة ج. م. لاسير معدلاً يتراوح ما بين 15 و 17 سنة وهو استنتاج عززه ب. موريزو¹⁰⁷. ما يهم فيما سبق هو من جهة، إبراز الإشكاليات التي تدور حول سن الزواج وهو خطوة تتم

¹⁰⁴ هذا وسن الخصوبة قد يصل إلى 21 سنة بالنسبة لجالينوس

Galien, *De sanitate tuenda*, VI, 2 ; *De locis Affectis*, VI, 5 cité dans Néraudau, 1984, p.85.

¹⁰⁵ Festus, *De sign. Verb.*, XIV, *Pubes* ;

Masculi quidem puberes, faeminae autem viripotentes. Les garçons doivent avoir l'âge de puberté, c'est-à-dire quatorze ans, et les filles douze. Gaius, *Institutes*, I, 10, p.23, trad. H. Hulot.

¹⁰⁶ Shaw, 1987, pp. 43-44.

¹⁰⁷ Lassère, 1977, p. 489 cité dans Morizot, 1989, p.656 ; Morizot, 1989, p.666 ; Hopkins, 1965, pp.309-325 cité dans Morizot, 1989, p.656 ; Durry, 1995, pp.84 à 88.

فيما يتعلق بسن الزواج قبل السن القانوني، يُراجع: Laes, 2012, pp.108-109.

خلال الطفولة ومن جهة ثانية، اتفقت الدراسات بمقاطعات إفريقيا على خروج الطفلة من تلك المرحلة ابتداء من سن 15 سنة ولذلك، أدمجنا في دراستنا للأثاث الجنائزي، القبور التي يحدد فيها ر.جيري فئة العمر ما بين 11 و16 سنة ولاسيما فئة الإناث.

- مرحلة المراهقة (*Adolescentia*): هي مرحلة انتهاء الطفولة وتعد واسعة النطاق، حيث يلتقي فيها الشباب والراشدون. يفيدنا أولوس غيلوس (*Aulus Gellius*)، اعتمادا على قانون الملك سيرفيوس توليوس، بأن مرحلة الرشد تبدأ من سن 17 سنة لتستمر إلى غاية 46 سنة، كما حدد سن السابع عشرة كحد أدنى للاندماج في الجيش¹⁰⁸. يفصل من جهته فارو ما بين مرحلتَي الشباب (*Iuventas*) والشيخوخة (*Senecta*)¹⁰⁹.

نلتمس من التقسيم السابق تأثير الواقع البيولوجي على تشكيلة الكائن الاجتماعي¹¹⁰ بحيث كلما نمتي الطفل، كلما حقق مطلبا اجتماعيا هاما نظمه القانون (منح الإسم، التسجيل في القبيلة، ارتداء التوجة برايتيكستا عند مرحلة التسنين النهائية، الخصوبة بالنسبة للبنات، المواطنة والاندماج في الجيش بالنسبة للذكور). نشير من جهة ثانية إلى البعد الفلسفي الذي يسقطه كيكرو على كل مرحلة بحيث ينعت مرحلة الطفولة بالضعف ومرحلة الشباب بالقوة، أما الكهولة، فيصفها بالهيبة، بينما الشيخوخة، فبالنضج¹¹¹.

نلاحظ أخيرا أن كيكرو يبدأ في وصفه لمراحل العمر بمرحلة الطفولة، متجاهلا المرحلة السابقة وهي الطفولة المبكرة. نحتمل أن تجاهل المفكر لتلك المرحلة لم يكن عفويا، كون الطفل خلال الطفولة المبكرة بمثابة كائن غير واضح المعالم، من جهة قريب إلى عالم الأموات، بسبب المخاطر التي تحق به وكذا إلى عالم الأحياء (على وشك الاندماج في الأسرة ثم المجتمع) ومن جهة ثانية، فهو كائن شبه حيواني

¹⁰⁸ Aulu Gelle, *Nuits attiques*, X, 28, p.190.

تم تحديد بداية المراهقة ابتداء من 15 أو 17 سنة، تبعا لنظام التعداد المتبع، إما كل خمس سنوات أو كل سبع سنوات، كما حددت نهاية المراهقة ما بين 28 و30 سنة مع تقسيم كل الفترة بدورها إلى مراحل. يُراجع:

Laes, 2014, p.29.

¹⁰⁹ Varron, *Commentaire à Servius*, V, p.295 cité dans Néraudau, 1984, p.33.

¹¹⁰ تجدر الإشارة إلى أن مفهوم الطفولة المبكرة عرف تطورا على مر القرون حيث يفيدنا ج. نيرودو بأنه ابتداء من القرن 2 ق.م إلى غاية القرن 4 م، إنتقل المفهوم تدريجيا من خلفية الضعف إلى تلك التي لها علاقة بالنعومة. يُراجع: Néraudau, 1984, p.54.

¹¹¹ Cicéron, *De senectute*, T.IV. X.

باعتباره لا يُتقن لغة للتواصل ولنا فقط، لتعزيز ذلك، أن نعود إلى المعنى اللغوي لمصطلح *Infantia*، المركبة من مفردتي *In-fans* واللذان تعنيان "الغير ناطق"¹¹².

نلتمس من المصطلح أهمية التواصل في المجتمع الروماني باعتباره رمزا حضاريا يسمح في مرحلة لاحقة بتقلد أهم الوظائف وخدمة المصلحة العامة على أمثل وجه. لذلك، فلم يقتصر على الأطفال وإنما اتسع كذلك إلى المحترفين في فن الخطابة الذين أخفقوا في إقناع أو إعجاب الجمهور¹¹³. من هذا المنطلق، فاختيار المصطلح بالنسبة للأطفال يوحي بأن التواصل من أهم العناصر التي يفتقر إليها المولود، فضلا عن انعدام النضج الحركي (*Infirmity*) والمعرفي (*Debilitas*). كلُّها حيثيات، وإن بدت لنا غريبة، لها دورها في مسار التنشئة الاجتماعية. تشير إ.فالييت كانيك في هذا السياق، إلى أنه لا يكفي في الحضارة الرومانية أن يولد الطفل لكي يُعتبر عضوا في المجتمع "الإنساني"، فالتربية هي ما يساهم في تربيته إلى ذلك المصف. في هذا الصدد، يرد لدى بليينوس الأقدم أنه من ضمن جملة الحيوانات، يبقى الإنسان بمثابة الكائن الوحيد الذي يحتاج إلى تلقينه كيفية الإستجابة إلى أبسط الغرائز على غرار الأكل والمشى¹¹⁴، بينما يقارن أرسطو الطفل مباشرة بالحيوان¹¹⁵. هي تقريبا نفس الخلفية التي نجدها في المصطلح الإغريقي (*Pais*) والتي ركز عليها بعض الباحثون، بحيث يشير إلى الطفل والعبيد في ذات الوقت¹¹⁶. بالرغم من الطابع الجازم للفلاسفة القدامى، نلتمس بدورنا حكم المصادر الصارم اتجاه طبيعة البشر عموما وضعف الطفل على مختلف المستويات بالتحديد، لكن لا نرى فيما سبق ذكره إقصاء له من مكانته في المجتمع، فعلى عكس العبيد، للطفل مكانة بمجرد اعتراف الأب له ومنحه الإسم وإن كان من المصنفات الراقية، فأمامه مستقبل رائد يقوم تحقيقه على صرامة التربية. بذلك، فليست التربية التي تمنحه كيانا وإنما هي التي تضمن هيكلته وتشكيله، عكس العبيد الذي يبقى عديم الكيان حتى إن ترعرع في أرقى البيوت.

¹¹² Valette-Cagnac, 2003, paragr.2.

¹¹³ Néraudau, 1984, pp.53-54.

¹¹⁴ Pline L'ancien, VII, 1, 3 et 4; Valette-Cagnac, 2009, p.261.

¹¹⁵ Aristote, *Histoire des animaux*, VII, 1, paragr.3.

¹¹⁶ Dasen, 2016, p. 2.

إن أخذنا حرفياً بآراء الفلاسفة وتحليل الباحثين لها وأضافنا إليهما وفاة ذلك الكائن، قد نقرب من السبب الذي شكل حوله فكرة الموت المشؤومة. لكن هل إشارات الإقصاء تلك تكفي للجزم فيما إن كان هنالك غياب للإهتمام وهل تتفق المخلفات الأثرية مع تأويلات الإثنوغرافيين والمؤرخين؟. من جهة ثانية، هل يمكن الأخذ جملة بما تصفه لنا المصادر؟.

تدعو دراسة ل م.كارول إلى التحلي بالحذر أمام ما يرد في المصادر، آخذة بعين الإعتبار أن المؤلفين من أعيان المدينة وأن تحليلهم بمثابة ترجمة للقيم الفلسفية، الثقافية وحتى السياسية السائدة خلال حقبتهم التاريخية، لتضيف أنه يصعب حتى الجزم فيما إن كان هؤلاء المؤلفين ليلتزموا بما يدعون المجتمع إليه¹¹⁷ وأنه لم تكن لفئة الأطفال مكانة ضمن انشغالاتهم السياسية والفلسفية ولا حتى ضمن انشغالات مستمعهم¹¹⁸. بالفعل، سنتطرق في الفصل الثاني إلى جملة من المصادر، يشاطرنا فيها بعض المؤلفين استيائهم الحاد أمام وفاة أبناء الأصدقاء وحتى تفهمهم لفقدان الأهل وعيهم.

4. الموت المشؤومة من خلال المخلفات الأثرية

في المجال الأثري، تم الأخذ بما سبق ذكره وربطه بمختلف الممارسات الجنائزية الخاصة بالأطفال ونذكر من ضمنها: العزل الطبوغرافي بداخل المقابر العمومية أو الإقصاء الكلي؛ اللجوء إلى الدفن عوض الترميد بعد مرحلة التسنين؛ طقوس التثبيت في القبر (بالكتل الحجرية مثلاً)؛ التسمير؛ قطع الرأس والوضعية البطنية.

سنتطرق فيما يلي إلى البعض منها لتوضيح خلفية ربط المخلفات الأثرية بمسألة الموت المشؤومة.

¹¹⁷ Carroll, 2018, p.149.

¹¹⁸ Laes, 2011, pp.8 et 99 Cité dans Carroll, 2018, p.149.

4.1 العزل أو الإقصاء

فيما يخص العزل أو ما يُعرف بالتجميع الطبوغرافي¹¹⁹، فيتعلق إما بتخصيص مواقع معينة من المقابر العمومية لفئة الأطفال أو على طول جدران الأسيجة الجنائزية، رسمهم تحت عتبة البيوت، على طول جدران الورشات الحرفية، عند حدود المقبرة أو إقصائهم التام وتخصيص مقابر لا تستقبل سواهم.

أمام تلك الممارسات، اقترح الآثاريون احتمالين: إما أنها نابعة من رغبة في التخلص من الأطفال لأسباب تختلف حسب الموقع المدروس أم أنها تعكس طموحا في ضمان استمرارية رمزية للعائلة أو أخيرا، جلب مباركة الآلهة في حالة الورشات الحرفية المهجورة. في هذا السياق، نذكر مثلا موقع سبرينغهد (Springhead) بإقليم الكنت (Kent) (جنوب- شرق لندن)، أين تم العثور على 18 قبرا تابع لأطفال في فضاء معبد (Temenos) ومن ضمنهم أربعة قبور تابعة لأطفال تم إهدائهم قريبا لإله المعبد؛ آل ذلك بالباحث و. س. بان إلى احتمال وباء أو كارثة أجبرت السكان على إهداء الأطفال للحد من الآفة¹²⁰. أنسب بذلك الباحث إقصاء المتوفين الصغار إلى فعل طقوسي ذات طابع وقائي أو تعويضي.

تم كذلك اقتراح فكرة الواد بهدف التحكم في الكثافة السكانية أو للتخلص من ولادات غير شرعية وهو التوجه الذي اختاره س. مايس¹²¹. أما عن الدفن تحت عتبة المنازل، في الورشات الحرفية أو الملكيات الزراعية، فلنا مثال بمنطقة لي بيزي بفرنسا (Les Béziers)، حيث كشفت التنقيبات بمزرعة لانجي (Langeais) على 17 قبرا لمواليد جدد، احتضنت فقط سبعة منهم مرفقات فخارية¹²²، مما عزز الخلفية السلبية للعزل أو الإقصاء. نلتمس بذلك التأثير الذي كان لأبحاث الإثنوغرافيين والمؤرخين ومدى تأثيرهم على تحليل الآثاريين للمخلفات.

أما عن التوجه الثاني، فهو الذي يرى في تلك الممارسات مسعا لضمان استمرارية رمزية للأسرة. في هذا السياق، اقترح الباحثين م. ميليت و ر. غولاند دراسة نقدية لتنقيبات مواقع إقليم يوركشاير (Hayton & Shiptonthrope)، ألت إلى التوقف على الخصوصيات العقائدية والطقوسية للمجتمع

¹¹⁹ Bails, 2016, p.169.

¹²⁰ Penn, 1964, pp.176-177.

¹²¹ Mays, 2005.

¹²² Blanchard et Couvin et al, 2003, p.100.

المحلي والتي لا تسمح بإنساب مسألة العزل أو الإقصاء إلى انعدام الإهتمام وإنما بالعكس، إلى أمل في التعزيز الرمزي للرابطة العائلية وبالتحديد علاقة الأم بالطفل المتوفي¹²³.

بالنسبة لمقاطعات افريقيا، فقد تم العثور على مقابر لاحظ فيها المنقبون حرصا على عزل الأطفال ونذكر منها مقبرة مدينة بوبوت (القرن الأول ميلادي - القرن الرابع ميلادي)، الواقعة على الساحل التونسي، قرب مدينة نابل وعلى بعد 70 كم جنوب-غرب مدينة قرطاج. كشفت التنقيبات على فضاءات منتظمة (70 سيجا تتراوح مساحتها ما بين 17 و 156 متر مربع)¹²⁴ وتشتمل على 421 قبرا، خضعت هياكلها إلى دراسات أنثروبولوجية دقيقة، بالإضافة إلى 101 قبرا أُضيف استنادا إلى الرفع والصور الملتقطة خلال الحملات السابقة¹²⁵.

تكمن خاصية المقبرة في اللجوء إلى القبور الأنفورية في الأغلبية الساحقة من الحالات، كما تم الحرص على رسم الأطفال بداخل الفضاءات الجنائزية على طول الجدران طيلة الفترة الإمبراطورية العليا، ليتم إدماجهم أينما توفر فضاء كاف لاستقبالهم خلال الفترة المتأخرة¹²⁶ (المقطع رقم 1). تبعا لتقييم س. دي لارمينا، يوحي تموقع قبور فئة الست أشهر على طول الجدران وكذا تخللها ما بين قبور الراشدين، برغبة في اقتصاد الفضاء المتاح لها¹²⁷، بينما يرى م. غريسهامر (المشرف على التنقيبات إلى جانب ز. بن زينة بن عبد الله) أن ذلك راجع إلى غياب حماية فعلية للقبور من خلال دلالات القبر أو المذابح التي تُعد استثنائية¹²⁸ (المخطط رقم 1).

¹²³ Millet et Gowland, 2015, p.12.

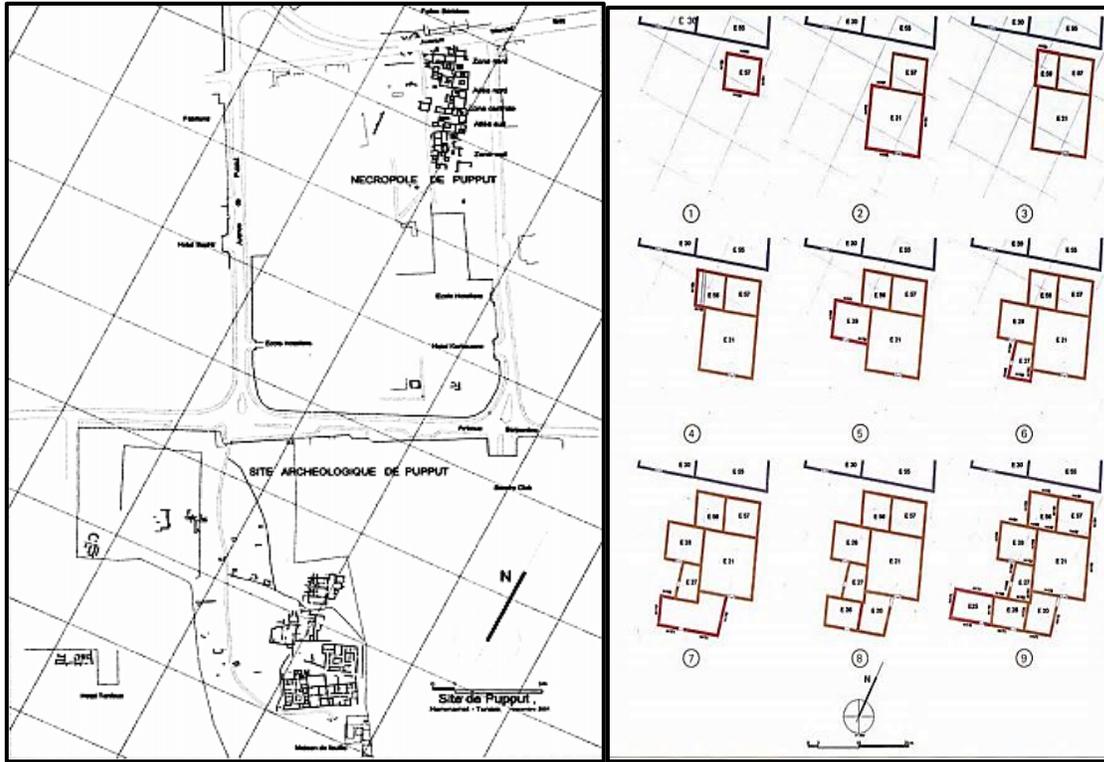
¹²⁴ Ben Abed et Griesheimer, 2001. P.560.

¹²⁵ De Larminat, 2012, pp.503-504.

¹²⁶ Ben Abed et Griesheimer, 2001, p.572.

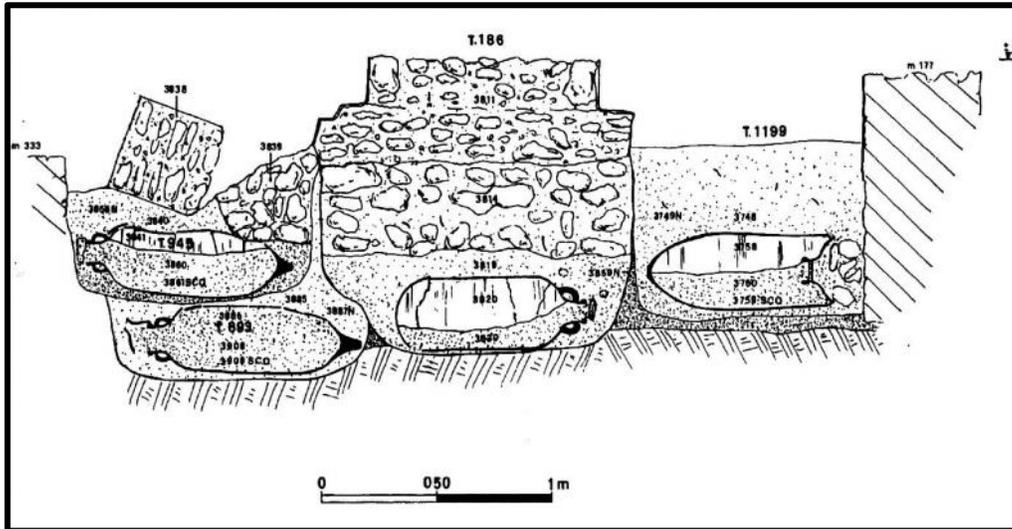
¹²⁷ De Larminat, 2016, p.85.

¹²⁸ Ben Abed et Griesheimer, 2001, p.572.



المخطط 1: مخطط مقبرة بوبوت (حمامات. تونس). على اليمين، مخطط يوضح انتظام الفضاءات المسيجة على

مستوى المنطقة الوسطى للمقبرة. عن: Griesheimer et Ben Abed, pp.556 et 564



المقطع 1: نموذج لقبور أنفورية مخصصة لفئة الأطفال. الفضاء الجنائزي رقم 17. مقبرة بوبوت (الحمامات). عن: Griesheimer et Ben Abed, 2001, p. 574. Dessin. F. Giomblanco

أما فيما يخص المقبرة الشرقية لمدينة سطيف¹²⁹ (نهاية القرن الأول ق.م - القرن الخامس الميلادي) والتي تم الكشف فيها على 352 قبرا، فوجد مسارا على ثلاثة مراحل: مرحلة الدفن البدائية (69 قبرا للأطفال على مجموع 107 قبر)، مرحلة الترميد (18 قبر للأطفال على مجموع 118 قبر) ومرحلة الدفن المتأخرة (80 قبر للأطفال على مجموع 113). يبدو أن المقبرة استقبلت أطفالا من كل الفئات مع أغلبية لفئة الأقل من سنة، كما تم دمج الفئتين (أطفال وراشدين) دون تمييز؛ هذا ونلاحظ كذلك نوعا من التكتل بالنسبة لقبور الأطفال في المرحلة البدائية للمقبرة لكن يبدو متماشيا ونسبة الوفيات العالية للأطفال حيث تترج الفئتين تدريجيا على مر العقود مع ارتفاع عدد قبور الراشدين.

فيما يخص الإقصاء، فالمسألة أكثر تعقيدا، نظرا لوجود نموذج فريد والمتمثل في مقبرة ثيسدروس (الجم). هي مقبرة أطفال من ضمنهم رُضع، تتسع على مساحة تُقدر ما بين 1000 و1500 متر مربع¹³⁰؛ هذا وتشير نقيشتين مؤرختين بنهاية القرن الأول ميلادي وبداية القرن الثاني ميلادي، إلى وجود إلهة حامية مجهولة الهوية (ربما إلهة أم أو أرتيميس استنادا إلى تمثالين عُثر عليهما في الموقع)¹³¹ وإلى طفلة (ثمانى سنوات) مُسارة إلى ديانة الإلهة، فضلا عن طفل وُضع بدوره تحت حمايتها¹³². اعتمادا على تشابه العبارات على النقيشتين، فهي قد تشير إلى نفس الإلهة الواعدة بحمايتها كل من لا يخل بحرمة القبر وهي عبارة متداولة في ذات المقبرة¹³³. على هذا الأساس، اعتبرت ل. سليم وبعدها ز. بن زينة بن عبد الله أن كانت المقبرة بمثابة فضاء مقدس وليس مقبرة فحسب (الصورة رقم 1)¹³⁴. نستنتج مما سبق

¹²⁹ Guéry, 1985.

¹³⁰ Slim, 1995, p.3.

¹³¹ Slim, 1984, p.175.

Di(is) Manibus sacrum. / Q(uintus) Aelius Felix, Tuscae f(ilius), / uixit anno I, mens(ibus) III. / ita tibi conting(at) dea(m) prop(itiam) / hanc haber(e) ut hoc / sacrum non uioles.

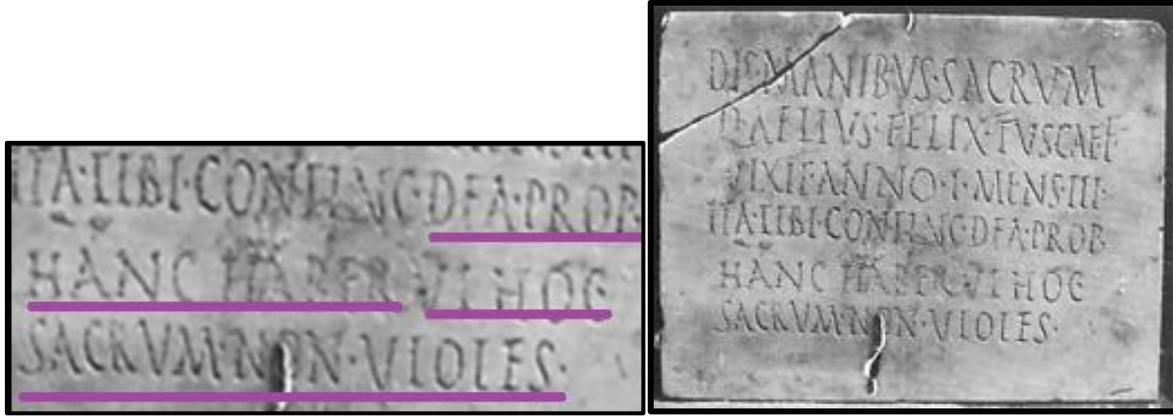
Aux dieux Mânes consécration. Quintus Aelius Felix fils de Tusca, a vécu un an et 3 mois. Puisse-tu bénéficier de la faveur de la déesse, pour autant que tu ne violeras pas ce (monument) consacré!. Benzina Ben Abdellah, 1986, p.37. ILTun00113=Afr Rom-01-174= CLEAfr-02,00218c= AE 1939,00051=AE 2014, +01487

¹³² Dis Manibus / Calventiae Maiorinae / vixit an(nos) VIII *initiat*a/ita tibi contingat hunc templumprop(ria)/et quae cupis ut tu ossa mea non / uioles. ILTun 00114= ILPBardo 00491= CLEAfr-02, 00218c=AE 1937, 00041= AE 1938, +00046= AE 2014, +01487.

¹³³ Slim, 1984, p.173.

¹³⁴ Slim, 1984, p.174 ; Benzina Ben Abdellah, 1986, p.37.

صعوبة الجزم فيما إن تشكل مقبرة ثيسدروس حالة عزل للأطفال وإن كان الأمر كذلك، فيصعب كذلك إنساب ذلك إلى مفهوم الموت المشؤومة باعتبار وجود إلهة حامية.



الصورة 1: نقيشة كوينتوس أيلوس فيليكس، أين وُجّهت أمنية للزائر في أن يتلقى رعاية "الإلهة" شرط أن لا ينتهك حرمة القبر" : « *Ita tibi contigat deam propitiam, hanc habere ut hoc sacrum non violes* ». مقبرة

ثيسدروس (الجم). عن: Benzina Ben Abdallah, 1986, p.37. Pl.85.

4.2 الدفن عوض الترميد

تمت الإشارة إلى طقس الترميد عوض الدفن من طرف بليينوس الأقدم¹³⁵ وكذلك كيكرو. يفيدنا بليينوس الأقدم مثلاً بأن الترميد كان بمثابة وسيلة يتم اللجوء إليها لتفادي تدنيس لاحق لجثة المتوفي، بينما حدد كيكرو أنه من أقدم الطقوس بروما ولو أنه يلي طقس الدفن، مع ربط الترميد كذلك بفكرة التدنيس¹³⁶. أما عن اللجوء إلى دفن الجثة لمنع روح المتوفي من الالتحاق بالعالم الآخر، فلا أثر لذلك في المصادر ووفقاً ل ج. شايد، كانت للعائلات الرومانية الحرية في اختيار الطقس الذي يُناسبها¹³⁷. ما يرد في المصادر وبالتحديد لدى بليينوس الأقدم، هو أنه "أعتيد" لدى الرومان على دفن الأطفال قبل مرحلة التسنين (7-8 أشهر)¹³⁸ بينما يستاء جوفينال (Juvenalis)¹³⁹، من جهته، لمنظر طفل في المحرق، معتبراً قسوة الموت المبكرة¹⁴⁰.

¹³⁵ Pline L'ancien, VII, 55, 1.

¹³⁶ Cicéron, *de legibus*, II, 22- 23.

¹³⁷ Scheid, 2008, p.7 cité dans Cenzon-Salvayre, 2014, p.68.

¹³⁸ Pline L'ancien, VII, 15, 4.

يفسر ج. ب. نيروودو ما أتى لدى بلينيوس الأقدم بالخوف من أن تهدد هشاشة العظام بالزوال كلياً إذا ما تم ترميد الطفل قبل التسنين¹⁴¹، بينما تضيف ب. روسون بأن هشاشة العظام تعرقل إقامة الطقوس الدينية وهو بمثابة العائق الرئيسي¹⁴². يستند بدوره ف. بوبلين إلى قصة بتروكليس في ملحمة هوميروس لإثبات أن مفاد الترميد ليس محو كل أثر للجثة وإنما بالعكس، ضمان المرور من عالم الأحياء إلى مصف المتوفين وتفادي سيرورة تعفن الجثة، مع الحرص على أن يبق شيئاً من العظام وإن أمكن ذلك، في هيئة ولون لائقين¹⁴³. تلتقي بذلك الآراء، تبعاً للمصادر، في أن الغرض من الدفن خلال تلك المرحلة مفاده ضمان البعث ولاسيما لما يتعلق الأمر بفئة الأطفال.

أياً كان الطقس المتبع (دفناً أو ترميداً)، فكلها آليات خضعت إلى سيرورة مقننة، يصعب تحديدها بدقة من الناحية الأثرية، لكن يرى باحثون أن خطواتها تندمج ضمن ما يسميه ج. لوكلار بمرحلة الجثة¹⁴⁴ أو ل. إ. لوغوف بسيرورة "تحويل المتوفي"، خاصة في حالة الترميد وذلك سعياً لضمان الاندماج في القبر واكتساب مصف جديد. تتم تلك السيرورة إما بانتقاء أجزاء من الهيكل دون سواها أو من خلال المرفقات التي تم اختيارها (حلي، إيداعات نباتية أو غيرها) أو بالتخلي عن الرماد عوض إدماجه¹⁴⁵.

باعتبار قلة المقابر التي حظيت بدراسة انثروبولوجية، باستثناء مقابر بوبوت، لبتيمينوس، الكنيسية، سوسة¹⁴⁶، هنشير الهامي وإلى حد معين المقبرة الشرقية لمدينة سطيف، يصعب تحديد نسبة فئات العمر التي طبّق عليها طقس الترميد بحيث، على حد تعبير س. دي لارمينا، يُحتمل أن تفوق ما تفيدنا به

¹³⁹ ديكيموس يونيوس يوفيناليس (نهاي القرن الأول ميلادي-بداي القرن الثاني)، هو شاعر هزلي ولد بمدينة أكويكيوم بمنطقة كامبانيا. تقلد

وضيفة مدرس فن الخطابة وكان قريباً من الشاعر مارتيناليس. اشتهر بمؤلف "الهزليات" الذي صدر ما بين عامي 90 و127م والذي اشتمل على 16 قصيدة هزلية تطرق فيها لكل التجاوزات والنقائص أو التحولات الكارثية التي لطخت نمط العيش و الفكر الرومانيين.

¹⁴⁰ Juvénale, *Satires*, XV, 140, p. 364

¹⁴¹ Néraudau, 1987, p.196 Cité dans Baills-Talbi et Dasen, 2008, p.601.

¹⁴² هنالك فرق طفيف ما بين قراءة ج.ج. نيروودو و ب. روسون ويتمثل في علاقة الروح بالجثة، فبينما غياب العظام يعني غياب جثة، نلتمس ما يرد لدى كيكرو في نقده لمن يترجى أن لا تترك جثته عرضة للحوانات المفترسة انطلاقاً من أن دوام الروح في العالم الثاني مرهون بوجود الجسم؛ بينما تقترح ب. روسون أن غياب الجثة بسبب الترميد يعيق إقامة المراسيم. بذلك فالفرق يكمن في الممارسات التي تسمح بسفر الروح بينما لدى نيروودو، فغياب الجثة يعيق مبدئياً كل أمل في الوصول إلى العالم الثاني .

Rawson, 1999, p.229.

¹⁴³ Poplin, 1995, p.254.

¹⁴⁴ Leclerc, 1990, pp.15.

¹⁴⁵ Le Goff, 2013, paragr.5.

¹⁴⁶ Ferjaoui, 2007, p.99 Cité dans De Larminat, 2016, p.79.

النسب الحالية، هذا وتشير الباحثة إلى أنه، استنادا إلى الدراسات المنجزة بمقبرة بوبوت، يبدو أن كان الدفن بمثابة الممارسة الأكثر شيوعا بإفريقيا خلال القرنين الثاني والثالث، على الأقل بالنسبة لفئة الطفولة المبكرة¹⁴⁷.

4.3 الوضعية البطنية

تُنسب الوضعية البطنية أحيانا في الإطار الجنائزي إلى إعاقة جسدية وهو ما اقترحه ث. موليون في شأن طفل أصم تم العثور عليه في تلك الوضعية بمقبرة تابعة لمعسكر باوندبيري بإقليم روت يستر ببريطانيا (القرن الأول والخامس ميلادي)، مما آل بالباحث إلى استنتاج رفض الإعاقة من طرف أفراد المجتمع المدروس؛ هذا ولم يتم إقصائه تماما، باعتباره مندمج ضمن بقية المتوفين بداخل المقبرة¹⁴⁸. نرى هنا أن الأمر قد لا يتعلق بالفئة وإنما بالغير مألوف أو ما يسمى بالبرود يجيا¹⁴⁹. بالنسبة للمقاطعات الإفريقية-الرومانية، يظهر من خلال إحصاء س. دي لارمينا، أن 81% من الهياكل العظمية التابعة لفئة الأطفال كانت في وضعية ظهرية، تليها الوضعية الجانبية اليمنى بنسبة 10% ثم الجانبية اليسرى بنسبة 7%. أما الوضعية البطنية، فلم تُحص إلا في 1% من الحالات، كلها متمركزة بمقبرة بوبوت، لكنها تخص أطفالا حُددت أعمارهم على التوالي ب: 0-4 أشهر، 6-12 شهرا وستينين¹⁵⁰. قد تعزز نسبة 1 بالمئة مسألة الموت المشؤومة باعتبار أن الوضعية البطنية خصت فئة الأطفال دون سواهم، هذا وتبقى النسبة استثنائية وبذلك، فقد يؤخذ بها دون أن يقاس عليها، مع ترك المجال مفتوحا لإعاقة أو وضعية عائلية استثنائية أو منبوذة اجتماعيا.

4.4 القبور الأنفورية (النعوش الأنفورية)

شاعت القبور الأنفورية في المقاطعات الإفريقية الرومانية وتم اقتراح أن اللجوء إليها عموما وكذا المباشرة بسد الفوهة بمختلف المواد كان لغرض سجن روح الطفل؛ هذا وأبرزت الدراسات بمقبرة بوبوت مثلا أن مخلفات مادة القار كانت أحيانا على مستوى البطن، فضلا عن وجود ثغرات توحى باستعمال سابق،

¹⁴⁷ De Larminat, 2016, p.82.

¹⁴⁸ Molleson, 1989, p.29.

¹⁴⁹ Allély, 2003 ; 2004 ; 2018.

¹⁵⁰ De Larminat, 2012, p.526.

لغرض التخمين مثلا¹⁵¹، بينما في مقبرة هنشير الهنتاتي (منطقة المهرين بتونس)، فأنت العديد منها مبتورة على مستوى العنق أو القاع¹⁵²، مما يعرقل عملية السجن إن كان ذلك هدفها فعلا. فيما يتعلق بأواني الطهي والقلال التي استُعملت بدورها في احتضان جثث الأطفال، فأنت مسدودة بمادة سريعة التلف وأثبتت الدراسات الانثروبولوجية أنها احتضنت جثثا من فئة الأجنة والمواليد الجدد¹⁵³. اقترحت من جهتها س. ستيفنس دراسة تنميطية مبدعة للقبور الأنفورية، سواء من حيث الحجم أو طبيعة المادة الطينية ثم ربطتها بسن الأطفال المتوفين مقترحة نمطا أولا مخصصا للمواليد الجدد ونمطا ثان لفئة الست أشهر، معتبرة كذلك البعد الرمزي للأنفورة كمحرك للبعث¹⁵⁴. تشير الباحثة من جهة ثانية، مستندة إلى د. غوريفيتش، إلى التشابه ما بين طريقة تمثيل المواليد الجدد والرضع على المعالم (ملتقين في قماطة) وشكل بعض الأنفورات¹⁵⁵، مما يمنح القبور الأنفورية بعدا يتناقض فيه مبدئيا مع مفهوم السجن.

تم اللجوء كذلك إلى ممارسات أخرى اتجه الأطفال وهم على قيد الحياة والتي قد تؤيد فرضية غياب المصنف وانعدام الإعتبار. من ضمن الأدلة المقترحة يرد الواد، العرض أو تسليم الأطفال للمرضعات. كلها عناصر ساهمت حتى في تفسير قلة المرفقات الجنائزية بداخل القبور. نشير في هذا الإطار إلى مقال م. غولدن الذي تطرق فيه إلى مضمون تلك الأدلة، مع اقتراح بديل لكل فرضية دون رفض أية منها ومن ضمنها أن وطأة المشاغل اليومية لا تسمح للأمهات بأن ترعين أبنائهن ولذلك، فيتم تسليمهم إلى مرضعات للحرص على مختلف الأولويات، كما تطرق إلى حدة الفقر وإلى المشاعر الإنسانية التي يصعب، إن لم يستحل، حصر تشعباتها وعمقها، مشيرا بالعكس إلى أن الدفن في البيوت مثلا قد كان سببه بالتحديد استحالة تقبل الوالدين واقع فقدان ذريتهم¹⁵⁶ (الخريطة رقم 2).

¹⁵¹ De Larminat, 2012, pp.516.

¹⁵² Slim 1969-1970, p. 248 Cité dans De Larminat, 2012, pp.516-517.

¹⁵³ De Larminat, 2012, pp.518.

¹⁵⁴ Stevens, 2016, pp.625- 626.

¹⁵⁵ Gourevitch 1988: 42 cité dans Stevens, 2016, p.627.

¹⁵⁶ Golden, 1988, pp.156-159 et 160.



الخريطة 2: خريطة مواقع المقابر المذكورة والمدروسة في الأطروحة

الفصل الأول

دراسة تحليلية للأثاث الجنائزي (المقبرة الشرقية لمدينة سطيف - مقابر
مدينة تيبازة - شرشال وسيقا)

تمهيد

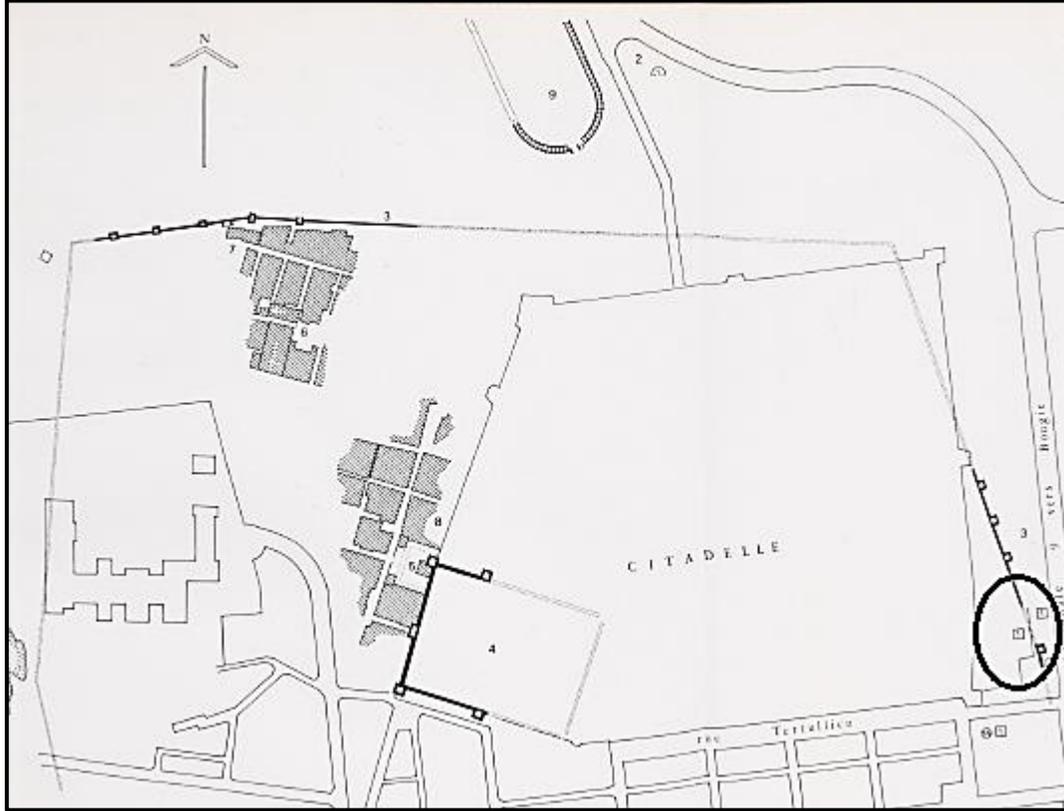
تقع مدينة سيتيفيس بمقاطعة موريتانيا القيصرية. بقيت تابعة لها إلى غاية فترة حكم الإمبراطور ديوقليتيانوس (284-305م)، مؤسس مقاطعة موريتانيا السطايفية، أين أصبحت المدينة عاصمة لها. يقترح ر.جيري أن تأسس المدينة يعود إلى نهاية القرن الأول ميلادي، على يد الإمبراطور نرفا (96-98م)¹⁵⁷، بينما يحتمل ج. جاسكو بأنه قد يعود إلى عهد الإمبراطور ترايانوس (117-138م)¹⁵⁸؛ هذا وتم إثبات استقرار مجتمع محلي سابق للوجود الروماني بالمدينة، اعتمادا على الألقاب ذات الأصل المحلي الواردة على أنصاب ضاحية سطيف، فضلا عن توفر فخاريات من إنتاج محلي (أطباق أو أقداح) وأخيرا قطع نقدية تعود إلى فترة الممالك النوميديّة¹⁵⁹.

أما عن المقبرة، فتقع شرقي المستوطنة. يحدها باتجاه شرق-غرب طريق كيرتا وتتسع شمال-جنوب على مساحة إجمالية تقدر ب1كم. (المخطط رقم 2)

¹⁵⁷ Guéry, 1985, p.10.

¹⁵⁸ Gascou, 1972. pp.3 et 258 ; Dupuis, 2006, P. 158 ; CIL, VIII, 10362 ; AE, 1949, 42.

¹⁵⁹ Février et Guéry, 1980, pp.103-117 et 121.



المخطط 2: المقبرة الشرقية محاطة بالأسود؛ 2- المقبرة الشمالية؛ 3- سور القرن الرابع ميلادي؛ 4- القلعة البيزنطية؛ 5- المعبد الغربي؛ 6- حي البازيليكا؛ 7- حمامات فينوس؛ 8- "المنزل المحترق" 9- السيرك.

عن: Guéry, 1985, fig.2

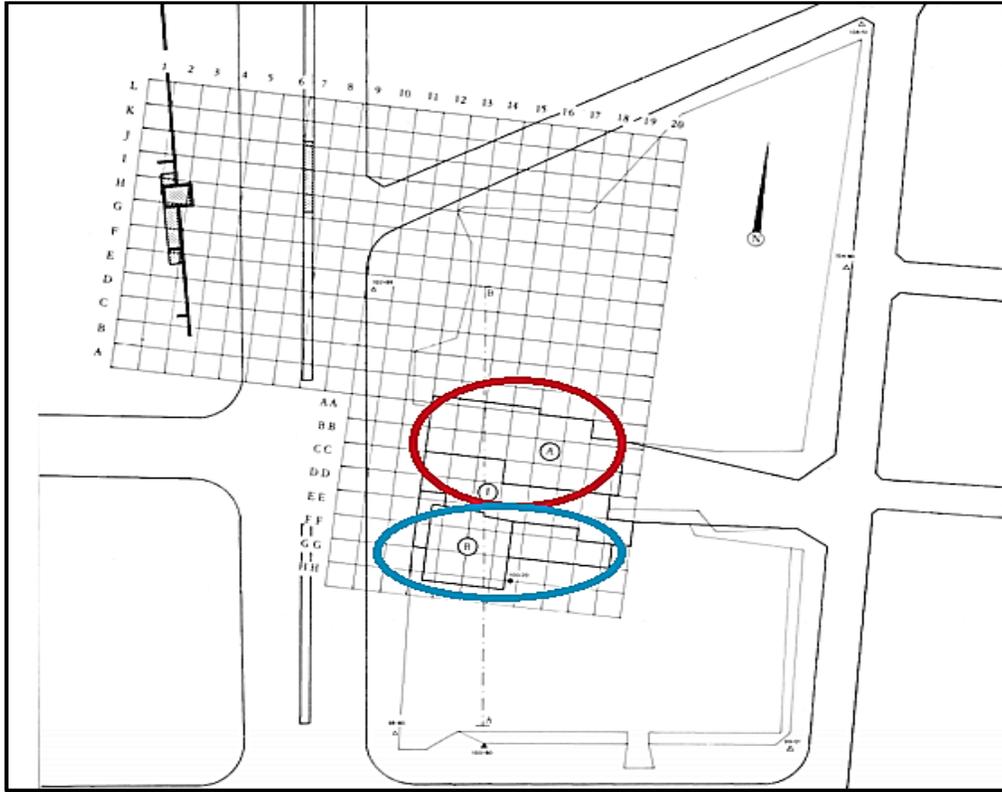
سنتطرق بإيجاز إلى تاريخ التنقيبات بالمقبرة الشرقية التي أشرف عليها أ.جاسباري وبعده ر.جيري، حيث عرفت تقسيماً إلى منطقتين (أ و ب)، لم تتم دراسة إلا المنطقة ب منها بشكل واف ومفصل عام 1966، تحت إشراف ر. جيري، مما سيسمح لنا بتوضيح سبب اعتمادنا على دراسة الباحث وليس سابقه.

فيما يخص المنطقة أ، فتعود بداية الحفريات في المقبرة الشرقية إلى عام 1959 على يد أ.جاسباري حين كشف على سور قلعة تعود إلى القرن الرابع ميلادي. باشر بالتنقيب على مساحة 1.15 هكتار تحت مستوى السور أين برزت أولى القبور (عددها 12 قبراً: 8 قبور دفن و 4 قبور ترميد)، ربعها مردوماً تحت أحد الأبراج، بينما يتمركز الباقي على واجهتي السور (الداخلية والخارجية). تم التأكد حينها من أن النواة الأولى للمدينة عرفت توسعاً يتضح من خلال السور الدفاعي المؤرخ بالقرن الرابع، بينما تنتمي القبور المكتشفة إلى النواة الأولى. خلال تلك المرحلة من التنقيبات، تم إحصاء 273 قبراً للدفن والترميد في الجزء الجنوبي من المقبرة، أضيف إليهم 483 قبراً شمال المجموعة السابقة.

لم يستمر أ.جاسباري في دراسة مخلفات المنطقة أ نظراً لجملة من العراقيل ومن ضمنها الإخلال باستراتيجيات المنطقة أثناء مباشرة البلدية بالأشغال العمومية، مما آل إلى عدم تسجيل المخلفات وفقاً لإطارها الاستراتيجي¹⁶⁰.

في ذات الوقت، تم الشروع في تنقيبات جديدة فيما يُعرف بالمنطقة ب والتي تم فيها تفويض ر.جيري للمباشرة بها عام 1966 (المخطط رقم 3).

¹⁶⁰ Guéry, 1985, pp.16-17 et 22.

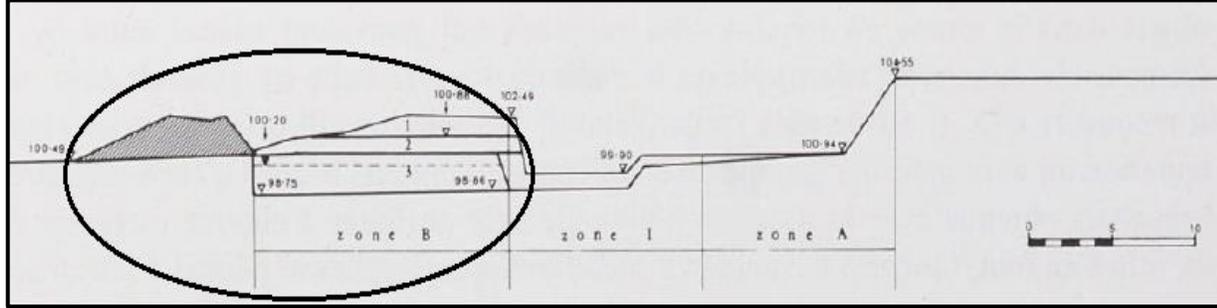


المخطط 3: المنطقتين أ وب. المنطقة أ محاطة بلون فاتح ؛ المنطقة ب محاطة بلون قاتم.

عن: Guéry, 1985, p.19

أما عن المنطقة ب، فتتسع مساحة المنطقة على مربع، طول ضلعه 15 م، تم فيه الكشف عن 352 قبرا بطبقية سمكها 1.50م. تسببت كثافة القبور وتداخل العديد منها في عرقلة الرفع والدراسة الستراتيغرافية للموقع من جهة، مما آل إلى اقتراح تأريخات نسبية ومن جهة ثانية، فهم تطور المقبرة الشرقية، حيث في حالة تشابك أو تداخل القبور، اضطرُّ الباحث إلى حفر العديد منها في آن واحد لتحديد السبب¹⁶¹ (ديناميكية الموقع، تعديلات، حالة طوارئ...إلخ) (المقطع رقم 2 والصورة رقم 2).

¹⁶¹ Guéry, 1985, p.26.



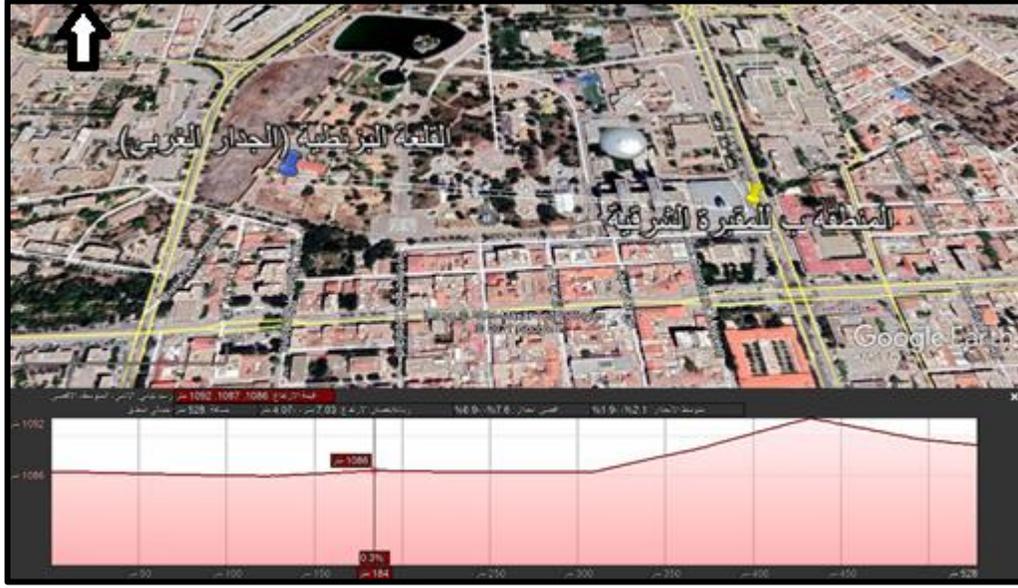
المقطع 2 : مقطع للمنطقتين أ و ب : على أقصى اليمين، سطح الأرضية قبل التنقيبات. الرقم 1 على اليسار بمثابة الريم؛ الرقم 2 طبقة المرحلة المتأخرة؛ الخط المتقطع يمثل مستوى انطلاق حفرة 1966؛ الرقم 3: طبقة مرحلة الترميد (المرحلة الوسيطة) وطبقة مرحلة الدفن البدائية. عن: Guéry, 1985, p.28

نلاحظ من خلال المقطع رقم 2 انحدار الموقع بحيث يصل في المنطقة أ (على يمين المخطط) إلى 2 بالمئة شمال - جنوب و 4 بالمئة شرق - غرب؛ أما في المنطقة ب، فنسبة الانحدار تقدر ب 6.2 بالمئة شمال - شرق وجنوب - شرق¹⁶² (المخطط رقم 4 و 5).



المخطط 4: موقع المنطقتين أ و ب مع درجة الإنحدار على محور شمال - جنوب

¹⁶² Guéry, 1985, pp.17 et 28.



المخطط 5: موقع المنطقة ب مع درجة الإنحدار على محور شرق-غرب إلى غاية الجدار الغربي لسور القلعة



الصورة 2 : لمحة عن التعميدات التي تخص قبور المقبرة الشرقية: في الصورة، تداخل القبور رقم 308-309 (المرحلة المتأخرة) بحيث تم استئصال حوض هيكل القبر رقم 308 والذي عُثر عليه في القبر رقم 309 الذي بدوره هُدم جزئياً خلال حفر القبر رقم 310. عن: Guéry, 1985, p.26

بالرغم من التداخلات والتعديلات، تسنى ل ر.جيري اقتراح تنميط للقبور مع تحديد الفئة (أطفال أو راشدين) (الجدول رقم 3 - المخطط رقم 6)، قبل التركيز على المخلفات، بحيث سمحت الفخاريات بتحديد تأريخات نسبية (الجدول رقم 4). أما القطع النقدية، فلم تؤخذ بعين الإعتبار نظرا لتأريخ عدد معتبر منها بفترة الممالك النوميديّة أو بسبب إتلافها¹⁶³. تجدر الإشارة إلى أن الحفريات لم تلم بمجمل مساحة المقبرة. انطلاقا مما سبق، سنركز على المنطقة ب بالإعتماد على تقرير حفريات الباحث الدقيق والذي يسمح بدراسة الإشكالية التي تخص بحثنا.

مرحلة الدفن المتأخرة	مرحلة الترميد	مرحلة الدفن البدائية	المراحل وعدد القبور الإجمالي
114	131	107	
80	29	69	عدد قبور الأطفال

الجدول 3: عدد القبور الإجمالي للمراحل الثلاثة بالمقبرة الشرقية وعدد قبور الأطفال في كل مرحلة

1. مرحلة الدفن البدائية (نهاية القرن الأول للميلاد - نهاية النصف الأول من القرن الثاني للميلاد)

تشتمل هذه المرحلة على 107 قبرا، 69 منها مخصص للأطفال وتنقسم إلى ثلاثة أنماط وفقا لتقنية بناء القبور. تم تأريخ كل منها اعتمادا على أنماط المصابيح والأطباق.

نوع الأطباق	نوع المصابيح	التأريخ	النمط والنوع
Sigillée claire A (Lamboglia 36/A ; Hayes 3/B)	Deneauve VII	نهاية القرن الأول ميلادي - بداية القرن الثاني	I-A (I-AB)

¹⁶³ Guéry, 1985, p.26.

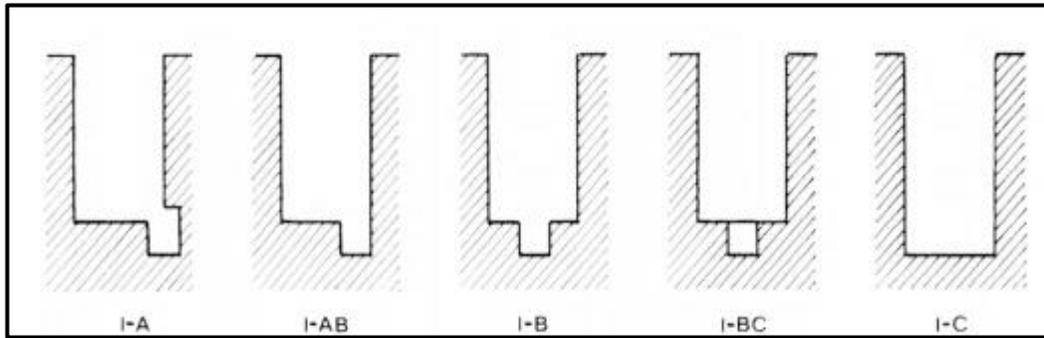
Sigillée claire A (Lamboglia4/36 A)	Deneauve VIIA, VIIIA, IX A	النصف الأول من القرن الثاني ميلادي	I-B (I- BC)
Sigillée claire A 2A (Hayes 8 A) et 18/31 (Hayes 5 A)	إنتاج محلي تقليد للنوع VII A	نهاية النصف الأول من القرن الثاني ميلادي	I-C

الجدول 4 : قبور مرحلة الدفن البدائية مصحوبة بالأثاث الذي سمح بالتأريخ.

عن: Guéry, 1985, pp. 338 à 342 et 345 à 349

1-1 القبور بالمقبرة الشرقية: أنماط وتأثيرات

النمط I-A: قبور بئرية تتفتح على غرفة جنازية جانبية (*Loculus*). في الصنف I-AB، التابع للنمط I-A، تمت تهيئة جزء من الغرفة الجنازية في أرضية البئر، بحيث تندمج فيه جزئياً.
النمط I-B: تهيئة بئر محاط بثلاثة مقاعد، تتوسطها الغرفة الجنازية.
النمط I-C: حفرة مستطيلة الشكل تتعدم فيها الغرفة الجنازية. يشير هذا النمط إلى انتهاء المرحلة البدائية والتوجه التدريجي نحو مرحلة الترميد الموالية¹⁶⁴.



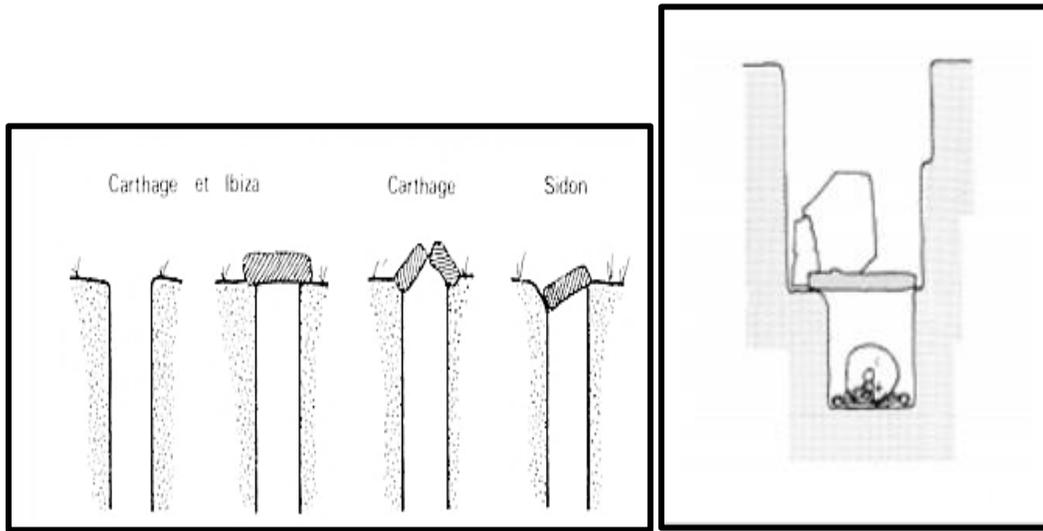
المخطط 6: أنماط القبور خلال مرحلة الدفن البدائية. عن: Guéry, 1985, p.41

¹⁶⁴ Guéry, 1985, p.40.

تجدد الإشارة إلى أن التتميط ذات الغرفة الجنائزية الجانبية متوفر في مناطق أخرى، على غرار مديني نقرين (تبسة)¹⁶⁵ وتيبازة بالجزائر وكذلك قرطاجة وباجة بتونس. فيما يخص مدينة نقرين، فهي قبور من نمط

¹⁶⁵ Battistini, 1936-1937, pp. 184 (Pl.IV) et 188 (Pl.V) et Camps, 1961, p.71 (Fig.70) In Guéry, 1985 p.126.

التلال (تومولوس) ¹⁶⁶ بينما في مدينة باجة، فهي قبور مشابهة لقبور المقبرة الشرقية لمدينة سطيف وقد يعود تاريخها إلى القرنين الثاني والأول قبل الميلاد ¹⁶⁷. أما في مدينة تيبازة، فقد عُثر على نمط مشابه أُرخ بنهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني ميلادي ¹⁶⁸. تشير إلى أن القبور المهيأة في شكل بئر تُعد من الأنماط المتداولة في قرطاجة كذلك، بجزيرة إيبوزوس بإيبيريا وبمدينة جبيل بفينيقيا وقد تكون أصولها مصرية ¹⁶⁹. انطلاقا من ذلك، يمكن أن نحتمل أن القبور البثرية المحصاة بالمقبرة الشرقية لمدينة سطيف قد احتفظت بالتأثير البوني الذي بدوره تأثر بالتنميط المصري (المقطعين رقم 3 و4).



المقطع 3 : على الجهة اليسرى، رفع عمودي لمختلف تقنيات غلق القبور البثرية في كل من صيدا، إيبوزوس (إيبيريا) وقرطاجة؛ على اليمين، رفع عمودي للقبور رقم 38، مرحلة الدفن البدائية بالمقبرة الشرقية لمدينة سطيف . عن:

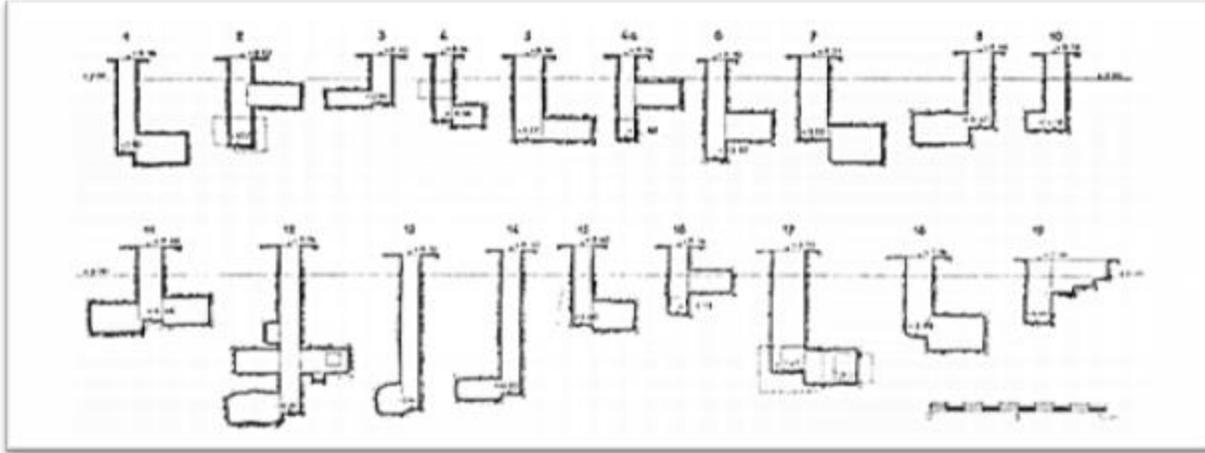
Bénichou-Safar, 1982 p.77 ; Guéry, 1985, p.79

¹⁶⁶ Battistini, 1936-1937, pp. 184 (Pl.IV) et 188 (Pl.V) et Camps, 1961, p.71 (Fig.70) In Guéry, 1985 p.126.

¹⁶⁷ Cagnat, 1887, pp. 40-42 In Guéry, 1985, p.126.

¹⁶⁸ Gsell, 1894, p. 393 In Guéry, 1985, p.126.

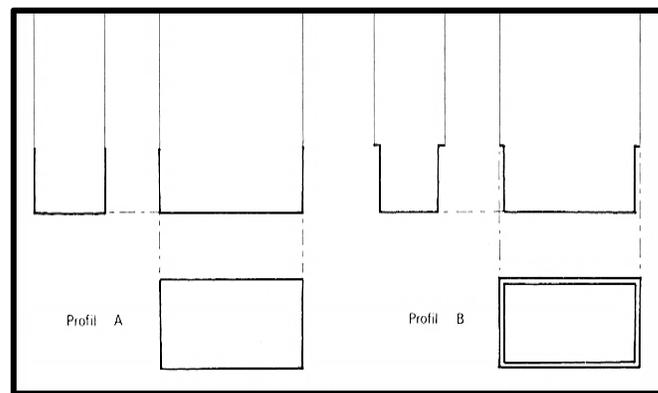
¹⁶⁹ Bénichou-Safar, 1982, p.354.



المقطع 4: نماذج لأنماط القبور البثرية المصرية. عن: Bénichou-Safar, 1982, p.355

وفقا لتنميط الباحثة ه. بينيشو - سفر، يتضمن نمطي القبور رقم I-VI بقرطاجة نوعين:
النوع أ: يشكل فيه البئر حفرة القبر بحد ذاتها وهو الذي نمطه الباحث ر. جيري ب I-C في المقبرة
الشرقية لمدينة سطيف¹⁷⁰.

النوع ب: تهيئة الحفرة بحيث تأتي في شكل تابوت طبيعي أي حفرة مركزية ذات جوانب مهيأة وهو النمط
I-B في المقبرة الشرقية لمدينة سطيف¹⁷¹ (المقطع رقم 5).



المقطع 5: مخططات لنماذج من القبور البثرية القرطاجية: النمط I-VI. عن: Bénichou-Safar, 1982, p.96

¹⁷⁰ Bénichou-Safar, 1982, p.94

¹⁷¹ Bénichou-Safar, 1982, p.96.

يكنم الفرق ما بين نمط مدينة سطيف والأنماط المتداولة بمدينة قرطاجة في أنه، بعد تغطية البئر بالرديم (عادة مشكل من تراب أو رمل) في قبور قرطاجة،¹⁷² يتم سد البئر بحجارة كبيرة الحجم ومنتظمة المقاسات بحيث تسمح بعزل تام لمدخل البئر، بينما في المقبرة الشرقية لمدينة سطيف، فيأتي عمق البئر أقل بكثير، بينما تم اللجوء إلى نفس التقنية لغلق الغرفة الجنائزية لكن بحجارة ذات أحجام ومقاسات متباينة وعادة غير منتظمة، تتبعها تغطية القبر بالرديم الذي تم استخراجها عند الحفر. أضف إلى ذلك أنه في القبور القرطاجية البسيطة (النمط I-VI)، تأتي مقاسات قبور الراشدين والأطفال متقاربة في أغلبية الأحيان¹⁷³، بينما في مقبرة سطيف، فتفوق مقاسات قبور الراشدين تلك المعتمدة في قبور الأطفال (طولا وعرضا).

نلتبس مما سبق أن تلك الأنماط من القبور سابقة للوجود الروماني وهو ما يشير إليه ر.جيري فيما يخص النمط I-A بالتحديد الذي يرى فيه صبغة محلية سابقة للوجود الروماني¹⁷⁴، مما يبرز حفاظ سكان المدينة على تقاليد محلية وفي ذات الوقت، يعزز درجة ترسخ التقاليد البونية من خلال تطور الأنماط. هي عناصر نعتبرها مهمة وإن أطلنا الحديث في وصفها، فإنما لننوه إلى أنه، حتى ولو تأسست المستوطنة على يد الرومان، فلا يُقصد ذلك وجود مجتمع محلي كانت له نظرة متجانسة، على الأقل فيما يتعلق بتنميط قبوره الأولى ومن هذا المنطلق، نحتمل كذلك أن تكون نظرتهم للموت ولاسيما موت فئة الأطفال مغايرة لما أتى به الرومان.

¹⁷² Bénichou-Safar, 1982, p.83.

¹⁷³ Bénichou-Safar, 1982, p.96.

¹⁷⁴ Guéry, 1985, p.126.

1-2 إشكالية بعض القبور

اعتمادا على ما تطرقنا إليه في المدخل العام حول مفهوم القبر، فإن القبور رقم 104، 106 و 107 لا تستوفي أهم الشروط التي ترد في المصادر والتي تلتقي كلها في ضرورة أن يحتضن القبر جثة¹⁷⁵. فيما يخص الحفرة رقم 104 مثلا، فهي تشتمل على جملة من المرفقات ومن ضمنها أدوات للزينة (ممسك للشعر، أداة عظمية للتجميل ومرآة من البرونز)¹⁷⁶ فضلا عن هيكل تابع لخروف. يقترح ر.جيري أن الحفرة رقم 104 تابعة لطفلة باعتبار الأثاث ذات الطابع الأنثوي، معززا تحليل ج.كاركوبينو حين يقترح أن هيكل الخروف بمثابة أضحية تعويضية قدمها الولدان للإله بعل حمون في إطار ما يُعرف بالمولكومور، أملا في الشفاء للطفل المريض، بحيث يعوض جسد الأضحية جسم الطفل ودم الأضحية، دم الطفل. يذكر الباحث في هذا الإطار العبارة المعتادة خلال المراسيم الخاصة بالمولكومور وهي: "خروف كمقابل، روح مقابل روح، دم مقابل دم، حياة مقابل حياة"¹⁷⁷.

استنادا إلى قراءة م. لوجلي، نحتل أن اكتفى ر.جيري في تحليله بجزء من العبارة حيث عادة ما تأتي مسبوقا بعبارة « *Pro salute* »، مما يعزز فعلا مبدأ التعويض لكن مع خلفية لها معنيين: الأول متعلق فعلا بالصحة وحتى إطالة عمر المعني بالأمر؛ أما الثاني، فبالصحة الأبدية، تبعا ل م. لوجلي¹⁷⁸ وبذلك، فقد لا يتعلق الأمر حتما بشفاء المريض وإنما قد يتسع إلى الراحة الأبدية جراء الوفاة، خاصة إن كان المتوفي من "الملقنين".

إن كانت الأضحية فعلا إهداء لبعل حمون مقابل إعفاء حياة الطفلة في الحفرة رقم 104، فلا نرى سبب وجود المرفقات المتمثلة في الإبر العظمية والمرآة والتي عادة ما يتم الكشف عنها كذلك في القبور. أما إن كانت الطفلة قد توفيت فعلا وبأشهر الأهل بتقديم إهداء للإله لاستقبال روحها، فلا نرى سببا لغياب الجثة

¹⁷⁵ Cicéron, *De legibus*, II, 22 ; Varron, *De ling. Lat.*, V, 23; Ulpian ; *Ad.ed. praetoris.*, XXV, paragr. 2 Cité dans *Digeste*, XLVII, Titre 12, p.288.

¹⁷⁶ Guéry, 1985, p.114.

¹⁷⁷ *Agnum pro vikario ; anima pro anima, sanguine pro sanguine, vita pro vita.* Leglay, 1966, p.336 cité dans Guéry, 1985, p.129.

¹⁷⁸ Leglay, 1966, pp.337-338.

و يمكن احتمال أن ساهمت هشاشة العظام في تلف الهيكل كليا وهو أمر لم يُشر إليه الباحث، مما يحيلنا إلى ما يرد في المصادر القانونية أي احتمال أن نكون أمام حفرة وليس قبرا.

انطلاقا مما سبق ونظرا لتوفر الأثاث، يمكن احتمال حادثة صدمت عائلة المتوفية بحيث لم يُعثر على الجثة؛ تمت حينها المباشرة بالمراسيم الجنائزية، بما في ذلك تقديم أضحية تعويضية، أملا في أن تلقى المتوفية راحة حيثما وُجدت¹⁷⁹، في حين يتسنى للعائلة استرجاع مصفها النقي ضمن بقية العائلات وإتمام حدادها الرسمي¹⁸⁰. قد تكون الأضحية المتواجدة في القبر بمثابة إهداء لآلهة الموت كذلك وهو طقس تذكره المصادر، سواء في المدن الفينيقية أو المستوطنات البونية أو إهداء لروح المتوفى. يشير كيكرو¹⁸¹ إلى وجود حفلة مخصصة لآلهة الموت بمدينة نورا الواقعة بجزيرة سردينيا، كما أبرز من جهته المؤرخ أبيانوس (Apianus) (القرن الثاني ميلادي) أهمية إهداء أضحية لروح الموتى لدى البونيين وبالأخص القرطاجيين¹⁸². يمكن بذلك احتمال أن المرفقات الجنائزية المربوطة بالأضحية قد تندمج في إطار جنائزي وليس نذري. يبقى غياب الجثة عنصر لا يسمح باعتبار الحفرة رقم 104 قبرا.

فيما يخص القبر رقم 46، فهي حالة خاصة باعتباره قبرا أعيد استعماله خلال المرحلة المتأخرة، مما أدى بالباحث، اعتمادا على المقاسات، إلى الترحيح أنه خُصص لاستقبال طفل خلال مرحلة الدفن البدائية ثم إعادة حفر القبر في مرحلة متأخرة وهنا أيضا، تم العثور على أثاث جنائزي (نصف طبق من نوع السيجيلي).

في حالة غياب الجثة، يتعذر اعتبار الحفرة رقم 46 قبرا، حيث وفقا لأوليبيانوس، يُعتبر مجرد نقل البقايا خلال القرن الثاني ميلادي بمثابة جناية من المنظور القانوني، إلا في حالة ما إن ورد تصريح بالقبول في

¹⁷⁹Crubézy, 2019, p.16.

¹⁸⁰Voisin, 2017, p.94.

¹⁸¹Cicéron, *Pro Scauro*, 1, 3.

¹⁸²Appien, *Histoire des Romains*, VIII, 84-89.

أبيانوس ألكساندريوس، مؤرخ إغريقي، ولد عام 95 م وتوفي عام 165م. ترعرع في مدينة الإسكندرية وتلقى هناك تعليمه باللغتين الإغريقية واللاتينية. بعد حصوله على حق المواطنة، سافر إلى روما أين مارس المحاماة وفي البلاط الإمبراطوري، مما سمح له بكسب ثروة أهله إلى الإنضمام إلى مصف الفرسان. تقلد بعدها منصب بروكوراتور الأعسطس تحت حكم الإمبراطور أنطونينوس بيوس بفعل وصاية من صديقه كورنيليوس فرونتو. كرس آخر سنوات حياته لتأليف "التاريخ الروماني" في 24 جزءا والذي يُعد ثمرة شغفه بالإمبراطورية الرومانية وإنجازاتها.

وصية المتوفي؛ وصية تُمنح لأحد المقربين من العائلة وبالأخص الإبن¹⁸³. في الحالة التي تهمننا، فقد تم المساس بالقبر رقم 46 في مرحلة الدفن المتأخرة أي خلال القرن الثالث ميلادي، أين تم تعديل في مسألة النقل من خلال مرسوم صدر عن الإمبراطور سبتييموس سيفيروس والذي يسمح بنقل جثة لم يتم رسمها في قبر نهائي¹⁸⁴. من جهة ثانية، يتعذر علينا إنساب الأثاث للهيكل الذي وُجد به. بذلك، فعلينا أن نعتبر هذين القبرين (رقم 46 ورقم 104) حالة استثنائية وُفي فيها شرط المرفقات (مما قد يعني اكتمال المراسيم التي تمنح شرعية للقبر) لكن مع غياب محتمل للجثة بالنسبة للقبر رقم 46، فضلا عن أنه، كلتا الحالتين، لا نملك فئة للعمر أو جنس المتوفي لإدماج القبرين في الدراسة. أما عن الحفر رقم 106 و107، فهي مجرد حفر خالية من أية إبداعات، عظمية كانت أو غيرها.

نشير أخيرا إلى أن القبر 48، الذي أنسبه ر.جيري إلى شخص راشد، لا يحتوي بدوره على جثة وعلى هذا الأساس، تنطبق عليه نفس المحددات السالفة الذكر.

انطلاقا مما سبق، فباستثناء القبور رقم 46-48-104-106-107، يصل عدد القبور الإجمالي الذي اعتمدنا عليه في مرحلة الدفن البدائية إلى 102 عوض 107، من ضمنها 67 قبر تابع لفئة الأطفال عوض 69.

1-3 الأثاث الجنائزي في المقبرة الشرقية

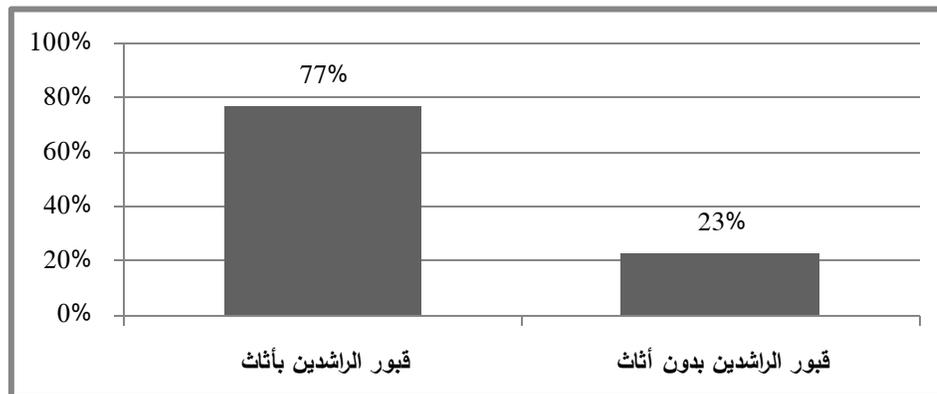
يأتي الأثاث الجنائزي الخاص بقبور الأطفال خلال المرحلة الأولى ضئيلا إذا ما قارناه بأثاث قبور الراشدين، حيث على مجموع 35 قبرا للفئة الأخيرة (بعد استثناء القبرين رقم 46، 106 و 107)، أحصينا 27 قبرا يشتمل على أثاث جنائزي مقابل 8 قبور تخلو منه، بينما لدى فئة الأطفال، فيُقدر عدد القبور الخالية من الأثاث ب 40 قبرا مقابل 27 قبرا يتوفر عليه (الرسم البياني رقم 1 و 2).

¹⁸³ Si quelqu'un apporte un mort dans un sépulcre héréditaire, même s'il est héritier, il peut être sujet à l'action de sépulcre violé, s'il a agi contre la volonté du testateur ; car il est permis au testateur de défendre que l'on mette quelqu'un dans son tombeau, comme l'a décidé un rescrit de l'empereur Antonin ; car il faut suivre ses volontés. Si donc il n'a permis qu'à un seul héritier d'y porter, lui seul en aura le droit. Ulpian, *L'édit du préteur*, XXV, 3.

¹⁸⁴ Un édit de l'empereur Sévère permet de transporter les corps qui n'ont pas été déposés dans une sépulture perpétuelle; le même édit défend de retenir les corps, de les tourmenter, d'en empêcher le transport par le territoire des villes. L'empereur a décidé, par un rescrit, qu'il n'y a point de peine encourue par ceux qui en route font passer les corps des morts par les carrefours et dans les villes, quoique ces choses ne doivent pas se faire sans la permission de ceux de qui elle dépend. Ulpian, *L'édit du préteur*, XXV, 4.



الرسم البياني 1: عدد القبور التي تتوفر على الأثاث الجنائزي لدى فئة الأطفال



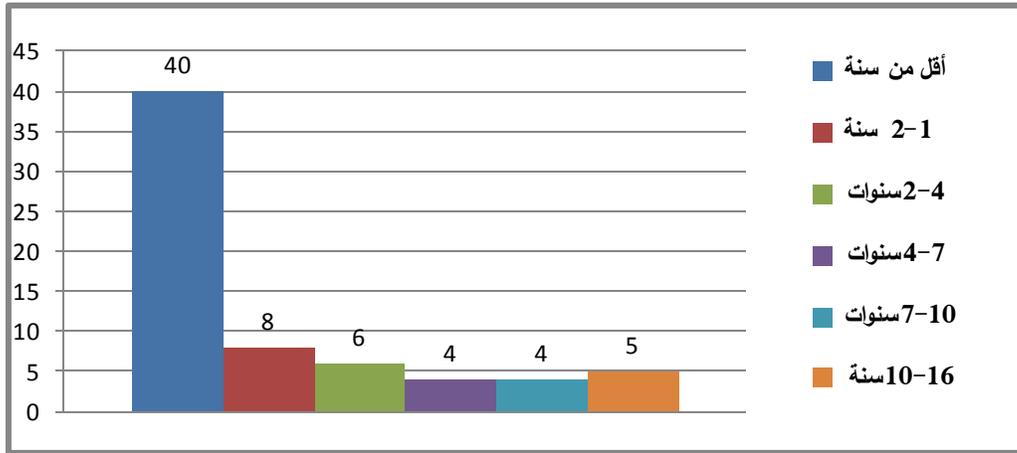
الرسم البياني 2: نسبة توفر الأثاث لدى فئة الراشدين

نلاحظ أن نسبة قبور الراشدين التي تضم أثاثا جنائزيا تفوق بالفعل نسبة الأثاث في قبور الأطفال، بينما يقل مجموع قبور فئة الراشدين الإجمالي عن مجموع قبور فئة الأطفال بحوالي 50 بالمئة (35 قبرا للراشدين / 67 قبرا للأطفال). يعود ذلك إلى نسبة الوفيات لدى فئة الأطفال وخاصة الأقل من سنة¹⁸⁵ وهو ما تدعمه المصادر الطبية الإغريقية والرومانية ولا سيما مؤلفات هيبوقراطوس للجنين، الأم والولادة¹⁸⁶، ذلك لأن وضعية المواليد الجدد الصحية حساسة، قد تؤدي أتعاه الأسباب بحياتهم ومن ضمنها

¹⁸⁵ Février-Guéry, 1980, p.120 ; Dedet, 2012, p.151.

¹⁸⁶ Hippocrate, Du fœtus de 7 mois ; Du fœtus de huit mois ; De la nature de la femme, VII.

مرحلة التسنين. يبدو أن المقبرة الشرقية لمدينة سطيف لا تعد حالة استثنائية في هذا الإطار، حيث تشكل نسبة الوفيات لدى الأقل من سنة أعلى نسبة (59 بالمئة)(الرسم البياني رقم 3).



الرسم البياني 3: توزيع عدد الوفيات حسب فئة العمر

أما عن قلة الأثاث المتوفر، فهو بدوره واقع شائع خاصة فيما يتعلق بالطفولة المبكرة وما يليها إلى غاية 3 سنوات، سواء بمصر الفرعونية¹⁸⁷ أو في المقاطعات الإفريقية الرومانية الغربية، على غرار مقبرة بوبوت بالبروقنصلية (حمامات)، أين من مجموع قبور الترميد الخاصة بفئة الأطفال (القرن الثاني - منتصف القرن الثالث ميلادي)، فقط 21 بالمئة منها احتضن أثاثا، هذا وتشير س.دي لارمينا إلى أن نسبة توفر الأثاث في قبور المراهقين والراشدين تقريبا نفسها أي 22 بالمئة، بينما يأتي الأثاث أقل وفرة في قبور الدفن المتزامنة مع قبور الترميد (ما بين 0 و 14 بالمئة)¹⁸⁸. أما في المدن الإغريقية، فتحتضن قبور الأطفال مرفقات ضئيلة لكن بفروقات حسب المقابر أين قد تكون مرفقات قبور الراشدين بدورها ضئيلة¹⁸⁹؛ هذا ومن جهة ثانية، يشير أغلب الباحثين إلى أن للواقع الثقافي والمادي المحلي تأثيره على

¹⁸⁷ في مقابر مصر الفرعونية، نستنتج من خلال أبحاث أ. مارشال أن المقابر المخصصة للمواليد الجدد هي التي تسجل أقل نسبة من الأثاث (59 بالمئة من الأواني و 23 بالمئة من الحلبي)، بينما ترتفع النسبة كلما كبر السن (63 من الأواني و 59 بالمئة من الحلبي بالنسبة لفئة ال 2-4 سنوات/ 51 بالمئة من الأواني و 78 بالمئة من الحلبي بالنسبة لفئة ال 4-12 سنة)؛ يراجع: Marshall, 2012, p.244.

¹⁸⁸ De Larminat, 2012, p.296

¹⁸⁹ Dubois, 2012, pp.331-334.

كيفية التعامل مع الأطفال وبالأخص الأقل من سنة¹⁹⁰ وفي هذا السياق، أثبتت الباحثة أ.ل. بريفس، في إحصائها لـ 117 قبرا مخصصا للأطفال بالمقابر الغالية-الرومانية، وجود علاقة بين طريقة التعامل مع الأطفال المتوفين والإمكانيات المادية الضئيلة للمجتمع المحلي، كما يمكن لمخلفات قبور الراشدين أن تكون ضئيلة أو حتى أقل وفرة¹⁹¹. يضيف من جهته ج. شايد أن قلة أو انعدام الأثاث الجنائزي واقع متداول بالعاصمة روما، أي كانت الفئة وأن المرفقات التي عادة ما تعكس الثقافة الرومانية (على غرار الأنجنتريا والبسماريا) لا تشكل إلا نسبة 10 بالمئة من مقابر روما و20 بالمئة من مقابر إيطاليا، مضيفا أنه في مقابر إيطاليا، خلال القرنين الثاني والثالث ميلادي، لم يتم إحصاء إلا 15.7 بالمئة من القبور التي توفرت على مرفقات على الإطلاق. بذلك، فضعف الأثاث لا يعكس حتما تهميش فئة الصغار وإنما قد يخضع إلى محددات أخرى، من ضمنها الطقس المتبع (يقال الأثاث في طقس الدفن بينما عادة ما يزداد في طقس الترميد)، الإمكانيات المادية وكذلك الثقافة (العائلية والمحلية)¹⁹².

1-4 الأثاث الجنائزي المتوفر في قبور فئة الأطفال

فيما يتعلق بفئات الأطفال التي تتوفر قبورها على أثاث جنائزي، نلاحظ أنه بالرغم من التفاوت الذي نلتمسه في الجدول أدناه، تبقى العناصر المحصاة متقاربة جدا، في حين تعود أكبر نسبة بشكل واضح إلى فئة الأقل من سنة (الجدول رقم 5) (أنظر نهاية المرحلة البدائية، الرسم رقم 2-3-4).

¹⁹¹Brives, 2016, pp.180-186.

¹⁹²Scheid, 2013, pp.456 et 460.

فئة العمر	المواليد الجدد - الأجنة	أقل من سنة	2-1 سنة	4-2 سنوات	7-4 سنوات	10-7 سنوات	16-10 سنة
عدد عناصر الأثاث	7	24	9	9	6	5	6

الجدول 5 : توزيع الأثاث الجنائزي حسب فئات العمر

نلاحظ أن فئة الطفولة المبكرة لم تكن مقصاة إذا ما قورنت بالفئات الأكبر، لكن يبقى الأثاث الجنائزي ضئيلاً. احتمال بعض الباحثين بتحفظ، أن يعود ذلك في المدن الإغريقية إلى عدم منحهم إسماً لما يتعلق الأمر بالمواليد الجدد وبالتالي إلى عدم إدماجهم رسمياً في العائلة والمجتمع، دوماً مع وجود فروقات حسب الموقع المدروس¹⁹³. تشير ر.م. بيرار إلى أن قلة الأثاث لا تعني انعدامه وإن قل، فلا بد من الإستناد إلى معطيات أخرى، كتقنية بناء وتهيئة القبور باعتبار أنه، إن كانت تلك الفئة مهمشة فعلاً، لما أوليت عناية في تهيئة قبور البعض منها ولما احتضنت مرفقات أحياناً ثرية¹⁹⁴.

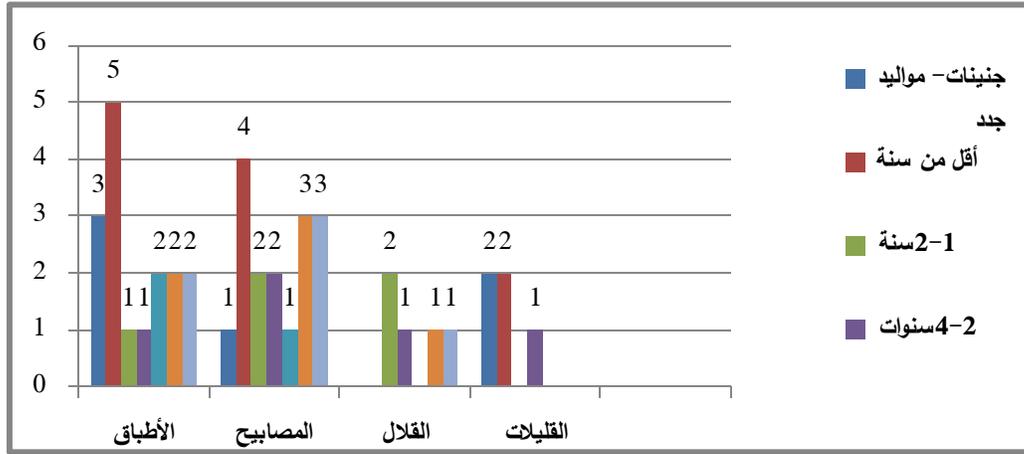
أما ب.ديدي، الذي يعتمد على تحليل ل. ليفي - برول، فينسب قلة الأثاث الجنائزي في قبور الأطفال وبالتحديد الأجنة والمواليد الجدد إلى أن المرفقات المعثور عليها قد تندرج ضمن تلك التي استعملها المتوفي في حياته اليومية ومن الواضح أنه لم ينسج للجنيات والمواليد الجدد (إلى غاية ستة أشهر) تكوين شخصية اجتماعية تسمح بأن تكون لها مقتضياتها الخاصة. بالنسبة للباحث، تُعد مسألة انعدام الإهتمام ثانوية¹⁹⁵.

فيما يتعلق بنوع العناصر المتداولة، نلاحظ توفر عناصر من أثاث المائدة وبالدرجة الأولى الأطباق (16 عنصر) بينما يقل الأثاث الخاص بالسوائل كالقلال (5عناصر)، القليلات (8 عناصر)، الأقداح (عنصر)، الأكواب (عنصرين) والكؤوس (عنصر) (الرسم البياني رقم 4).

¹⁹³Dubois, 2012, pp.331-332.

¹⁹⁴Bérard, 2016, p.460.

¹⁹⁵Dedet, 2008, p.161.



الرسم البياني 4: توزيع الأثاث الجنائزي حسب فئات العمر

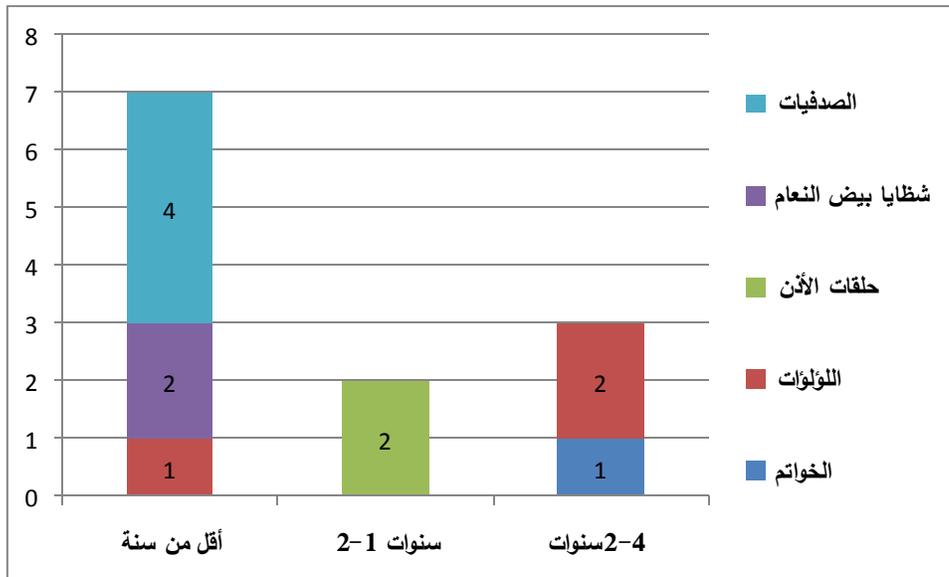
تعد الأطباق والمصابيح بمثابة الأثاث الأكثر تداولاً في القبور التي توفرت على أثاث، هذا ولا يتجاوز عددها الطبق أو المصباح في القبر الواحد. نلاحظ أن القلال تظهر فقط لدى فئات ال 1-2 سنة، ال 2-4 سنوات، ال 7-10 سنوات، ال 10-16 سنة، بينما تنعدم لدى فئة ال 4-7 سنوات. أما القليلات، فنجدها لدى فئة الأقل من سنة وفئة ال 2-4 سنوات، فضلاً عن وعاء وكوبين لدى نفس الفئة؛ كوب لدى فئة ال 2-4 سنوات وفئة ال 4-7 سنوات؛ كأس واحد لدى فئة ال 11-16 سنة وأخيراً أنية من نوع Askos لدى فئة ال 4-7 سنوات وتلك الأنية معتادة في قبور الأطفال، باعتبار البعد الرمزي الذي تكتسيه والذي سننترق إليه لاحقاً.

نلاحظ توفر تركيبة نظامية تتمثل في الطبق-مصباح وذلك في أغلبية القبور التي تتوفر على أثاث، مما يدل بالفعل المبرمج من جهة وبحرص الأهل على توفير أقل ما يلزم للمتوفي بحيث في حالة غياب الطبق، نجد المصباح متوفراً وذلك أياً كانت فئة العمر بما في ذلك الأجنة. يعزز ما سبق احتمال وجود قاعدة تلتقي فيها كل فئات الأعمار.

1.4.1 الحلي وأدوات الزينة

فيما يخص الحلي وأدوات الزينة، فهي بدورها ضئيلة حيث تم إحصاء خاتم واحد من مادة النحاس (فئة - 42 سنوات)، ثلاث لؤلؤات من عجينة الزجاج، اثنتين منها ذات اللون الأزرق لؤلؤة ذات اللون الأحمر (فئة

الأقل من سنة وفئة ال 2-4 سنوات)، 4 صدفيات (فئة الأقل من سنة)، حلقتي أذن (فئة ال 2-1 سنة)، شظيتي بيض النعام (قبر واحد من فئة الأقل من سنة).
 نلاحظ أن أغلبية ما عُثر عليه يخص أصغر الفئات مع غياب للحلي لدى فئات ال 4-7 سنوات، 7-10 سنوات و10-16 سنة. نشير أخيرا إلى توفر أربعة قطع نقدية، إثنتين منها تابعة لفئة الأقل من سنة، قطعة تابعة لرضيع (ذو بضعة أسابيع) ووحدة أخيرة لدى طفل من فئة ال 1-2 سنة. إن كان العدد يكاد ينعدم، نلاحظ على الأقل عدم إقصاء الأطفال من حق العبور الذي انفردت به مرة أخرى أصغر الفئات (الرسم البياني رقم 5).



الرسم البياني 5: توزيع الحلي حسب الفئات

1.4.2 لمحة عن وظيفة الأثاث في الإطار الجنائزي

لاحظنا فروقات في تعريف الباحثين للأثاث الوظيفي ولهذا الغرض يجدر عرض أهمها باعتبار الدور الأساسي الذي يؤديه ذلك الأثاث في مسار الفعل الجنائزي. بالنسبة ل س.دي لارمينيا، لكل أثاث جنائزي وظيفة، لكن تفصل الباحثة ما بين من جهة، ذلك الذي له بعد وظيفي في الإطار الجنائزي، كالمصابيح التي تأتي في وضعية اعتيادية أو تلك الحاملة لآثار الحرق (حتى تستمر رمزياً في أداء وظيفة الإنارة)

ومن جهة ثانية، الأثاث الذي له بعد رمزي بحت، كالمصاييح التي تم وضعها دون إشعالها مسبقاً¹⁹⁶. نجد لدى ف. بليزو تعريفاً أدق بحيث تلجأ إلى عبارة "القيمة الوظيفية" أي دور الأثاث في مسار الفعل الجنائزي أو إلى مصطلح "الأثاث" عموماً، باعتباره الشاهد المادي على إقامة المراسيم (وبالتحديد الأواني) وبذلك، فلا مجال للحديث عن "الإهداءات" للمتوفي؛ ما يهم هو تحديد خصوصيات الفعل الجنائزي المتداول في الموقع المدروس¹⁹⁷.

نشير كذلك إلى تحليل ج. شايد، فيما يتعلق بالأثاث المكسور، حيث تشير تلك المخلفات إما إلى عزل المتوفي عن عالم الأحياء رمزياً أو إلى تجريد الأنية من وظيفتها المعتادة في الحياة اليومية وإهداء محتواها إلى الآلهة التحتية¹⁹⁸. نلتمس هنا مكانة الديانة الجنائزية في تحديد مصير المتوفي إما بإرضاء الآلهة التحتية أو بتسجيل المتوفي في محيطه الجديد، مما يجعل من المراسيم الجنائزية أداة أو وسيلة في سيرورة الفعل الجنائزي وليس هدفاً.

أما عن الحلي والطلاسم، فتم تقسيمها إلى وظيفتين أساسيتين:

- أثاث درء سوء الحظ (Apotropaique): وهو ما يُعرف بالـ *Praebia/Fascinum/Remedia*¹⁹⁹ كالطلاسم مثلاً، التي تقي المتوفي أساساً من تأثير الأرواح الشريرة أو من العين²⁰⁰، كما تأتي على ألوان تحمل بدورها وظيفة وقائية، على غرار الأصفر والأزرق لجلب الحظ²⁰¹. تحمل المعادن من جهتها ثقلاً رمزياً (حديد، برونز، نحاس، فضة وذهب) بحيث، إلى جانب طبيعة المادة، يسمح تصادم القطع المعدنية فيما بينها بإبعاد الأرواح الشريرة²⁰².

¹⁹⁶ De Larminat, 2012, pp.301 et 309.

¹⁹⁷ Blaizot, 2009, pp.321-322.

¹⁹⁸ Scheid, 2011, pp.457-458.

¹⁹⁹ من اللاتينية *Praebere* وتعني "توفير الحماية". أما مصطلح « *Fascinum* »، فيخص العين والشئ الذي يبغده في آن واحد، بينما

Remedia، فمشتقة من مصطلح « *Remedium* » وتعني "ضد الحسد".

Dasen, 2003, pp.275-276.

²⁰⁰ Bails, 2016, p.166..

²⁰¹ Bails, 2016, p.166 (Note de bas de page).

²⁰² Dasen, 2003/1, p.181.

- الأثاث الوقائي (Prophylactique): وظيفته ذات طابع سحري - طبي ومفاده الحماية من كل ما يهدد بالصحة. نذكر منه العنبر ضد الحمى، آلام الحلق أو الأذن مثلا وهي مرفقات متداولة في الإطار الجنائزي.

باعتبار أن بحثنا قائم على دراسة تحليلية للأثاث الجنائزي، سنعتبر أساسا البعد الرمزي الذي أشار إليه كل من ج. شايد و س.دي لارمينا. أما عن القيمة الوظيفية للأثاث في تحديد مسار الفعل الجنائزي، فهو من نصيب الأثاري المنقب والذي اعتمدت دراسته على الأبحاث المخبرية (غربة التربة أو محتوى الأواني، تحديد نوع المخلفات النباتية والحيوانية مثلا)

1.4.3 مخلفات المراسيم الدينية

اعتمادا على وضعية الأثاث في القبر، على مخلفات الإيداعات الغذائية وعلى المقارنة مع قبور الراشدين، يمكن اقتراح فرضيات حول كيفية تعامل المجتمع المحلي مع المتوفين وتحديد ما إن وجد هنالك فرق. على هذا الأساس، سنركز في الفقرات الخاصة بالأثاث الجنائزي على العناصر التالية:

- توفر، قلة أو انعدام الأثاث.
- موقعه في القبر: في تراب الردم، خارج الغرفة الجنائزية أو محاذا للمتوفي.
- مخلفات الإيداعات الغذائية، إن وجدت ونوعها إن تم ذكره.
- الأثاث الذي يحمل آثارا للحرق.
- وضعية الأثاث: منقلب، مقلوب، مكسور أو في وضعية اعتيادية.
- الأثاث حسب فئات العمر.
- التوضع بالنسبة للهيكل.

يقدر العدد الإجمالي للأثاث الذي تم العثور عليه في تراب الردم لدى فئة الأطفال ب 12 عنصرا مقابل 57 عنصر وُجد محاذا للمتوفي (الرسم البياني رقم 6).



الرسم البياني 6: تموضع الأثاث الجنائزي لدى فئة الأطفال حسب الموقع في القبر

تندمج العناصر الإثني عشر ضمن مخلفات المراسيم الدينية التي تمنح للقبر قدسية ويتمثل دورها من جهة، في تطهير عائلة المتوفي ومن جهة ثانية، في فصل المتوفي عن عالم الأحياء وتسجيله ضمن عالم الأموات من خلال مباركة الآلهة مانس التي تمثلته²⁰³. أبرزت ر. م. بيار في هذا الإطار دور المخلفات المعثور عليها خارج الغرفة الجنائزية، رابطة إياها بالدور الوظيفي خلال المأدبة الجنائزية²⁰⁴ وهي عموما العناصر التي يتم وضعها أو إلقائها أثناء غلق الغرفة الجنائزية أو القبر²⁰⁵. في المقبرة الشرقية، تتوزع العناصر الإثني عشر على ستة قبور على مجموع 67 قبرا : القبر رقم 3 (4-7 سنوات)؛ القبر رقم 4 (7-10 سنوات)؛ القبر رقم 6 (1-2 سنة)؛ القبر رقم 22 (10-16 سنة)؛ القبر رقم 23 (7-10 سنوات)؛ القبر رقم 49 (جنين)؛ القبر رقم 70 (أقل من سنة)؛ القبر رقم 77 (أقل من سنة). نشير كذلك إلى أنه قد يتوفر عنصران في قبر واحد.

نلاحظ أن مخلفات تلك المراسيم مست كل الفئات، بما في ذلك الأقل من سنة ولاسيما القبر رقم 49 الذي احتضن جنينا. في الحالة الأخيرة، يتمثل العنصر في مصباح وبذلك، فقد حرص الأهل على توفير إنارة رمزية لطفل لم يتم مساره نحو الولادة.

²⁰³ Van Andringa, 2006, pp.1131 et 1132.

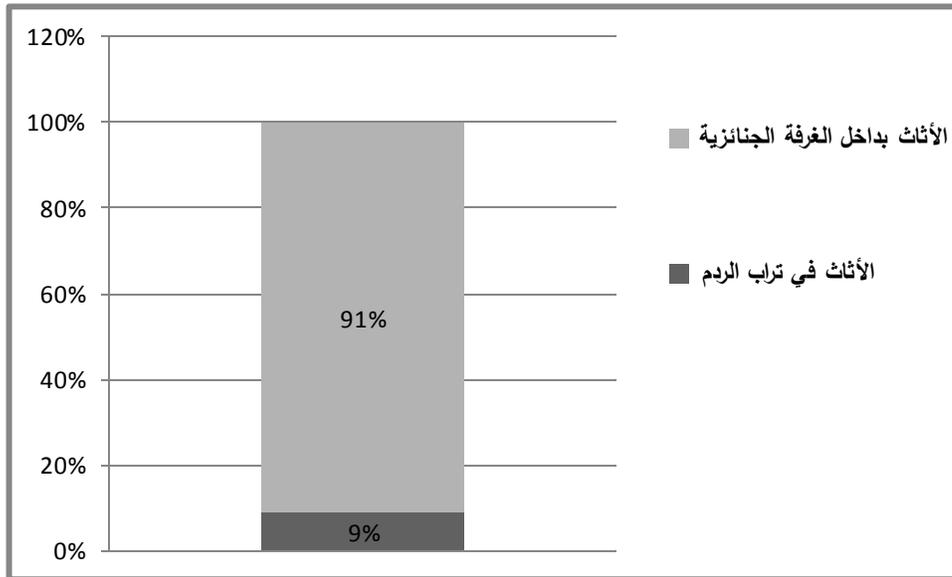
²⁰⁴ Bérard, 2014, paragr.22.

²⁰⁵ عثر الباحث في القبرين رقم 22 و 23 على قلة سجيبة الكتلة الطينية التي تسد القبر، محتملا أنها مخلفات إبداعات

غذائية سائلة مهداة للمتوفي . Guéry, 1985, p.86.

فيما يخص فئة الراشدين، لاحظنا أن العدد أقل، حيث أحصينا عنصرين مؤكدين عثر عليهما في تراب الردم أو خارج الغرفة الجنائزية (القبرين رقم 25 ورقم 33) وستة أخرى مشكوك في انتمائها إلى محيطها الأصلي (القبور رقم 65، 66، 84 و85). أما عن الأثاث بداخل القبر، فأحصينا 53 عنصرا وثلاثة عناصر إضافية مشكوك فيها (القبور رقم 84 و85). تم العثور كذلك على 285 مسمارا ذات الوظيفة التعويذية، باعتبارها متمركزة إما على مستوى الكاحل أو القدم وفي حالة واحدة على طول الساق الأيمن (القبر رقم 20) مع غياب كل أثر لمخلفات الألياف الخشبية²⁰⁶.

بالرغم من التقارب العددي للمرفقات لدى الفئتين، مما يوحي بغياب فرق في التعامل عموما، يبقى العدد الإجمالي ضئيلا مقارنة بعدد قبور المرحلة البدائية ولذلك، تجدر الإشارة إلى تأثير الطقس المتبع في وفرة المرفقات، حيث عادة ما يأتي أقل في طقس الدفن إذا ما قورن بمخلفات طقس الترميد وذلك ناتج عن أن الطقوس المتبعة في الدفن أبسط²⁰⁷ (الرسم البياني رقم 7).



الرسم البياني 7: توزيع أثاث قبور الراشدين حسب الموقع في القبر

²⁰⁶ القبور رقم 20-32-36-90-91.

²⁰⁷ Scheid , 2013, p.457.

1.4.4 الإيداعات الغذائية والأثاث المحترق

تأتي مخلفات الإيداعات الغذائية غالبا على نوعين. من جهة، بقايا ما تم استهلاكه خلال المأدبة وتخص الآلهة²⁰⁸ ومن جهة ثانية، تلك الخاصة بالمتوفي²⁰⁹ وتحديد نصيب كليهما مرهون بتحديد النوع. على هذا الأساس، يصعب في غياب غرلة دقيقة للتربة والتحليل المخبرية للمخلفات الفصل بين ما أهدي لكل منهما ومن ثمة، تحديد الخصوصيات العقائدية للمنطقة المدروسة.

فيما يتعلق ببقايا الإيداعات الغذائية الملموسة، فلم يتم العثور لدى فئة الأطفال والراشدين خلال المرحلة البدائية إلا على أثاث يوحي بوجودها، هذا ويمكن في تلك الحالة الاستعانة بوضعية الأثاث في القبر بحيث يوحي الغلق أو السد أو القلب إما بإيداع فعلي أُنلف أو بإيداع رمزي²¹⁰.

في المقبرة الشرقية، أحصينا أربع قبور للراشدين (رقم 10، 57، 84) عُثر فيها على طبق واحد مقلوب، فضلا عن القبر رقم 44، الذي عُثر فيه على طبق من نوع طاجين، يعلوه الغطاء التابع له. نشير كذلك إلى القبر رقم 72، الذي عُثر فيه على جثة راشد غير كاملة (غياب الرأس والقفص الصدري) بحيث تم تعويض الرأس بذبيحة تتمثل في دجاجة وبالقرب من المنقار، قطعة نقدية برونزية.

أما عن قبور الأطفال، فتم العثور، في القبر رقم 24، على قلة سُدت فوهتها بقطعة حجرية وفي القبر رقم 69، على طبق مقلوب. يسمح ما سبق باحتمال أن أُقيمت مأدبة جنازية وأن قُدمت إهداءات غذائية (فعلية أو رمزية) إلى المتوفي.

بالرغم من أن غياب الأثاث المحترق واقع شائع في طقس الدفن، يمكن العثور عليه في بعض المواقع في إطار المراسيم الدينية أو التذكارية لكن شرط توفر فرن²¹¹. في الحالة التي تهمنا ورغم غياب أية إشارة

²⁰⁸ على غرار بقايا الحبوب، التي تشير إلى الإلهة سيراس باعتبارها تتحكم في بعث الطبيعة.

²⁰⁹ وهي تلك التي تحمل طابعا رمزيا على علاقة بالبعث والخلود، على غرار مخلفات الفول التي توحى من خلال شكلها بالبويضة؛ نذكر كذلك العنب ومعها الخمر، الذين يشاران إلى الخلود أو التمر والتين ذات الرمزية الجنسية.

Tranoy, 2007, p.166.

²¹⁰ Debruge, 1910, p.83 ; Logeart, 1935-1936, p.82 Cité dans Camps, 1961, p.516-517 ; De Larminat, 2012, p.308.

²¹¹ Bel et al., 2009, pp.66-67.

من طرف ر. جيري لوجود الأفران، لا بد أن نشير إلى آثار الحرق التي لاحظها الباحث. فيما يخص فئة الأطفال، تم العثور، في القبر رقم 87 (4-7 سنوات)، على طبق من نوع طاجين يحمل آثارا للحرق في الجهة السفلية وباعتبار أن ذلك الصنف من الأطباق يندمج ضمن أواني الطهي، يمكن أن تكون تلك الآثار ناتجة عن الإستعمال اليومي. أما لدى فئة الراشدين، فنذكر القبر رقم 71 الذي عُثر فيه على طبق من نوع طاجين، تحمل كل مساحته الداخلية آثارا للحرق، مما يحيلنا إلى التساؤل دون الجزم عن احتمال إقامة مائدة؛ نشير هنا إلى أن ف.بليزو تدمج أواني الطهي عموما ضمن مخلفات المائدة في الإطار الجنائزي²¹².

نلاحظ، انطلاقا مما سبق، انعدام الأثاث المحترق لدى فئة الأطفال، بينما تم إحصاء عنصر واحد لدى فئة الراشدين، مما لا يكفي لاستنتاج فرق في التعامل من جهة ومن جهة ثانية، فباعتبار الطابع الإستثنائي لتلك المخلفات، يمكن التساؤل عما إن تم اللجوء إلى أثاث مستعمل ودمجه ضمن المرفقات الجنائزية أو تم توظيف تلك المخلفات في مائدة، مما لا يفسر غيابها في بقية قبور الراشدين.

أما عن بقايا الإيداعات الغذائية، فباعتبار تقارب عدد القبور لدى الفئتين (5 حالات لدى الراشدين /حالتين لدى الأطفال)، يمكن الإستنتاج أنه لم يكن هنالك فرق في التعامل وخاصة أنه لم يكن هنالك تهميش لفئة الأطفال بالمقارنة مع الراشدين. يمكن كذلك إحالة الفارق الضئيل إلى محددات ذات الطابع المحلي (الإمكانيات المادية لأهل المتوفين، مراسيم محلية تخص فئة الأطفال) أو إلى تلف تلك الإيداعات.

فيما يتعلق بالأواني المكسورة، فقد تأتي في شكل قطع أو شظايا يمكن أحيانا إعادة تشكيلها، كما يمكن أن تأتي غير كاملة في القبر بحيث يتم العثور على جزء واحد أو بضعة أجزاء منها. تحمل تلك المخلفات بدورها رمزية في حالة إثبات عمدية الكسر²¹³.

²¹² Blaizot, 2009, p.322.

²¹³ لتفاصيل أكثر حول التقنيات المتداولة لتحديد الكسر العمدي، تُراجع دراسة ف.بال. Bel et al., 2009, pp.46-50-51-60.

كما سبق الذكر، يؤدي الأثاث المكسور دورا يتمثل بالدرجة الأولى في فصل الأموات عن الأحياء²¹⁴، قصد التطهر من نجاسة الموت وتسهيل سيرورة الحداد بالنسبة للأحياء، حيث بكسر آنية عادة ما تُستعمل في الوظائف اليومية، إما بالطرق أو بالضغط أو حتى بالرمي، يوضع حد لوظيفتها الأصلية مما يعزز كذلك إقصاء المتوفي رمزيا من عالم الأحياء واندماجه في إطاره الجديد.

اتبعنا تحليل ج. شايد نظرا لأهمية الفصل في الإطار الجنائزي والتطهر من نجاسة الموت بالنسبة لعائلة المتوفي، كما أن هذا النوع من المرفقات متوفر في المقبرة الشرقية ولو بنسبة استثنائية خلال المرحلة البدائية. ارتئينا على الأقل التأكد من أن مفهوم الفصل لا يخص فئة الأطفال أو أنه لا يُنسب بشكل ملحوظ إلى تلك الفئة.

نلاحظ مبدئيا أن عدد العناصر المكسورة ضئيل بالنسبة للفئتين ومتعادل، حيث تم إحصاء ثلاثة عناصر لدى فئة الأطفال (قلتين في القبر رقم 70 ومرآة في القبر رقم 89) مقابل ثلاثة عناصر لدى فئة الراشدين (مرآة في القبر رقم 58، جزء من طبق في القبر رقم 25، جزء من طبق في القبر رقم 91). نلاحظ بذلك أنه لا فرق يُذكر في التعامل مع الفئتين، فضلا عن أن الحصيلا عموما إستثنائية. في إطار أوسع، يوحي ما سبق كذلك بعدم منح الأولوية من طرف سكان مدينة سطيف إلى مفهوم فصل الأموات عن الأحياء من خلال الكسر العمدي (إن اعتبرنا مثلا أن عددها معتبر بمقابر مدينة تيبازة).

1.4.5 الأثاث المعكوس الوضعية وتعزيز الفصل بين العالمين

يأتي الأثاث المعكوس في وضعية تجرده رمزيا من وظيفته الأولية معززا بذلك مبدأ التناقض بين عالم الأحياء والأموات. وفقا لقراءة ج. شايد، فكل ما يتعلق بمرحلة الحداد، أي بدءا من لحظة الوفاة إلى غاية مأدبة اليوم التاسع، يُعد بمثابة إجراءات مفادها تسجيل المتوفي في واقع أو اتجاه معاكس إن صح التعبير لواقع الأحياء. يندمج مثلا تعطير المتوفي وتحضيره ضمن هذا الإطار بحيث يصبح حينها على هيئة تتناقض وهيئة الأحياء المتلاشية، كما للعطر دور في تحويل وضعية المتوفي كجثة قابلة للتغفن إلى كيان

²¹⁴ Scheid, 2013, pp.457 et 458.

غير قابل للفساد رمزياً²¹⁵. لتوضيح المفهوم وإبراز ذلك التناقض بين الأحياء والمتوفي، يستعين ج. شايد بجنازة القائد الروماني جرمانيكوس، أين تم قلب رموز السلطة نحو الأسفل (Faisceaux) وخلال فترة الحداد الخاصة بوفاة الإمبراطور أغسطس، استبدال أعضاء مجلس الشيوخ للتوجة برابتيكستا بتوجة الفرسان، في حين ارتدى كل من تيبيريوس ودروسوس توجة ذات اللون الأسود، نسبة إلى لون لباس الطبقة الكادحة من المجتمع. نجد نفس الرمزية حين يتم اللجوء إلى المصابيح في الإطار الجنائزي، باعتبارها تشير إلى التناقض بين ظلام عالم الأموات ووظيفة المصباح كعنصر إنارة ضمن عالم الأحياء²¹⁶. تستمر عملية الفصل من خلال هيكله القبر ذاته، باعتباره "بيت" المتوفي الذي يهيئه الأحياء خصيصاً لذلك الواقع الجديد²¹⁷. نشير هنا إلى ف. بليزو التي تذكر أمثلة لقلال تم وضعها عمدياً على الفوهة مع احتمال الباحثة لرغبة في تفرغ محتوى القلة في القبر²¹⁸، مما يتناقض ووظيفتها الإعتيادية.

يمكن حينها تعميم وظيفة التناقض تلك إلى الأواني التي يتم العثور عليها في وضعية معكوسة بداخل القبر بحيث إن وجدت المصابيح في وضعيتها الاعتيادية، فهي ترمز إلى الحرص على توفير النور في عالم الظلمات، بينما في وضعيتها المعكوسة، تتجرد من وظيفتها المعتادة وتندمج ضمن المرفقات الخاصة بعالم الأموات؛ نفس الشيء بالنسبة للوضعية المنقلبة (Renversée) أو المنتصبة. انطلاقاً من ذلك، فقد تؤدي الأواني المعكوسة، مثلها مثل الكسر، وظيفة تعزز الفصل بين العالمين.

إن ارتئينا إحصائها لدى الفئتين بالمقبرة الشرقية لمدينة سطيف، فإنما لتحديد مرة أخرى ما إن كان هنالك ميول لدى سكان المدينة إلى عزل فئة الأطفال "أكثر" من فئة الراشدين ومن ثمة، تجسيد ما إن كانت الفئة الأولى تنفرد بهذا النوع من الممارسات. نشير إلى أننا ركزنا فقط على الأثاث المعكوس عمدياً، اعتماداً على ملاحظات ر. جيري، وليس ذلك الذي قد ينتج عن انهيار سقف القبر أو أية ديناميكية أخرى. في هذا الإطار، يمكن إدراج ملاحظتين:

²¹⁵ Scheid, 1984, p.120 et 121 ; Van Andringa et Lepetz, 2008, pp.1132 ; Voisin, 2014, pp.84-85.

²¹⁶ Scheid, 1984, pp.121-126.

²¹⁷ Wallace-Hadrill, 2008, pp.39-77.

²¹⁸ Blaizot, 2009, p.315.

-تقارب عدد الأثاث ذات الوضعية المعكوسة لدى الفئتين مع تفوق عددي لدى فئة الراشدين (4 عناصر لدى فئة الأطفال مقابل 10 عناصر لدى فئة الراشدين).

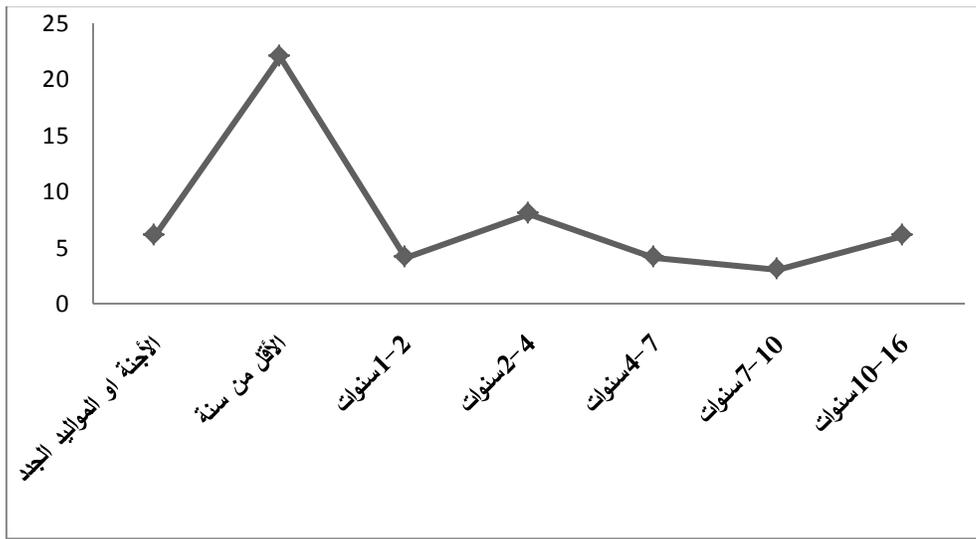
- باعتبار أن نسبة القبور التي تتوفر على أثاث تصل إلى 49 بالمئة لدى فئة الأطفال، لا تتعدى بذلك فيها نسبة العناصر المعكوسة الوضعية 0.06 بالمئة من المجموع. ندرج نفس الملاحظة بالنسبة لفئة الراشدين باعتبار أن الأثاث المعكوس يمثل 0.16 بالمئة من الـ 77 بالمئة من القبور التي تشتمل على أثاث. على هذا الأساس، فإن كان الأثاث المعكوس الوضعية من الأولويات في مسار الفعل الجنائزي ككل خلال هذه المرحلة، لأتى عدده أكبر لدى الراشدين، خاصة إن اعتبرنا أن قبورهم أكثر وفرة من قبور الأطفال.

يحيلنا التقارب العددي بين الفئتين إلى احتمال أنه لم يكن هنالك إلحاح لدى أهل المتوفين على عزل فئة الأطفال، لكن خاصة أن مفهوم العزل بحد ذاته لم يكن من أولويات أهل المتوفين في ممارساتهم الجنائزية. باعتبار عزل المتوفي لا يدلي بإقصاء بالمعنى السلبي وإنما يشكل جزءا من سيرورة الممارسات الجنائزية التي تسجل كل من الأحياء والمتوفين في محيطهم الخاص، يفيدنا ما سبق فقط في التقرب من أولويات سكان المقبرة الشرقية وتحديد وضعية فئة الأطفال من خلال الممارسات المتبعة لدى فئة الراشدين.

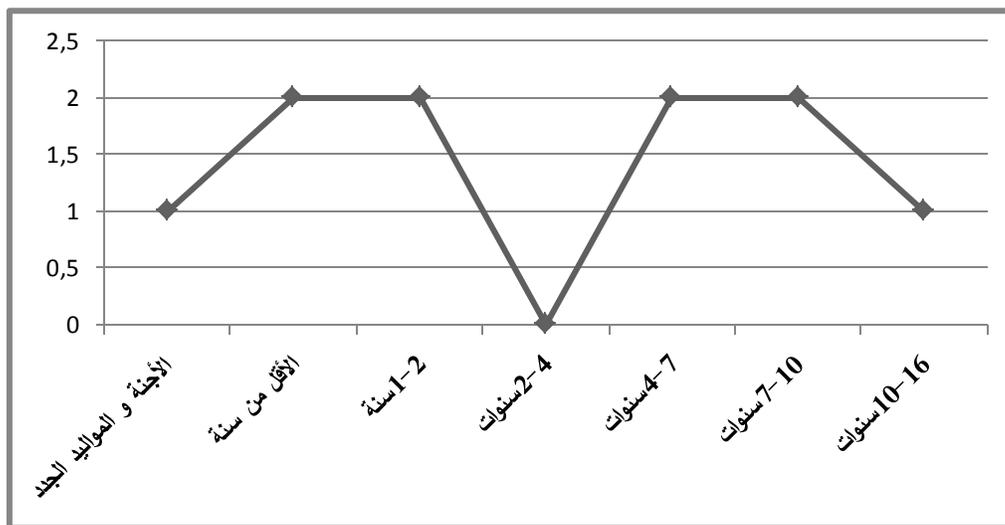
1.4.6 توزيع الأثاث حسب فئة العمر لدى الأطفال

سبق وأن ذكرنا أن الأطفال الذين نقل أعمارهم عن سنة هم من يحتل الصدارة من حيث عدد الوفيات وذكرنا أن عدد الأثاث لدى الأجنة والمواليد الجدد يقارب أو يساوي الفئات الأكبر. فيما يخص توزيع الأثاث المتواجد في الغرفة الجنائزية، نلاحظ أن فئة الأقل من سنة هي التي تسجل أكبر عدد من العناصر (23 عنصر) مقابل 7 عناصر لدى فئة الأجنة والمواليد الجدد؛ 4 عناصر لدى فئة الـ 1-2 سنوات؛ 9 لدى فئة الـ 2-4 سنوات؛ 4 لدى فئة الـ 4-7 سنوات؛ 3 لدى فئة الـ 7-10 سنوات وأخير 6 عناصر لدى فئة الـ 10-16 سنة. بذلك فالفارق ملحوظ ما بين الأقل من سنة وبقية الفئات.

أما عن الأثاث المتواجد خارج الغرفة أو في تراب الردم، فتقل فيه تلك الفوارق حيث نجد آنية واحدة في قبر من فئة المواليد الجدد وآنية ثانية لدى فئة ال 10-16 سنة؛ بينما يرتفع العدد إلى آنيتين لدى فئات الأقل من سنة، 2-1 سنوات، 7-4 سنوات و 10-7 سنوات، في حين ينعدم تماما لدى فئة ال 4-2 سنوات (الرسم البياني رقم 8 و 9).



الرسم البياني 8: توزيع الأثاث المتواجد في الغرفة الجنائزية حسب فئات العمر



الرسم البياني 9: توزيع الأثاث المتواجد خارج الغرفة أو في الردم حسب فئات العمر

تدلي قلة عدد الأثاث المتواجد خارج الغرفة الجنائزية أو في تراب الردم، أيا كانت الفئة، بأنه لم يكن هنالك فرق في التعامل بين الأطفال حسب فئات العمر، بينما نلاحظ أن عدد عناصر الأثاث المتواجد بداخل الغرفة الجنائزية يفوق بشكل واضح لدى فئة الأقل من سنة مقارنة بغيرها من الفئات وهنا نسجل فرق في التعامل قد يستحق شيئا من التفصيل.

عادة ما يتم ربط قلة المرفقات بسن المتوفين، سواء تعلق الأمر بمسألة الإهتمام أو بمصنوع الإجتماعي؛ هذا وتم إثبات وجود فوارق حسب المواقع وخاصة تبعا لما إن كان التنقيب في المقبرة مكتملا أو جزئيا²¹⁹. تم كذلك اقتراح تفسير آخر لقلّة تلك المرفقات والمتعلق بقضية محتملة للذين قلت أعمارهم عن سنة (خاصة الأقل من ستة أشهر) بحيث تمنحهم الوفاة في تلك السن مصفا استثنائيا: ما بين عالمين، أي أنهم بمثابة الخط الرابط بين العالمين وهو ما يفسر، تبعا ل هـ. بينيشو - سفر بالنسبة لتوفات سالمبو، إعادتهم إلى الآلهة (بعل-تانيت) ومنحهم دور الحلقة الرابطة بين الآلهة والأحياء، كما ترى الباحثة في عزلهم الطوبوغرافي، رغبة في منحهم مصفا لم تسمح الولادة بتحقيقه²²⁰، في حين يعزز صغر السن ذلك المصفا بين العالمين لدى ل ت. فيدرمان، من خلال اللعب المتوفرة أو لدى ل ن. بايلس وف. بلانشارد، من خلال تواجدهم بالملكيات الزراعية أو في ورشات الحرف المهجورة.

بعبارة أوضح، يتم دفن الأقل من سنة في فضاءات كانت مورد رزق ورفاهية مادية، لإهدائهم قربانا للآلهة التحتية قصد التعبير عن العرفان أو لجلب مباركة الآلهة لمشروع بناية جديدة أو حتى لتطهير المكان²²¹. في ذات السياق، أثبتت الحفريات المصرية من جهتها تداول دفن الأجنة، المواليد الجدد والرضع (أقل من ستة أشهر) في فضاءات الحياة اليومية خلال الإمبراطورية القديمة ومن ضمن المواقع،

²¹⁹ فيما يتعلق بفترة فجر التاريخ واستمرارية الممارسات خلال الفترة الرومانية ببلاد الغال، يُراجع: Baills-Talbi et Blanchard, 2006. فيما يتعلق بمقابر بلاد الإغريق أو المستوطنات الإغريقية، يُراجع: Dubois, 2012.

²²⁰ Bénichou-Safar, 2007, p.7 ; Bénichou-Safar, 2012, p.268.

²²¹ Baills-Talbi et Blanchard, 2006. pp.188; Wiedermann, 1989, pp.177-178.

نذكر موقع كوم الحصن (بدلتا النيل، أقصى شمال مصر) أو مدينة عين أصيل²²²، أين كشف الآثاريون عن قبور رُضِعَ تم دفنهم في فضاءات العيش²²³.

ما نستنتجه هو أن فرضية القدسية بالنسبة لفئة الأقل من سنة قد تفسر الوفرة العددية للأثاث في قبورهم بالمقبرة الشرقية، خاصة إن اعتبرنا التأثيرات اليونانية وإن تذكرنا الأهمية التي أولاها اليونانيون للأطفال، الذين لطالما تم إهدائهم قربانا للإله بعل²²⁴. يسمح ما سبق باحتمال أن وفرة الأثاث تلك لا تقوم على التفوق العددي لفئة الأقل من سنة فحسب وإنما قد يتسع إلى أولويات ذات الطابع العقائدي، باعتبار قبور أكبر الفئات ضئيلة من حيث الأثاث.

1.4.7 تموضع الأثاث الجنائزي في قبور الأطفال (الأواني والمصابيح)

تماشيا والدور الوظيفي للأواني في الحياة اليومية، فقد تستمر وظيفتها في شكل رمزي بعد الوفاة وهو ما يثبته توفر الحلي والطلاسم في الإطار الجنائزي²²⁵. في الحالة التي تهمنا، نحتمل كذلك أن لتموضع الأثاث في أماكن معينة من القبر وبالتحديد من الجثة، خلفية توحى بفعل مبرمج (بالقرب من الرأس؛ بين الرأس والكتف؛ على مستوى الذراع واليد مثلا). يبقى الهدف من ذلك غامضا لكن قد يكون لتوجيه انتباه المتوفي نحو ما اعتاد عليه من أواني في حياته اليومية من خلال ربط التموضع بالوظيفة. على هذا الأساس، ارتئينا محاولة تحديد ما إن كان لتموضع الأواني والمصابيح رمزية تشير إلى ما سبق ذكره.

ركزنا في إحصائنا للأواني على الأطباق والصحون، القلال والقليبات، الكؤوس والأكواب مع إدماج المصابيح ولاحظنا مبدئيا أنه تم منح أهمية للجزء العلوي من الجسم وبالتحديد الجمجمة والكتف، ليليها الذراع (الرسم البياني رقم 10).

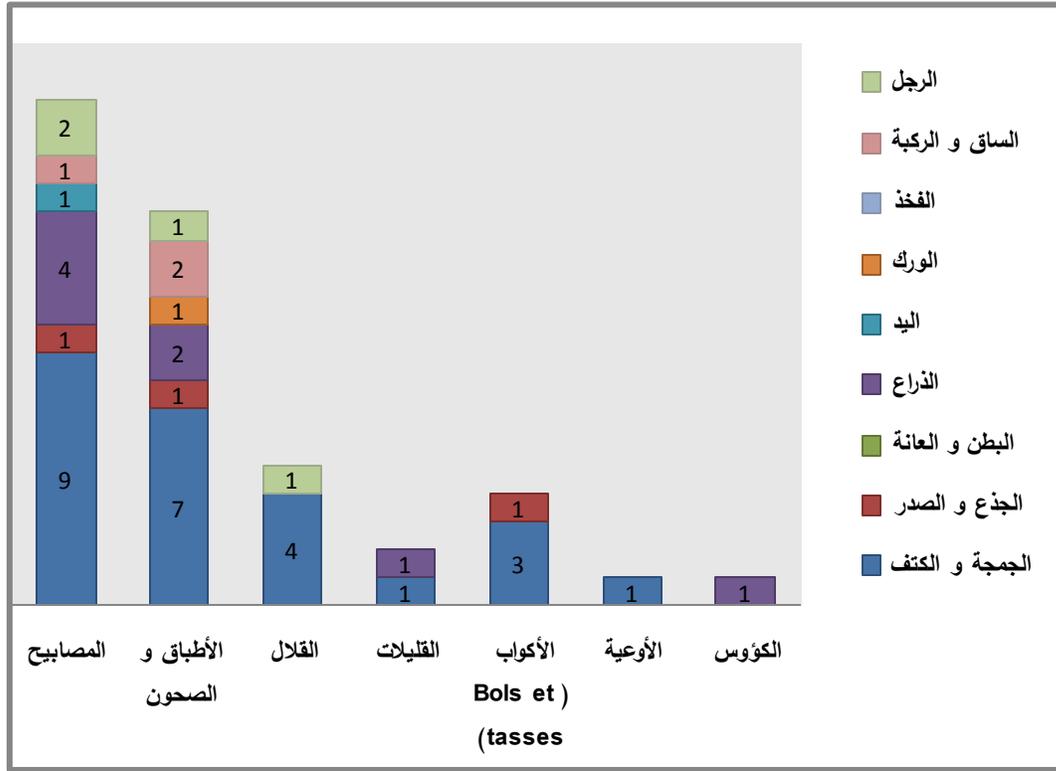
²²² مدينة تقع في واحة الدخلة؛ استقر فيها فراعنة العائلة السادسة إلى غاية المرحلة الانتقالية الأولى، في حدود 2330-2100 ق.م. يحمل عادة الموقع تسمية البلاط ويشتمل على مدينة محصنة على مساحة 40 هكتار بما في ذلك مقبرة .

²²³ Tristant, 2009, p.46-47.

²²⁴ تعتمد س. دي لارمينا في هذا الإطار على مقال للباحثة ه. بينيشو - سفر التي برهنت أنه تم إهداء الأطفال المتوفين للإلهين بعل أو تانيت بعد وفاتهم وليس قبل ذلك.

Bénichou-Safar, 2004 Cité dans De Larminat, 2016, p.79.

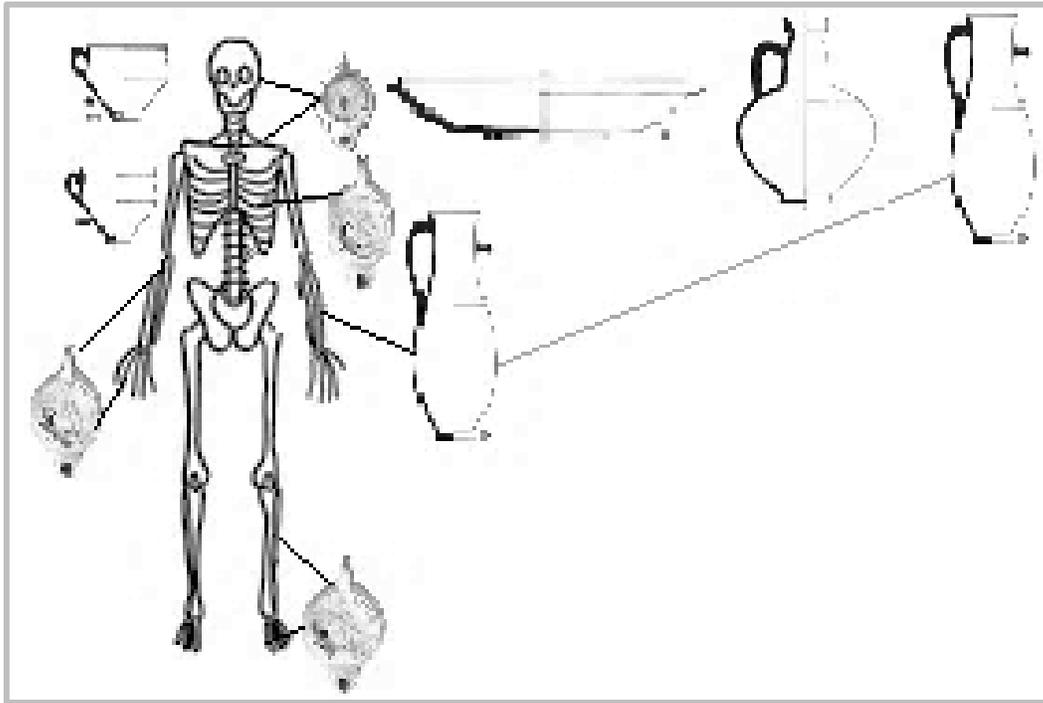
²²⁵ Camps, 1961, p.527.



الرسم البياني 10: تموضع الأواني والمصابيح في القبر لدى فئة الأطفال

فيما يتعلق بالمصابيح، فقد أحصينا 80 بالمئة منها على مستوى الجمجمة أو ما بين الجمجمة والكتف؛ أما الأواني، فلاحظنا نفس التهيئة، مع 50 بالمئة من الأطباق والصحون. فيما يخص القلال، فعددها ضئيل وأحصينا أربعة منها (على مجموع خمس وحدات) فضلا عن وعاء واحد، متموضعين على مستوى الجمجمة أو ما بين الجمجمة والكتف. فيما يخص القليلات، فقد تم إحصاء وحدتين، إحداهما على مستوى الجمجمة والثانية على مستوى الذراع وأخيرا أربع أكواب، ثلاث منها على مستوى الجمجمة والرابع على مستوى القفص الصدري. نحتمل أن للتموضع المذكور أعلاه خلفية مفادها تقريب الأواني من الفم أو اليد. أما فيما يتعلق بالمصابيح، فإن أحصينا وحدات وُضعت على مستوى الرجل (2)، الساق (1) أو الصدر (1)، لاحظنا كذلك أنه على مجموع 18 وحدة، أتت تسعة منها متموضعة على مستوى الجمجمة أو الكتف، 4 منها على مستوى الذراع ومصباح واحد على مستوى اليد، مما يؤول بنا إلى مجموع 14 مصباحا وُضع في مواقع من الهيكل تمنح أهميتها لوظيفة الإنارة الرمزية (الرأس والأعين) وكذا الحمل

الرمزي فيما يخص المصابيح المتواجدة على مستوى اليد أو الذراع (الصورة رقم 3). يبقى أن نشير في هذا الإطار بالتحديد إلى أن مساحة الغرف الجنائزية أو الحفر أتت ضيقة أحيانا مما أدى دوره في تموضع الأثاث بحيث وُضع في تلك الحالات أينما توفر فضاء وبذلك، تبقى الإقتراحات المذكورة أعلاه محل احتمال.



الصورة 3: نموذج توضيحي لتموضع الأثاث (من تصرف الطالبة)

1.4.8 علاقة المصابيح بخلود الروح

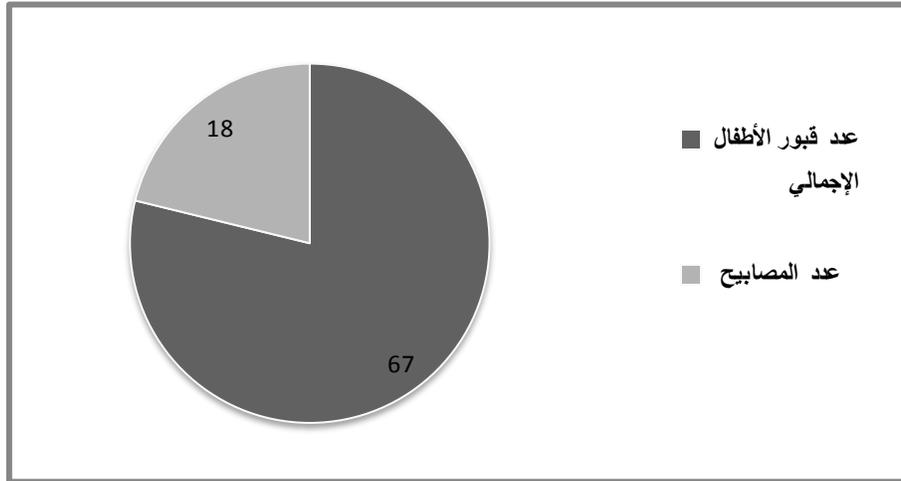
لقد شاع إدماج المصابيح في الإطار الجنائزي لدى العديد من الحضارات لكن، إن وُجدت في المقابر الإتروسكية والإغريقية، فالرومان هم من لجئوا إلى استعمالها باستمرار وبشكل واسع، خاصة خلال الإمبراطورية العليا، أين ظهر طقس تأليه الأباطرة. تكمن العلاقة بين المصباح وتأليه الأباطرة في فكرة النور الذي يسمح بتقديس الآلهة مانس من جهة ويضمن خلود الروح من جهة ثانية²²⁶.

²²⁶ Rochette, 1838, P.564.

خصص المؤرخ بلوتارخ (Ploutarkhos) في الجزء الثاني من مؤلفه "Quaestiones romanae"، فقرة موجهة للعرافين أين يُذكرهم، خلال إقامة طقوسهم في الأيام الشديدة الرياح، بأن المصابيح ليست إلا الجسد (بمعنى الحاوي) بينما تكمن الروح في الشعلة التي تحتضنها والتي لا بد أن لا تتطفأ أبداً²²⁷. نلتمس هنا الرمزية الأولى للمصباح من خلال ربط نور الشعلة بخلود الروح.

أما عن الرمزية الثانية، فتتمثل في دور المصابيح في إبعاد الأرواح الشريرة والعفاريت وتسهيل، على حد تعبير ف.كومون، سفر روح المتوفي إلى العالم الثاني²²⁸. يضيف من جهته ر. روشيت أن وجودها، سواء بداخل القبر أو خارجه، نابع عن أمل في اندماج روح المتوفي ضمن عالم الأموات وأبعد من ذلك، يُدلي وجودها خارج القبور بإقامة المراسيم الدينية²²⁹.

انطلاقاً مما سبق، قمنا بإحصاء عدد المصابيح المتواجدة بداخل وخارج الغرفة الجنائزية لتحديد ما إن كان هنالك أمل بالنسبة لتلك الفئة في دخولها العالم الثاني، مقارنة بفئة الراشدين (الرسم البياني رقم 11).



الرسم البياني 11: توفر المصابيح في قبور الأطفال

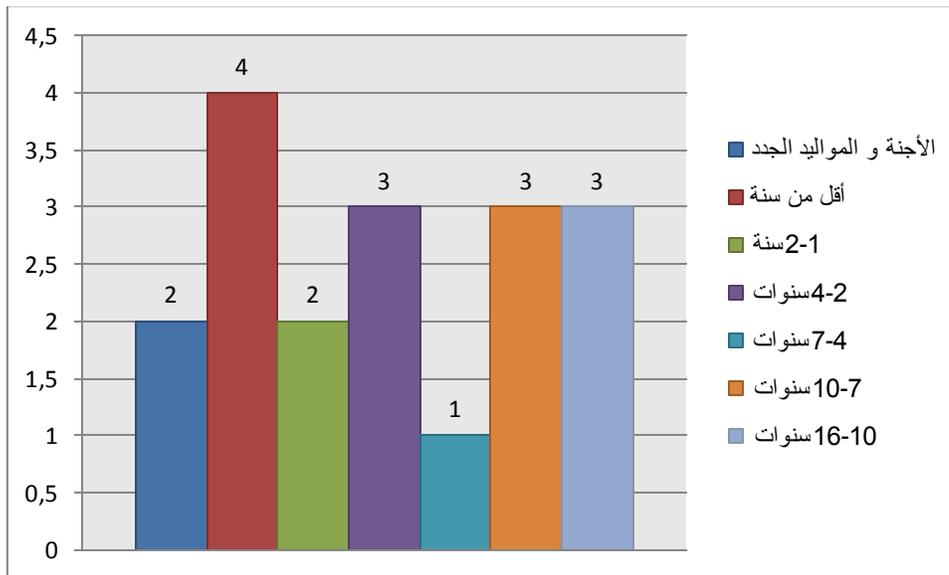
²²⁷ Plutarque, *Questions romaines*, II, paragr.72.

هي نصيحة وجهها المؤرخ للعرافين الذين يقيمون طقوسهم في أوقات تعزف فيها الرياح بشدة، مما يؤثر من جهة أولى على مجرى طيران الحمام والعضافير ويطفئ شعلة المصابيح من جهة ثانية.

²²⁸ Cumont, 1949, p.48 Cité dans Manniez, 2005, p.227.

²²⁹ Rochette, 1838, p.566.

نرى مبدئياً أن عدد المصابيح ضئيل جدا (18 وحدة) مقارنة بالعدد الإجمالي للقبور (67 قبراً) لكن نشير، في هذا الإطار، إلى أن غيابها الكلي في مقبرة الأطفال بمدينة تيسدروس²³⁰ يعزز أهميتها حين توجد. نلاحظ كذلك تباين طفيف في التوزيع حسب فئات العمر (الرسم البياني رقم 12).



الرسم البياني 12: توزيع المصابيح في قبور الأطفال حسب فئات العمر

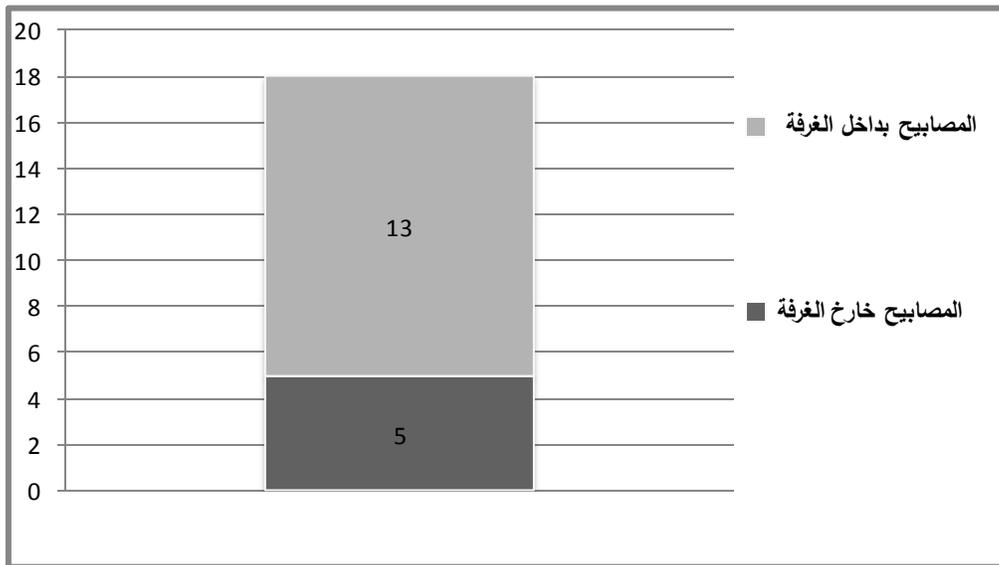
نستنتج من خلال الرسم البياني أعلاه أن فئة الـ 4-7 سنوات هي التي تحصي أقل عدد (عنصر واحد) وذلك يعود إلى قلة تلك الفئة عموماً في رصيد الأطفال الإجمالي، متبوعة بفئة المواليد الجدد، فئة الـ 1-2 سنة (عنصرين) ثم بالتعادل فئات الـ 2-4 سنوات، 7-10 سنوات و 10-16 سنة. إن اعتبارنا الفروقات البسيطة وأضافنا ما سبق ذكره حول خصوصيات فئة الأقل من سنة، يمكن أن يكون احتلال تلك الفئة الصدارة ناتجاً بدوره عن فعل مبرمج، حيث كان من الممكن إقصاء ذلك العنصر الأساسي من المرفقات بسبب صغر سنهم؛ من جهة ثانية، ونظراً لضعف الفارق مرة أخرى، فلا يمكن تجاهل كذلك أن يكون لعدد المتوفين المرتفع لدى فئة الأقل من سنة دوراً في احتلالهم الصدارة.

²³⁰ De Larminat, 2012, p.301.

أما عن تموضع المصابيح (داخل أو خارج الغرفة)، فنلاحظ أن تلك التي عُثر عليها خارج الغرفة ضئيلة إذا ما قورنت بالمصابيح المتواجدة بالداخل (5 مقابل 13) كما أنها متداولة لدى كل الفئات، باستثناء فئة ال 4-2 سنوات (القبر 49: جنين؛ القبر رقم 77 : أقل من سنة؛ القبر رقم 6: 1-2 سنوات؛ القبر رقم 3: 4-7 سنوات والقبر رقم 4: فئة 7-10 سنوات).

نشير مرة ثانية إلى أن القبر رقم 49 يحتضن جنينا بصفة مؤكدة. بالرغم من القلة العددية، نلتبس وجود أمل في البعث بالنسبة لكل الفئات ولاسيما الأجنة التي أحصينا لديها أقل نسبة من المرفقات (7 عناصر من ضمنها مصباحين).

يحلينا توفر تلك العناصر من جهة ثانية، إلى الإحتمال بأن قلة الأثاث لدى فئة الأجنة ليس على علاقة بأهمية المتوفي أو بمنح الإسم بقدر ما هو مرهون بما اعتاد عليه المتوفي²³¹. نحتمل أن كان للطفل كيانا معترف به حتى وإن لم يتم ادماجه في العائلة أو المجتمع بصفة رسمية (الرسم البياني رقم 13).



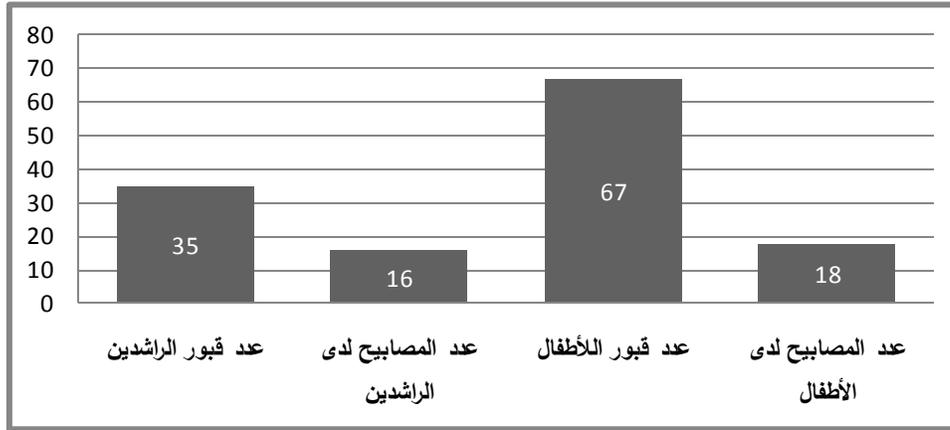
الرسم البياني 13: تموضع المصابيح في قبور الأطفال

²³¹ Dedet, 2008, p.161.

إذا ما قارننا عدد المصابيح في قبور الأطفال بتلك المتوفرة لدى فئة الراشدين، فنلاحظ أنه على مجموع 35 قبر راشد، تم إحصاء 16 مصباح، مما يدلي بفرق في التعامل بين الفئتين باعتبار أن نسبة قبور الراشدين خلال مرحلة الدفن تمثل 33 بالمئة فقط من مجموع القبور (مقابل 66 بالمئة من المجموع بالنسبة لفئة الأطفال). لكن إن ركزنا على العدد، فنلاحظ أن 16 مصباحا على مجموع 35 قبرا يحيلنا إلى أن 19 قبر راشد يخلو من ذلك العنصر، هذا مع اعتبار توفر مصباحين في أحد القبور، مما يُضفي بعض الشك فيما إن كانت قلة المصابيح على علاقة بفرق في التعامل بين الفئتين أم أنها مرة ثانية نابعة من توجه عام للمقبرة الشرقية لمدينة سطيف خلال مرحلة الدفن البدائية؛ توجه قد يعود إلى قلة الإمكانيات المادية أو إلى نظرة مغايرة لمفهوم الموت والأولويات وفي هذا السياق، نُذكر ب:

- اللجوء إلى عدد معتبر من المسامير ذات الوظيفة السحرية مرجحا لدى فئة الراشدين والتي تكاد تنعدم لدى الأطفال: 285 عنصر لدى الراشدين (القبور رقم 20، رقم 32، رقم 36، رقم 90، رقم 91)، مقابل مسمارين غير محددى الوظيفة لدى فئة الأطفال (الأول في قبر يشتمل على مصباح قد ينتمي إليه (القبر رقم 69) والثاني ذات الوظيفة السحرية (القبر رقم 77)).

- تعادل القطع النقدية لدى الفئتين (4 قطع لدى فئة الراشدين مقابل 4 قطع لدى فئة الأطفال)، من ضمنها قطعة تابعة لرضيع يبلغ من العمر بضعة أسابيع.
إن وُجد فرق فعلي في التعامل على أساس المصير، لحظيت قبور الراشدين بوفرة أكبر فيما يتعلق بالمصابيح وكذلك القطع النقدية (الرسم البياني رقم 14).



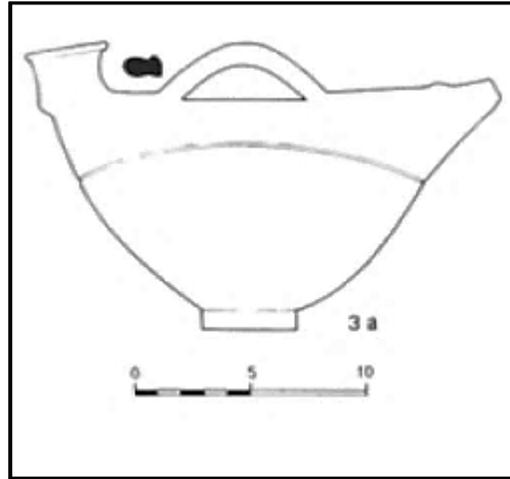
الرسم البياني 14: رسم بياني يوضح الفارق بين عدد المصابيح لدى فئة الأطفال والراشدين تماشيا وعدد القبور.

1.4.9 المرفقات الاستثنائية

إلى جانب الأواني والحلي، تم إحصاء جملة من الأثاث الإستثنائي تتمثل في:

- عنصر غير محدد، عُثر عليه في الردم (القبر رقم 70/ فئة الأقل من سنة) ويتخذ شكلا مخروطيا مشكل من مختلف المواد (العظم، البرونز، النحاس والخشب)²³².
- آنية فخارية من نوع "Askos" أو "Guttus" والتي تُعرف بالرضاعات "Vase biberon" (القبر رقم 3 / فئة ال4-7 سنوات) (الرسم رقم 1).

²³²Guéry, 1985, p.102.



الرسم 1: أنية من نوع Askos عُثر عليها في قبر طفل. رقم 3. عن:

Guéry, 1985, pl. 33.

عادة ما تُنسب تلك الأواني إلى قبور الأطفال نظرا لدلالاتها المرتبطة بالرضاعة وهي متوفرة في مقابر شمال إفريقيا، على غرار مدينة غورايا بالجزائر وكذا المقابر القرطاجية السابقة للإستيطان الروماني ولاسيما مقابر تلة بيرسا، أين عُثر على الرضاعات إما في قبور أنفورية، إحتضنت هياكل أطفال وراشدين معا أو هياكل أطفال بمفردهم²³³ ويشير ر.ب. دولاتر بأن الرضاعات تُشكل عموما كل ما احتضنه قبور الأطفال²³⁴؛ هي متوفرة كذلك في المقاطعات الأخرى كبلاد الغال²³⁵ واليونان أين تطرح إ. د. بابايكونومو إشكالية الفطم من جهة وتحضيرات الأمومة المستقبلية والمجهضة من جهة ثانية²³⁶.

²³³ تم احصائها في مقابر مدينة قرطاج حيث تصل نسبة القبور التي عُثر فيها على نموذج واحد (على الأقل) ب 10.5 بالمئة خلال القرن الرابع ق.م، ليتم تسجيلها بوفرة خلال القرن الثالث ق.م مع إدماج بعض القبور التابعة للمسنين. يبدأ تراجع ذلك النوع من الأواني خلال القرنين الأخيرين (الثاني والأول ق.م) وفي القبور التي وجت بها، فلم تأتي الفوهة مثقوبة. يراجع: Bénichou-Safar, 1982, pp.311-318 et 264(note de bas de page).

عُثر على نموذجين بمدينة غورايا على ساحل موريتانيا القيصرية وذلك في قبر يُحتمل أنه تابع إلى طفل. يراجع: Missonnier, 1933. pp.104-105.

²³⁴ يحتوي القبو S، الواقع بتلة سان لويس (المنحدر الجنوبي الغربي) على قبر أنفوري يحتضن هيكل راشد مصحوبا بهيكل طفلين. تشتمل الأنفورة على رضاعة، وعاء وخاتم. يشتمل بدوره القبر الأنفوري D على رضاعة، وعاء وطبق. تشتمل كذلك عشر قبور تابعة للأطفال، بالقرب من السور البوني دوما بسان لويس بتلة بيرسا، على رضاعات مصحوبة بمرفقات أخرى من ضمنها الطلاسم، فضلا عن قبر تابع لطفل يحتضن رضاعة، قنينة زجاجية للروائح مخلفات تابعة لإسوار يراجع:

إن علاقة الرضاعات بالأطفال لا تقصي العثور عليها في قبور الراشدين أو البنات اللواتي بلغن سن الزواج وفي كل الحالات، قد تكون مرتبطة إما بفكرة الرضاعة الإصطناعية أو بفكرة الشفاء والتداوي.²³⁷ لما تتوفر في قبور الأطفال، فعادة ما لا يتجاوز سن المتوفي 3 سنوات²³⁸ وهو عموماً سن الفطم، لكن تتعدّد المسألة لما تتواجد في قبر طفلة في سن البلوغ مثلاً. يحتمل بعض الباحثين، على غرار ن. روكي، بأنها قد ترمز إلى مضخة للثدي ومن ثمة إلى مصف المتوفية²³⁹، في حين حاول البعض الآخر التدقيق في طبيعة ذلك المصف: هل يتعلق الأمر بوفاة البنت جراء عملية التوليد أو إثر حادثة إجهاض ونحن نعلم أن السن القانوني للزواج لدى الرومان هو 12 سنة أو أن الأمر يتعلق بتحضيرات أمومة مستقبلية؟²⁴⁰ نتساءل حينها عن سبب وجوده في القبر إن كان ليعكس واقعاً لم يتحقق. بعبارة أوضح، هل نحن أمام مصف المتوفية قبل وفاتها أم أمام مصيرها بعد الوفاة؟.

أما إن عُثر على رضاعة في قبر طفل مثل القبر رقم 3 الذي يهنا (4-7 سنوات)، فيشير ذلك عموماً إما فعلاً إلى مصف المتوفي عند الوفاة وهو سن الفطم أو إلى النقل العاطفي باعتبار الرضاعة آخر ما لجأ إليه الطفل قبل وفاته²⁴¹. تشير إ.د. ببايكونومو في خاتمة حول حدة الضرر أمام وفاة الأم جراء عملية إجهاض أو توليد، إلى أمل الأهل في أن يواصل الطفل مشواره نحو "عالم آخر" ولما لا، أن يعود إلى ما سبق مرحلة الولادة أي إلى بطن الأم²⁴². يمكن احتمال من المعطيات السابقة أن الأنية التي تهنا قد تعكس ذلك النقل الرمزي المتعلق بالمصير وإلا لكان من الممكن إدماج عناصر أخرى اعتاد عليها الطفل

Delattre, 1893, pp.107 et 111 ; Lapeyre, 1934, p.348.

²³⁵ Centlivres Challet, 2016.

²³⁶ Papaikonou, 2008, p.705.

²³⁷ تشير الباحثة إلى توفر الرضاعة في القبور الإغريقية منذ العصر الحجري الحديث؛ هذا وتم ربطها بمرحلة الفطم خلال القرن الثاني ميلادي في نص للطبيب سورانوس الإفسسي، كما تشير الباحثة إلى توفرها في قبور الراشدين كذلك وإلى دورها كحاوي لمختلف الأدوية والتي، بفعل ضيق قناة الفوهة، تسمح بالتحكم في الكميات المأخوذة.

Dubois, 2012, p.336-337.

²³⁸ De Larminat, 2012, p.299.

²³⁹ Rouquet, 2003, p.168 In Papaikonou, 2008, p.704.

²⁴⁰ Papaikonou, 2008, 705.

²⁴¹ Centlivres Challet, 2016, p.175.

²⁴² Papaikonou, 2008, p.130.

كألعب مثلاً. من جهة ثانية، فقد أثبتت دراسات أن تم ملئ بعض تلك المخلفات بالحليب، مما يطرح سؤال الجدوى من ذلك²⁴³.

هل يعني إتمام المسار أن هنالك أمل في بلوغه سن الرشد؟ إن يصعب الجزم في المسألة، لنا أن نحتمل أن أمل العودة إلى نقطة الإنطلاقة غير عفوي وقد يتعلق بفرصة إتمام ما لم يحض الطفل بتحقيقه حياً. هو تساؤل يرد كذلك لدى م. كارول حين تشير إلى توفر أغذية يدلي سن الطفل بأنه لم يكن قادراً على استهلاكها بعد²⁴⁴. في نفس السياق، نشير إلى العثور، في قبر طفل بمقبرة بوبوت، على قاعدتي حذاء ذات المقاسات الخاصة بالراشدين (43-44 سم) (الصورة رقم 4)²⁴⁵، كما تم العثور على قاعدتي حذاء بمقبرة لبتيمينوس تأتي مقاساتها أصغر بكثير (وفقاً لتقييم س. دي لارمينا) من سن المتوفي (30 سم لطفل ما بين 11 و13 سنة)، هذا فضلاً عن وضعها على مستوى رجلي المتوفي ولو أنها تقع خارج القرميد التي يغطي الجثة²⁴⁶. في الحالة التي تهمننا، نلاحظ أن الطفل قد تجاوز سن الفطم (4-7 سنوات) ومن هذا المنطلق، فإن لم تتفق الآنية وسن المتوفي ولا مع سن الزواج، قد نحتمل رسالة أخرى يصعب تحديدها على غرار المرض الذي استوجب اللجوء إلى آنية للتداوي وفي تلك الحالة، فقد تفوق وظيفتها الثقل العاطفي المتعلق بأخر وجبة أو دواء للمتوفي لتنتسح إلى أمل في فرصة الشفاء. يمكن كذلك أن نحتمل خلافاً في تقييم الباحث للسن باعتبار غياب دراسات أنثربولوجية دقيقة؛ هذا وأثبتت دراسات أنثربولوجية أدق باشر بها جملة من الباحثين بسرداب سان كاليكست بروما بأن سن الفطم تراوح عموماً ما بين سنتين وأربعة سنوات²⁴⁷ في حين اقترحت مجموعة أخرى فيما يتعلق بمقبرة إيسولا ساكرا (دوما بروما) بأن سن الفطم تم في حدود سنتين ونصف وأنه انطلق عموماً في حدود سنة أو حتى أقل²⁴⁸. نستنتج مما سبق من جهة، إمكانية أن يكون المتوفي في القبر رقم 3 لم يتجاوز سن الفطم مما يربط الرضاعة بوظيفتها كمؤشر للسن لكن تحيلنا نتائج التحاليل المذكورة أعلاه إلى اعتبار عنصر التفاوت في مسألة

²⁴³ Challet Centlivres, 2016, 157-158-172.

²⁴⁴ Carroll, 2018, p.245.

²⁴⁵ De Larminat, 2012, p.303.

²⁴⁶ Stirling *et al.* 2001, fig. 2.15.f., p.120, cité dans De Larminat, 2012, p.303.

²⁴⁷ Rutgers *et al.*, 2008, 1331.

²⁴⁸ Prowse, 2008, p.304.

السن ما بين موقعين في مدينة واحدة (روما) ومن ثمة، صعوبة الجزم دون أبحاث تخص موقع مدينة سطيف بالتحديد.



الصورة 4: زوج لقاعدة حذاء شخص راشد وُضع في قبر طفل (لم يتبق من القاعدة إلا المسامير). عن:

De Larminat, 2012, fig.7, p.303

1-5 حماية القبور لحماية الجثث؟

لن نتطرق فيما يلي إلى أنواع القبور في كل نمط لدى فئة الأطفال، باعتبارها لا تختلف عن فئة الراشدين لكن سنشير إلى النسب التي سجلها الباحث ر.جيري فيما يتعلق بالتقنيات. أشار الباحث الى أنه بينما كانت القبور المغطاة تمثل نسبة 94 بالمئة في النمط I-A (النمط الأقدم)، انحدرت النسبة إلى 82 بالمئة مع النمط I-B، لتصل إلى 58 بالمئة في النمط I-C (أحدث نمط في مرحلة الدفن البدائية) واستنتج أن التغيير الذي طرأ على القبور، على اختلاف الأنماط، قد يعود إلى قدم حرفيين بتقنيات جديدة وليس إلى تخلي المجتمع المحلي عن تقاليده²⁴⁹، هذا وسجل الباحث أنه، باستثناء القبر رقم 15، فقد حظيت كل القبور بعناية وبحماية.

²⁴⁹ Guéry, 1985, p.126.

بالرغم من الفوارق التي تميز حماية القبور، نلاحظ بذل جهد ملحوظ في حماية قبور الأطفال وذلك باللجوء إلى تقنيات متعددة نذكر منها (الجدول رقم 5):

- اللوحات الحجرية الكبيرة المقاسات أو الحجارة المسطحة والمائلة على الغرفة الجنائزية (المقطع رقم 8 / القبر رقم 2).

- الحجارة الكبيرة الحجم والتي استُعملت لسد الغرفة الجنائزية وبعدها القبر (المقطع رقم 10 / القبر رقم 14).

- اللوحة الحجرية لسد الغرفة الجنائزية، تعلوها تغطية طينية عازلة مزودة بحاشية طينية على الجوانب (المقطع رقم 11 / القبر رقم 12).

- التغطية المشكلة من قطع من الطين المقولب والمغطاة بالحجارة (المقطع رقم 13 / القبر رقم 30).

- اللوحات الحجرية الشستية والمغطاة بحجارة سميكة وعريضة (المقطع رقم 7 / القبر رقم 18).

- القبر ذات السقف المسنم والمؤطر بحجارة على الجانبين، تعلوه لوحة من نوع التيغولا (المقطع رقم 12 / القبر رقم 31).

- الصناديق الحجرية الكلسية، المغطاة بقطع قرميدية مسطحة ومتجانبة + قطع من التيغولاي + تراب ردم طيني وكلسي (المقطع رقم 9 / القبر رقم 13).

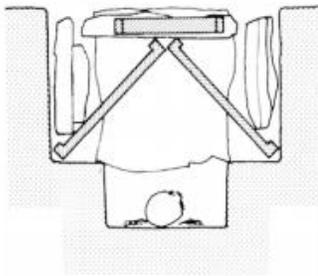
يوحى ما سبق بأنه تم الحرص، في أغلبية قبور الأطفال، على ضمان عدم تلف الجثة كما تم سد الفجوات في العديد من الحالات لمنع تغلغل المياه والترسبات باللجوء إلى شتى أنواع المواد (أكوام من الحجارة الصغيرة المتطابقة، حجارة كبيرة الحجم، لوحات حجرية متجانبة وغيرهم)؛ في بعض الحالات، تم مزج الطين بتراب الردم، المكوّن في حد ذاته من طين وكلس (Dépôt marneux)، مما شكل مادة لاصقة عززت تلاحم اللوحات الحجرية فيما بينها. في حالات أخرى، تم اللجوء إلى الطين كتغطية عازلة فوق الحجارة وتراب الردم الذي، كما سبق الذكر، ذات طبيعة طينية أساسا.



المقطع 9: القبر رقم 14 (جنين أو مولود جديد): كوم من الحجارة الكبيرة الحجم تسد الغرفة الجنائزية والقبر



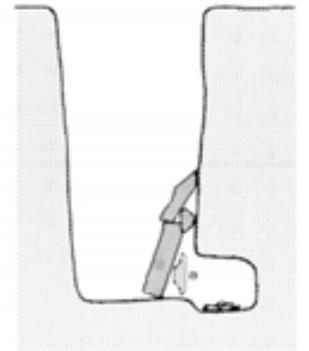
المقطع 10: القبر رقم 12 (فئة 1-2 سنة): لوحة حجرية تسد الغرفة الجنائزية تعلوها تغطية طينية عازلة مزودة بحاشية طينية على الجوانب



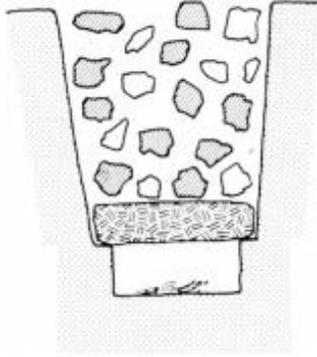
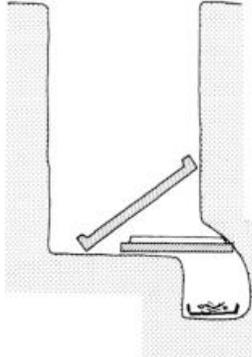
المقطع 11: القبر رقم 31 (فئة الرضع): قبر محمي بسقف مسنن مثبت بإطار من الحجارة على الجانبين تعلوه لوحة تيغولا



المقطع 6: القبر رقم 18 (بضعة أشهر): لوحات حجرية من نوع الشيست مغطاة بحجارة أكثر سمكا وعرضا



المقطع 7: القبر رقم 2 (بضعة أشهر): لوحات حجرية مسطحة موضوعة بشكل مانل على الغرفة الجنائزية

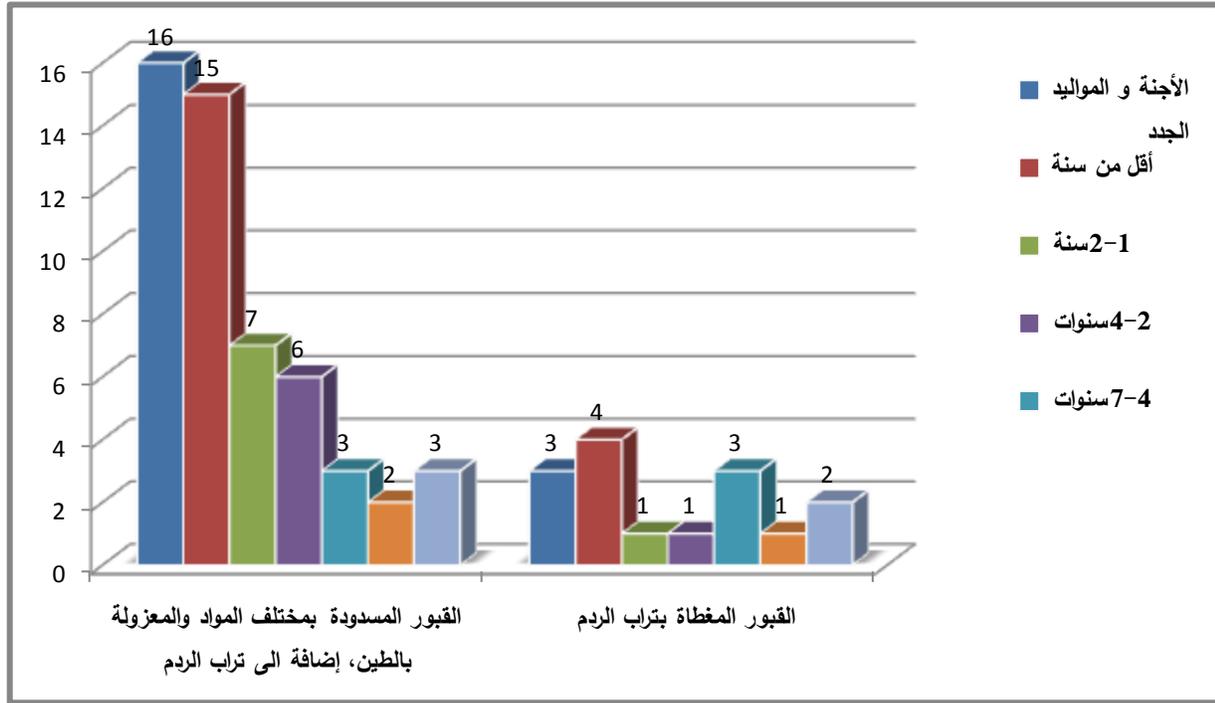
 <p>المقطع 12: القبر رقم 30 (مولود جديد): لوحة من الطين فضلا عن تغطية من الحجارة.</p>	 <p>المقطع 8: القبر رقم 13 صناديق حجرية من الكلس مغطاة بقطع من القرميد المسطحة والمتجانبة+ قطع فخارية من نوع التيغولا+ تراب الردم (طين وكلس)</p>
--	---

الجدول 6 : نماذج لحماية قبور فئة الأطفال

عن: Guéry, 1985, pp.58-60-61-63-75

1.5.1 حماية قبور الأطفال حسب فئات العمر

اعتمادا على الجدول الذي أعده الباحث ر. جيري والخاص بأنماط القبور والتغطية، لاحظنا أن الأغلبية الساحقة من القبور التي تم فيها الحرص على غلق القبر بشكل محكم، تعود إلى فئة الأجنة والمواليد الجدد (16 قبر)، متبوعة بفئة الأقل من سنة (15 قبر)، ثم بقية الفئات في تعداد تنازلي: فئة 1-2 سنة؛ فئة 2-4 سنوات؛ فئة 4-7 سنوات؛ فئة 7-10 سنوات، ليرتفع العدد بشكل بسيط مع فئة 10-16 سنة (الرسم البياني رقم 15).



الرسم البياني 15: توزيع تقنيات حماية القبور حسب فئات العمر

قد يعود ارتفاع عدد القبور المحمية لدى الأقل من سنة، بما في ذلك الأجنة، إلى ارتفاع العدد الإجمالي للوفيات خلال السنة الأولى من الطفولة حيث تسجل تلك الفئة أعلى النسب (40 حالة)، هذا ونلاحظ تقريبا واضحا ما بين عدد القبور المحمية لدى بقية الفئات، رغم قلة العدد الإجمالي لكل منها (فئة 1-2 سنوات : 7 حالات؛ فئة 2-4 سنوات : 6 حالات؛ فئة 4-7 سنوات : 3 حالات؛ فئة 7-10 سنوات : حالتين؛ فئة 10-16 سنة : 3 حالات). انطلاقا من ذلك، نحتمل أن كان الحرص على حماية قبور الأقل من سنة ناتج عن فعل مبرمج حيث كان من الممكن الإستغناء عن توفيرها أو اللجوء إليها بعدد أقل.

بالمقابل، نلاحظ انطلاقا من العدد الإجمالي للقبور، قلة تلك التي تم الإكتفاء بتغطيتها بتراب الردم أو بأكوام من الحجارة الدبشية (52 قبر محمي مقابل 15 قبر مغطى بتراب أو حجارة الردم) مما يعزز احتمال حرص المجتمع المحلي على حماية فئة الأقل من سنة بما فيها الأجنة والمواليد الجدد لكن دون

تجاهل بقية الفئات، باعتبار أنه إن لم تكن حماية القبور من الأولويات، لما اندمجت أغلبيتها ضمن النمط المحمي.

نشير أخيرا إلى أنه تم العثور على سبعة صناديق خشبية على طول مرحلة الدفن البدائية ونعلم أنها تُعد بدورها من ضمن السبل التي تساهم في توفير حماية للجثة. بالرغم من قلة العدد، فكلها تابعة لفئة الأطفال؛ نضيف أنه باستثناء القبر رقم 43 التابع لطفل من فئة ال 1-2 سنة، فأربعة صناديق تابعة لفئة الأجنة أو لمواليد جدد (القبر رقم 49: جنين أو مولود متوفي، القبر رقم 78: مولود متوفي أو رضيع؛ رقم 79: جنين أو مولود متوفي؛ رقم 13: جنين أو مولود متوفي)، صندوق تابع لرضيع يبلغ من العمر ما بين 1 و3 أشهر (القبر رقم 9) وصندوق تابع لطفل يبلغ من العمر أقل من سنة (القبر رقم 77).

نلاحظ مرة أخرى أن فئة المواليد الجدد والأقل من سنة أوليت اهتماما خاصا ومن ثمة، فاختيار تغطية محكمة لقبورهم، كما سبق الذكر، ليس مرهون بكونهم يشكلون الأغلبية بقدر ما هو نابع عن اختيار عمدي مبرمج قد يعود إلى ضعف تلك الفئة من الناحية الصحية والاجتماعية (مما استوجب تحصينها أكثر) أو إلى منحها نوع من القدسية مثلما أشرنا في فقرات سابقة.

تطرقت م. كارول بإيجاز إلى مسألة الحماية في قبور الأطفال على أساس أنها توحى بلطف في المعاملة والذي يثبت حسب الباحثة اهتمام الأهل براحة الطفل، مشيرة إلى العثور في المقابر الإيطالية (على غرار بورتا نوشيرا بمدينة بومبيي) على قبر أنفوري احتضن هيكل طفل توحى فيه وضعية الرأس بتهيئة وسادة له. تشير كذلك الباحثة إلى أن ذلك النوع من الممارسات لا يرد في المصادر²⁵⁰. نفهم مما سبق، أن صمت المصادر لا يعني انعدام الإهتمام، كما يحيلنا ذلك إلى ضرورة الحذر في التأويلات التي قد تنجر عن قلة المرفقات واعتبار تفاصيل أخرى.

1.5.2 عمق القبور وحماية الجثث

عادة ما تأتي قبور الأطفال أقرب إلى السطح مقارنة بقبور الراشدين وذلك سواء في مقاطعات افريقيا أو غيرها، لكن في حين لا يتجاوز عمقها في مقابر بلاد الغال عموما 0.50 م²⁵¹، نجد عمقها في مقابر

²⁵⁰ Carroll, 2011, p.106.

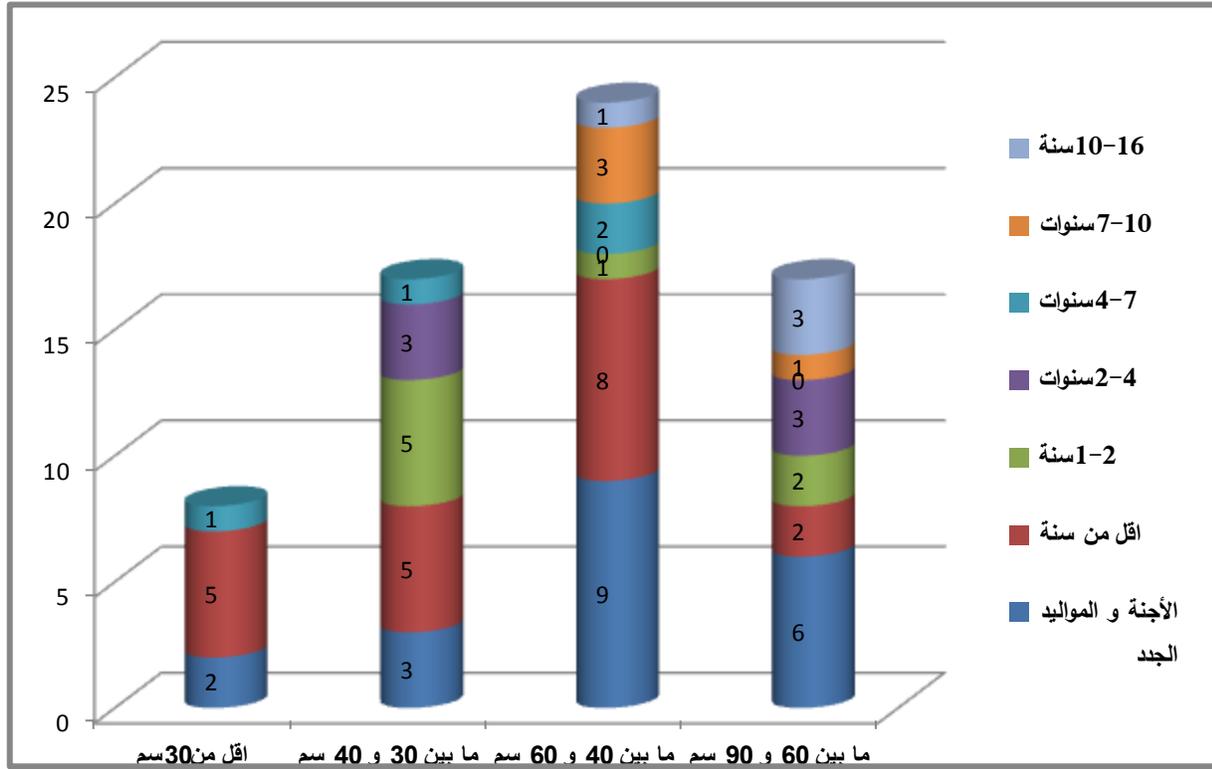
²⁵¹ Bails-Barré, 2016, paragr.40.

مدينة قرطاجة يتراوح ما بين 0.50 م و 4 أمتار مع معدل متداول يتراوح ما بين 0.50 و 2.50 م²⁵². بذلك، تفوق قبور الأطفال بقرطاجة بحوالي مرتين قبور الراشدين بالمقبرة الشرقية لمدينة سطيف. إذا ما اعتمدنا من جهة على العامل المشترك المتمثل في 0.50 م (أعلى حد في بلاد الغال خلال الفترة الرومانية وأدناه في قرطاجة خلال الفترة البونية) واعتبرنا من جهة ثانية أن عمق قبور الأطفال بالمقبرة الشرقية يتراوح عموماً ما بين 0.14 م كأدنى حد و 0.97 م كأقصاه، مع أغلبية تتراوح ما بين 0.30 و 0.50 م، نجد ما قد نعتبره نسبة مشتركة بين ما اعتيد عليه في القبور الرومانية التأثير وما نجده متداولاً في القبور البونية، أي 0.50 م. تجدر الإشارة أخيراً إلى أن المقاسات غير واضحة في تقرير الحفرية، فيما يخص القبرين رقم 21 (طفل) ورقم 22 (راشد) وبذلك لم يتسن لنا إيماجهما. بالرغم من الفوارق ما بين الفئتين في المقبرة الشرقية، نلاحظ كذلك تقارب أو أحياناً تعادل في المقاسات. بالنسبة لفئة الأجنة والمواليد الجدد مثلاً، تم إحصاء 5 قبور من مجموع 17 قبراً، يفوق عمقها 0.60 م²⁵³ في حين تفوق أحياناً فئة الأقل من سنة 0.90 م عمقاً²⁵⁴ (الرسم البياني رقم 16).

²⁵² Bénichou-Safar, 1982, p.94.

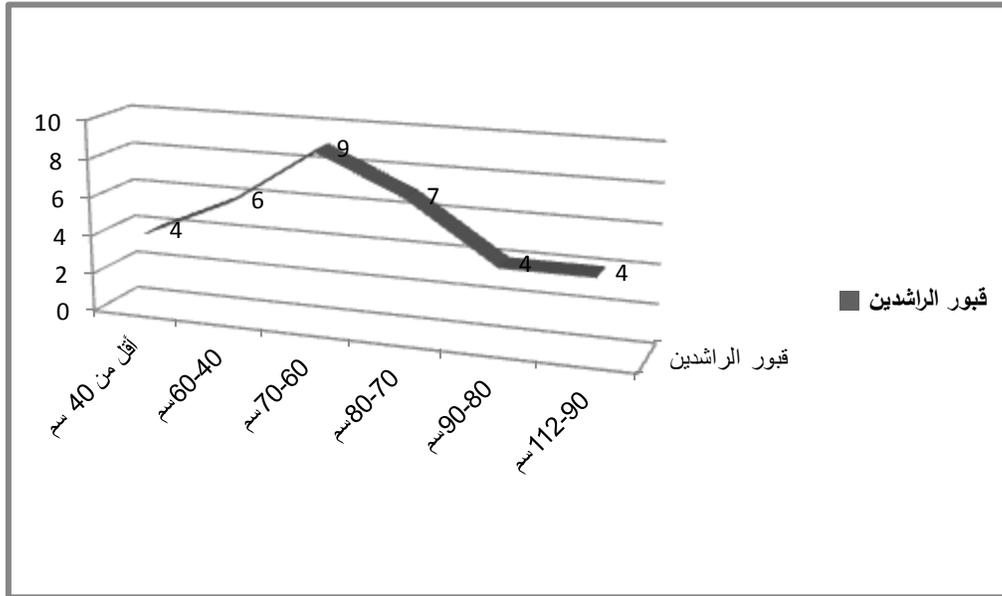
²⁵³ القبر رقم 13 (0.79 م)، القبر رقم 26 (0.76 م)، القبر رقم 60 (0.83 م)، القبر رقم 51 (0.88 م)، القبر رقم 56 (0.69 م)

²⁵⁴ القبور رقم 2 (0.91 م) و رقم 61 (0.92 م).

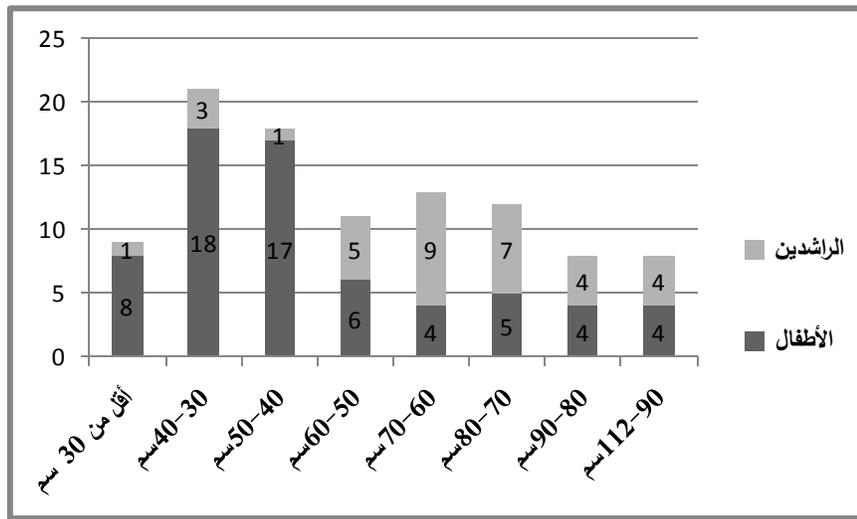


الرسم البياني 16: توزيع عمق القبور لدى فئة الأطفال حسب فئات العمر

فيما يتعلق بقبور فئة الراشدين، فبالرغم من أن عمق البعض منها يفوق عمق قبور الأطفال، أين قد يصل إلى 1.12 م وبالرغم من أن عمق تقريبا نصف قبور الأطفال يتراوح ما بين 0.30 و 0.50 م (معدل نجد فية 5 قبور للراشدين كذلك)، إلا أنه، ابتداء من 0.50 م، يبرز تقارب ما بين قبور الفئتين وبالتحديد تلك التي يتراوح عمقها ما بين 0.50 م و 0.60 م، كما تتعادل أحيانا وبالتحديد في القبور الأكثر عمقا (ما بين 0.80 م و 1.12 م). انطلاقا من ذلك، فإن كانت هنالك رغبة في منح فئة الراشدين قبورا ذات عمق أكبر قصد توفير حماية أكبر، لسجلنا فارقا ملحوظا، في حين نلاحظ توزيع متقارب ابتداء من 0.50 م (الرسم البياني رقم 17 و 18).



الرسم البياني 17: توزيع قبور فئة الراشدين وفقا لعمق القبور



الرسم البياني 18: توزيع قبور الفئتين حسب العمق

نستنتج مما سبق أنه، إن نلاحظ فعلا فرقا في التعامل مع الأطفال فيما يخص القبور التي تقل عن 0.30 م و 0.40 م، لا يمكن تجاهل التقارب والتعادل أحيانا في المقاسات ابتداء من 0.50 م فما فوق، مما قد يوحي بأن عمق القبور أو قلته ليس حتمية مرهونة فقط بالفئة كما يمكن لجملة من المحددات أن

تتحكم في ذلك ومن ضمنها طبيعة التربة التي قد تتطلب جهدا خلال الحفر وكذا الإمكانيات المادية لأهل المتوفي أو المصنف المادي للمجتمع المدروس²⁵⁵. باعتبار أن تربة المقبرة الشرقية ذات طبيعة طينية كلسية، فإن جفت، يصعب الحفر فيها وانطلاقا مما أفادنا به كل من ر.جيري حول المصنف الاجتماعي البسيط لسكان المدينة²⁵⁶ وإ. فنتراس حول التطور الاقتصادي البطيئ للمدينة إلى غاية الربع الثاني من القرن الثالث²⁵⁷، يمكن أن نحتمل أن عمق القبور على صلة كذلك بإحدى تلك المحددات. على العموم، نلاحظ ليونة، نجد فيها قبور الراشدين قريبة من السطح مثلما نجد فيها الأطفال على عمق يفوق 0.95

م.

²⁵⁵ Bénichou-Safar, 1982, p.348.

²⁵⁶ Guéry, 1985, p.132.

²⁵⁷ Fentress, 1990, pp.118-119 et 120.

1-6 مخلفات المراسيم التذكارية

إن كانت المقابر مدنا مخصصة للأموات، فهي لا تخلو من زيارات الأحياء باعتبار ضرورة صيانة ذاكرة المتوفي وفي هذا السياق، تشكل النقائش أبرز دليل على ذلك الدور ولا سيما تلك التي يدعو فيها المتوفي الزائرين وأحيانا بإلحاح، إلى قراءة النقيشة وخاصة النطق بالاسم²⁵⁸.

في هذا الإطار، ارتئينا التطرق إليها في عنوان خاص، نظرا لضرورة الفصل ما بين ما هو جنائزي وما هو تذكاري أي ما بين ما تتوفر عليه القبور من مخلفات جنائزية، محفوظة في محيط مغلق وما يؤدي دور "المؤشر" بالنسبة للقبور²⁵⁹ أو "الدلالة الخارجية للقبور"²⁶⁰ والتي تسمح من جهة بتخليد ذاكرة المتوفي وتحديد موقع القبر للزائرين ومن جهة ثانية، تكريم الآلهة مانس والمتوفي في حفلة سنوية. هذا وبالنسبة للآثاري، تسمح تلك الدلالات كذلك بتحديد المدة التي حضي فيها المتوفي بحق الذاكرة، بحيث تشييد قبر جديد قد يُخل بفضاء القبر المحاذي له، مما يُعد بدوره مؤشرا لتوقف المراسيم التذكارية بالنسبة للقبور الأقدم وقد يظهر ذلك على الأنصاب التي تشكل، على حد تعبير ه.دودي، "الذاكرة المعروضة"، في حين يربط الأنصاب المشوهة بمفهومى الذاكرة المنسية أو المصححة²⁶¹ والتي تطرح إشكالية استمرارية المراسيم التذكارية.

سنركز فيما يلي على الأنصاب، موائد القرابين وقنوات الإراقة، باعتبارها متوفرة في المقابر التي تهتم ببحثنا. أما المذابح، فهي منعدمة بالمقبرة الشرقية.

²⁵⁸ - نوميديا: CIL VIII, 2841/ILS 897 ; CIL VIII 3109 ; CIL VIII, 3937 ; CIL VIII,4120 ; CIL VIII, 4122 ; CIL VIII, 4502 ; CIL VIII, 4504 ; CIL VIII, 5749 ; CIL VIII, 5784 ; CIL VIII, 7156 ; CIL VIII, 7277 ; CIL VIII, 7759

- موريتانيا القيصرية: CIL VIII, 9158 ; CIL VIII, 9170, 9159, 20808 ; CIL VIII, 9350 ; CIL VIII, 9439, 21334 ; CIL VIII, 9496 ; CIL VIII, 9508 ; CIL VIII, 21008 ; CIL VIII, 21031 ; CIL VIII, 21179 ; CIL VIII, 21284 ; CIL VIII, 21461 ; CIL VIII, 9642 ; CIL VIII, 9729 ; CIL VIII, 21553

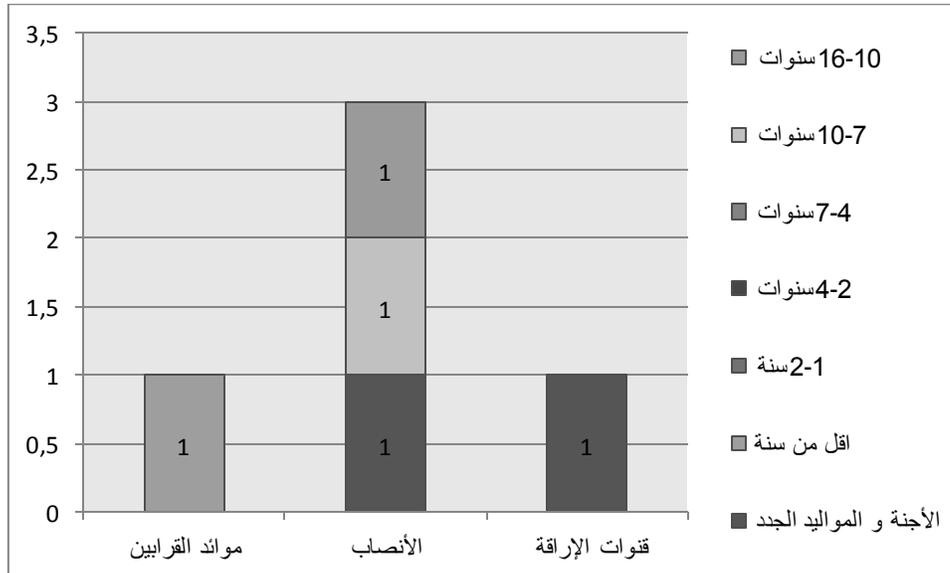
- موريتانيا السطيفية: CIL VIII, 20394
يراجع: Carroll, 2008 (Annexe)

²⁵⁹ Duday et Van Andringa, 2013, paragr.13.

²⁶⁰ إيديران، 2017 - 2016، ص.65

²⁶¹ Duday et Van Andringa, 2013.

فيما يتعلق بالمخلفات، احتضنت المقبرة الشرقية عددا ضئيلا من الشواهد وذلك لدى الفئتين: أربعة أنصاب، مائدة قرابين وقناة إراقة واحدة، إنفرد بها القبر رقم 73 التابع لطفل قُدر عمره ببضعة أسابيع. بالرغم من قلة العدد الإجمالي، نلاحظ أنه من مجموع الأربع أنصاب، ينتمي ثلاث منها إلى قبور أطفال (القبر رقم 64 التابع إما لجنين أو لمولود جديد، القبر رقم 82 التابع لفئة الـ 7-10 سنوات والقبر رقم 81 التابع لفئة الـ 10-16 سنة)، بينما ينتمي النصب الأخير إلى فئة الراشدين (القبر رقم 83). أما مائدة القرابين، فتتنتمي إلى القبر رقم 77 التابع كذلك لطفل من فئة الأقل من سنة. نلاحظ أن دلالات القبر المتوفرة في الموقع الأثري تخص عموما الأطفال وثلاثة منها تابعة مرة أخرى لفئة الأقل من سنة (الرسم البياني رقم 19).



الرسم البياني 19: مخلفات المراسيم التذكارية حسب فئة العمر في قبور الأطفال

1-7 رمزية الأثاث الجنائزي ومصير الطفل

إن كل قبر يحتضن جثة وأثاث يضع الآثاري أمام حوار واقعي ملموس (مراحل الفعل الجنائزي من خلال المخلفات المادية) وحوار رمزي (خلفيات الفعل الجنائزي) والذي لا يمكن فهمه إلا بربط الأثاث بالمتوفي

والمحيط الذي يحتضنه. انطلاقاً من ذلك، يجتمع الباحثون على أن الإشكاليات التي تخص الأثاث الجنائزي تنحصر في توجيهين:

- الأموات، من حيث علاقة المتوفي بالقبر الذي يحتضنه.

- الأحياء من حيث التكنولوجيا والتقنيات المستعملة ومن ثمة نشاط المجتمع الذي تنتسب إليه المقبرة²⁶² والذي يسمح بالتقرب من مختلف مظاهر الحياة اليومية، فضلاً عن كل ما يمكن تحديده بفضل علم التافونوميا فيما يتعلق بحالة الجثة، الجانب الصحي، نوعية المعيشة والكثافة السكانية للمنطقة المدروسة. بالنسبة لقبور الأطفال، يُعد الحوار الرمزي أساسياً نظراً للموت المبكرة والحاجة التي تعكسها طبيعة بعض المخلفات إلى توفير الحماية لتلك الشريحة الضعيفة من المجتمع. على هذا الأساس، كرس الباحثون جهودهم للتدقيق في تفاصيل المخلفات الأثرية ومن ضمنها الحلي.

1.7.1 الحلي

يمكن دراسة الحلي بطريقتين: تعنى الأولى بمصنف المتوفي، سواء من حيث الوفرة، التنوع أو قيمة مادة الصنع، بينما تتعلق الثانية برمزية تلك المادة وهي، كما ذكرنا أعلاه، تصبو عموماً نحو ضمان راحة المتوفي بالدرجة الأولى وسفر موفق له نحو العالم الثاني. تندمج الطريقة الثانية فيما تسميه ف.داسن بـ"الحوار المجازي"²⁶³. في هذا الإطار، تعتبر الطلاس (Amuletum-Ligatura)²⁶⁴ من الآليات التي لجأ إليها الإغريق، الرومان وقبلهم المصريين، للوقاية من الأرواح الشريرة التي قد تسيئ إلى الطفل وذلك منذ الولادة وهناك سبب في ذلك يجذر التمتع فيه، حيث يتعلق بطبيعة تلك الأرواح الشريرة.

ما يثير الإنتباه في المسألة هو أن تلك الأرواح تجسد فكرة الغيرة والغضب وتأتي في غالب الأحيان في شكل كائن ميثولوجي أنثوي يُعد في الذهنية الجماعية، سواء لدى الرومان أو الإغريق، بمثابة نساء أخفقت

²⁶² Duchesne et al., 2003, pp.133.

²⁶³ Dasen, 2016-2017, p.127.

²⁶⁴ المصطلح Amuletum مستوحى من العربية "حملت" أو "حمل" ويعني ما يدل عليه لكن يُرجح أن أصول المصطلح كلدانية أو هندية. نجد للمصطلح مرادفات على غرار "ligatura" أو "Alligatura" والتي تشير إلى فعل العقد. أول من لجأ إلى ذلك المصطلح لدى الرومان كان بليينوس الأقدم حيث استعان به لشرح شتى الصفات الطبيعية لعلاج مختلف الأمراض والتي ترد في الأدبيات الطبية. نلتمس مما سبق وجود علاقة تربط السحر بالطب في التقاليد الطبية الرومانية.

Pline L'ancien, XXX ; Labatut, 1877. Amuletum. Dans DAGR, p.252.

في إتمام دور المرأة الرئيسي وهو الأمومة، إما بسبب الوفاة قبل الزواج، على غرار "جيلو" التي أسقطت غيرتها وحدها على الأطفال جراء وفاتها قبل الإنجاب، أو بسبب فقدان الأبناء في سن مبكرة، مما يعكس إخفاقهم في توفير الحماية الكافية، على غرار "لاميا" التي فقدت وعيها جراء الصدمة. بذلك، تعد الطلاسم (معادن، لؤلؤات وأحجار كريمة) من ضمن السبل التي من شأنها إبعاد تلك الكائنات لحماية حياة الطفل أو لوقايتها من الأمراض، كما تتبعه على ما يبدو في حالة الوفاة في أشكال ومواد عدة²⁶⁵.

فيما يخص اللؤلؤات المتوفرة في المقبرة الشرقية، فعددها ضئيل جدا حيث لم نحص إلا ثلاثة عناصر سواء كانت أصلية أو من عجينة الزجاج: لؤلؤة أصلية من نوع العقيق اليشبي (Cornaline jaspée)²⁶⁶ (القبر رقم 27 / 2-4 سنوات)، وُجدت منفردة خلف الرأس ولؤلؤتان من عجينة الزجاج ذات اللون الأزرق، تحملان زخرفة في شكل عين دائرية ذات اللون البني ووجدتا على مستوى الكاحل (القبر رقم 77 / أقل من سنة).

نقف هنا على وضعية لؤلؤة العقيق الأحمر (القبر رقم 27 / فئة ال 2-4 سنوات) حيث تفيد التحليل الذي نود اقتراحه لاحقا. تبعا لوصف ر.جيري، أتت اللؤلؤة على مستوى الفقرات الرقبية، خلف الجمجمة وكانت مرجحا مندمجة في سوار²⁶⁷، بحيث انزاحت بعد انحلال الأنسجة العضوية التي تشكل السوار، لكن أهم

²⁶⁵ Dasen, 2003/1, pp.179-182 et 183.

في الواقع، تندرج تلك الأرواح الشريرة تحت تسمية اللافاي (*Larvae*) والتي تجد مقابلا في مصطلح "المروعات" باللغة العربية أو « Les Epouventails » باللغة الفرنسية. هي كائنات غير واضحة المعالم ولا الملامح، لكن تمزج بين الإنسان والحيوان وعناصر إضافية خيالية تشبها بالوحوش. أهم تلك الكائنات هي مورمو، جيلو، أمبوسا و لاميا وتندمج كل منها في عائلة أوسع: المورمونيد، الجيلوداس، الامبوساي واللامياي. بذلك، فهي مفاهيم أكثر من أنها كائنات ومفادها التجسيد المادي للمخاوف الكامنة الغريزية. ما اقترحه أعلاه هو تحليل أيسل-جونسون لثلاثة منها باعتبار أن الباحثة تربطها بفكرة الرعب لكن خاصة بالأمومة، بينما عززت م. باتيرا طابعها الاجتماعي مبرزة خصوصيات كل أسطورة والتي لها علاقة مباشرة بمصير المدينة ومخاوف الراشدين. يُراجع:

Patera, 2015, pp.22 à 25.

²⁶⁶ فيما يتعلق بالعقيق الأحمر (Cornaline jaspée)، فهو مشتق من اللاتينية *Cornu* ويعني "القرن"، نسبة للصلاصة.

Potier, 1877. *Cornu*. Dans *DAGR*, T.1, p.1510.

بينما اليشب (*Jaspe*)، فمن اللاتينية *laspidem* ويروي عنها بلينوس الأقدم أنها كانت تُحمل كطلسم من طرف مجمل أهل المشرق Pline L'ancien, XXXVII, 37, 4.

²⁶⁷ Guéry, 1985, p.74.

من ذلك، يبدو أن السوار كان قريبا من العنق وليس في شكل قلادة، حيث في الحالة الأخيرة، لُوْجِدَت اللؤلؤة على مستوى الصدر.

ترمز عادة اللؤلؤات ذات اللون الأحمر، على غرار العقيق الأحمر أو اليشب الأحمر، إلى كل ما له علاقة بالحمل والولادة وعلى هذا الأساس، يُطلق عليها تسمية "الجواهر الرحمية" (Gemmes utérines)²⁶⁸. نجدها في الحضارة المصرية تشير كذلك إلى غضب الآلهة، مما يجعل منها حصانة قوية لحاملها، كما أنها بمثابة عين الشمس²⁶⁹ أو ما يُعرف بعين حورص (الاجوات). أما اليشب (Jaspe)، فإن كانت من اللون الأحمر، فتمثل دم الإلهة إيزيس والقوة الحامية للإله حورص ضد القوى الشريرة وإن كانت من اللون الأخضر، فالى الإخضرار؛ ذلك وفقا للنصوص التي تم الكشف عنها في معبد سيرابيس بمدينة ممفيس المصرية. في ذات المعبد، تم العثور على لؤلؤة حمراء مركبة في سوار ذهبي يحيط بعنق المتوفي، ابن الفرعون رمسيس الثاني²⁷⁰.

بالإضافة إلى ما سبق، تُنسب اللؤلؤات ذات اللون الأحمر بالتحديد إلى العلاقة ما بين الدم الحيوي للإلهة إيزيس وما يُعرف بعقدة إيزيس (Nœud d'Isis « Tit ») وترمز كذلك إلى القوة الحامية للإلهة، حيث يأتي في كتاب الأموات أن كل من توضع لؤلؤة العقيق الأحمر حول عنقه، فله حماية الإلهة وسرور الإله حورص برؤيته ومن ثمة، فلن يُعاق مساره باتجاه السماء أو الأرض (عالم الأموات)، بحيث في الأرض، سيلقى الإله أوزيريس وتُفتح أمامه أبواب عالم الأموات بخيراتها²⁷¹. إن عقدة إيزيس عبارة عن طلسم، غالبا ما يحمل نصا مستوحى من كتاب الأموات وعلى علاقة وثيقة بأسطورة بعث أخيها وزوجها أوزيريس²⁷² إثر اغتياله من طرف الإله سات. يُصنع عادة إما من جوهرة العقيق الأحمر أو اليشب.

²⁶⁸ Dasen 2008 -2, pp.267-268.

²⁶⁹ Ziegler, 1999, p.248.

²⁷⁰ Mariette-Pacha, 1882, p. 58.

²⁷¹ Sang d'Isis, pouvoir magique d'Isis, talisman pour protéger ce qui est grand et briser ce qui odieux ... A placer au cou du défunt. Etant fait cela, cet écrit est une vertu magique d'Isis pour le protéger. Se réjouit fils d'Isis, en le voyant. Il n'y aura pas de route fermée pour le défunt dans sa direction vers le ciel ou vers la terre. Information capitale ! Etant sur cet écrit, il est serviteur d'Osiris Ounofré, dans la divine région Inférieure, lui sont ouvertes les portes de la divine région Inférieure. Lui sont donnés du blé et de l'orge dans le champ Anro. Pierret, 1882, pp.339-340.

²⁷² Ziegler, 1999, p.245.

على هذا الأساس، فترمز الإلهة من جهة إلى البعث ومن جهة أخرى إلى علاقتها بالجواهر الرحمية بحيث يُعرف عن الإلهة أن ارتدت خلال حملها بالإله حورص كحماية ضد القوى الخفية (الإله سات) وتقاديا لأمراض فترة الحمل كالنزيف²⁷³. نشير أخيرا إلى أنها متداولة بعدد لا يكاد يُحصى في المقابر المصرية والتي تعود إلى فترة ما قبل الأسر وبالتحديد إلى الحضارة النغادية (I-II-III)، المؤرخة بحوالي 4000 إلى 3000 سنة قبل الميلاد، في كل من مقابر مستجبة، باداري وأدايما²⁷⁴. بالرغم من تداولها بشكل واسع، فقد صنفتها المصريون في نفس رتبة جوهرة الفيروز (Turquoise) واللانورد (Lapis Lazuli)²⁷⁵.

تم العثور على العقيق الأحمر في قبور من نمط الرجم بمنطقة عين صفرة بالجزائر، قرب جبل مكثر، المؤرخة بالعصر الحديدي والتي تم وصفها بالليبية-البربرية²⁷⁶، كما يرد من ضمن المخلفات، سوار تابع لطفل ومكون من عدة لآلئ من العقيق الأحمر وأخرى من عجينة الزجاج ذات اللون الأخضر²⁷⁷. فيما يتعلق بالقبر رقم 27 (2-4 سنوات)، نحتل فرضيتين: إما أن وُضعت اللؤلؤة لحفظ المتوفي من القوى الخفية وإما أنها تؤدي دورا أقرب إلى ضمان ولادة رمزية في أحسن الأحوال وبدون عراقيل، حيث اللؤلؤة التي سبق وأن ذكرنا موضعها خلف رأس المتوفي، أنت منفردة وإن سقطت خلفه، فهذا يدل على أن موقعها الأصلي كان على مستوى العنق. يمكن حينها أن نحتل أن تلك اللؤلؤة كانت معقودة فيما قد يشبه عقدة إيزيس.

نلتبس هنا احتمال التأثير المصري الذي وإن يبعد عن مقاطعة نوميديا جغرافيا، قد نجد له مسلكا من خلال التأثيرات البونية على مدينة سطيف²⁷⁸، خاصة إن أخذنا بعين الاعتبار أن من ضمن الطلاسم

²⁷³ Dasen, 2008/2, p.273.

²⁷⁴ Duchesne et al., 2003, pp.136-137-138- 141 à 143 ; Tristant, 2009, pp.25-27, 28 ; Gobeil 2009 cité dans Tristant, 2009, p.47.

²⁷⁵ Andrews 1994, p. 102 cité dans Marshall, 2012, p.247.

²⁷⁶ Gautier, 1910, p.9 ; Fentress, 2019, p. 505.

²⁷⁷ Gautier, 1910, pp.6-7.

²⁷⁸ إتضح من خلال الحفريات التي أجراها ف. ميسونيي بأن التأثيرات المصرية متواجدة بشكل واضح في مقبرة غوراييا، حيث عُثر بها على طلاسم تمثل الآلهة المصرية المرتبطة بعالم الأموات والتي تحمل تمثيلات للإلهة حتحور محيطة بجناحها بالآلهة حورص - بتاه - سوكار - أوزيريس، فضلا عن عنصر يمثل الأوجات المصري، مما يوسع حيز انتشار التأثيرات المصرية ويعزز احتمال وجودها بالمقبرة الشرقية لمدينة سطيف. يراجع : Missonnier, 1933, pp.112-113.

التي عُثر عليها في مقابر قرطاجة، يندرج عدد معتبر منها ضمن ما يُعرف بالـ "أوجات" أو عين حورص، إضافة إلى تداول تماثيل الآلهة المصرية الحامية للأموات (إيزيس، أوزيريس، بتاه، باس وحتحور)²⁷⁹.

إلى جانب اللؤلؤة، تم العثور في نفس القبر رقم 27 (فئة الـ 2-4 سنوات) على خاتم من النحاس على مستوى أصبع الخنصر الأيسر (Auriculaire). يصنف بليينوس الأقدم النحاس من ضمن المعادن الرفيعة²⁸⁰، كما يكتسي بعض المزايا من الناحية الطبية ولا سيما في التخفيف من آلام الجروح أو كغسول للعين وكذلك لعلاج الأمراض الرئوية²⁸¹.

أما عن اللؤلؤات الزرقاء، فكما سبق الذكر، فتتمثل في زوج من عجينة الزجاج؛ وُجد في القبر رقم 77 (فئة الأقل من سنة) وعلى كل منهما زخرفة في شكل عين ذات اللون البني، محاطة بحلقة بيضاء وكتاتهما متموضع فوق الكاحل²⁸². تعد أساور الكاحل من ضمن الحلي المتداولة في قبور الأطفال وتتمثل وظيفتها كذلك في وقاية تلك الفئة من الأرواح الشريرة²⁸³.

من المعتاد في الحضارات القديمة وبالخصوص الحضارة المصرية أن يتم اللجوء إلى تقليد الأحجار باستعمال مواد مصطنعة أو بالأحرى مواد تعويضية بحيث إن لم يكن الهدف منها تجسيد المصنف الإجتماعي من خلال قيمة المادة، يبقى الجانب الرمزي المتعلق باللون والشكل محتفظاً بثقله في عالم الأموات²⁸⁴.

تجدر الإشارة كذلك إلى اعتياد المصريين على الفصل ما بين اللازورد ذات اللون الأزرق القاتم (Lapis lazuli) وجوهرة الفيروز (Turquoise) ذات اللون الفاتح. تمثل جوهرة الفيروز كل ما لم ينشأ أو ما لم يولد بعد، بينما جوهرة اللازورد، فتشير إلى ما قد وُلد²⁸⁵.

²⁷⁹ Bénichou-Safar, 1982, p.267; Cechini, 1995, p.533.

²⁸⁰ Pline L'ancien, XXXIV, 1.

²⁸¹ Pline L'ancien, XXXIV, 23, 1.

²⁸² Guéry, 1985, p105.

²⁸³ Dasen, 2003, p.275.

²⁸⁴ Ziegler, 1999, pp.249-250.

²⁸⁵ Ziegler, 1999, p.248.

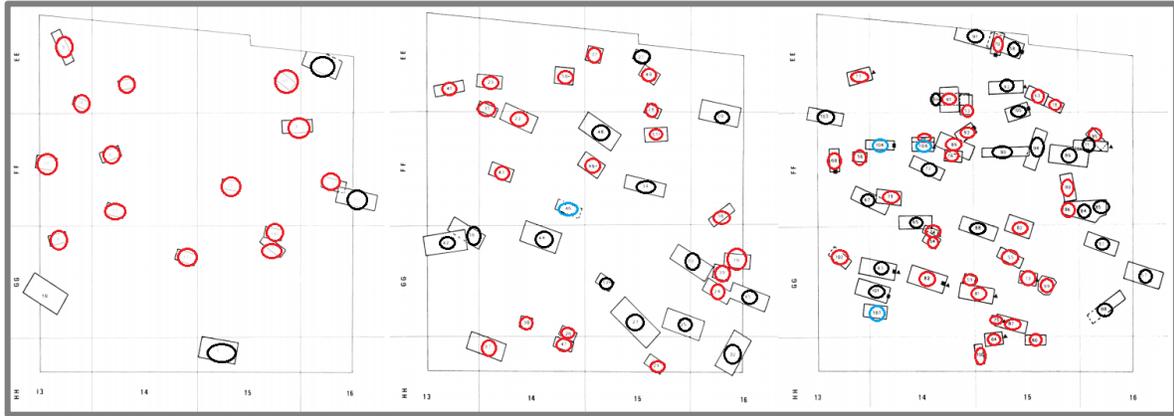
عادة ما تأتي اللؤلؤات من عجينة الزجاج ذات اللون الأزرق مزخرفة بأشكال ومن ضمنها الشكل الذي يذكر بالعين وإن كانت وظيفتها السحرية الطبية (حماية المتوفي من الأمراض) غير مثبتة، فوجودها يدل بالنسبة ل ف.داسن على إدماج الطفل في المجتمع كما تشير إلى مكانته ضمن العائلة²⁸⁶.
 نحتمل بذلك أن اللؤلؤيتان المتوفرتان في القبرين رقم 77، سواء على أساس اللون أو النموذج الذي تحمله، ذات وظيفة وقائية دون إقصاء احتمال الإدماج العائلي والإجتماعي وكذا رمزية البعث.
 نعود أخيرا إلى قراءة الباحث ك. زيغلر للحلي المتوفر في قبر العائلة الريمسية بمعبد سيرابيس في مدينة ممفيس (1215-1279 ق.م)، حيث يرى أن لجوء المصريين بالتحديد إلى العقيق الأحمر، الأخضر واللازورد نابع من خيار مدروس، مفاده احترام ما أتى في كتاب الأموات فيما يخص الإطار الجنائزي، مضيفا أن اللجوء إلى مواد تعويضية للؤلؤات والأحجار الكريمة يدلي بأولوية اللون على المادة²⁸⁷ أي أولوية الخلفية الرمزية عن مصف المتوفي الإجتماعي، مما يسלט الضوء على أولوية مصير المتوفي، من خلال المرفقات، على مصفه في ذهنية الأحياء.

1-8 إشكالية العزل أو الإقصاء خلال مرحلة الدفن البدائية

يبدو أن إنماج الراشدين خلال مرحلة الدفن البدائية تم بصفة تدريجية وكأن المقبرة احتضنت عند نشأتها قبورا للأطفال دون غيرهم أو هيئت خصيصا للأطفال، لكن باعتبار إدماج الراشدين، ربما تماشيا وارتفاع الكثافة السكانية (للمقبرة)، فقد يكون اقتصارها على قبور الأطفال في مرحلتها البدائية راجع إلى نسبة الوفيات المرتفعة التي عرفت تلك الفئة في مدينة سطيف وعموما في كل المقاطعات الرومانية وليس إلى ميول إلى إقصاء أو عزل الأطفال بالمعنى السلبي (المخطط رقم 7).

²⁸⁶ Dasen, 2004, p.181.

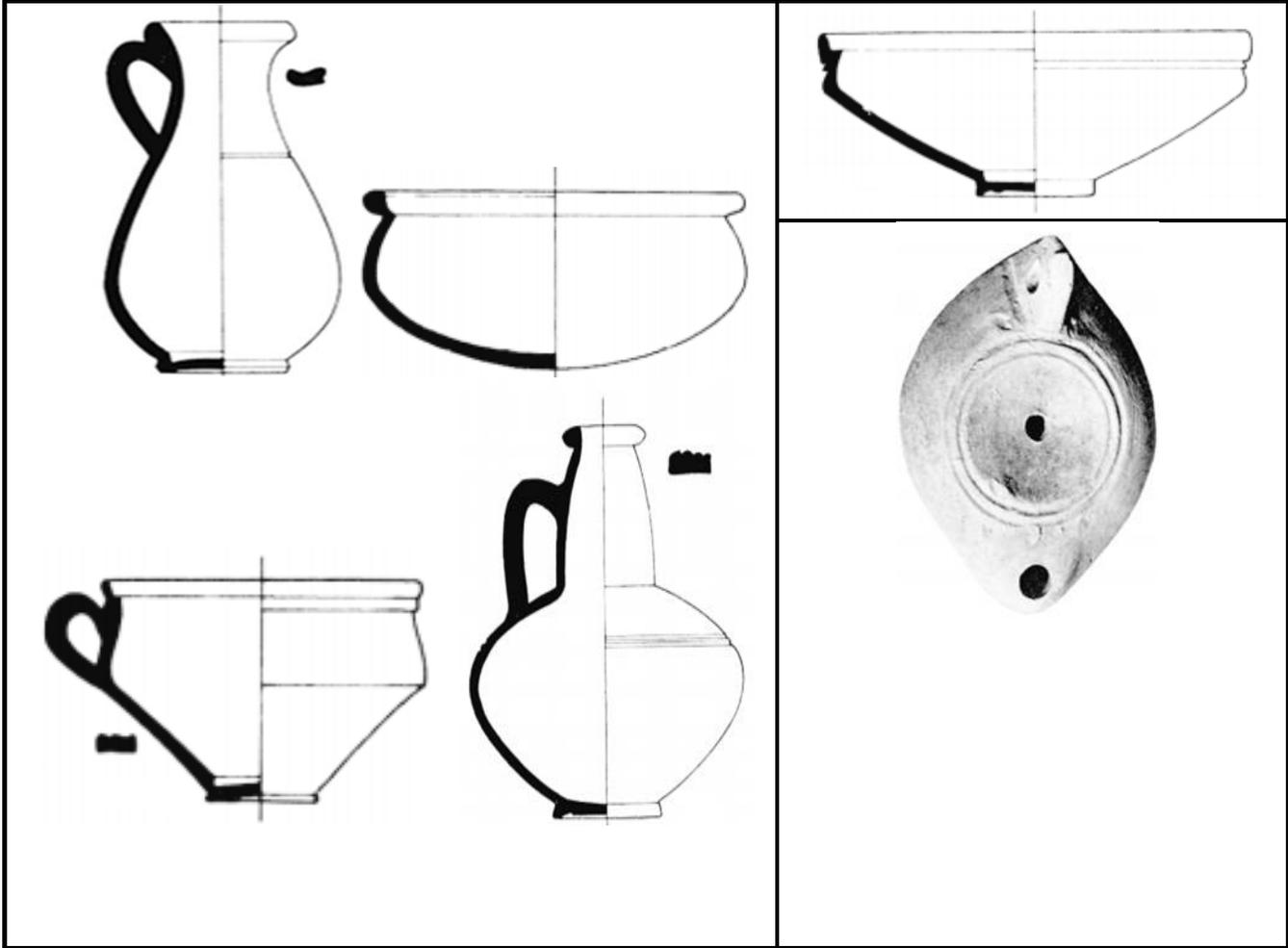
²⁸⁷ Ziegler, 1999, p.250.



المخطط 7 : تكثف القبور خلال مرحلة الدفن البدائية وامتزاج الفئتين تدريجيا . عن : Guéry, 1985, pp. 66, 87 et

123

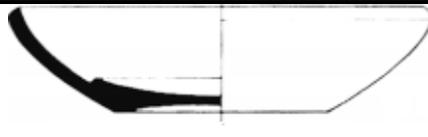
الرسم 2: التركيبة النظامية على اليمين/ التركيبة الظرفية على اليسار. عن: Guéry, 1985



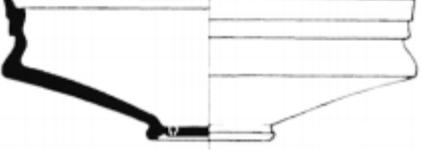
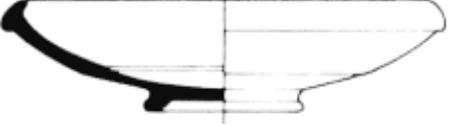
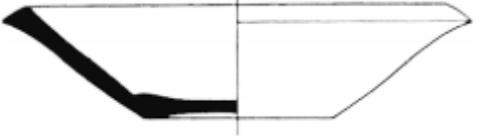
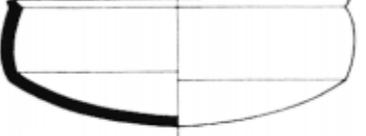
الرسم 3: نماذج للأثاث المتداول في قبور الأطفال خلال مرحلة الدفن البدائية

نماذج للأطباق

عن: Guéry, 1985, pl.28-33-35-36-38

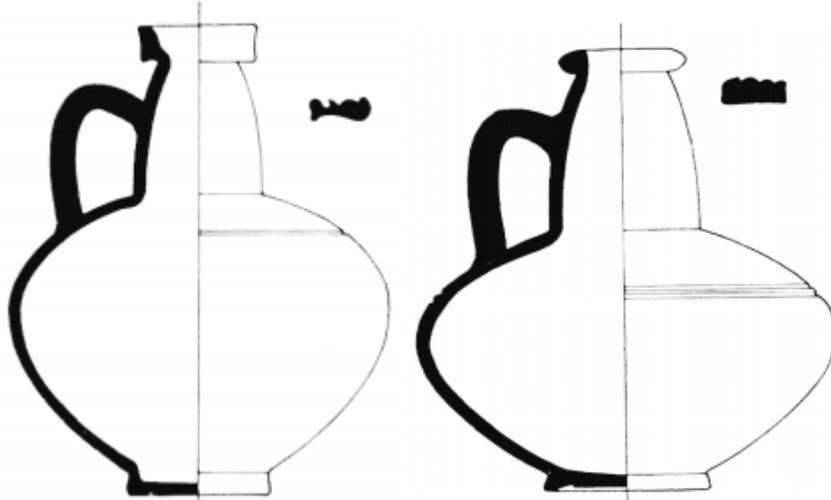


طبق من السيجيلي الفاتح A. لمبوغليا 18/31.

<p>طبق محلي من النمط 12 القبر رقم 61: حوالي سنة</p>	<p>طبق من صنع محلي. نمط 5 القبر رقم 27: 4-2 سنوات</p>	<p>القبر رقم 62: 4-2 سنوات</p>
 <p>طبق من الفخار من إنتاج محلي. النمط 2. القبر رقم 69: بضعة أشهر</p>	 <p>طبق محلي من فخار. النمط IX القبر رقم 79: جنين/ مولود متوفي/ بضعة أشهر</p>	 <p>طبق من السبجيلي الفاتح A، نمط لمبوغليا 4/36 A القبر رقم 81: 11-16 سنة</p>
 <p>طبق من الفخار ذات إنتاج محلي. النمط 5 القبر رقم 87: 4-7 سنوات</p>	 <p>طبق من نوع طاجين. النمط 24 القبر رقم 87: 4-7 سنوات</p>	 <p>طبق من الفخار الإعتيادي. نمط 12 القبر رقم 61: حوالي سنة</p>
<p style="text-align: center;">0 5 10</p>		

نماذج للقلال

عن: Guéry, 1985, pl.1-47



قلة ذات مقبض واحد من نمط 37

القبر رقم 63: حوالي سنتين

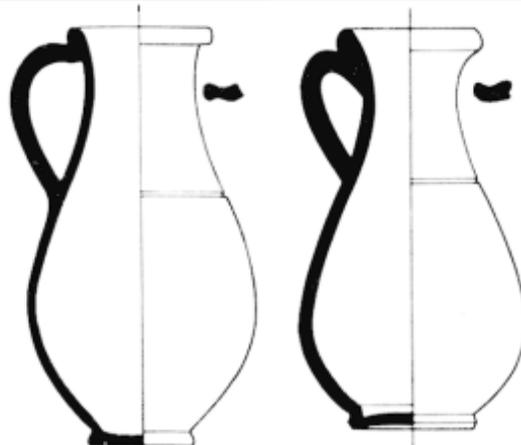
قلة من الفخار الإعتيادي، ذات مقبض واحد. نمط 37

القبر رقم 23: 7-10 سنوات



نماذج للقليلات

عن: Guéry, 1985, pl.43



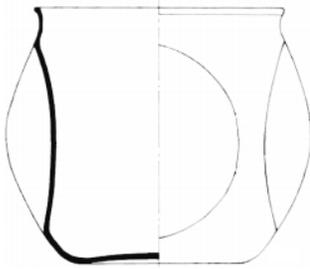
قليلة من الفخار الإعتيادي. النمط 30، صنف B

القبر رقم 70 على اليمين (حوالي سنة). القبر رقم 24 على اليسار (2-4 سنوات).



نماذج للأكواب والكؤوس

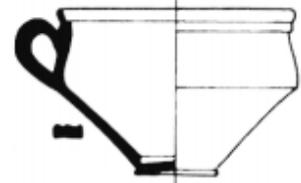
(Guéry, 1985, pl. 26-42-62)



كأس من الزجاج. القبر رقم 81: 11-16 سنة



كوب زجاجي من إنتاج محلي. النمط 1. القبر رقم 69: بضعة أشهر



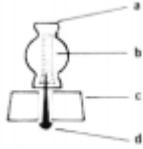
كوب من الفخار المحلي. تقليد

لنمط مايي 32.

القبر رقم 27: 2-4 سنوات



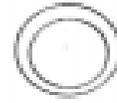
الرسم 4: عناصر الحلي وأدوات الزينة. عن: Guéry, 1985, pl.68-69-70-71



سداسي الأضلاع، مشكل من شوكة من النحاس عالقة في قطعة خشبية و غلاف من البرونز. القبر رقم 70: بضعة أشهر



لؤلؤيتين ذات اللون الأزرق. القبر رقم 77: أقل من سنة



القبر رقم 27: 2-4 سنوات



القبر رقم 27: 2-4 سنوات



القبر رقم 63: حوالي سنتين



2. مرحلة الترميد بالمقبرة الشرقية لمدينة سطيف (النصف الثاني من القرن الثاني - القرن الثالث للميلاد)

تشغل قبور مرحلة الترميد ثلاثة طبقات ستراتيجرافية واضحة باعتبار الرماد الذي يحدد نطاقها، لكن درجة انحدار الموقع أدت إلى إلتقاء الطبقات، مما آل في بعض الأحيان إلى تجانب القبور التابعة لطبقة أحدث مع قبور أقدم منها، كما أن طبيعة التربة الطينية - الكلسية ساهمت في تعقيد القراءة الكرونوستراتيجرافية للموقع، فضلا عن التقارب الشديد للقبور، الناتج عن ارتفاع كثافة المقبرة خلال هذه المرحلة²⁸⁸. انطلاقا من ذلك، تم تحديد الطبقة بالشكل الآتي:

- الطبقة السفلى: ذات ارتفاع يقدر بحوالي 0.60 م وهي تلي أو تتداخل مع آخر قبور مرحلة الدفن البدائية.

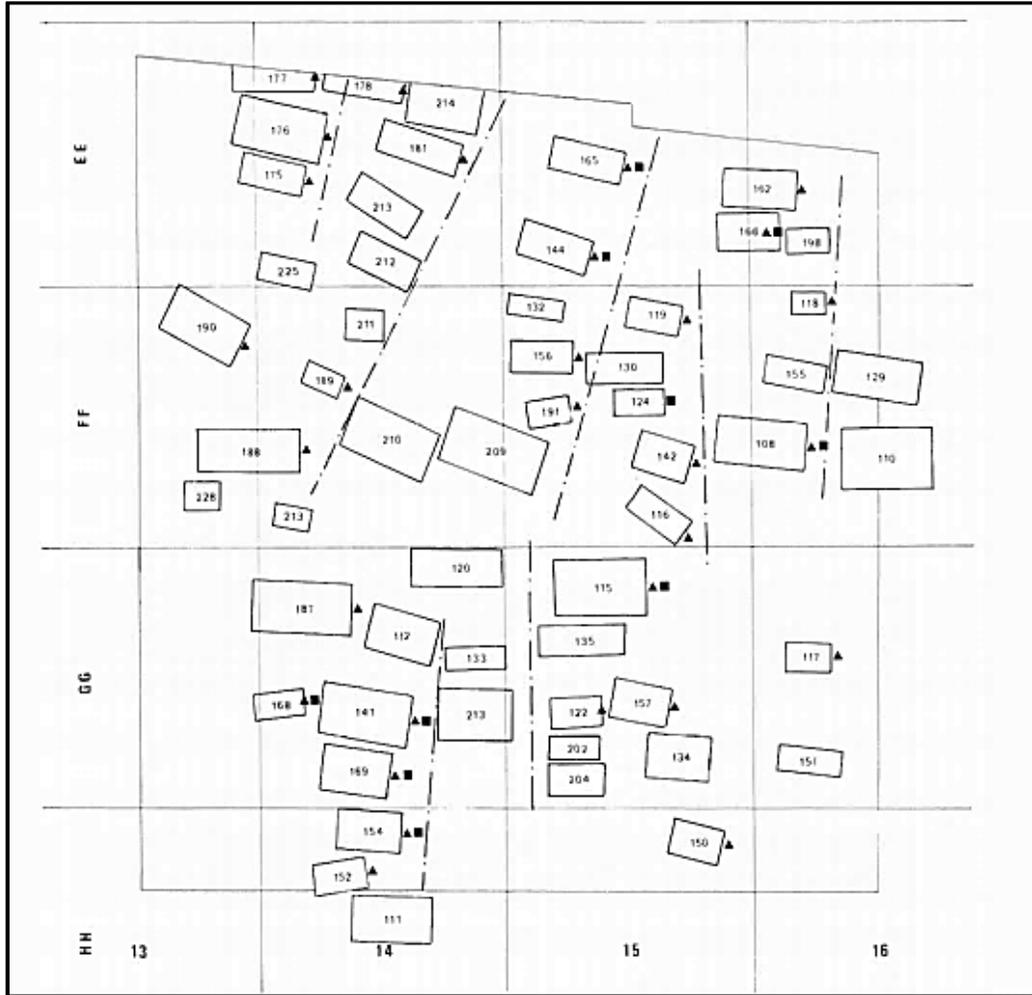
- الطبقة الوسطى: تتميز بتكثف ملحوظ في القبور من خلال التطابق أو التوزيع العشوائي.

- الطبقة العليا: تحتضن آخر قبور مرحلة الترميد بالإضافة إلى جملة من القبور المنعزلة وبالتحديد أين تقل درجة الانحدار. تعلن تلك القبور، من خلال انعزالها وتنميطها، عن مرحلة الدفن المتأخرة.

بالرغم من الإكتظاظ، يشير ر. جيرري إلى بروز تنظيم للمقبرة خلال مرحلة الترميد، من خلال تقسيم الفضاءات، تهيئة ممرات تفصل ما بين القبور على محور شمال - جنوب وتتابع الأنصاب تماشيا ومحور الممرات²⁸⁹ (المخطط رقم 8).

²⁸⁸Guéry, 1985, pp.197 et 212.

²⁸⁹Guéry, 1985, pp.197 et 212.



المخطط 8: تموضع قبور مرحلة الترميد وتنظيمها من خلال الممرات (الخطوط المنقطعة)، الأنصاب (المثلثات) وموائد

القرايين (المربعات). عن: Guéry, 1985, p.213

2.1 ترميم القبور خلال مرحلة الترميم وسبل تحديد فئة الأطفال

تم تحديد نمطين من القبور (II-A و II-B)، أرخا تأريخا نسبيا اعتمادا على الفخاريات (المصاييح والأطباق). انطلاقا من ذلك، نجد أربع أنواع من القبور في النمط الأول، بينما يكتفى النمط الثاني بنوع واحد، خضع إلى بعض التعديلات الثانوية (الجدول رقم 7 و 8).

نوع الأطباق	نوع المصاييح	التأريخ	النمط
Sigillée claire A (Lamboglia36/A ; Hayes 3/B) التأريخ ما بين 75 م و 150م.	Deneauve VIIA 1- تأريخ النموذج الأول ما بين نهاية القرن الأول ميلادي والنصف الأول من القرن الثاني ميلادي. 2- تأريخ النموذج الثاني بالربع الثاني والثالث من القرن الثاني ميلادي. 3- يمتد النموذج الثالث إلى غاية بداية القرن الثالث ميلادي.	القرن الثاني - بداية القرن الثالث ميلادي	II-A
	Deneauve VIII B التأريخ بالربع الثاني من القرن الثالث ميلادي. Deneauve IX A نموذجين : 1- الأول مؤرخ ما بين 175 م و 225 م. 2- الثاني مؤرخ ما بين 225 م و 250 م	القرن الثالث الميلادي	II-B

الجدول 7: أنماط القبور خلال مرحلة الترميم والتأريخ وفقا للمخلفات الفخارية. عن:

Guéry, 1985, pp. 212 à 221

النمط II-A

نوع القبور	الوصف
الأضرحة المقبية	حجارة من مختلف المقاسات، منحوتة على إحدى الجهات، متماسكة إما بملاط، بالكلس، بالجبس أو بالطين.
القبب (النصف دائرية)	قرميد أو قطع من التيغولاي أو من الطين المقولب، مهياة في شكل سقف مسنم.
قبور ذات السقف المسنم	مشكلة في أغلبية الأحيان من قطع قرميديّة وأحيانا من لوحات حجرية أو قطع من الطين المقولب.
قبور مغطاة بمواد متنوعة	<ul style="list-style-type: none"> - تغطية من الحجارة الدبشية + ملاط. - تغطية من الطين الكلسي. - تغطية من الحجارة الغير مهياة. - طبقة من الطين المقولب أو الغير مقولب. - تغطية من الكلس.
قبور محفورة بسيطة وغير مغطاة	حفر بسيطة مغطاة بتراب الردم مع تحديد نطاق بعضها بحجارة أو بمائدة قرابين+ نصب (أو أحدهما دون الثاني، مع الأغلبية للأنصاب).

النمط II-B	
نوع القبور	الوصف
مرمدات	مغطاة بطبق، بقطعة قرميد أو بقطعة حجرية

الجدول 8: وصف لأنواع القبور وفقا لكل نمط. عن: Guéry, 1985, pp.230 à 234

يصل مجموع القبور خلال مرحلة الترميد إلى 131 قبرا لكن باعتبار تعويض الجثة بالرماد وغياب الدراسات الأنثروبولوجية، تعذر على الباحث تحديد الفئات (راشدين - أطفال) ومعها فئات الأعمار بالنسبة للأطفال. على هذا الأساس، اعتمد على مقاسات المحطبة مع استثناء الحالات التي تشتمل على المرمدمت (النمط II-B). احتتمل بحذر أنه لما تقل مقاسات المحطبة عن 1 متر طولاً، فهي تابعة لفئة الأطفال ولما تتعدى 1.50م، فلفئة الراشدين²⁹⁰ ومن ثمة اقترح عددا تقريبا للفئات، يتمثل بما يلي:

- 50 راشد (48 بالمئة).
- 41 من الشباب البالغين أو المراهقين (Pubères/ Préadolescents) (39 بالمئة).
- 14 طفل (13 بالمئة)²⁹¹.

تبقى تلك النسب افتراضية باعتبار أنه في تقرير الحفرية، حدد الباحث عدد قبور الأطفال ب 18 قبرا وهي بذلك تتعدى العدد المذكور أعلاه (14 قبر).

نشير في نفس السياق إلى أن الباحث تجاوز أحيانا المقاسات التي اقترحها (أي المتر طولاً) في تشخيصه لقبور بعض الأطفال (معتمدا في بعض الأحيان على كثافة الرماد في المحطبة)، على غرار القبور رقم 167 (117 سم / 56 سم)، 168 (113 سم / 50 سم)، 200 (110 سم / 50 سم)، 204 (115 سم / 70 سم).

²⁹⁰ بالرغم من افتقارها إلى الدقة، اعتاد الباحثون على الاستعانة بالمقاسات في قبور الترميد لتحديد ما إن كانت تابعة لأطفال أم لراشدين.

Bérard, 1970, p.50 Cité dans Blandin, 1998, paragr.16.

²⁹¹Guéry, 1985, p.225.

من الصعب تقبل أنه في مقبرة عرفت 67 قبرا للأطفال خلال مرحلة الدفن و 81 قبرا خلال مرحلة الدفن المتأخرة، شهدت هذا الانحدار في نسبة وفيات الأطفال خلال مرحلة الترميد خاصة أن الباحث اقترح تقييما للوفيات في مدينة سطيف قدره ب 14.08 بالمئة وفيما يتعلق بفئة الأقل من سنة، 36 بالمئة، مشيرا إلى أن نسبة الوفيات تستقر قبل أن تعرف تراجعا ابتداء من خمس سنوات²⁹². على هذا الأساس، فاعتمادا على المقاسات التي اقترحها الباحث، حاولنا وبأكبر قدر من الحذر، تجاوز الـ 14 قبر المذكورة في خلاصة التقرير والـ 18 المحصاة خلال وصف القبور باللجوء إلى تقييم الباحث للمقاسات. اكتفينا بالقبور التي لا تتجاوز 1.04 م طولا باستثناء القبر رقم 205 (1.17م/46 سم) الذي اعتبرنا فيه العرض، حيث تُنسب عادة إلى قبور الأطفال في المقبرة الشرقية. نتحصل بذلك على مجموع 32 قبرا. تبقى أمامنا إشكالية تتمثل في أن القبور المنتمية إلى النمط II-B أي المرممات (وعددها سبعة) غير قابلة لأي تقييم يتعلق بفئة العمر، باعتبار أن الحفرة التي وُضعت بها إما دائرية الشكل (القبور رقم 232-234 -235-237) أو مشوهة بفعل تداخلها مع قبر أقدم (رقم 233). يبقى بذلك القبرين رقم 236 و238، اللذان تتخذ فيهما المحطبة الشكل المستطيل والتي وفقا للمقاسات المذكورة سابقا، قد تنتمي إلى فئة الأطفال²⁹³ حيث إن أدمج ر.جيري ضمن فئة الأطفال قبورا يتعدى طولها 1.10م، فمن المحتمل كذلك أن تكون تلك الأصغر حجما، تابعة هي الأخرى لفئة الأطفال²⁹⁴.

2.2 نمط الترميد

يلجأ ر.جيري عموما إلى عبارتين للتعبير عن الترميد الأولي: "الترميد في الموقع الأثري" (*Incinération*) و"حفرة الترميد" (*Fosse à incinération*). تشير أبحاث ل. ترانوي إلى أنه لا فرق بين العبارتين، شرط الفصل بين مفهوم "الحفرة" و "القبر" (*Sépulture/ Enfouissement in situ*)²⁹⁵ لكنها تحت على التدقيق في عبارتي "طقس الترميد الأولي والثانوي" باعتبار أن كلاهما لا يتعلق بالطقس بحد ذاته وإنما

²⁹² Guéry, 1985, p.316.

²⁹³ Guéry, 1985, pp.227 à 229.

²⁹⁴ تقيينا هيبينيشو - سفر بأن محاطب الأطفال بتوفات قرطاجة وسوسة والتي عادة ما أتت فردية وأصغر حجما من محاطب الراشدين Bénichou-Safar, 1988, p.64.

²⁹⁵ Tranoy, 2007, p.141.

"بالهيكل" الذي "يستقبل الجثة" ولذلك، تم اقتراح سنة 1993 اللجوء إلى عبارة "هيكل حرق أولي" (Structure de crémation primaire) حتى يحتفظ الطقس بكامل ثقله أيا كان نمط الهيكل. يمكن كذلك اللجوء إلى عبارة موقع الإيداع الأولي وموقع الإيداع النهائي²⁹⁶.
بعبارة أوضح، لا بد من الفصل بين هيكل الترميد الذي تم فيه حرق الجثة دون نقلها وهو بذلك أولي (Bustum²⁹⁷) وهيكل إيداع رماد و/أو عظام الجثة بعدة حرقها في مكان ثان ولو محاذ للأول وهو الهيكل الثانوي وبذلك، فالتقسيم يتعلق بنقل أو عدم نقل بقايا الجثة وليس بالطقس المتبع.

سنعتمد على تحليل ل. ترانوي وبذلك، سنلجأ إلى عبارة "هيكل ترميد أولي" بالنسبة للهيكل الذي يستقبل الجثة بغرض الترميد، سواء كان بداخل القبر (Bustum) أو في مكان محاذ له أو بعيد عنه (Ustrinum)²⁹⁸، بينما القبر الذي يستقبل الرماد و/أو العظام بعد نقلها، فعبارة "هيكل ترميد ثانوي"²⁹⁹.

2.3 الأثاث الجنائزي في قبور الأطفال

تشهد نسبة الأثاث خلال مرحلة الترميد ارتفاعا ملحوظا من حيث الكم (في القبر الواحد)، بحيث أحصينا 28 قبرا على مجموع 32 يحتضن أثاثا، مقابل قبرين يخلوان منه (القبرين رقم 228 ورقم 230)، نشير إلى تعرض القبرين رقم 125 ورقم 131 إلى تعديلات ناتجة عن حفر قبور أحدث وعلى هذا الأساس، احتتم الباحث عدم انتماء كل عناصر الأثاث إلى القبر الذي وُجدت به (الرسم البياني رقم 20).

²⁹⁶ Tranoy, 2007, pp.138-145 ; Gagnol *et al.*, 2009, p.89.

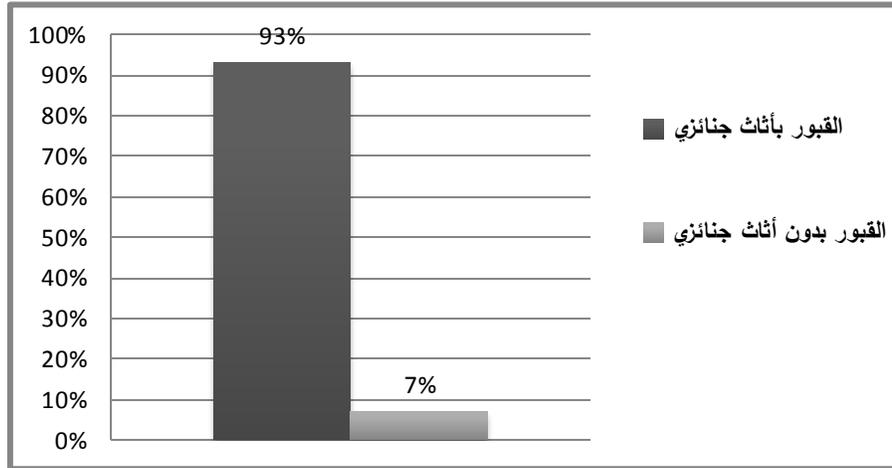
²⁹⁷ يشير مصطلح "يوسوم" إلى المحطبة و إلى القبر في نفس الوقت. نجد مرادفين له واللذان يحملان نفس المعنى وهما: *Pyra* و *Rogus*. يفصل سرفيوس مل بين المصطلحين، بحيث يتم استعمال مصطلح *Rogus* للإشارة إلى هيكل المحطبة، في حين يُستعمل مصطلح *Pyra* للإشارة إلى مرحلة أو لحظة وضع الجثة في المحطبة أي عملية الترميد بحد ذاتها

Servius, *Ad. Aen.*, 3,22, 12-15 Cité dans Laubry, 2016, p.76.

²⁹⁸ يسمى كذلك ب "فضاء الترميد على الأرضية" ويتخذ شكل هيكل دائم بحيث يستقبل عدة جثث على التوالي. قد يكون ذات حجم متواضع نسبيا (2-3 متر مربع) أو ذات حجم معتبر (100 مترمربع).

Cenzon-Salvayre, 2014, p.55.

²⁹⁹ Cenzon-Salvayre, 2014, p.57.



الرسم البياني 20: توضيح للفارق ما بين قبور الأطفال التي تتضمن أثاث وتلك التي تخلو منه

نذكر أنه خلال مرحلة الدفن البدائية، قُدرت نسبة القبور التي تخلو من الأثاث بـ 51 بالمئة، ما يعادل 40 قبرا على مجموع 67، مقابل 49 بالمئة من القبور التي تحتضن أثاثا، ما يعادل 27 قبرا على مجموع 67. أما خلال مرحلة الترميد، فنلاحظ أن القبور التي تخلو من الأثاث استثنائية.

إن عدنا إلى تحليل ج. شايد، تأتي مرفقات قبور الدفن عادة أقل عددا من هياكل الترميد ويعود ذلك، تبعا للباحث، إلى مستلزمات الطقس بحد ذاته³⁰⁰.

من جهة ثانية، يجتمع الباحثون على جملة من المحددات الخاصة بمخلفات المأدبة وبقية المراسيم الدينية انطلاقا من نوع الأثاث، مخلفات الإيداعات الغذائية وآثار الحرق، حيث يرى البعض أن الأثاث الذي يحمل آثارا للحرق وبالتحديد مختلف الأوعية، فقد استعمل في إطار المأدبة وهو عادة من فخار، يشتمل على أواني الأغذية الصلبة أو السائلة. أما الأثاث الذي يخلو من آثار الحرق، فهو ذلك الذي أضيف "بعد نهاية احتراق الجثة" ويتكون عادة من الأواني الخاصة بالإراقة أو بنشر العطور، على غرار الأنجنتراريا (*Unguentaria*) والبلسماريا (*Balsamaria*)³⁰¹؛ هذا وقد يتم العثور على أثاث زجاجي يحمل آثارا للحرق

³⁰⁰Scheid 2013, p.457.

³⁰¹ يُعدّ البلسماريوم بمثابة حاوي للبلسم، بينما الأنجنتراريوم، فهو مشتق من اللاتينية *unguen, Inis* ويشير بالتحديد إلى مادة دسمة عطرية، يحتضنها حاوي يُذكر بالمحتوى *unguentarium-a-um* وهو بذلك عبارة عن قنينة للروائح، الزيوت العطرية أو الزيوت الأساسية. كلاهما (بلسماريا وأنجنتراريا) مصنوع من مختلف المواد (فخار، معادن وكذلك من مواد سريعة التلف) هذا و يطغى الزجاج على مواد الصنع في غالبية الأحيان.

يراجع: Robin et Silvino, 2009, p.179.

والذي تتجسد مخلفاته في مختلف التشوهات مثل الاعوجاج، الذوبان، الانكسار أو الانفجار بفعل الضغط الحراري. في الحالة الأخيرة، نعلم أنه تم إتمام طقوس الإراقة ونشر العطور خلال احتراق الجثة وإلقاء الأثاث مباشرة في المحطبة³⁰². يُعرف ذلك الأثاث الذي يحمل آثار الحرق أو التشويه بـ "الأثاث الأولي" (Mobilier primaire)³⁰³، بينما الأثاث الذي يخلو منها، فبمثابة الأثاث الثانوي (Mobilier secondaire)³⁰⁴.

في الإطار الذي يهمننا، سنحاول الاعتماد على المعايير التي اتبعناها خلال مرحلة الدفن البدائية مع الإشارة إلى أنه تعذر إجراء المقارنة مع قبور الراشدين المحتملة لسببين:

- يصعب الأخذ بعين الاعتبار القبور التي تتراوح مقاساتها ما بين المتر والمتر وخمسون بحيث، تبعاً لتقييم ر.جيرري، فهي قد تحتضن مراهقين أو شباب بالغين دون تمييز. قد يؤدي ذلك إلى الخلط ما بين الفئتين ونحن على علم بأن الشباب البالغين من فئة الأطفال بينما المراهقون فهم على الحد الفاصل بين الطفولة وبداية سن الرشد. نذكر من ضمنها على سبيل المثال: القبور رقم 151-142-132-121.

- تعرض عدد من القبور إلى تشوهات، على غرار القبر رقم 132 الذي اخترقه القبر رقم 326 إلى درجة إزاحة مجمل الأثاث المتوفر، بالإضافة إلى قبور أخرى تابعة إلى نمط السقف المسنم والتي، بسبب انهيار السقف، تعذر تحديد ما إن تم تواجد الأثاث في تراب الردم أو بداخل القبر (القبور رقم 129-133-151). في حالات أخرى (القبور رقم 134 و 137)، تم تشويه القبر بخرقه على مستوى المركز (القبر رقم 134) أو بمحوه تماماً جراء تسوية قبر جديد (القبر رقم 137)، كما نجد القبر رقم 146 الذي عُثر فيه على أثاث موضوع فوق طبقة الرماد لكن مسجون في نفس الوقت في الردم الطيني، بحيث يتعذر هنا أيضاً الفصل بين أثاث الردم والأثاث المتواجد بداخل القبر³⁰⁵.

أما عن السعة، فقد أثبتت دراسات فوي و نينا أن البلسماريوم نقل سعتها عن 10 ملل، بينما الأجنثاريوم، فتتراوح ما بين 10 و 50 ملل. يُراجع:

Foy et Nenna 2001, p. 149 cité dans De Larminat, 2012, p.301.

³⁰²Cenzon-Salvayre, 2014, pp.38 et 39.

³⁰³Gagnol *et al.*, 2009, pp.126 et 127.

³⁰⁴Cenzon-Salvayre, 2014, p.39.

³⁰⁵Guéry, 1985, p.215.

على هذا الأساس، فباستثناء الفترة المخصصة لمخلفات الإيداعات الغذائية و كذا حماية القبور، التي اعتمدنا فيهما على القبور التي يفوق طولها 1.50 م بالنسبة لفئة الراشدين، فلم نباشر بأية دراسة مقارنة واكتفينا بالتركيز على رمزية المرفقات المتوفرة في قبور الأطفال، حالتها (آثار الحرق) ووضعتها في القبر (اعتيادية، معكوسة، مكسورة).

2.3.1 الأثاث المتوفر خلال مرحلة الترميد

إن استثنينا المصابيح وأواني المائدة، فبقية الأثاث ضئيل جدا، حيث نلاحظ ندرة أدوات تحضير المتوفي (البلماريا والأنجنتاريا) وكذلك أدوات الزينة، كالمرايا، مماسك الشعر والأبازيم³⁰⁶. نلاحظ من جهة ثانية قلة الأثاث الزجاجي (3 عناصر) وكذلك القطع النقدية (6عناصر).

أما عن الحلبي، فهي منعدمة وعلى عكس ما أحصيناه في مرحلة الدفن البدائية، لم نجد أية مخلفات للؤلؤات، أصلية كانت أو من عجينة الزجاج؛ هذا ويمكن أن تم توفير طلاس من مواد سريعة التلف دون أن يبق لها أي أثر.

يُعد غياب الحلبي مثيرا للانتباه خلال مرحلة الترميد، أين نلاحظ ارتفاعا ملحوظا لبقية المرفقات، في حين كانت متوفرة خلال المرحلة السابقة ولو بنسبة ضئيلة، لتظهر مجددا خلال مرحلة الدفن المتأخرة.

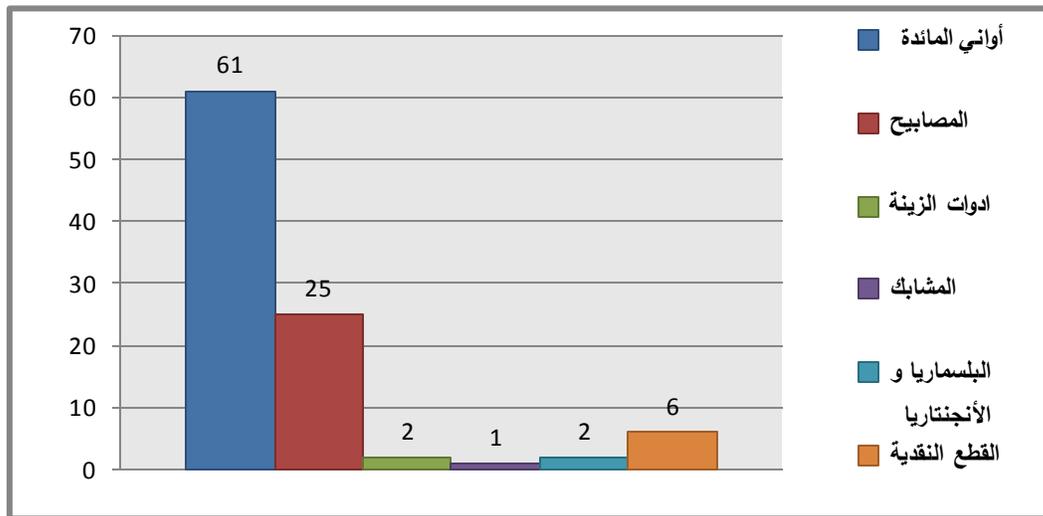
نعلم أن للحلبي رمزية تفوق مسألة المصنف الاجتماعي، بحيث يتسع دورها إلى حماية المتوفي وتسهيل العبور نحو العالم الثاني وباعتبار التأثيرات البونية في المقبرة الشرقية، نشير إلى أن وظيفة الحلبي الرئيسية في المقابر القرطاجية وخاصة الطلاس، تخص الطابع التعويذي ضد الأرواح الشريرة مثلا³⁰⁷. هل لنا في حالة غيابها ونحن نعلم أن آثارها تبقى بعد الحرق، أن نربط ما بين طقس الترميد وعدم الحاجة إلى حماية المتوفي بالمقبرة الشرقية؟ هو ما اقترحته ه.بينيشو - سفر بالنسبة للمقابر القرطاجية المؤرخة ابتداء من القرن الثالث ق.م، حيث بترسخ التقاليد الإغريقية في المجتمع القرطاجي، تخلى السكان عن فكرة الوقاية أو حتى الرعب أمام تدنيس القبور، تماشيا مع ترسخ فكرة خلود الروح من

³⁰⁶ فيما يخص الإبريم، فله وظيفتين إضافيتين: وظيفة عقد كفن المتوفي، ووظيفة رمزية تتعلق بجنس وسن المتوفي ووظيفة ذات طابع رمزي على علاقة بالخصوبة والتي سنعود إليها لاحقا.

³⁰⁷ Bénichou-Safar, 1982, pp.260-266 et 267.

خلال الترميد³⁰⁸. نحتمل بدورنا وجود علاقة من هذا القبيل فيما يتعلق بالحلي في المقبرة الشرقية خلال المرحلة المدروسة.

فيما يخص أدوات الزينة، فقد تم العثور، في القبر رقم 156، على جزء من مرآة دائرية مصنوعة من مادة البرونز وعلى أداة عظمية ذات الرأس المخروطي الشكل، مزخرفة بحزّات مائلة والتي قد استعملت كعمسك للشعر (أنظر ملحق مرحلة الترميد لهذا الفصل). نشير كذلك إلى القبرين رقم 156 ورقم 236 (فئة الأطفال)، أين عُثِر على أنجنتاريوم وبلسماريوم تعرّضا للتلف ولم يُعدّ تشكيلهما (الرسم البياني رقم 21) (أنظر في نهاية المرحلة، الرسم رقم 6).

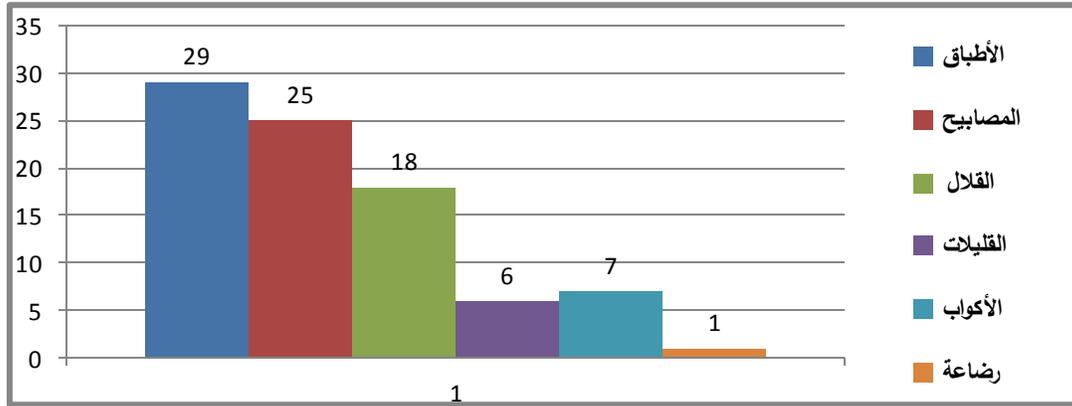


الرسم البياني 21: عدد عناصر الأثاث المتوفر في قبور الأطفال

فيما يتعلق ببقية المرفقات، تشكل أواني المائدة والمصابيح أكبر حصة من مجمل العناصر المتوفرة وذلك بنسبة 63 بالمئة بالنسبة للأواني، تليها المصابيح ب 26 بالمئة، القطع النقدية ب 6 بالمئة وأخيرا أدوات تحضير المتوفي، أدوات الزينة والأبازيم بالنسب التالية: 2، 1 و 2 بالمئة.

³⁰⁸Bénichou-Safar, 1982, p. 93. (Note de bas de la page).

فيما يخص أواني المائدة، تعود أكبر نسبة منها إلى الأطباق (34 بالمئة)، تليها القلال (21 بالمئة) ثم الأكواب (8 بالمئة)، بينما تُسجل القليلات أدنى نسبة (7 بالمئة) بالإضافة إلى عنصر استثنائي يتمثل في أنية من نوع أسكوس (الرسم البياني رقم 22).



الرسم البياني 22: توزيع الأثاث الجنائزي حسب الأهمية العددية

لاحظنا كذلك توفر تركيبة قاعدية في قبور الأطفال خلال مرحلة الترميد، تتضمن بالدرجة الأولى تركيبة الطبق - مصباح، بالإضافة إلى القلة. إن استثنينا القلة، فهي نفس التركيبة التي سجلناها خلال مرحلة الدفن البدائية. من جهة ثانية وبالرغم من قلة عدد القبور مقارنة بالمرحلة السابقة، نلاحظ ارتفاعا في عدد كل من الأطباق والمصابيح (18 مصباح و17 صحن خلال مرحلة الدفن البدائية مقابل 25 مصباحا و29 طبقا خلال مرحلة الترميد). ندرج نفس الملاحظة بالنسبة إلى القلال، القليلات والأكواب، (5 قلال، 3 قليلات، 4 أكواب خلال مرحلة الدفن البدائية مقابل 18 قلة، 6 قليلات، 7 أكواب خلال مرحلة الترميد).

نحتمل انطلاقا من ذلك وباعتبار قلة العناصر ذات الطابع التعويذي - الوقائي، بأنه خلال مرحلة الترميد، لم تُمنح أولوية للإعتبرات الوقائية. نلاحظ كذلك أنه، بالمقارنة مع المرحلة السابقة، فقد تنوعت التركيبة المتداولة بمزج منتظم بين أواني المائدة الخاصة بالأغذية الصلبة والسائلة والذي يجسده ظهور القلال

بعدد ملحوظ، فضلا عن القليلات والأكواب بنسب أدنى، كما قد تتعدد أواني السوائل في القبر الواحد، حيث أحصينا ثلاثة قليلات في القبر رقم 238. نستنتج من الإستمرارية في اللجوء إلى تركيبة قاعدية خلال المرحلتين، مع إثرائها بأواني المائدة الخاصة بالسوائل، بأن هنالك فعل مبرمج يخص فئة الأطفال والذي يهدف إلى توفير، ليس أهم العناصر فحسب، وإنما تعزيزها بعناصر لها ثقلها الرمزي في علاقتها بالبعث.

2.3.2 تموضع الأثاث الجنائزي خلال مرحلة الترميد

2.3.3 الأثاث المتواجد في الردم

تم إحصاء في القبر رقم 122 أربعة عناصر من الأثاث، مندمجة في تراب الردم وليس بمحاذاة المتوفي وهي كالتالي: مصباح يتضمن إبرة تابعة لثقب الترميم، قليلة، طبق مقلوب وطبق مائل. أما المسامير الذي عُثر عليه في تراب الردم، فيمكن أن توجد هناك صدفة حين تغطية القبر وذلك باعتبار المسامير غالبا ما تأتي بداخل القبر وليس على مستوى الردم، أين تُستعمل إما في إدماج ألواح النعوش Clous (d'Assemblage) أو في تهيئتها الداخلية (Clous de Tapisserie/ à suspension)، في تركيبة علب الحلي، في تركيبة المحطبة أو أخيرا بالقرب من الأثاث، قرب الهيكل أو مغروسة في الأرض في حالة طقس التسمير مثلا. يمكن احتمال أن تكون للمسامير وظيفة تعويضية باعتباره مصنوع من مادة الحديد ولتلك المادة دور في إبعاد الأرواح الشريرة³⁰⁹ لكن في تلك الحالة، فمن المنطقي أن يأتي في وضعية أقرب إلى الجنة وليس كما هو الحال في القبر رقم 122، في تراب الردم. نتحصل بذلك على 4 عناصر متواجدة في تراب الردم مقابل 97 عنصر محاذا للمتوفي.

2.3.4 الإيداعات الغذائية ومخلفات المأدبة لدى الفئتين

تم العثور على قسط قليل منها، سواء تعلق الأمر بالقبور التي تشير مقاساتها، وفقا لتقييم ر.جيري، إلى أنها تابعة للراشدين أو للأطفال:

³⁰⁹ Pline L'ancien, XXXIV, 44.

- القبرين رقم 109 ورقم 111: فئة الراشدين. يشتمل كل من القبرين على البقايا العظمية للمتوفي بداخل قلة مسدودة بحجارة و متموضعة مباشرة تحت قناة الإراقة.
- القبر رقم 146: راشد وعثر فيه على بقايا عظمية في قلة (غير محدد).
- القبر رقم 119: لم يدمجه ر. جيري ضمن قبور الأطفال وباعتبار مقاساته (110سم/63 سم)، يمكن احتمال انتمائه إلى تلك الفئة باعتبار مقاسات أقل من القبر رقم 113 (135 سم/ 50 سم) الذي أدمجه الباحث ضمن فئة الأطفال. يشير ر. جيري إلى إعادة فتح القبر في مرحلة ثانية على الجهة الغربية لإدماج جملة إضافية من الأثاث (قلة، مصباحين، طبق مقلوب وكأس) قبل ترميم التغطية، مما يوحي بعودة الأهل لإتمام المراسيم الدينية، حيث يضيف الباحث أنه لم يتم تشتيت الإيداعات العظمية³¹⁰.
- الضريح رقم 113: طفل، عُثر فيه على بقايا عظمية بداخل أنية من نوع طاجين.
- القبر رقم 204: طفل، تم العثور فيه على هيكل كامل لدجاجة متصلة المفاصل.
- القبر رقم 158: راشد. عُثر به على بقايا حبوب، التي سبق وأن أشرنا إلى علاقتها بالإلهة سيراس.
- القبور رقم 161-178-188-226: فئة الراشدين وتشتمل على مخلفات لبذور العنب (إهداء للمتوفي).
- القبرين رقم 174-181: فئة الراشدين وتم العثور بهما على بقايا لحبوب القمح.
- القبر رقم 182: راشد ويحتضن قلة مسدودة بقطعة حجرية.
- القبر رقم 179: طفل ويحتوي كذلك على قلة مسدودة بقطعة حجرية.
- القبر رقم 217: راشد ويشتمل على قلة وُضع فوقها كوب.
- القبر رقم 157: طفل ويشتمل على قليلة مسدودة بقطعتين فخاريتين.
- نستنتج أنه من مجموع 131 قبرا، توفرت مخلفات الإيداعات في 17 قبرا، 5 منها تابع لعينة الأطفال و12 لفئة الراشدين. إن كان عدد الإيداعات الغذائية ضئيلا لدى الأطفال، فتتطبق نفس الملاحظة على

³¹⁰Guéry, 1985, pp.147-148.

فئة الراشدين، كما نشير إلى أن توفر مخلفات عظمية في القبرين رقم 113 ورقم 204 التابعة لعينة الأطفال، يدلي بتقديم أضحية نحتمل أن تكون على علاقة بالمأدبة، أودع جزء منها في قبر المتوفي³¹¹. نشير كذلك في قبور فئة الأطفال إلى القبر رقم 179 الذي عُثر فيه على قلة مغلقة بكوب موضوع على العنق، القبر رقم 157 الذي اشتمل على قليلة مسدودة والقبر رقم 119 الذي احتضن طبقا مقلوبا. يوجي ما سبق بإبداعات فعلية إندثرت أو رمزية. فيما يخص فئة الراشدين، فلم يتم تحديد نوع البقايا العظمية في القبر رقم 146، في حين تعد بقايا الحبوب في القبور رقم 158-174-182، 188، 226، 181، 161، 178، 217، مؤشرا لإهداء للإلهة سيراس، باعتبارها المشرفة على المراسيم وتستقبل جزءا من مستهلكات المأدبة³¹².

نضيف القبرين رقم 109 ورقم 111، اللذين يشتملان على بقايا عظمية بشرية لفئة الراشدين، لكن وجود تلك العظام في قلة متموضعة مباشرة تحت قناة الإراقة يوجي بفعل مبرمج غرضه المُحتمل تزويد المتوفي بإبداعات غذائية خلال المراسيم التذكارية اللاحقة.

يمكن أن نستنتج مما سبق أنه تم منح أولوية لفئة الراشدين، لكن بفارق عددي ضئيل لا يسمح بالجزم فيما إن قامت على أفضلية فئة عن أخرى. نضيف أنه، تماشيا وقلة ذلك العدد، فتوفر طفلين حظيا بمأدبة مؤكدة (رقم 113 ورقم 204)، يدلي على الأقل بعدم إقصاء تلك الفئة.

من جهة ثانية، قد يشير العدد الضئيل كذلك إلى احتمال وجود توجه خاص بمقبرة مدينة سطيف حيث نُذكر أن غياب المأدبة لا يعني انعدام المراسيم، فقد سبق وأن تطرقنا إلى احتمال تعويض الذبيحة والإبداعات الغذائية بالإراقة³¹³. إن يصعب الجزم فيما يتعلق بكلتا الفئتين، يسمح توفر القلال بشكل ملحوظ باحتمال ذلك.

³¹¹Cenzon-Salvayre, 2014, p.348.

³¹²Tranoy, 2007, p.166 ; Scheid, 2013, p.452.

³¹³Scheid, 2013, p.460.

2.3.5 الأثاث الأولي في قبور الأطفال

فيما يتعلق بالأثاث الأولي، فيكاد بدوره ينعدم باستثناء القبر رقم 180، التابع لطفل والذي عُثر فيه على طبق محروق، مما يشير إلى أنه ألقى في المحطبة خلال احتراق الجثة؛ أما عن بقية الأثاث، فيشير إلى إدماجه بعد خمود المحطبة تماما.

يسمح لنا ما سبق بالتساؤل حول دور الأثاث المتواجد في قبور الترميد: إن كان المتوفي يشاطر فعلا الأحياء وجبة المأدبة على المحطبة أي خلال ترميد الجثة وإن تعد الأواني، على حد تعبير ف. بليزو، بمثابة العنصر الدال على إقامة المراسيم الجنائزية³¹⁴، فكيف يمكن تفسير من جهة، غياب آثار الحرق وندرة مخلفات الإيداعات الغذائية ومن جهة ثانية، توفر عدد معتبر من الأثاث، أهمها الأواني؟

بعبارة أوضح، ما سبب غياب آثار الحرق على أثاث اعتاد الرومان على إلقائه في المحطبة خلال ترميد الجثة كمخلفات لمأدبة المتوفي، وفي ذات الوقت احترام سكان مدينة سطيف لمبدأ الارتفاع العددي لعناصر الأثاث في طقس الترميد والذي يُعد بدوره أمر معتاد لدى الرومان ومثبت من طرف الآثاريين.

قد يعود ذلك "التناقض" الظاهري إلى قلة الإمكانات المادية، كما أشار إليه ج. شايد وبدوره ر. جيري بالنسبة لمقبرة سطيف³¹⁵ أو إلى نظرة ثقافية مغايرة فيما يتعلق بمراسيم الجنازة ولاسيما المأدبة، خاصة أن ذلك العدد الضئيل من الأثاث لا يخص عينة الأطفال فحسب وإنما الراشدين على حد سواء.

قد نستند في تلك الحالة قراءة إ. كروبيزي فيما يسميه "تعددية الدلالة" بحيث يشتمل كل "طقس" على محتوا ظاهر (Contenu manifeste) وآخر كامن (Contenu latent)³¹⁶ وبالرغم من توفر المعطيات التي

³¹⁴Blaizot, 2009, p.322.

³¹⁵Guéry, 1985, p.132 ; Scheid, 2013, p.460.

³¹⁶ لم نلجأ إلى مصطلح الطقس باعتبار أن محددات الطقس معقدة وتستوجب فعلا مثبتا ومتكررا، مدعما بما سمح، خلال الفترة المدروسة، بمنحه مصداقية. تعد العبارات المقدسة (الصلوات) بدورها عنصرا هاما يحمل قدسية ويمنح شرعيته للفعل الجنائزي. لا بد بذلك أن نجد صدى لمثل هكذا عبارات في المصادر وباعتبار انعدامها، ينقصنا أحد المحددات الأساسية التي تعرقل اللجوء إلى استعمال مصطلح الطقس فيما يخص المقبرة الشرقية وإنما الاكتفاء بمصطلح "الممارسات". يركز من جهته إ. موريس على الطابع التكراري للطقس ويبحث على الفصل بين الطقس والممارسة حتى وإن نجد جانبا طقوسيا في الممارسة. لتفاصيل أكثر، يُراجع Crubézy, 2007, pp.14-15 ; Morris, 1992, p.8.

تسمح بفهم مدلول طقس معين، يبقى احتمال وجود مدلولات أخرى قائما بحيث ما نقترح تفسيراً له، يبقى في نهاية المطاف مرهونا بالمحتوى الظاهر نظراً لندرة أو انعدام الأدلة النصية³¹⁷.

انطلاقاً مما سبق، تتمثل الفرضية الوحيدة التي ارتئينا اقتراحها في أننا أمام مسألة " أولويات " راسخة في الذهنية الجماعية لسكان مدينة سطيف والتي قد تقوم على منح أهمية أكبر إلى المتوفي في القبر من خلال الأثاث الذي يرافقه، بينما المأدبة أو غيرها من المراسيم، فيما أن تمت وفقاً لمراسيم مختلفة عن التأثيرات البونية والرومانية أو أن قلة الإمكانيات لم تسمح بالاستجابة إلى كل تكاليف المراسيم (وهو في الواقع أمر مستبعد نظراً لارتفاع عدد الأثاث المتوفر).

يحلينا ما سبق إلى تعزيز احتمال التمازج في الممارسات الجنائزية من خلال اللجوء إلى مراسيم ذات طابع محلي وهو عنصر جدير بالاهتمام، حيث يشير ر.جيري إلى استمرارية بعض الطقوس المحلية في طريقة التعامل مع الجثة ونذكر من ضمنها طقس التخلع الأولي في القبر رقم 72 (مرحلة الدفن البدائية) والقبر رقم 334 (مرحلة الدفن المتأخرة)، الوضعية القرفسائية في القبرين رقم 27 و 311 (مرحلة الدفن البدائية والمتأخرة)، طقس ربط الجثة في القبر رقم 327 (مرحلة الدفن المتأخرة) فضلاً عن طقس الإيداع المنعزل للجمجمة في القبرين رقم 222 ورقم 223 (مرحلة الدفن المتأخرة)³¹⁸.

2.3.5.1 وضعية الأثاث الجنائزي

سبق وأن تطرقنا إلى رمزية الأواني في وضعيتها الإعتيادية أو المقلوبة وإلى رمزية الأثاث الخاص بفصل عالم الأموات عن الأحياء، من خلال الأواني المكسورة، المنقلبة، المنتصبة، أي في وضعية معكوسة. نذكر هنا بأن الأثاث المقلوب (Mobilier retourné) يختلف في وظيفته الرمزية عن الأثاث المنقلب (Mobilier renversé)، فالأول يرمز إلى الإيداعات الغذائية (فعلية كانت أو رمزية)، بينما قد يشير الثاني إلى الفصل بين الأحياء والأموات قصد تجريد الآنية من وظيفتها الأصلية وتسجيل المتوفي رسمياً في محيطه الجديد.

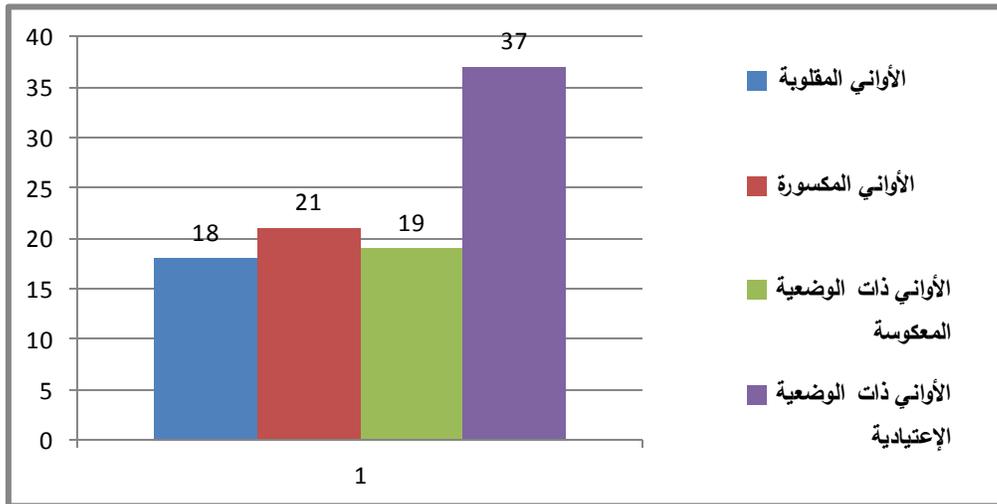
³¹⁷ Crubézy, 2007, p.15.

³¹⁸ Guéry, 1985, p.320.

باعتبار توفر الأثاث في الوضعيات والحالات المذكورة أعلاه، ارتئينا التدقيق في نسبة كل عنصر حتى يتسنى لنا تقييم الأولويات، مما سيتيح الفرصة لإثبات أو نفي الفرضية المتعلقة بحرص سكان مدينة سطيح الأولوية لمرافقة الطفل وضمان بعث موفق له.

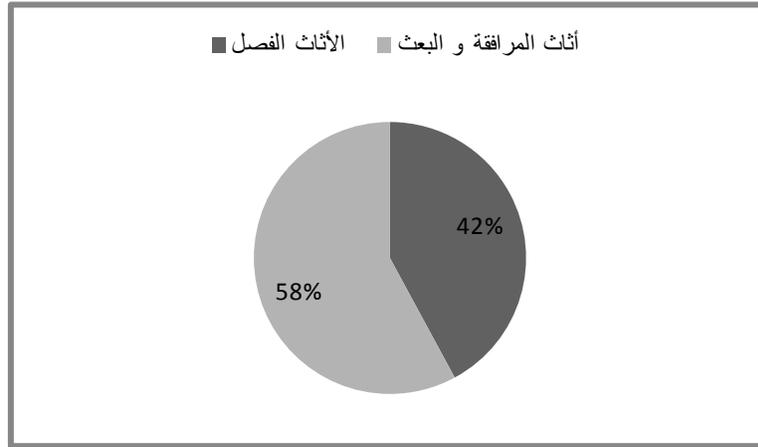
على هذا الأساس، مزجنا بين الأثاث المتواجد بداخل القبر (97 عنصر) والأثاث الذي عُثر عليه في تراب الردم (4 عناصر) باعتبار أن هذا الأخير لم يأت في وضعية اعتيادية، مما يوحي بالفعل المبرمج، حيث لم يُشر ر.جيري لم يشير إلى عامل الصدفة.

لاحظنا من مجموع 101 عنصر، أن أعلى نسبة تعود إلى الأواني ذات الوضعية الإعتيادية (37 عنصر)، تليها بفارق ملحوظ الأواني المكسورة (21 عنصر) ثم الأواني ذات الوضعية المعكوسة (19 عنصر) وأخير الأواني المقلوبة (18 عنصر) (الرسم البياني رقم 23).



الرسم البياني 23: توزيع الأثاث حسب الوضعية التي وُجد عليها في القبر

إن جمعنا عناصر الأثاث التي ترمز إلى الفصل بين عالم الأحياء والأموات (الأثاث المكسور والمعكوس)، نتحصل على مجموع 40 عنصرا، بينما إن قمنا بنفس العملية مع الأثاث المقلوب وذات الوضعية الإعتيادية، نتحصل على مجموع 55 عنصر (الرسم البياني رقم 24).



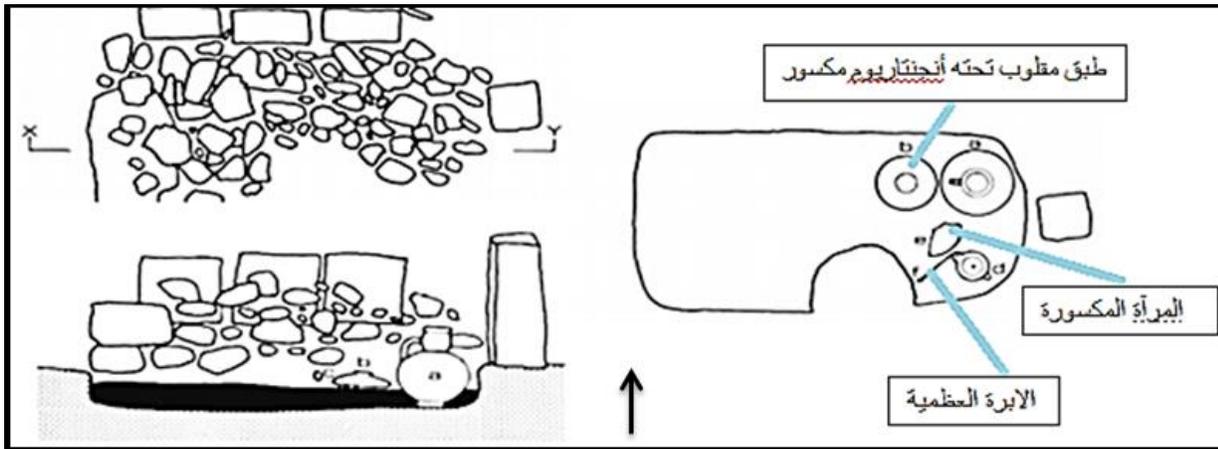
الرسم البياني 24: نسبة توفر أثاث المرافقة وأثاث الفصل

نشير من جهة ثانية إلى أنه على مجموع 25 مصباح، أحصينا 24 عنصرا في وضعية إعتيادية من ضمنها مصباح مكسور كليا في القبر رقم 119 وفي القبر رقم 223 أين ينقص المقبض، في حين أنت بقية المرفقات سليمة. هو أمر جدير بالذكر حيث يوحى وجود المصابيح في الوضعية الإعتيادية وسليمة من الكسر، بالحرص عموما على عدم توظيفها في رمزية الفصل بين العالمين، ربما باعتبار أهمية احتفاظها على الوظيفة التي تكتسيها في تمهيد الطريق للمتوفي وإبعاد الأرواح الشريرة. بذلك، فباستثناء القبر رقم 122 الذي يحتضن الأربع عناصر في تراب الردم والتي يأتي فيها المصباح في وضعية منتصبة والقبرين رقم 119 و 223، فقد تم احترام الوضعية الإعتيادية في بقية القبور. يمكن بذلك أن نحتمل أن تلك الاستمرارية ناتجة عن فعل مبرمج مفاده أن يحتفظ المصباح بدلالته الخاصة.

نستنتج من جهة ثانية وتبعا للأرقام المذكورة أعلاه، أنه حتى وإن تم الحرص على توفير أثاث يعزل رمزيا المتوفي عن عالم الأحياء، إلا أن الفرق العددي بين أثاث الفصل والأثاث في وضعية اعتيادية، يمنح الأولوية للثاني، خاصة إن اعتبرنا ما سبق ذكره حول المصابيح. انطلاقا من ذلك، فيُحتمل أن تلقى فئة الأطفال عناية تسمح بضمان مسار موفق نحو العالم الثاني؛ هذا ويبقى فصل المتوفي عن عالم الأحياء متداولة بالنسبة للراشدين كذلك.

في ذات السياق، ندرج بعض الملاحظات تخص الأثاث المكسور في بعض القبور. يشير ر. جيري إلى أن القبر 156 تعرض إلى تشويه في الجهة الجنوبية نتيجة حفر القبر رقم 235، بحيث تم اختراق القبر

156 كليا ابتداء من طبقة الرماد³¹⁹. عُثِر في القبر على عناصر كاملة وعلى مرآة وأنجنطاريوم مكسورين دون تحديد إن كان ذلك الكسر عمديا (الرفع رقم 1) ويمكن حينها احتمال أن الكسر راجع إلى تداخل القبرين.



الرفع 1: رفع أفقي (على اليمين) وعمودي (على اليسار) لمكان تشوه القبر رقم 156 بفعل اختراقه من طرف القبر رقم 235. عن: Guéry, 1985, p.169

لكن بتدقيق الملاحظة، نرى في الشكل أعلاه أن الأثاث الجنائزي المتواجد في القبر رقم 156 يشتمل في الزاوية الجنوبية الشرقية على مصباح لم يتعرض إلى أي تشويه ونفس الملاحظة بالنسبة للإبرة العظمية المتواجدة بين المصباح والمرآة المكسورة والتي تعد من الأثاث السريع التلف. إن تم كسر الأنجنطاريوم بسبب اختراق القبر رقم 235، فالمصباح والإبرة العظمية أكثر عرضة للتشويه. أضف إلى ذلك أن الأنجنطاريوم متواجد تحت طبق مقلوب لم يتعرض للكسر ولا للإزاحة، مما يثبت الكسر العمدي. نفس الملاحظة بالنسبة للقبر رقم 236، حيث يعد البلسماريوم بمثابة العنصر الوحيد الذي تعرض للكسر، بينما لم يتعرض القبر لأي تشويه من أي جانب، مما يثبت مرة أخرى الكسر العمدي. أما عن القبور التي تم تشويهها إلى درجة الشك في انتماء الأثاث إليها، فنذكر منها القبرين رقم 125 ورقم 131 والذين لم ندمج مرفقاتهما في تعدادنا للعناصر، ما عدا القلة التابعة للقبر رقم 125 والتي يجزم الباحث بأنها وُجِدَت في مكانها الأصلي³²⁰.

³¹⁹ Guéry, 1985, p.170.

2.3.6 الأثاث الاستثنائي

تم إحصاء آنية واحدة من نوع أسكوس ذات فوهة مثقوبة في القبر رقم 223 ومشبك من البرونز ينقصه المقفل في القبر رقم 171. فيما يخص الآنية وهي رضاعة، فباعتبار غياب فئة العمر التي ينتمي إليها الطفل، لا يمكن المباشرة بأي اقتراح.

أما عن الإبريم الذي عُثر عليه في القبر رقم 171، فقد يشير إلى وظيفته في عقد كفن، قماطة المتوفي أو لباسه (Elément d'attache). تشير س.دي لارمينا إلى أن قلة هذه العناصر توحى باللجوء إلى خياطة الأكفان أو الملابس أو استعمال أحزمة³²¹.

يمكن من جهتنا اقتراح تحليل على علاقة بمقفل الإبريم، اعتبارا للبعد الرمزي الذي قد يسمح بالتدقيق في وظيفته. تطرقنا سابقا إلى أبحاث إد بابايكونومو وإلى تركيزها على إثبات العلاقة بين جنس وسن المتوفي من جهة وعناصر الأثاث ذات الصلة بالأمومة والموت جراء مرحلة التوليد أو الإجهاض من جهة ثانية. أثبتت الباحثة أن المقفل يعد من العناصر الوثيقة الصلة بالحمل والولادة وأن وجوده في قبر طفلة في سن البلوغ، قد يشير إلى حمل غير موفق آل إلى وفاة الأم، إن كان مصحوبا بعناصر كالكريات الفخارية والإكليل.

تضيف الباحثة أنه إن كانت الولادة قد تمت دون عراقيل، لما كان لوجود ذلك العنصر فائدة في القبر، بحيث يرمز من حيث شكله إلى الحبل الصري في بعض الأحيان وإلى كل ما له علاقة بفكرة التحرر (Délivrance) بالنسبة للأم والطفل³²²، كما ركزت الباحثة على ارتدائه منذ الفترة القديمة وذلك إلى غاية القرن الحالي من طرف نساء منطقة القبائل بالجزائر والمغرب أين يرمز إلى الحمل والولادة الموفقة، فضلا عن وظيفته الوقائية. تضيف الباحثة أن المصطلح المستعمل هو "أفريم"، المستوحى من الجذر "أفزي" الذي يعني "التحرير أو الفك". من جهة ثانية، قد تكون هنالك علاقة بين مفهوم التوليد تحت رعاية

³²⁰Guéry, 1985, pp.151-152.

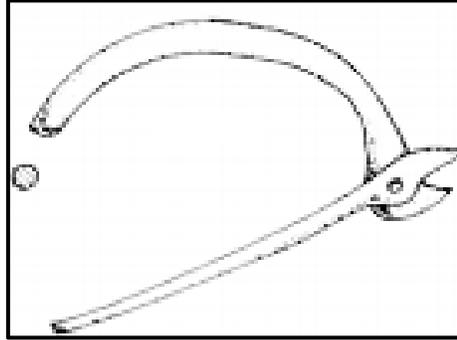
³²¹De Larminat, 2016, p.504-505.

³²²Papaikonou, 2013, pp.115-120-121.

الإلهة أرتميس³²³ وشكل المقفل الربيع هلالى الذي يعد بمثابة رمزا لها، باعتبارها حامية النساء الحوامل والمشرفة على التوليد³²⁴.

أما بالنسبة للطفل، فُيعد الإبزيم أداة واقية من أخطار الولادة ومن الوفاة، حيث يرتديه الرومان كإسوار يتخذ شكل الحبل الصري من خلال الشكل الملتوي³²⁵. في هذا الإطار، تربط إ.د. بابايكونومو بين أشكال بعض الأبازيم والحوار الرمزي لذلك العنصر بحيث يشير إلى جنس المتوفية أولا ثم إلى سبب وفاتها وحرزها أو حزن أهلها على ضياع فرصة الأمومة³²⁶.

نلاحظ بدورنا أن الإبزيم الذي يهمناء، وإن لا يتخذ الشكل الملتوي، فله فعلا شكل ربع هلالى كما أنه يفتقر إلى المقفل وهو العنصر الوحيد الذي ينقص في الأداة. تذكر الباحثة بابايكونومو أن كسر المقفل أو أية آنية في هذا الإطار، قد يعكس حدة الاستياء والألم³²⁷ (الرسم رقم 5)؛ هذا وفي ظل غياب تحديد لفئة العمر التي ينتمي إليها المتوفي، يتعذر علينا الجزم.



الرسم 5: إبزيم غير كامل (القبر رقم 171)

³²³Papaikonou, 2013, p.121.

³²⁴ هنالك جملة من العناصر التي تنسب الى الإلهة و التي إما أن تأتي في شكل هلال أو أن تنسب الى الهلال ومن ضمنها، في مجال القرابين، كعكة سيليني التي تتخذ ذلك أو أحيانا حجرة نادرة تدعى بال Sélénite والتي لها خاصية التغير في الحجم وفقا للمراحل القمرية، بحيث تزداد و تنقص حجما تماشيا مع تطور الهلال إلى غاية اكتماله.

Noël, 1823, pp.575-576.

³²⁵Papaikonou, 2013, p.127.

³²⁶Papaikonou, 2013, pp.117-118-130-131.

³²⁷Papaikonou, 2013, p.127.

2.4 حماية القبور لحفظ الجثث

تندمج قبور الأطفال خلال مرحلة الترميد ضمن أحد الأنواع المذكورة في الجدولين رقم 4 و5، باستثناء النوع الأول وهو الأضرحة المقبية التي تحتضن طفلا واحدا على مجموع 7 قبور (الضريح رقم 113). نقترح فيما يلي نسب تداول كل نمط، مما سيسمح بتحديد ما إن كانت وفرة أو قلة عدد الأطفال في نوع معين مرتبطة بفرق في التعامل بين الفئتين (أطفال وراشدين)، لنتطرق بعدها إلى حماية القبور لنفس الغرض.

النمط I-A:

- الأضرحة المقبية (النمط الأقدم خلال مرحلة الترميد): نسبة 6 بالمئة من مجمل القبور (7 على مجموع 131 قبرا)، من ضمنها ضريح طفل (الضريح رقم 113).

- القبور الغير مغطاة: نسبة 55 بالمئة وتشكل أعلى نسبة، كما تم إحصاء في هذا النوع 22 قبرا تابع لعينة الأطفال.

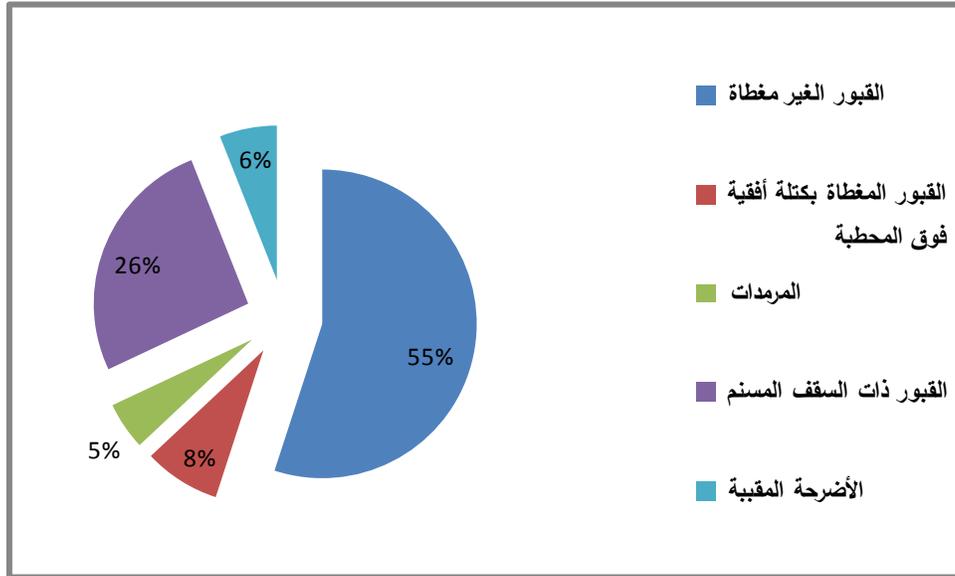
- القبور ذات السقف المسنم: نسبة 26 بالمئة وتتضمن 5 قبور تابعة لعينة الأطفال.

- القبور المغطاة بكتلة أفقية فوق المحطبة: نسبة 8 بالمئة وتشتمل على قبرين من عينة الأطفال.

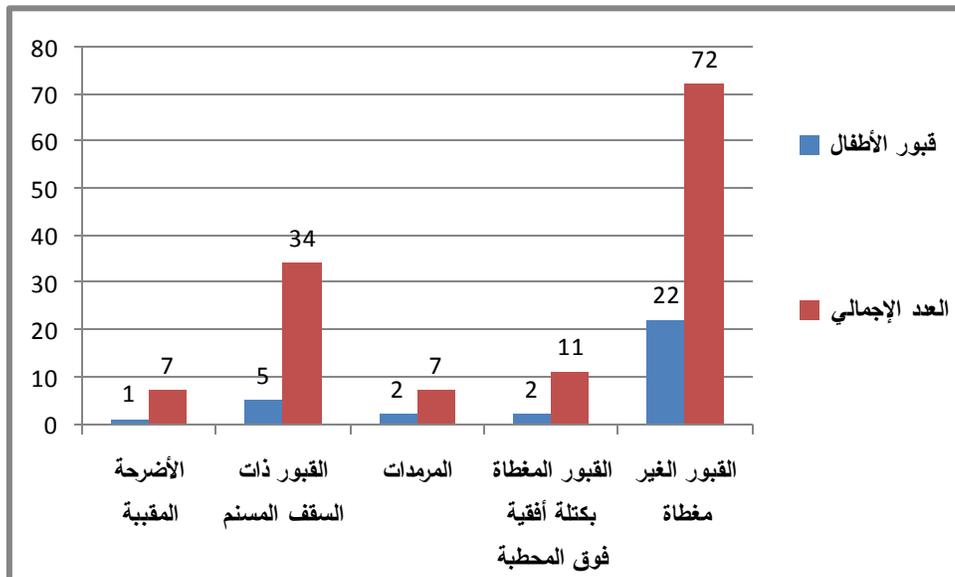
النمط II-B:

- المرمدات: نسبة 5 بالمئة من مجمل القبور. سبق الذكر أنه غالبا ما تأتي القبور في شكل حفر دائرية وأنها اعتمدنا على تلك التي تتخذ الشكل المستطيل باعتبار أن المقاسات التي اقترحها ر.جيري في تحديده لقبور الأطفال تنطبق على الحفر المستطيلة دون غيرها. على هذا الأساس، أحصينا في هذا النمط قبرين من المحتمل أن يكونا تابعين إلى فئة الأطفال³²⁸ (الرسم البياني رقم 25 و26).

³²⁸Guéry, 1985, pp.212-215-219-221-219.



الرسم البياني 25: توزيع نسب القبور حسب النوع



الرسم البياني 26: توزيع نسب قبور الأطفال في كل نوع مقارنة بالعدد الإجمالي للقبور

نلاحظ من خلال الرسم البياني رقم 26 أن عدد القبور الغير مغطاة تسجل أعلى نسبة. باعتبارها تلك التي شهدت أطول مدة استعمال، فمن المنطقي أن تندمج فيها أغلبية القبور التابعة للأطفال ولا يمكن

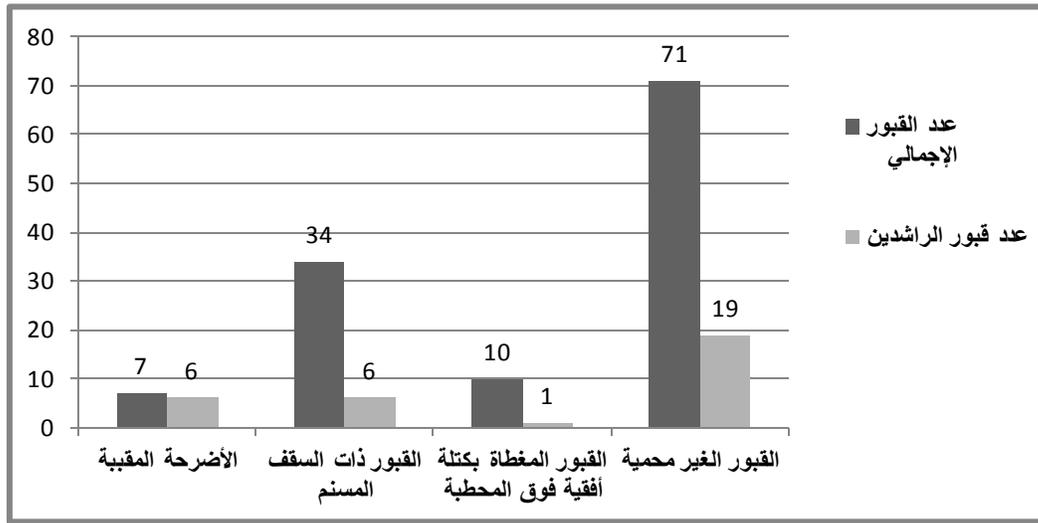
حينها أن نحيل ارتفاع النسبة إلى عدم الإهتمام بتوفير حماية لتلك الفئة. لكن فيما يخص الأنواع الأخرى، يبدو لأول وهلة أن هنالك فارق ملحوظ في توزيع القبور، على غرار القبور ذات السقف المسنم التي لا تشتمل إلا على 5 قبور من عينة الأطفال والأضرحة المقيبة التي لا تشتمل إلا على قبر واحد من نفس العينة. نلتمس بذلك فروقات في التوزيع قد تُحال إلى قلة الحرص على حماية قبور الأطفال.

من جهة ثانية، فباعتبار التباين بين عدد قبور الأطفال وعدد القبور المتبقية، لا يمكن منطقياً لمعطيات الرسم البياني أن توفينا بصورة وافية لخلفيات ذلك التوزيع بحيث يمكن أن يشتمل عدد القبور المتبقية على الفئتين دون تمييز ولا سيما ما سبق ذكره فيما يتعلق بالبالغين والمراهقين على هذا الأساس، ارتئينا انتقاء عينة من القبور³²⁹ التي اعتبرها ر.جيري تابعة لفئة الراشدين (150سم فما فوق)³³⁰ واخترنا منها 32 قبراً تفوق مقاساته ال 1.60م إلى غاية المترين لإحداث نوع من التوازن العددي ما بين الفئتين والتأكد مما إن كان هنالك فعلاً فرق في التعامل على أساس حماية القبور.

اتضح من توزيع العينة التجريبية أنه من مجموع 131 قبراً، تندمج 5 قبور ضمن الأضرحة المقيبة، 6 قبور ضمن القبور ذات السقف المسنم، قبر واحد ضمن القبور المغطاة بكتلة أفقية فوق المحطبة و 19 قبراً ضمن نوع القبور الغير مغطاة (الرسم البياني رقم 27).

³²⁹ القبور رقم 108-109-110-111-114-115-124-139-141-144-145-153-169-176-178-177-182-183-186-187-188-190-192-196-206-207-209-210-214-217-224-229.

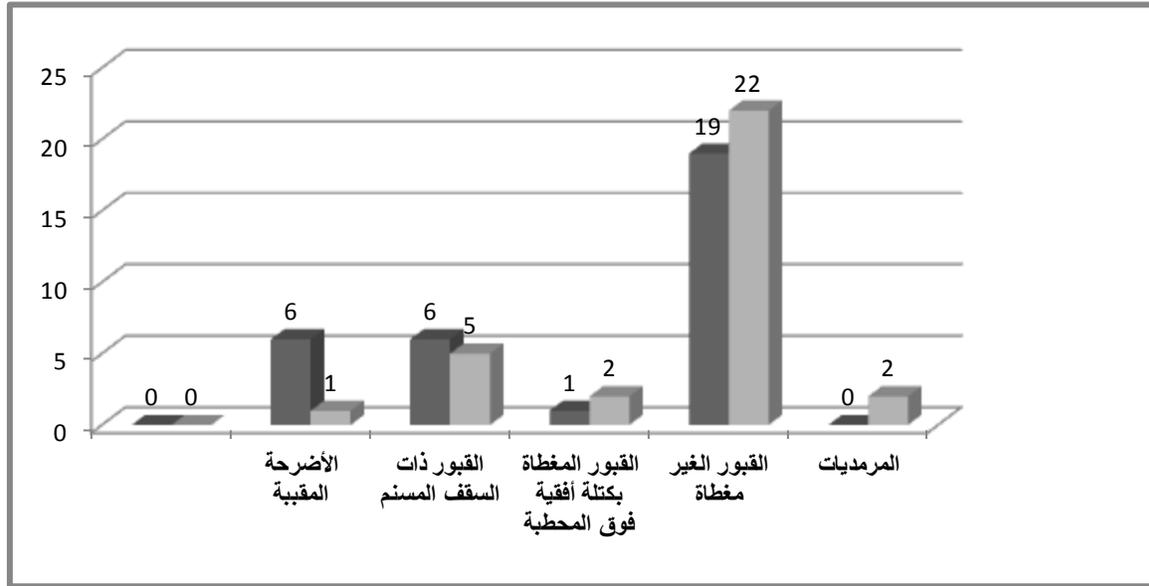
³³⁰Guéry, 1985, p.221.



الرسم البياني 27: توزيع عدد قبور العينة التجريبية في كل نوع من القبور مقارنة بالعدد الإجمالي للقبور

نستنتج بذلك أن الفارق الملحوظ في التوزيع على الرسم البياني رقم 26 كان على صلة بعدد القبور مبدئياً وليس بالفئة، إن استثنينا الأضرحة المقبية التي خصصت تقريبا كليا للراشدين. يبدو كذلك أن ارتفاع أو انخفاض نسبة القبور مرهون بعنصر ثان وهو طول أو قصر مدة استعمال نوع معين وعلى هذا الأساس، فأكبر حصة تعود منطقياً إلى القبور الغير مغطاة.

إن قارننا الفئتين، نلاحظ في نوع القبور ذات السقف المسنم، الذي يوحي من خلال تركيبته باهتمام الأحياء بمصير موتاهم، بأن القبور التابعة لفئة الأطفال والراشدين متقاربة (5 مقابل 6 لدى فئة الراشدين)، بينما في القبور الغير مغطاة، يرتفع العدد بالنسبة للفئتين، حيث أحصينا 22 قبرا لدى فئة الأطفال مقابل 19 قبرا في العينة التجريبية (الرسم البياني رقم 28).



الرسم البياني 28: توزيع القبور التابعة لفئة الأطفال (اللون الفاتح) والعينة التجريبية (اللون القاتم) حسب نوع القبر

على هذا الأساس، نحتفل أنه لم يكن هنالك فرق في التعامل مع الفئتين على أساس حماية القبور وأن الفرق الوحيد قد يكمن في أفضلية نوع عن نوع آخر عموماً لدى مجتمع مدينة سطيف والذي يدل به طول أو قصر مدة الاستعمال، كما يمكن أن تكون للإمكانيات المتاحة أو للمعايير الثقافية دوراً في تلك الأفضلية.

2.5 المراسيم التذكارية

كما ذكرنا فيما يخص قبور مرحلة الدفن البدائية، فإن الغرض من المراسيم التذكارية يكمن في تخليد ذاكرة المتوفي وفي ذات الوقت تكريم الآلهة مانس باعتبارها بمثابة "عائلة" الأجداد التي تستقبل روح المتوفي. تقام تلك المراسيم التذكارية خلال الحفلتين السنويتين "فيراليا" و"بارنتاليا" خلال شهر فبراير من كل سنة في إطار حفلة رسمية، بحيث تفتتح البارنتاليا المراسيم يوم 10 فبراير بينما تختتمها الفيراليا يوم 21 فبراير³³¹. نلتمس من الطابع الرسمي المقنن للحفلتين أن مصير المتوفي مرهون بتكريم تلك الآلهة إلى

³³¹Ovide, Fastes, II, p.570.

جانبا أن ذاكرته ضمن الأحياء مرهونة بإقامتها³³². تكتسي تلك الحفلات التذكارية أهمية لا يُستهان بها حيث يشير أوفيدوس إلى دور القرابين في ما يصفه بـ "تهدئة" المانس التي تُعرف بطابعها المنتقم³³³، هذا ويمكن أن يباشر المتوفي بنفسه بتسجيل وصيته على المعلم مطالبا فيها بإقامة مأدبة سنوية³³⁴.

تتم المراسيم التذكارية باتباع تقريبا نفس المراحل المتبعة خلال المراسيم الدينية أو بالتحديد خلال فترة حداد الأهل الرسمية، حيث يتم تنظيم مأدبة، التخلي مؤقتا عن الوظائف المعتادة، فضلا عن الإبتعاد الكلي عن العائلات التي تمر بفترة حداد³³⁵. تكتسي بذلك المراسيم التذكارية ثقلا رمزيا وكأنها عودة إلى لحظة الوفاة والجنائز وليست إحياءً لذاكرة المتوفي فحسب. يمنحنا ما سبق فكرة عن ثقها الطقوسي في الذهنية الجماعية.

فيما يتعلق بالمخلفات المادية لتلك المراسيم والمتمثلة في الأنصاب، موائد القرابين وقنوات الإراقة، نلاحظ أنها متوفرة خلال مرحلة الترميد بشكل ملحوظ إذا ما قارناها بالمرحلة السابقة، بما في ذلك فئة الأطفال، حيث أحصى ر. جيرري لدى الفئة الأخيرة 12 نصبا، مائدتين قرابين وقناة للإراقة ونذكر من ضمن القبور، القبر رقم 167 ورقم 168، اللذان يشتملان على نصب ومائدة قرابين معا. استعنا بنفس العينة التجريبية التي لجئنا إليها أعلاه فيما يتعلق بالراشدين ولاحظنا فارقا ملحوظا بين الفئتين، سواء تعلق الأمر بالأنصاب (19نصب)، موائد القرابين(9)، قنوات الإراقة (4) ومن ضمنها القبر رقم 115، الذي يشتمل على الثلاث عناصر(نصب، قناة للإراقة ومائدة للقرابين) (الرسم البياني رقم 29).

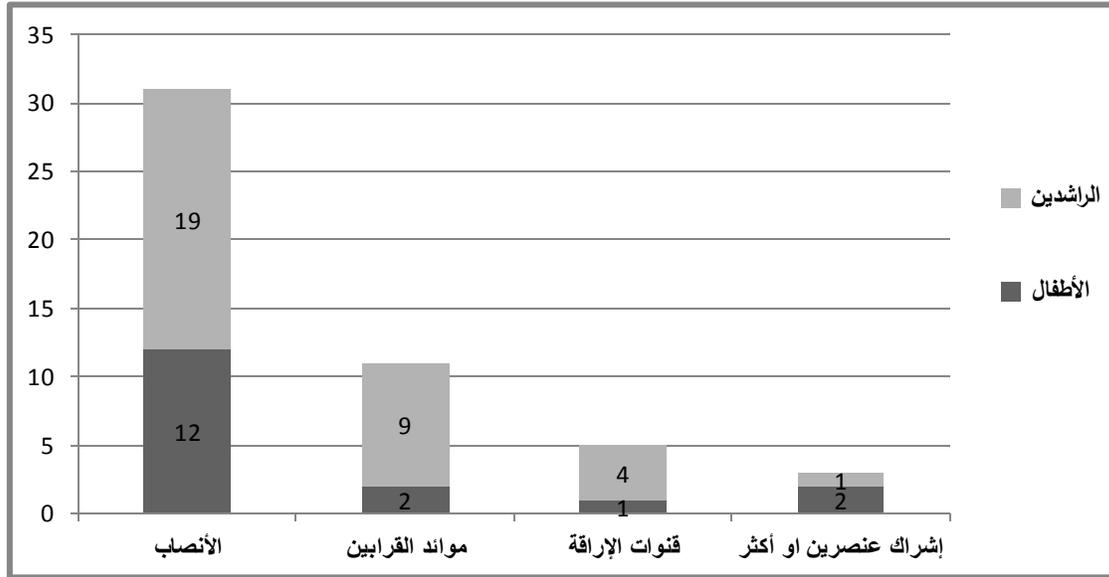
³³² وُجِدَت حفلات أخرى مكرسة للأموات ونذكر من ضمنها ما يقام في إطار عائلي وهي حفلة الأقارب
 "Parentationes" التي تُركت فيها لأهل حرية تحديد التاريخ؛ نذكر كذلك الروزاليا "Rosalia" التي تقام خلال شهر ماي أو جوان.

Scheid, 1999 cité dans Laubry, 2009, paragr. 34 ; Scheid, 2011, paragr.14.

³³³Ovide, Fastes, II, p.570.

³³⁴Scheid, 2005, pp.182-182 (CIL XI, 5047).

³³⁵Hopkins, 1983, p.233 ; Scheid, 2013, p.253.



الرسم البياني 29: عدد مخلفات المراسيم التذكارية والفارق بين فئة الأطفال والعينة التجريبية

نرى من خلال التباين العددي أن هنالك فرق في التعامل مع الفئتين بحيث تحتل قبور العينة التجريبية للراشدين الصدارة في الثلاث أنواع من المعالم. تجذر الإشارة إلى أنه، على مجموع 32 قبرا لعينة الأطفال، 16 منها يخلو من كل مخلفات، مقابل تسعة قبور فقط لدى فئة الراشدين، مما يعزز الفرق في التعامل. هل يمكن إنساب ذلك الفارق بصفة حتمية إلى أنهم حُرِّموا من حق الذاكرة بسبب صغر السن؟ يمكن أن نتساءل حينها كذلك عن سبب عدم حرمانهم من ذلك الحق في المرحلة السابقة وعن توفر أحيانا معلمين أو ثلاث معالم تذكارية خلال تلك المرحلة؛ هذا فضلا عن استمرارية التركيبية النظامية خلال مرحلة الترميد، مدعمة بعنصر إضافي وهو القلة وكذا تهيئة القبور حرصا على حماية بقايا الجثة ومرفقاتها، فضلا عن توفر معلم تذكاري في 16 قبرا. يبقى بذلك أن نحتمل مرة ثانية الإمكانات المادية لأهل المتوفين وربما أساسا، سن المتوفين، حيث سبق وأن أشرنا إلى أهمية نسبة وفيات المواليد الجدد وإلى أهمية الإسم في النقائش. انطلاقا من ذلك، فوفاة المولود قبل منحه ذلك الإسم قد يعيق إنجاز نصب له.

2.6 رمزية الزخارف على المصابيح خلال المرحلتين (الدفن والترميد)

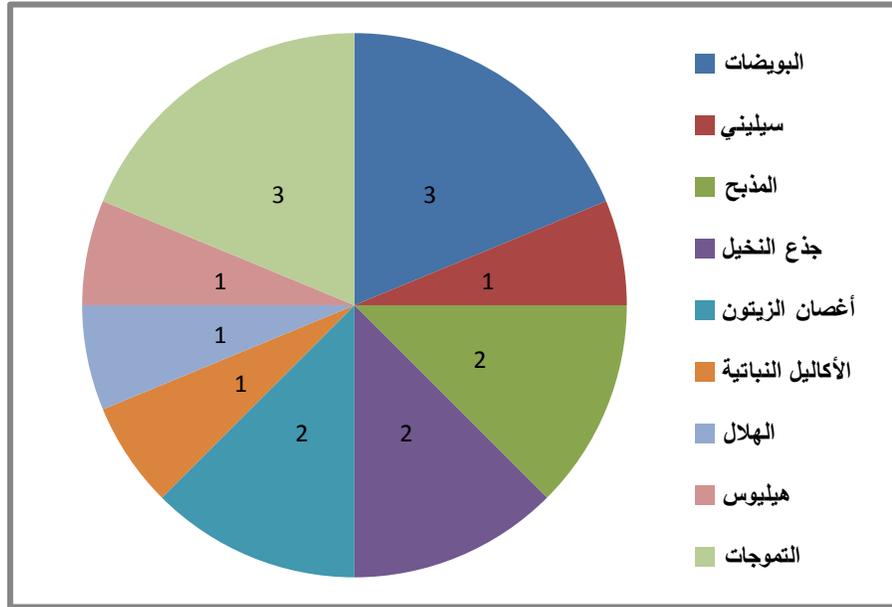
خلال مرحلة الدفن البدائية، تم إحصاء 11 مصباحا على مجموع 18 عنصر لدى فئة الأطفال يشتمل على زخرفة، بينما خلال مرحلة الترميد، فمن مجموع 25 مصباحا، تم إحصاء 16 وحدة. باعتبار أن الرموز المتواجدة على المصابيح تحمل بدورها رمزية على علاقة بالإطار الجنائزي، ارتئنا اختيار أهمها في عينة الأطفال في كلتا المرحلتين، سعيا لتحديد ما إن كانت الزخارف المتعلقة بالبعث والعالم الثاني متوفرة.

نشير في هذا الإطار إلى أن تلك المقاربة لا تسمح بالجزم أن وجود تلك الرموز على مصابيح الأطفال يعكس بالتأكيد عبورهم إلى العالم الآخر ولا حتى بتداول المعتقدات التي تجسدها، حيث على حد قول هـ. إ. مارو، يمكن للرموز الجنائزية أن تعرف استمرارية مع فقدان تدريجي لجزء من ثقلها الرمزي، كما قد تحتفظ بها حضارة لبعدها الجمالي لا أكثر³³⁶. يفيدنا نفس الباحث أنه، في ظل تعدد الفلسفات خلال الفترة الإمبراطورية، يُعد التمازج في المعتقدات بمثابة أمر حتمي، لكن إن تم استيعاب تلك المفاهيم بنوع من الليونة رغم التعقيدات التي يفرضها مثل هكذا تفاعل، فلا يكفي ذلك للجزم بأن المجتمع الروماني قد استوعب خلفيتها³³⁷. نضيف بدورنا أن الخلفية الرمزية للمفاهيم المستوعبة لا تضيع كليا باعتبار أن طبيعة كل تمازج أن يحتفظ بجزء من رمزيته الأولى كمحرك للاستمرارية وبذلك، نحتمل أن احتفظت تلك الزخارف بجزء من ثقلها في الذهنيات.

نلاحظ مبدئيا تنوعا في طبيعة الرموز، فمنها النباتية (غصن الزيتون، سعف النخيل، الإكليل النباتي)، الميثولوجية (الإلهة سيليني جالسة على الهلال، كائن ميثولوجي صغير الحجم مقرفص على هلال)، الفلكية (الهلال وهيليوس)؛ الطقوسية (المذبح المشتعل)، فضلا عن الرموز الحيوانية كالنسر والعنزة والخنزير. نشير إلى أن لكل من الرموز المذكورة أعلاه رمزية ذات طابع جنائزي وعلى رأسها الزيتون، سعف النخيل، الهلال، البويضات والمذبح (الرسم البياني رقم 30).

³³⁶ Marrou, 1944, p.78.

³³⁷ Marrou, 1944, pp.80 et 83.



الرسم البياني 30: توزيع أهم الرموز ذات الرمزية الجنائزية

الزيتون: فيما يتعلق بالرمزية الجنائزية، يأتي الزيتون في المصادر والنصوص الميثولوجية مربوطاً إما بإحدى مراحل الفعل الجنائزي أو بمصير المتوفي.

فيما يخص المصير، نذكر باختصار أسطورة ميلياجروس أين يرد أن خلود البطل مرهون بغصن زيتون وأن اندثاره مرهون باندثار الغصن³³⁸. تروي أسطورة ثانية بخصوص البطل هركلس، أنه حين إعداد محرق البطل، تم إحضار كمية معتبرة من أغصان الزيتون لإشعاله وهنا نلتمس علاقة الزيتون بالترميم (كمرحلة من الفعل الجنائزي) وبالمصير من خلال تحرير الروح من الجثة³³⁹. نشير كذلك إلى قبر غواص بايستوم، لما كانت المدينة الإيطالية مستوطنة إغريقية، حيث نجد على جدار أحد القبور أشجار زيتون متشعبة الأغصان والأوراق³⁴⁰.

³³⁸Detienne, 1970, p.12.

³³⁹Cenzon-Salvayre, 2014, p.79.

³⁴⁰Somville, 1979, pp.50-51.

أما لدى الرومان، فالزيتون رمز الخلود وذلك لوفرة أغصانه، تشعبها، طبيعتها المقاومة وكذا لقابليتها على التجدد، بحيث تنبت شجرة جديدة من الأغصان المقطوعة ولو انعدمت الجذور، هذا فضلا عن أنه يمتاز بعدم فقدان أوراقه، مما جعل بليينوس الأقدم يعتبره من الأشجار التي لا تزول³⁴¹. يشير المؤرخ كذلك إلى الأهمية التي أولاها أنصار مدرسة فيثاغورث إلى شجرة الزيتون مشيرا إلى فارو الذي أوصى بدوره بأن توضع في نعشه أغصان من تلك الشجرة، فضلا عن المر والخور³⁴². يذكر من جهته بلوتارك الإخضرار المستمر لأوراق الزيتون³⁴³.

بذلك فالعثور على غصن الزيتون سواء منحوتا أو مرسوما في الإطار الجنائزي، يشير مباشرة إلى البعث والخلود.

هي نفس الملاحظة بالنسبة للإكليل النباتي الذي نجده كذلك منقوشا على الأنصاب إلى جانب المصابيح. يذكر ف.كومون، إلى جانب الوظيفة الجنائزية للنبات عامة وتلك التي تأتي في شكل أكاليل بالتحديد، أنه من ضمن المعتقدات الرومانية الخاصة بالموت، ترد أهمية توفر غطاء نباتي حول القبور (الحديقة التي تُعرف لدى الإغريق بالـ *Cenotaphium*) وغرضها بعث النشاط والحيوية في الجثث التي تسكن القبور، فضلا عن توفير الظل والفاكهة خلال المآدب اللاحقة في إطار المراسيم التذكارية. يضيف الباحث أن من ضمن أقدم العادات لدى الرومان، دفن المتوفي فوق بساطة نباتية³⁴⁴. نلتمس مما سبق وجود ما قد نصفه بالمعادلة الرمزية-السحرية أين يتفاعل اخضرار وحيوية النبات من جهة وبعث وخلود الأرواح من جهة ثانية.

سعف النخيل: نجده شائعا في الحضارات الشرقية والمصرية باعتباره مبدئيا من المؤشرات التي تدل نحو مكان تواجد الماء كما أنه مصدر قوت أساسي، مما انتهى إلى منح قدسية للشجرة ككل.

³⁴¹Pline L'ancien, XVII, 30,2.

³⁴²Pline L'ancien, XXXV, 46.

³⁴³Plutarque, *Les Symposiaques*, III, question 2, 1.

³⁴⁴Cumont, 1942, p.496.

اتسعت رمزية سعف النخيل إلى المقابر أين نجده يرمز إلى إرواء عطش المتوفين من جهة فيما تم إسقاط مزايا النخلة (الماء، القوت، القابلية على المقاومة والتجدد في الصحاري القاحلة) على عالم الأموات أين تكتسي رمزية البعث³⁴⁵. في الحضارة المصرية، نذكر من ضمن القبور الملكية التي تتوفر عليه، قبري الملكين سيني جم ورخمير، فضلا عن حدائق مقابر مدينة بوت والتي تعود إلى الإمبراطورية الحديثة³⁴⁶. (الصورة رقم 5). نجده كذلك وثيق الصلة بالمرأة أين يشير إلى الخصوبة نظرا لتشابه التمرة بالثدي³⁴⁷ (الصورة رقم 6). أما في اليونان، فرمزية النخلة أدق بحيث تعد بمثابة الشجرة التي تسمح بإتمام عملية التوليد والتحرر من الحمل. في هذا الصدد، تؤدي النخلة في أسطورة الإلهة ليتو دور المشرف الرمزي على تلك المرحلة الحساسة، حيث تروي الأسطورة أن أم أبولو وسيليني، أنجبت التوأمين تحت نخلة في جزيرة ديلوس³⁴⁸. نلتمس عموما الطابع الجنائزي للنخلة أو لسعف النخيل ولدى الإغريق علاقته بالإنجاب والخصوبة (الصورة رقم 7).



الصورة 5 : مقطع من اللوحة الجدارية لقبر الملك سينيجم بمدينة طيبة. العائلة الملكية التاسعة عشرة. التاريخ: 12/13 ألف سنة ق.م. عن:

Gros de Beler & Marmiroli, 2008, fig. p.130 cité dans Michel-Dansac & Caubet, 2013, paragr.8.

³⁴⁵Servajean, 1999 cité dans Michel-Dansac et Caubet, 2013, paragr.8.

³⁴⁶Gros de Beler et Marmiroli, 2008, pp.129-134 cité dans Michel-Dansac et Caubet, 2013, paragr.8.

³⁴⁷Michel-Dansac et Caubet, 2013, paragr.24.

³⁴⁸Michel-Dansac et Caubet, 2013, paragr.26.



الصورة 6 : نصب بارز لمدينة كيراتيبي (جنوب تركيا حاليا) يشتمل على نحت بارز لإلهة ترضع صغيرا تحت نخلة.
التأريخ: القرن السابع ق.م.عن:

Soldj & Pedrazzi, 2006, fig.96 cité dans Michel-Dansac & Caubet, 2013, paragr.24.



الصورة 7 : آنية أتيكية من نوع "Pyxide" تمثل الإلهة ليتو ماسكة بشجرة نخيل وهي تتجلب الإلهين أبولو وأرتميس.
التاريخ: القرن الرابع ق.م. عن:

LIMC VI « Leto », n°6 (Musée national d'Athènes) cité dans Michel-Dansac & Caubet, 2013, paragr.26.

الهلال: خصص الباحث ف.كومون فصلا كاملا لرمزية الهلال وقام بإدراج كل الحضارات التي التمس فيها صلة مباشرة بين الهلال، عالم الأرواح والموت. يرد لدى الباحث أنه بالنسبة إلى الفرس، تمر أرواح المتوفين بمحطات. تتمثل المحطة الأولى في كوكبات النجوم (*constellations*)، يليها القمر باعتباره أقرب إلى الأرض من الشمس، تأتي بعدها محطة الشمس والتي منها تمر الأرواح إلى حيز اللامنتهى حيث يسود الأهورامازدا وهي بمثابة محطة التحرر الكلي. بذلك، فيُعد القمر من ضمن المحطات التي تستقبل الروح خلال سفرها.

في بلاد الرافدين، كان دوره أقرب إلى الموت حيث يتحكم في تشكيل الكائنات الحية وبعدها في انحلال الأجساد، كما كان يُعتقد بأن أشعته الباردة تعمل على تعجيل تعفن الجثث " وإجبار الروح على التخلي عن الجسد"³⁴⁹. نلتمس رمزية تشير إلى تكامل المتضادين: من جهة، مفهوم الحياة من خلال تشكيل

³⁴⁹Les froids rayons passaient pour corrompre la chair des morts et forçaient l'âme à abandonner le cadavre. Cumont, 1942, pp.178 à 180.

الكائن الحي ومن جهة ثانية، وفاة الكائن الحي وتعجيل تعفن الجثة، التي بإرغام الروح على مغادرتها، تسمح بالبعث.

أما لدى الإغريق، فإن لم يتم الربط بين الروح وفكرة السفر نحو السماء في النصوص الميثولوجية، لقت الفكرة صدى تدريجيا في الذهنية الجماعية، بحيث أصبح القمر بمثابة مسكن للأشباح التي تتحكم فيهم الإلهة هيكات والتي تُعرف بتواصلها مع الموتى لأغراض سحرية. بصفة أوسع، يُعد القمر بمثابة المكان الذي تسكن فيه الأرواح بعد مغادرتها الحياة ويرد أرسطو من ضمن الفلاسفة الذين تصوروا القمر كمقر لحياة مغايرة تماما عن تلك التي نعيشها على وجه الأرض، مما يعزز الجانب الرمزي الجنائزي الذي نجده لدى الإغريق.

أما بالنسبة لمدرسة فيثاغورث بالتحديد، فنتخذ الأرواح بعد الموت طابعا شريرا ونجسا، فبينما تلك التي تطهرت من النجاسة، مقرها القمر، تبقى البقية سجينه مجال الرياح. نلتمس هنا نظرة إيجابية للقمر في كونه محطة أو ملجأ للأرواح.

ليس الهلال غريبا عن إفريقيا كذلك حيث من السهل التصور أن أصوله قد تعود إلى أقدم بكثير مما اقترحه الباحثون الذين اهتموا بالمسألة، حيث لرموز فلكية بحجم الشمس والقمر ثقل رمزي وفعلي لا يمكن أن تنتظر الشعوب احتكاكها بحضارات أخرى حتى تمنحها دلالة. يُنسب الباحث غ. كامبس أصوله إلى الفينيقيين، أين يظهر على حوانيت شمال تونس وكذلك الأنصاب الليبية المتواجدة بمدينة مكنر³⁵⁰، لكن نرى أن تداول واستمرارية رمز الهلال ناتجين عن ذلك الطابع المألوف لدى الليبيين والذي تجسد بصفة أوضح مع قدوم الفينيقيين. هو في الواقع ما يقترحه ج. ف. توتان من خلال دراسة للمواقع التي اشتهرت برمز الهلال والتي لم تكن رومانية ولا بونية، حيث استنتج أن للفينيقيين دورا في "نشر" الرمز لكن تماشيا مع القبائل المحلية، ليضيف أن أصل الرمز في شمال إفريقيا ليبي³⁵¹.

فيما يتعلق برمزي المذبح والبويضة، فيندمج المذبح ضمن المعالم الأساسية في المراسيم الجنائزية والمكرسة إلى الآلهة أو المتوفي في المقابر القرطاجية³⁵². أما البويضات، فهي وثيقة الصلة بالبعث

³⁵⁰Camps, 1994, p.3, paragr.5.

³⁵¹Toutain, 1911, pp.171-172.

³⁵²Bénichou-safar, 1982, pp.272 et 285.

والخلود في المصادر الميثولوجية. يرد مثلا لدى الرومان، في كتاب المؤلف الإفريقي مارتينانوس كابيلا (النصف الثاني من القرن الرابع ميلادي) تحت عنوان "زواج مركوريوس وفيلولوجيا"، بأن البيضة تمثل الطاقة الحيوية وذلك إلى درجة أنه بمجرد ابتلاع محتوى البيضة، استرجعت فيلولوجيا الطاقة التي أضاعتها في الدراسة والمعرفة بحيث لم تعد خاضعة لحتمية الموت وفي ذات السياق، توصف البيضة بكوب الخلود³⁵³.

في الإطار الجنائزي، فسواء لدى الإغريق أو الرومان، تندرج البيضة من ضمن القرابين التي تُهدى للآلهة، أملا في التطهر وتطهير الموتى خلال المآدب الجنائزية³⁵⁴، كما تعدُّ أحد الرموز المرتبطة بالديانة الديونيزية³⁵⁵.

أما في المقابر الميغاليثية، فتُدلي الحفريات بالعثور على بقايا لقشرة البيض (وليس بيض النعام) في كل من عين صفرة، قسطل، عين الباي، الجلفة بالجزائر ووجدة بالمغرب، حيث يُنسب غ. كامبس وجودها إلى وظيفة رمزية أكثر منها إلى مخلفات إيداعات غذائية. في هذا السياق، يحتمل الباحث أن يكتسي البيض رمزية المبدأ الحيوي الذي يشير إلى البعث، بينما يتساءل في ذات الوقت عما إن كان ذلك المنظور متداولاً فعلا لدى المجتمع المحلي³⁵⁶.

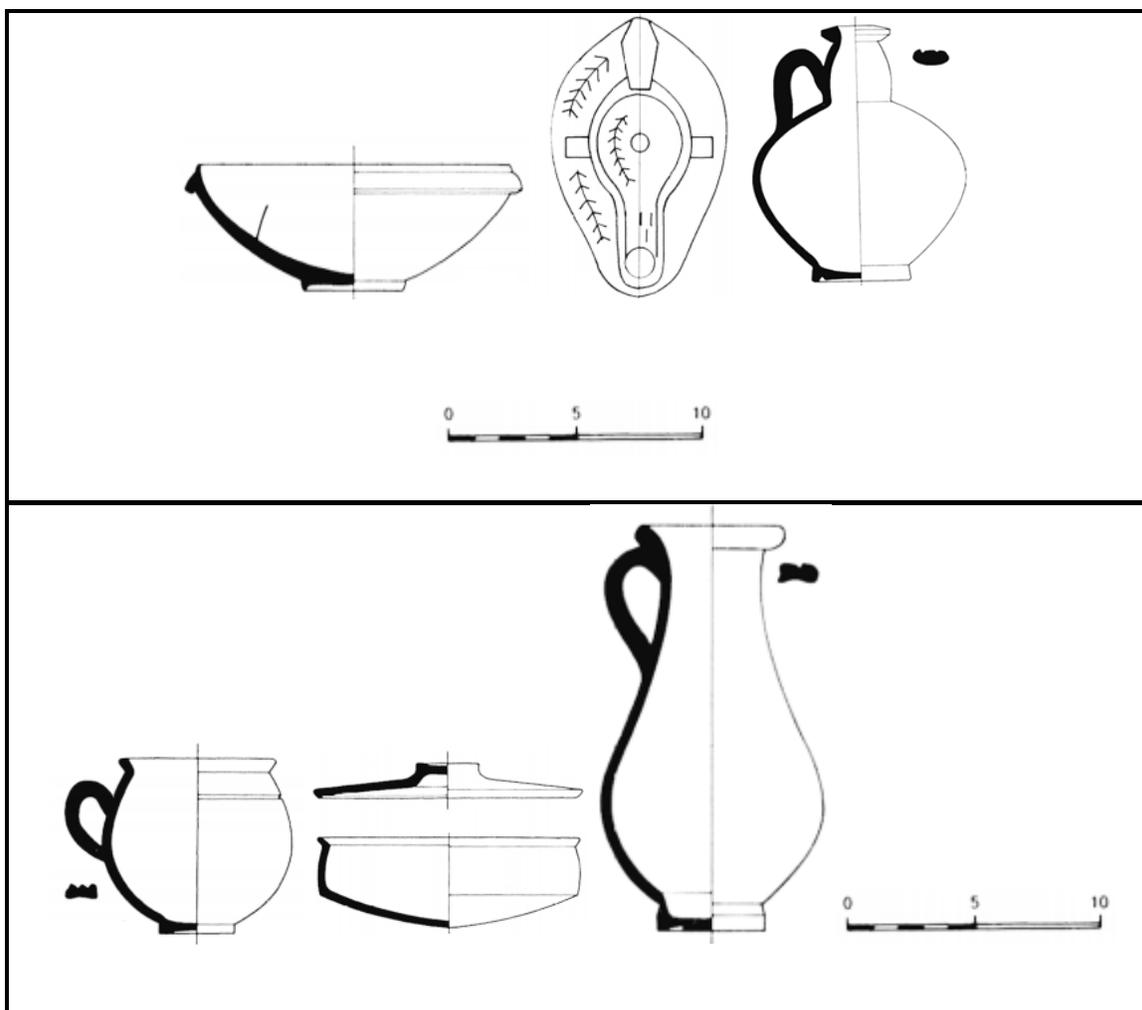
³⁵³Turcan, 1961, pp.13-14.

³⁵⁴Noel, 1823, p.257.

³⁵⁵Boyancé, 1935, pp.97-98 ; Turcan, 1961, P.12.

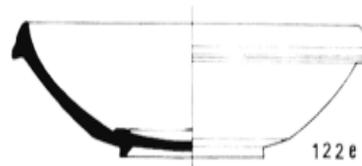
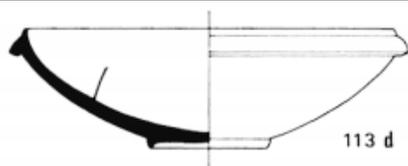
³⁵⁶Ballu, 1914, p.270 Cité dans Camps, 1961, p.515. Gauthier, 1907, pp.37-38 : يُراجع كذلك:

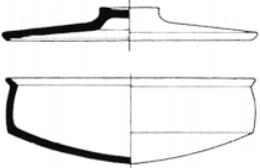
الرسم 6 : تركيبية الأثاث النظامي (في الأعلى) والظرفي (في الأسفل) خلال مرحلة الترميم



نماذج للأطباق

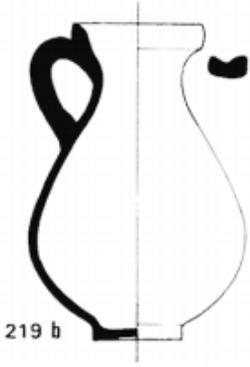
Guéry, 1985, pl.29-37-38-39



<p>طبق من الفخار المحلي. النمط 18 القبر رقم 113</p>  <p>126 a</p> <p>طبق من الفخار المحلي. النمط . 14. القبر رقم 126</p>	<p>طبق من الفخار المحلي. النمط 13 القبر رقم 122</p>  <p>118 a</p> <p>طبق من الفخار المحلي. النمط 11 القبر رقم 118</p>
 <p>طبق من السيجيلي الفاتح. A. نمط لمبوغليا 4/36 A. القبر رقم 180</p>  <p>طبق من الفخار الإعتيادي. النمط 2. القبر رقم 156</p>	<p>طبق من السيجيلي الفاتح. A. نمط لمبوغليا 4/36 A. القبر رقم 167</p>  <p>طبق من الفخار الإعتيادي من نوع طاجين. النمط 21. القبر رقم 113</p>
	

نماذج للقلال

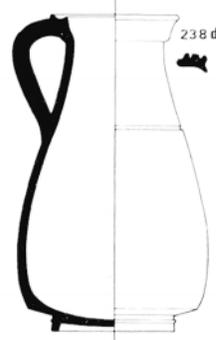
Guéry, 1985, lp.42-43-44-46-60



قلة من الفخار الإعتيادي. النمط 30.
القبر رقم 219.



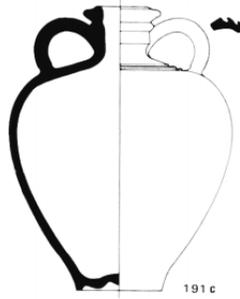
قلة من الفخار الإعتيادي.
النمط 30. القبر رقم 121.



قلة من الفخار الإعتيادي.
النمط 30. القبر رقم 238.



قلة من الفخار الإعتيادي. النمط 30.
القبر رقم 236.

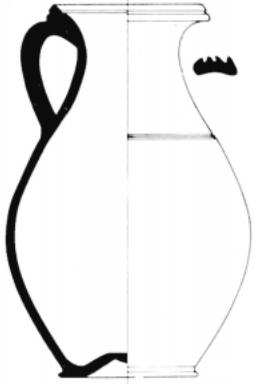


قلة من الفخار الإعتيادي. النمط 45. القبر رقم 168

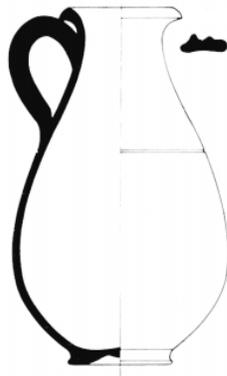


نماذج للقليلات

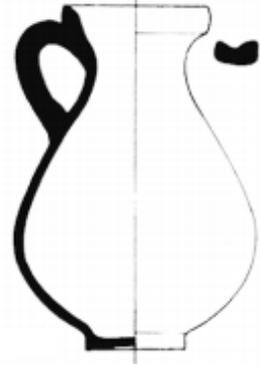
Guéry, 1985, pl.42-43-44-46-58



قليلة من الفخار المحلي. النمط 30، صنف B. القبر رقم 122



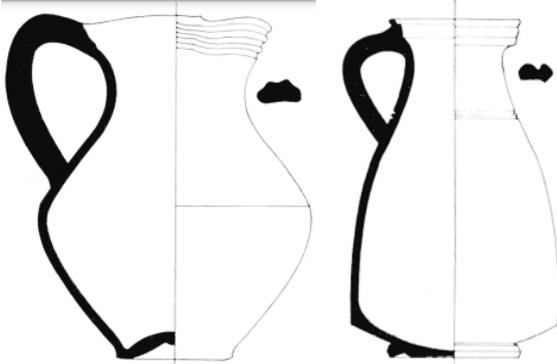
قليلة من الفخار المحلي. النمط 30، صنف B. القبر رقم 157



قليلة من الفخار المحلي. النمط 30، صنف B. القبر رقم 219

المرممات

قليلة من الفخار المحلي. النمط 34. القبر رقم 238 (على اليمين)



قليلة من الفخار المحلي. النمط 44. القبر رقم 236 (على اليسار)

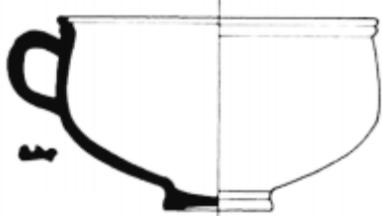


قليلة من الفخار المحلي. النمط 30، صنف B. القبر رقم 236



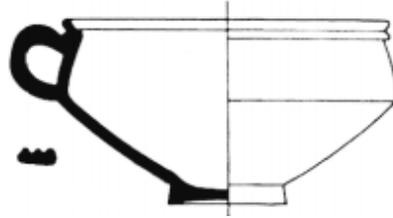
نماذج للأكواب

عن: Guéry, 1985, pl. 25-27-



كوب من الفخار. تقليد لنمط مايي 32A.

القبر رقم 167



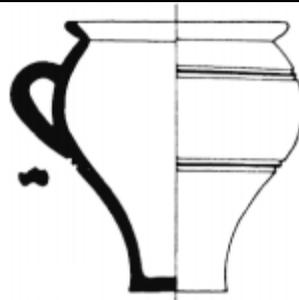
كوب من الفخار. تقليد لنمط مايي 32A.

القبر رقم 167.



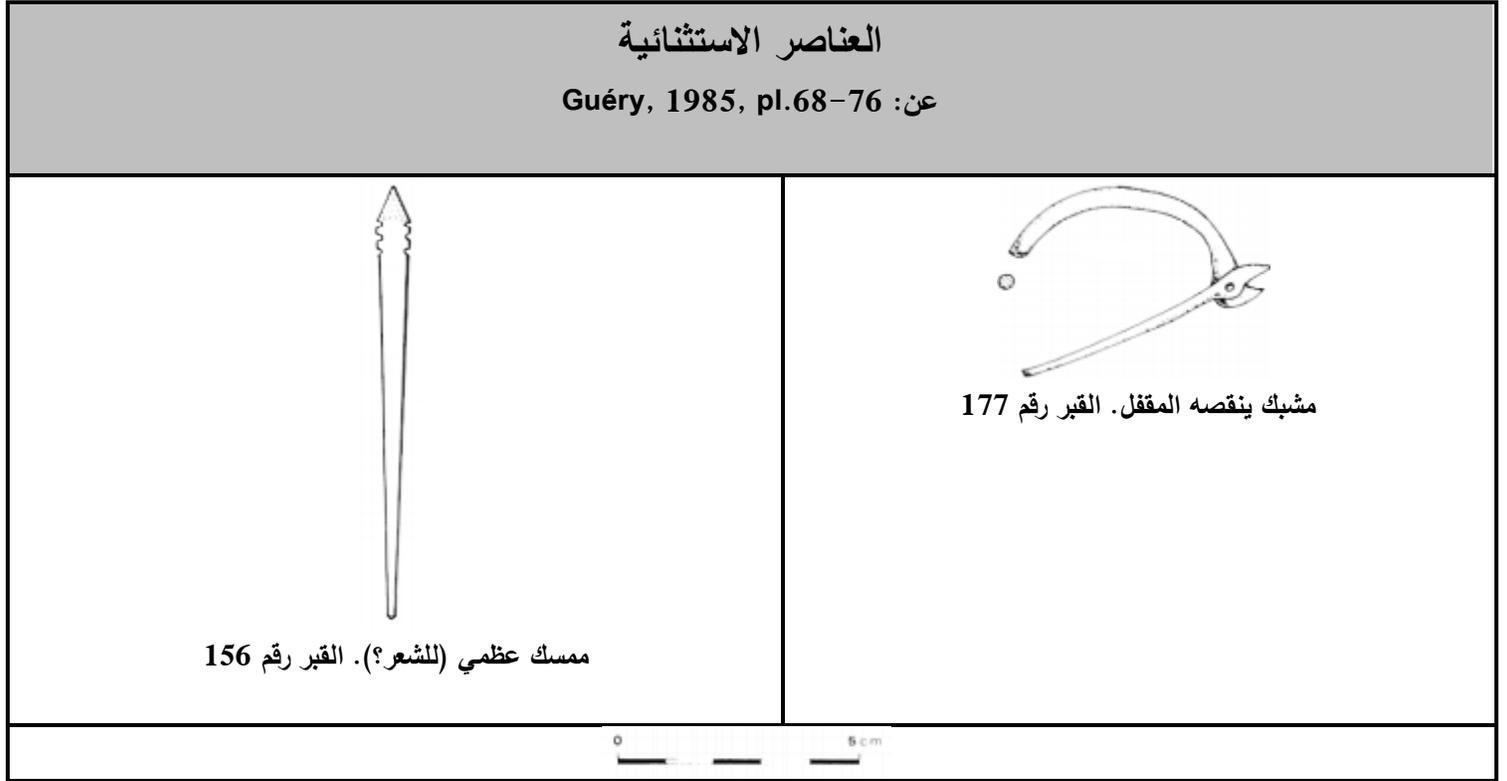
كوب من الفخار المحلي. النمط 1. القبر رقم

184



كوب من الفخار. تقليد لنمط مايي 42. القبر رقم 179





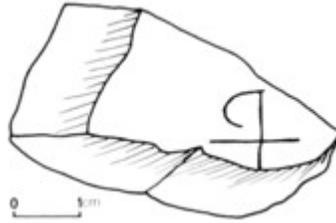
3. مرحلة الدفن المتأخرة (بداية القرن الثالث - القرن الرابع أو الخامس للميلاد)

تشتمل مرحلة الدفن المتأخرة على 113 قبرا، 81 منها تابع لفئة الأطفال وتم تقسيم القبور فيها إلى نمطين: النمط III-A و III-B. يشتمل النمط الأول على 18 قبرا، 13 منها تابع لفئة الأطفال و 5 قبور لفئة الراشدين، بينما يشتمل النمط الثاني على 95 قبر. يبدو أن هذا التقسيم قائم على أساس توفر الأثاث في القبور أو انعدامه، حيث نجده متوفرا في قبور النمط الأول بينما في النمط الثاني، فباستثناء الحلي في البعض منها، فضلا عن قطعة نقدية في القبر 265 (الإمبراطور قسطنطين الثاني)، تخلو بقية القبور من كل مرفقات (الرسم البياني رقم 31).

في غياب كل مؤشر مادي يدلي بتغير في المعتقدات (تراجع الديانة الوثنية)، باستثناء التراجع الملحوظ والتدرجي للأثاث الجنائزي، يبقى الدليل الوحيد بالنسبة لإشكاليتنا هو بالتحديد ذلك التراجع إلى غاية

الإختفاء الكلي، فضلا عن القطعة النقدية التي لا تسمح إلا بتحديد تأريخ للقبور المتزامنة أو الموالية للقبور رقم 265 أي النمط الثاني.

في هذا الإطار، يقترح ر. جيري أن القبور التابعة للنمط الأول (من رقم 239 إلى رقم 256) قد تؤرخ ببداية القرن الثالث ميلادي، بينما القبور الأخيرة، فتتراوح عموما ما بين القرن الثالث والقرن الخامس ميلادي³⁵⁷ وبذلك، يمكن أن أدت الديانة المسيحية، التي تُذكر أنها شاعت في مقاطعات افريقيا ابتداء من نهاية القرن الثاني الميلادي، دورا في تراجع نسبة الأثاث الجنائزي، خاصة أن القبر رقم 259 (النمط الثاني) يشتمل على قطعة حجرية تحمل صليبا³⁵⁸ (الصورة رقم 8).

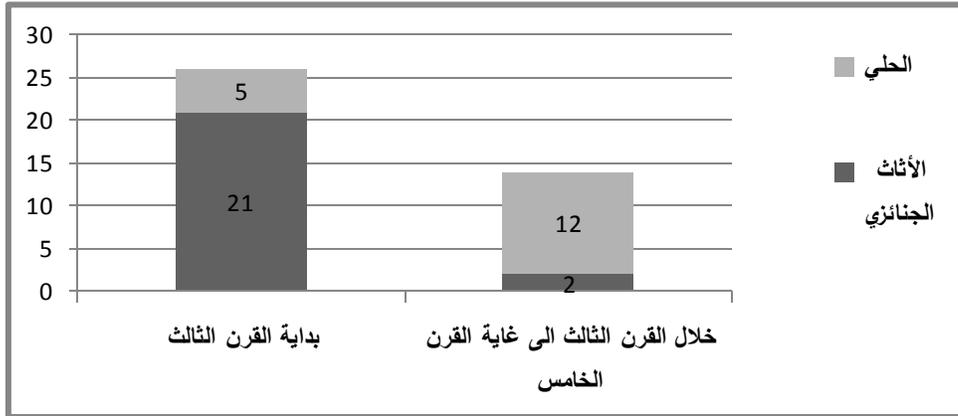


الصورة 8: الجزء العلوي من رمز الصليب، منحوت على إحدى حجارة القبر رقم 259. عن: Guéry, 1985, p.257.

باعتبار أن القبور الأولى التي تحتضن أثاثا تتزامن أو تلي مباشرة آخر قبور مرحلة الترميد، يمكن أن شكلت مرحلة إنتقالية تتجسد حدودها في القبرين رقم 255 الذي يشتمل على عناصر من الأثاث ومن الحلي والقبر رقم 249 (خاتم وقليلة)، في حين يختفي الأثاث في القبور التي تلي القبر رقم 255 تاركا المجال للحلي إن استثنينا القبر رقم 261 الذي يحتضن مسمارا من الحديد والقبر رقم 256 الذي يتوفر على القطعة النقدية المذكورة أعلاه وهي عناصر يمكن اعتبارها شاذة في الإطار الذي يهمننا.

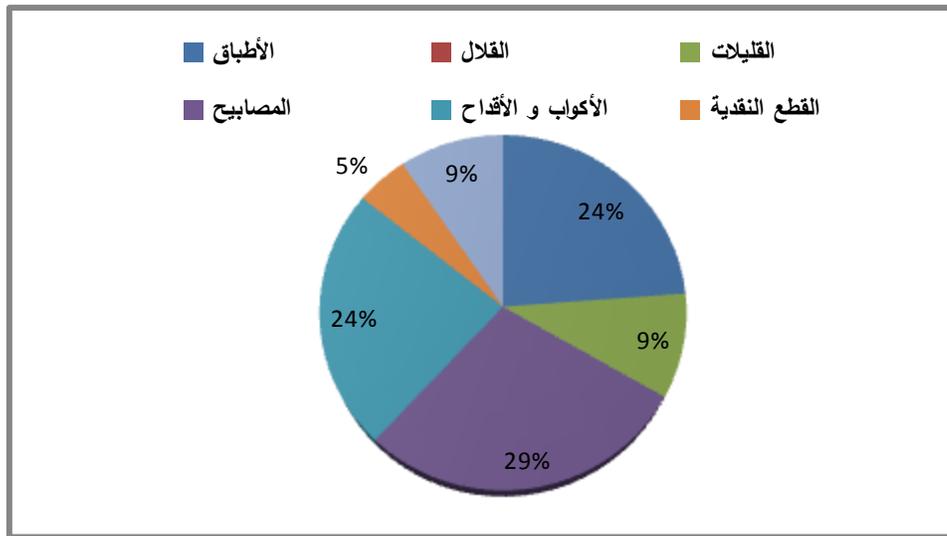
³⁵⁷ Guéry, 1985, p.307.

³⁵⁸ Guéry, 1985, p.257.



الرسم البياني 31: توزيع الأثاث والحلي في قبور النمطين III-A و III-B

على هذا الأساس، فما بحوزتنا إلا عينة مشكلة من 18 قبرا أي قبور النمط الأول، 13 منها تابع لفئة الأطفال و 5 لفئة الراشدين، مما يشكل ربع العدد الإجمالي. لا يسمح ذلك باقتراح دراسة وافية لهذه المرحلة باعتبار أن ال 95 قبرا المتبقي يخلو من كل أثاث ولذلك، سنستعين فيما يلي بالقبور التي توفرت على أثاث لإدراج بعض الملاحظات (الرسم البياني رقم 32).



الرسم البياني 32: نسبة الأثاث المتوفر في قبور الأطفال

3.1 ملاحظات عامة

1- نلاحظ مبدئياً تشتت في الأثاث المتوفر وبالتحديد الأواني، حيث تتداول التركيبة المعتادة والمتمثلة في الطبق - مصباح أو الطبق - مصباح - قلة، لكن بشكل غير منتظم، باستثناء القبور رقم 241 - 243 - 244 و 253، التابعة كلها لفئة الأطفال، في حين لم نحص إلا 5 مصابيح على مجموع 18 قبراً، كلها تابعة لقبور لفئة الأطفال (رقم 241 - 244 - 246 - 253 - 255).

2- نلاحظ في القبر رقم 255 (11-16 سنة) توفر أربع أضراس خنزير، أحدها مثقوب. أما عن بقية المرفقات، فتتمثل في عناصر من الحلي وممسك للشعر. باعتبار أن الأضراس أو الأنياب من ضمن المرفقات التي عموماً ما تتوفر في قبور الأطفال المتوفين خلال مرحلة التسنين وباعتبار وجود أثاث وفير نوعاً ما وذات الطابع الأنثوي، يطرح ذلك إشكالية الوظيفة التي تكتسبها الأضراس في قبر طفل بالغ. اعتماداً على دراسات إ.د. بابايكونومو وبالرغم من غياب الدراسات الانثروبولوجية التي تثبت جنس المتوفي، فضلاً عن غياب المرفقات ذات العلاقة بالأمومة (على غرار الإبزيم، كريات الفخار أو الأدوات ذات الوظيفة الطبية)، يمكن اقتراح بعض الملاحظات قد تفتح مجالاً للتفكير:

إن عدنا مرة أخرى إلى قراءة الباحثة، فهي تشير إلى الحالات التي يتم العثور فيها على هيكل لمتوفية في سن البلوغ أو المراهقة، مصحوبة بهيكل لشخص راشد (عادة ما يكون ذكراً). تقترح الباحثة في إطار دراسة حالة، أن لا نجزم في أن العلاقة بين الإثنين علاقة أبوية وبالعكس، يجدر عدم استبعاد العلاقة الزوجية³⁵⁹. تتمثل أهم المحددات في دراسة الباحثة في: الدراسة الأنثروبولوجية التي حددت سن المتوفين (12-13 سنة بالنسبة للمتوفية و35 سنة بالنسبة للمتوفي)، طبيعة الأثاث الجنائزي، حيث كما جرت العادة، كان وفيراً وذات الطابع الأنثوي بالنسبة للطفلة، بينما لدى الراشد، فلم يتم توفير أي أثاث³⁶⁰.

³⁵⁹Papaikonou, 2013, p.122.

³⁶⁰Papaikonou, 2013, pp.117-118.

بالنسبة للباحثة، فالإعتياد على الجزم بأن الأثاث الذي يرافق المتوفيات في سن البلوغ يعكس فقط وفاتهم في سن الزواج، ناتج عن تجاهل الحوار المجازي لعناصر تلك المرفقات (الإبزيم الذي ذكرناه سابقاً، الأثاث ذات الطابع الأنثوي، إكليل العروسة الذي يوضع فوق الرأس وغيرهم) والذي في الحالة المدروسة من طرف الباحثة يدلي باحتمال وفاتها جراء حادثة إجهاض أو مرحلة توليد وليس في سن الزواج.

فيما يخص القبر رقم 255، نشير إلى أنه قبر ثنائي، عُثر فيه على هيكل المراهق (ة) وهيكل ثان لشخص راشد متلازمين وفي وضعية متعكسة (Tête-bêche). نلاحظ أن القبر يشتمل على أثاث ذات طابع أنثوي وفير (3 خواتم من ثلاثة مواد: البرونز، النحاس والعاج، فضلا عن ممسك للشعر) (الصورة رقم 9)، بينما أثاث الراشد المحاذي، فهو أبسط (قدحين، أنية طهي، 55 مسمار).

تسمح تلك العناصر بعدم استبعاد أن يكون الراشد بمثابة الزوج حيث يشير ر. جيري إلى قرب الهيكلين في قبر ضيق إلى درجة أنه صعب عليه تحديد إلى من ينتمي الأثاث المتوفر³⁶¹؛ من جهة ثانية، فإن سن 11 - 16 سنة يناسب معدل سن زواج البنات عموما وبالتحديد بمقاطعات إفريقيا (15-17 سنة). يبقى الضرس الذي يشير إلى مرحلة التسنين والذي في الحالة التي تهمننا قد يوحي دون جزم بأن تركت إينا في تلك المرحلة.

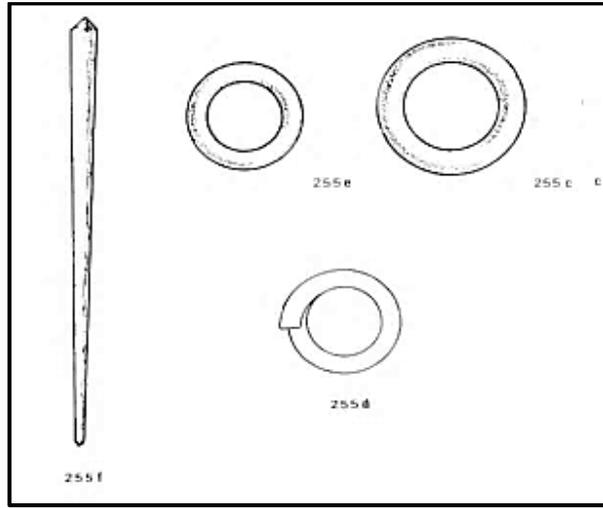
3- تم إحصاء 13 مسمارا في القبر رقم 240 التابع لطفل من فئة الرضع ویدمجهم ر. جيري ضمن الحلي نظرا لتواجدهم على مدار الجمجمة³⁶²، بينما عادة ما تأتي على مستوى الرجلين أو الساق وينفرد بها الراشدون. يصعب تحديد الوظيفة (جمالية، طقوسية أو الإثنيين) أو حتى اقتراح نوع الحلي، فقط احتمال أن تم توظيفها في تركيب إكليل من الزهور أو حُلِيّة للرأس (Parure de tête). يدمج ج. شايد إكليل الزهور ضمن مخلفات الإهداءات للمتوفي (أو ضمن المخلفات المتداولة في طقس الترميد)³⁶³.

³⁶¹Guéry, 1985, p.249.

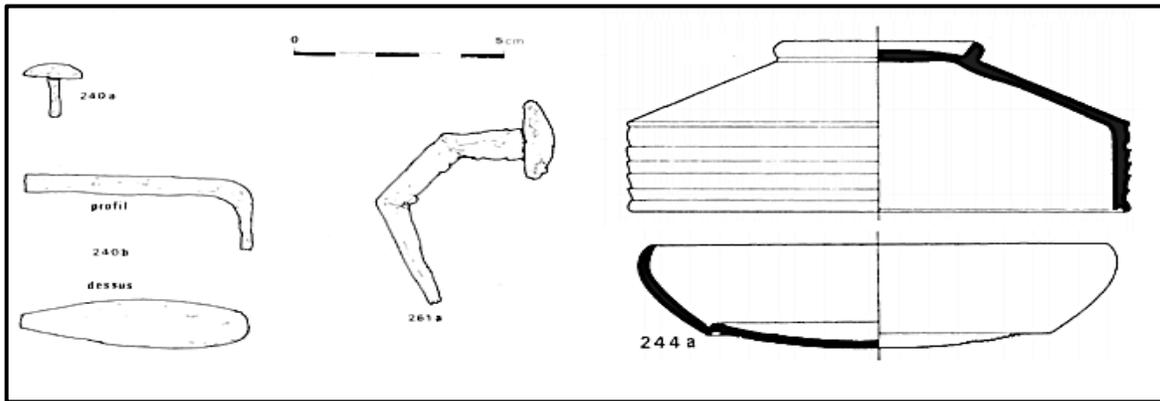
³⁶²Guéry, 1985, p. 237.

³⁶³Scheid, 2013, paragr.27.

4- فيما يتعلق بمخلفات المأدبة، نلاحظ الإنعدام الكلي لمخلفات الإيداعات الغذائية باستثناء القبر رقم 244، الذي يشتمل على قدر مقلوب على أنية طهي وهو كما أشرنا إليه أعلاه، يدلي بإيداعات غذائية رمزية (في حالة إنعدام البقايا الملموسة) أو إلى إيداعات غير محترقة أُلقت (الصورة رقم 10).



الصورة 9: عناصر من الحلي وأدوات الزينة المتوفرة في القبر رقم 255. عن: Guéry, 1985, pl.68-71-73.



الصورة 10: مسامير القبر 240 (أقصى اليسار)، مسمار القبر رقم 261 (في المركز) والقدر المقلوب على أنية الطهي في القبر رقم 244. عن: Guéry, 1985, pl.28-31-70-77.

5- فيما يخص مخلفات المراسيم التذكارية، لم نحص إلا 3 أنصاب غير منقوشة على حجر خام وتخص القبور رقم 243 (4-7 سنوات)، رقم 244 (11-16 سنة) ورقم 248 (مولود جديد أو رضيع).

6- تشير إلى إحصاء حالة واحدة قد تشير إلى طقس التثبيت وهي تابعة لقبر متوفي من فئة الراشدين (القبر رقم 245)، حيث تم وضع لوحة حجرية مباشرة على الرأس والقفس الصدري.

7- بالرغم من أن ما سيلي يخرج عن النطاق الكرونولوجي للبحث، باعتبار أن القبر رقم 261 يخلو من كل أثار وينتمي إلى النمط الثاني الذي يؤرخ بفترة شاعت فيها الديانة المسيحية في مدينة سطيف (القرن الثالث - القرن الخامس)³⁶⁴، نود التركيز على جملة من العناصر قد تشير إلى حالة استثنائية للتسمير، حتى نتضح لنا من خلاله محددات الطقس بحد ذاته.

تم العثور في القبر رقم 261 (التابع لطفل من فئة ال4-7 سنوات)، على مسمار حديدي واحد مُعَوَّج في غياب كلي للآثار الجنائزي (الصورة رقم 11). باعتبار انعدام دراسة تنميطية للمسامير في مقاطعات إفريقيا، لا يمكن الإعتماد على تلك التي أجريت في المقاطعات الأخرى³⁶⁵ للجزم فيما يخص وظيفة المسمار؛ هذا وباعتبار غياب أية إشارة من طرف الباحث لوجود نعش أو حامل للمرفقات (Présentoir)، فضلا عن كونه منعزلا، فلا نرى أي طابع وظيفي لذلك المسمار ويمكن حينها أن نحتمل بحذر الوظيفة التعويضية التي قد تكون لها علاقة بدور المعادن وعلى رأسها الحديد في استقطاب وتثبيت الطاقة السلبية للأمراض أو تلك التي لها علاقة بالتداوي والشفاء من الحوادث الصحية، كما يمكن أن نحتمل الوظيفة السحرية (إما لممارستها أو للحد منها). بالرغم مما سبق ذكره، نحتمل أن المسألة أكثر تعقيدا.

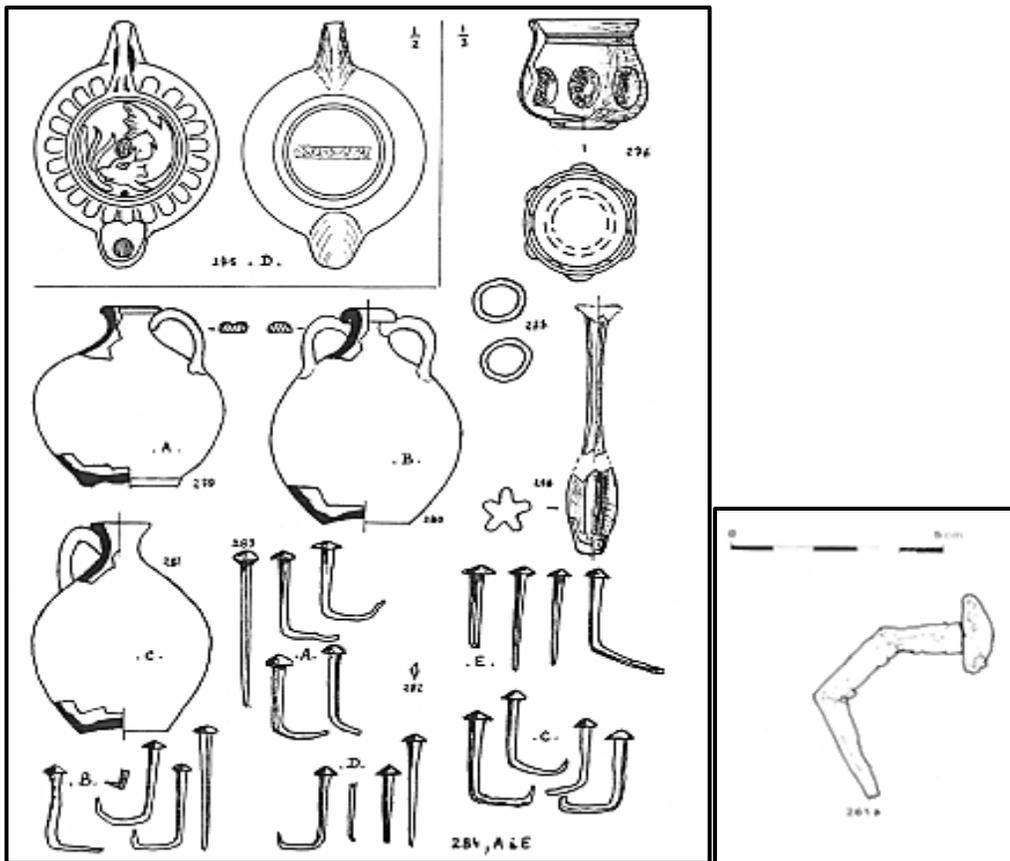
باعتبار أن المسمار جاء منفردا في القبر، سنعتمد على جملة من العناصر للتقرب من وظيفته. في هذا الإطار، نستعين أولا بما أفادنا به ج. شايدي فيما يخص المسامير ذات العلاقة بطقس التسمير والتي تستوجب مبدئيا التأكد من غياب كل وظيفة مما سبق ذكره³⁶⁶. نستعين بعدها بدراسة ج. بيرار للآثار الجنائزي المتوفرة في مقبرة لاكالاد (La calade) بمقاطعة الفار (Le Var) بفرنسا، حيث ركز في تقريره على وظيفة المسامير المتوفرة في القبر رقم 40.

³⁶⁴Guéry, 1985, pp.306-307.

³⁶⁵Berthon, 2009.

³⁶⁶Scheid, 2013, paragr.3.

كشف الباحث، بجانب جمجمة المتوفي وقرب أربعة عناصر من الأثاث (3 أوعية ومصباح)، على جملة من المسامير (4 وحدات لكل عنصر من الأثاث)، يأتي البعض منها في وضعية منتصبية، مغروسا في الأرض، بينما يتخذ البعض الآخر شكلا مرفقيا، أي معوج (Coudé). لم يتمكن الباحث من تحديد البعد الوظيفي لتلك المسامير، باعتبار انعدام أي عنصر يوحي بحاجة إلى التثبيت ومن ثمة اقترح توظيف تلك المسامير في إطار طقس التسمير قصد حبس روح المتوفي في قبره، مدعما تحليله بالأجواء إلى أحد المسامير لخرق أحد الأوعية. ينتمي القبر إلى طفل يبلغ من العمر أربعة سنوات³⁶⁷ (الصورة رقم 11).



الصورة 11 : على اليمين مسمار القبر رقم 261 (Guéry, 1985, Pl.80). على اليسار، مسامير القبر رقم 40 بمقبرة la Calade بفرنسا. (Bérard, 1963, p.303, Pl.6)

³⁶⁷Bérard, 1963, pp.299-304 et 306.

إن عدنا إلى القبر رقم 261، نلاحظ أولاً انعدام المرفقات الجنائزية أو أية إشارة لبقايا الألياف الخشبية، مما قد يُقضي مرجحاً كل احتمال في دور وظيفي للمسمار؛ نلاحظ كذلك أن المسمار يتخذ شكلاً معوجاً يذكرنا بذلك الذي تتخذه بعض مسامير القبر رقم 40 في مقبرة لاكالاد (La Calade). نشير أخيراً إلى أن المتوفي في القبر رقم 261 من فئة الـ 4-7 سنوات أي في سن يقارب المتوفي في القبر رقم 40 بفرنسا. إن يتحلى الباحث ج. بيرار بالحذر في الجزم في الدور السحري للمسامير التي عثر عليها، إلا أنه لم يجد تفسيراً مغايراً. اعتماداً على التشابه في الشكل وعلى غياب الأثاث الجنائزي، نحتمل بدورنا نفس التفسير فيما يخص المسمار المتواجد في القبر رقم 261، أين يمكن أن تعرّض الطفل إلى طقس التسمير، هذا إن استثنينا الوظيفة المعترف بها للمسامير الحديدية لدى الرومان في التداوي والشفاء ومع الأخذ بعين الاعتبار أن ر. جيري لم يذكر شيئاً عن خاصية الغرس في التربة. من جهة ثانية، نشير إلى أن اللجوء إلى طقس وثني خلال المرحلة المتأخرة، قد يجد تبريراً في استمراريته إلى غاية العصور الوسطى³⁶⁸. في حالة ثبوت أن مسمار القبر رقم 261 مربوط بطقس التسمير وباعتبار العثور على عدد معتبر من المسامير في قبور الراشدين (285 فقط خلال مرحلة الدفن البدائية) والتي لم يتم تحديد وظيفتها بالتأكيد، قد يفتح ذلك المجال للتفكير في وظيفة لا علاقة لها بالسجن. نشير كذلك إلى غيابها الكلي في قبور الأطفال، مما يسمح بإثبات أنه، إن وُجد طقس للتسمير في مدينة سطيف، فهو لا يخص فئة الأطفال بالتحديد، على أساس أنهم أطفالاً وتبقى الحالة المذكورة استثنائية لا يُقاس عليها.

³⁶⁸Bérard, 1963, p.306.

4. مقابر مدينة تيبازة

تقع مدينة تيبازة على بعد حوالي 75 كم غرب الجزائر العاصمة و28 كم شرق مدينة شرشال. بالرغم من توفر عملات نوميدية مؤرخة بفترة حكم ماسينيسا وأخرى إغريقية وبونية، فضلا عن الفخاريات المؤرخة بالقرن السابع قبل الميلاد، يبقى تاريخ المدينة مبهما³⁶⁹ إلى غاية اندماج موريتانيا القيصرية رسميا عام 39 م ضمن المقاطعات الرومانية. أصبحت حينها مدينة تيبازة، تحت حكم الإمبراطور كلاوديوس، مونيكيبوم ذات القانون اللاتيني³⁷⁰، لتتلقى بعدها مصف الكولونيا خلال القرن الثاني، تبعا لما تدلي به نقائش تربط المدينة بقبيلة Aelia (قبيلة الإمبراطور هادريانوس)³⁷¹.

تتسع المدينة ما بين التل المركزي لراس العيش (نواة المدينة البونية) وتلين جانبيين: كدية الزعرور شرقا وراس الكنيسة غربا وذلك على مساحة 1.5 كم شرق - غرب وحوالي 750 م شمال - جنوب، محاطة بالسور الأنطوني (2200 م طولاً) المشيد عام 149 ميلادي، بينما تقع المقابر خارج السور باستثناء جزء من المقبرة الشرقية الذي يندمج بداخل السور³⁷².

تشتمل المدينة على مقابر وثنية ومسيحية، فأما الوثنية، فتتمثل، من الأقدم إلى الأحدث، في: المقبرة البونية-الرومانية الشرقية والتي تشتمل على قبور تمتد إلى غاية القرن الرابع ميلادي؛ مقبرة منزل اللوحات الجدارية (في المركز)؛ المقبرة الغربية (خارج السور الأنطوني) غربا؛ مقبرة باب قيصرية (جنوب - غرب المقبرة الغربية) ومقبرة ماتارس، الواقعة أقصى غرب السور الأنطوني. فيما يتعلق بالمقابر المسيحية، نذكر شرقا، مقبرة القديسة سالسا وهي بمثابة امتداد للمقبرة البونية الشرقية وغربا (خارج السور الأنطوني)، مجمع مسيحي وبازيليك الأسقف الإسكندر.

³⁶⁹Gsell, 1894, pp.294.

³⁷⁰Heurgon, 1930, p.182.

³⁷¹CIL VIII, 9290= 20869 In Gsell, 1894, pp.295-296 In Idiren, thèse de doctorat, 2016-2017, p.20.

³⁷²Gsell, 1894, pp.298-299 et 323.

باعتبار صغر عينة الدراسة في مقبرة اللوحات الجدارية والمقبرة الغربية البونية وباعتبار كون عينة الدراسة غير محددة من حيث الجنس والسن في تقريبا كل القبور (غياب الدراسات الأثرولوجية)، تعذر علينا اتباع الخطوات التي باشرنا بها في دراسة المقبرة الشرقية لمدينة سطيف. على هذا الأساس، سنكتفي فيما يلي بتحديد نسب ونوع الأثاث الجنائزي المتوفر تبعا لما تم توفيره من تفاصيل حول الفئات (أطفال - راشدين). أما عن مخلفات المراسيم التذكارية، تجدر الإشارة بالنسبة إلى الأنصاب مثلا، إلى أنها متوفرة في المقبرة البونية الشرقية لكنها غير تابعة لمحيطها الأصلي، كما توفرت قنوات الإراقة في مقبرة باب قيصيرية مثلا (19 عنصرا على مجموع 25 قبرا من نمط الصناديق)³⁷³، لكن باعتبار أن الباحث لم يركز على وصف كل قبر على حدى في تقريره، تعذر علينا ربط المخلفات التذكارية بالقبور التي تنتمي إليها وحتى دراسة المقبرة ككل ولذلك، سنكتفي بإحصاء ما هو متوفر في المحيط الأصلي في المقابر المدروسة وهي: المقبرة الوثنية الشرقية، مقبرة اللوحات الجدارية، المقبرة البونية الغربية ومقبرة ماتارس.

نركز على أن هدفنا الرئيسي من الدراسة يكمن في محاولة إبراز ما إن كانت قلة المرفقات لدى فئة الأطفال ولاسيما القطع النقدية والمصابيح، نابع من رغبة في إقصاء تلك الفئة أم أن هنالك توجه عام يخص مقابر مدينة تيبازة والذي بدوره يثير إشكاليات سنطرحها هنا قبل التمعن فيها خلال الفصل المخصص للتحليل.

5. المقبرة الوثنية الشرقية

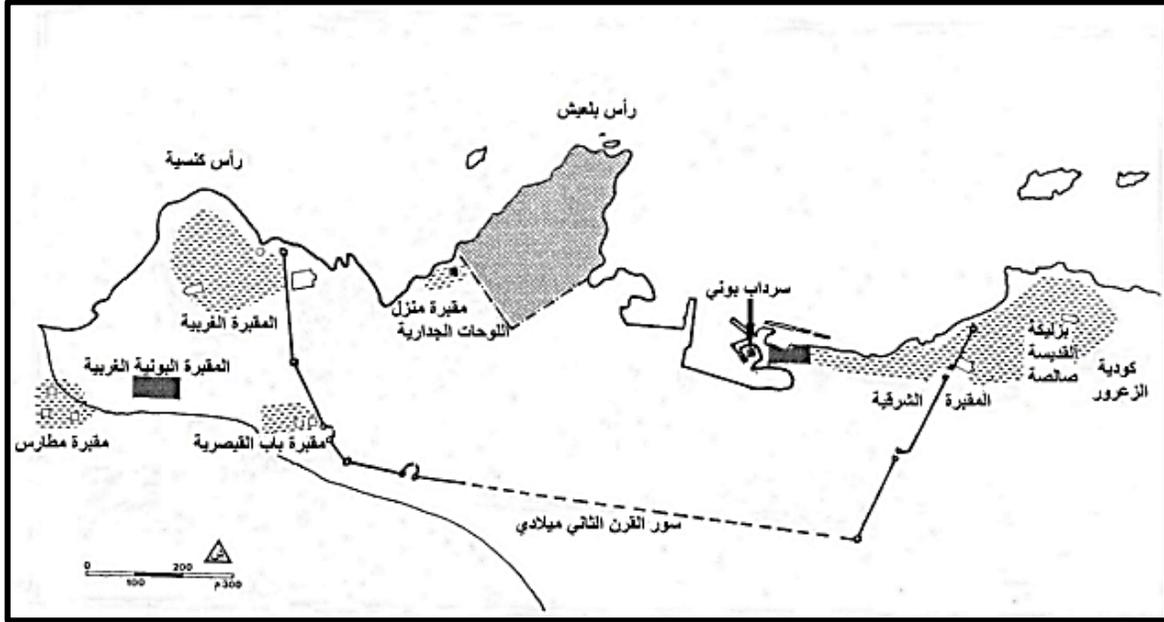
تتسع مساحة المقبرة الوثنية الشرقية ما بين الميناء الحالي وبازيليك القديسة سالسا بحيث يندمج الجزء الغربي منها بداخل السور الأنطونيني المشيد عام 149 والذي يشتمل على أقدم القبور باعتبارها أقرب إلى نواة المدينة البونية³⁷⁴، بينما يتجاوز الجزء الشرقي منها حدود السور (المخطط رقم 9). شهدت المقبرة أربعة حملات تنقيبية، تمت الأولى منها تحت إشراف س. غزير والتي شكلت أطروحة الباحث المنشورة عام 1894، تم فيها العثور على 23 قبرا³⁷⁵، تبعثها حملة ج. هورجون عام 1930 أين تم التنقيب في

³⁷³ Lancel, 1970, p.176.

³⁷⁴ Cintas, 1948, pp.283.

³⁷⁵ Gsell, 1894, p.378.

أربعة قبور³⁷⁶ استمرارا للحملة السابقة، ثم حملة ب.سينتاس عام 1947³⁷⁷. أما الحملة الرابعة، فتمت على مرحلتين، تحت إشراف ج. باراديز عامي 1957 و1969.



المخطط 9 : مدينة تيبازة والمقابر التي تحتضنها. على اليمين، مساحة اتساع المقبرة الشرقية. عن :

إيديران، 2017، ص.23 In 758 fig.10, 1982, Lancel

تم تأريخ المقبرة ما بين نهاية القرن الأول والنصف الأول من القرن الثاني ميلادي من طرف س. غزيل³⁷⁸، بينما أرخها ج. هورجون ببداية القرن الأول ميلادي وبالتحديد ابتداء من فترة حكم الإمبراطور كلاوديوس³⁷⁹ باللجوء إلى التأريخ المباشر الذي سمحت به قطعة نقدية تحمل مشهدا للإمبراطور، على مجموع الخمسة التي تم الكشف عنها³⁸⁰.

تعد الحملة الرابعة من التنقيب أهم حملة تمت في المقبرة الوثنية الشرقية، تحت إشراف ج. باراديز، حيث وسع نطاق المقبرة، مدمجا قبور الحملات السابقة، مما سمح من جهة، بإعادة النظر في بعض

³⁷⁶ Heurgon, 1930, p.185.

³⁷⁷ Cintas, 1948, pp.263-330.

³⁷⁸ Gsell, 1894, p.323.

³⁷⁹ Heurgon, 1930, p. 187.

³⁸⁰ Heurgon, 1930, p. 186.

الاستنتاجات السابقة ومن جهة ثانية، الكشف عن 70 قبرا إضافيا من ضمنها 5 قبور للأطفال، مما رفع عدد القبور الإجمالي للمقبرة إلى 110 قبرا، لتأتي حملة لاحقة عام 1969 أين تم الكشف عن 23 قبرا.

أما عن التأريخ، فيقترح الباحث إطارا كرونولوجيا يمتد ما بين القرن الثاني ق.م ونهاية القرن الأول ميلادي، اعتمادا على تنميط الأواني الفخارية والقطع النقدية المؤرخة بفترة حكم الإمبراطور دوميتيانوس، مع إشارة الباحث إلى أن المقبرة عرفت ارتدادا مكثفا ما بين بداية القرن الأول ميلادي ونهايته³⁸¹.

سنعتمد فيما يلي على نتائج حملة ج. باراديز الأولى باعتبارها مفصلة وباعتبار القبور فيها فردية يمكن ربط أثارها بالمتوفي بالتأكد، حيث درس كل قبر على حدى وهو ما تفتقده دراسات س. غزيل و ج. هورجون، في حين اقتصر س. لانسال على العمارة الجنائزية والمرفقات البونية أساسا. أما الحملة الثانية المكتملة للأولى والتي أجريت عام 1969، فبالرغم من كونها كشفت عن 23 معلما مزودا بأثاث جد وفير، يبقى أنها تشتمل على هياكل ترميد جماعية، مرممات يحاذيها الأثاث الجنائزي وكذا قبور مدنسة أو خالية من كل مخلفات. يصعب بذلك ربط الأثاث بالمتوفين، خاصة مع غياب الدراسات الأنثروبولوجية التي تحدد السن والجنس. على هذا الأساس، سنتطرق إلى محتوى تلك المعالم الإضافية على أساس الأثاث المتوفر قصد إدماجها لاحقا في التحليل.

5.1 مضمون وإشكاليات العينة

سنحتفظ في دراسة المقبرة الشرقية بالحروف التي اعتمدها الباحث ج. باراديز، حيث قام بربط أرقام القبور بالحرف الأول من إسم المكتشف وبذلك، سنسبق أرقام القبور التي كشف عنها س. غزيل بالحرف "غ"؛ أرقام القبور التي كشف عنها ج. هورجون بالحرف "ه"؛ أرقام القبور التي نقيبها ب. سينتاس بالحرف "س" وأخير تلك التي نقب فيها ج. باراديز بالحرف "ب".

من ضمن الـ 70 قبر، أحصى ج. باراديز 46 قبرا تم فيه اللجوء إلى طقس الترميد وهي بمثابة هياكل حرق أولية، إن استثنينا أربع قبور لم يتسن للباحث فيها تحديد ما إن كان الترميد يخص الجثة أم أنه على علاقة بطقس التطهير الذي شهدته المقبرة خلال القرن الرابع ميلادي قصد تشييد معالم جديدة. أما عن

³⁸¹Baradez, 1957, pp.16-161-200 et 218.

طقس الدفن، فيخص 12 قبرا. فيما يتعلق بقبور الأطفال، فلا يفوق عددها خمسة قبور (القبر رقم 6 مكرر: 7 سنوات؛ القبر رقم 24: 3 سنوات؛ القبر رقم 53: 13-14 سنة والقبرين رقم 30 مكرر و40: غير محدد)³⁸².

باعتبار أن الدراسة التحليلية للأثاث الجنائزي تقوم، من ضمن محددات أخرى، على موقعه وتموضعه بداخل القبر، فمن الضروري أن يكون مرتبطا بصفة مؤكدة بالقبر المدروس ونلاحظ أن المسألة تتعقد فيما يتعلق ببعض قبور المقبرة الشرقية وذلك باعتبار:

- أن القبر رقم غ. 15 بمثابة سرداب مزود بكوتين على الجانبين الأيمن والأيسر، المُهيأة لإستقبال المرممات وعددها الإجمالي 11 مرمدة من الفخار واثنين مكسورتين من مادة الزجاج³⁸³. كشف ج. باراديز أنه تم إعادة استعمال السرداب في مرحلة متأخرة، بحيث تم إدماج أثاث جنائزي إضافي ما بين فراغات الجدران. على هذا الأساس وبالرغم من وفرته (37 عنصرا أهمها أواني المائدة)، قمنا بإدماجه ضمن المرفقات المتوفرة بالمقبرة فقط لتحديد نسبة تداول أواني المائدة مثلا، لكن لا يمكن ربطها بإشكالية البحث الوثيقة الصلة بالفئة.

- القبور التي تعرضت للتدنيس (القبر رقم 4) أو للتدمير في مرحلة متأخرة (القبور رقم 5، 7، 17، 41، 42، 54، 58، 18، 19) والتي فقدت أحيانا جزءا من أثاثها.

- القبور التي تخلو من كل بقايا عظمية (ومرفقات) (القبور رقم 27، 27 مكرر، 28) والتي لا يمكن أن تعتبر قبورا بآتم معنى الكلمة.

- الفجوات المحاذية للقبور س.13، س.22، س.23، وب.26، التي تخلو من أي هيكل بينما تشتمل، تبعاً ل ج. باراديز، على أثاث ذات وظيفة نذرية وُضعت بمحاذاة كل من القبور الأربعة المذكورة أعلاه.

³⁸²Baradez, 1957, pp. 213-214.

³⁸³Gsell, 1894, p.379.

بذلك تعتبر عينة القبور التي نقت فيها ج. باراديز غير مكتملة لكي تعكس النتائج واقع المقبرة الفعلية³⁸⁴ وخاصة لما يتعلق الأمر بتحديد ما إن كان هنالك فرق في التعامل بين فئة الأطفال والراشدين نظرا للتفوق العددي لقبور الترميد ولغياب فرص التشخيص باللجوء إلى الدراسات الأنثروبولوجية.

ارتئينا بذلك (مع استثناء القبور المشخصة)، اللجوء إلى عبارة " غير محدد" (Indéterminé) فيما يتعلق ببقية القبور، تقادي كل مقارنة والإكتفاء في مرحلة أولى بتحديد نوع ووظيفة الأثاث المتوفر، لندمج المعطيات بعدها في الفصل المخصص لتحليل النتائج.

5.2 المرفقات الجنائزية في المقبرة الشرقية

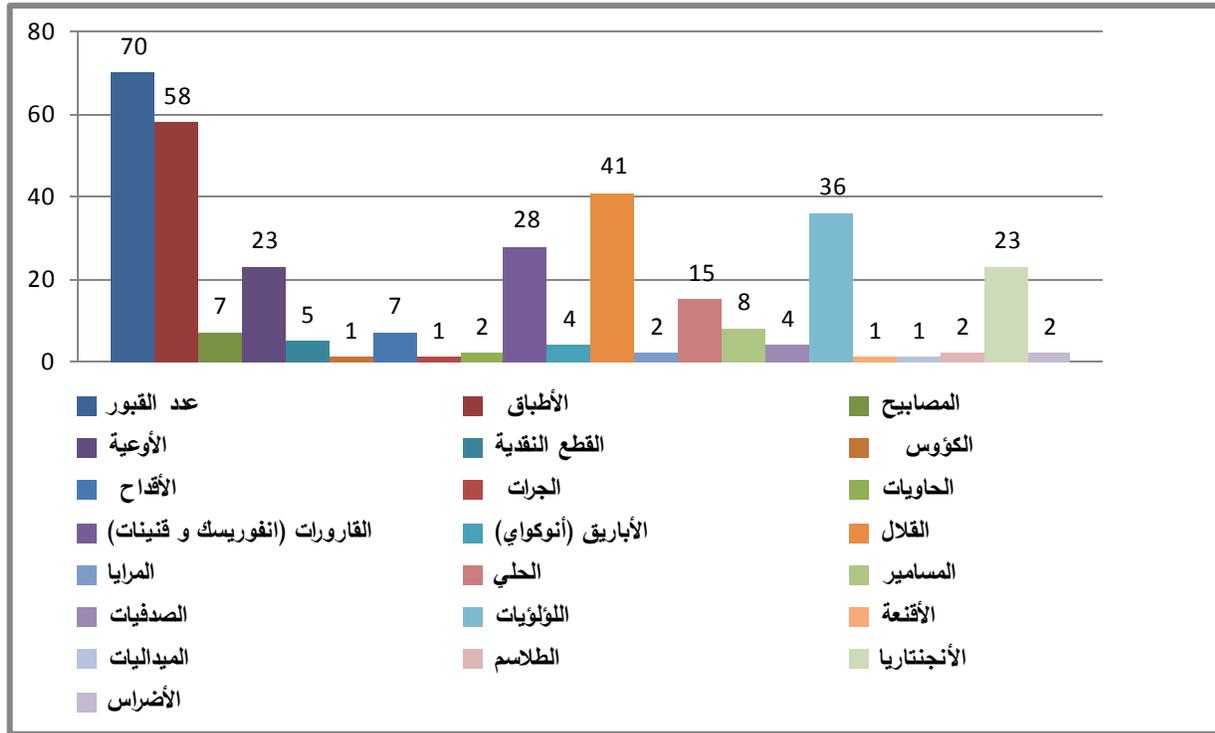
نلاحظ أن، من جملة 70 قبرا، يتوفر الأثاث الجنائزي في 67 بالمئة منها، بينما يندم في 33 بالمئة. يمتاز الأثاث عموما بالتنوع ويخص بالدرجة الأولى أواني المائدة المعتادة، على رأسها الأطباق والصحون المتوفرة في 82 بالمئة من القبور، تليها القلال المتوفرة في 58 بالمئة، الأنفورييسك والقنينات في 40 بالمئة، الأوعية في 32 بالمئة بالتعادل مع الأنجنتراريا (32 بالمئة). أما المصابيح، فنلاحظ قلة توفرها حيث لا نجدها إلا في 1 بالمئة من القبور.

انطلاقا من تقارب النسب، قد يبدو للوهلة الأولى أن هنالك أثاث نظامي وآخر ضرفي، لكن إن ندقق في الفوارق، نجد أن هنالك بين الأطباق والصحون من جهة والقلال من جهة ثانية فارق يُقدر ب 24 بالمئة وبين القلال والأوعية 26 بالمئة، بينما المصابيح، فهي تكاد تنعدم؛ هذا ويمكن، من خلال النسب، أن نلتمس الأثاث الذي منحه سكان مدينة تيبازة أولوية والذي يتمثل في الأطباق والصحون، أغلبيتها أطباق (طبق، إثنين أو أكثر في القبر الواحد)، ثم القلال التي، إن تأتي في أغلبية الأحيان منفردة أو مزدوجة، قد تصل في أحيان أخرى إلى 4 قلال في القبر الواحد (القبور رقم 54 ورقم 59)، تليها الأنفورييسك والقنينات وأخيرا الأوعية.

في الواقع، ما لا يسمح بتحديد الأثاث النظامي بالرغم من الوفرة، هو التشتت في التوزيع في أغلبية القبور باستثناء الأطباق التي تحافظ على استمرارية.

³⁸⁴Baradez, 1957, p.220.

أما عن اللؤلؤات، فلا يمكن فيها الإعتماد على نسبة التوفر، حيث قد يصل عددها إلى 25 وحدة في القبر الواحد (القبر رقم 6 مكرر). نشير أخيرا إلى قلة القطع النقدية التي تنفرد بندرتها ونعلم الوظيفة الرمزية التي يحملها هذا النوع من العناصر، خاصة وأنها في مدينة وحقبة تاريخية من المفروض أن ترسخت فيها تقاليد جنازية أساسية في الذهنية الرومانية ونقصد بذلك مفهوم حق العبور إلى العالم الثاني (الرسم البياني رقم 33).

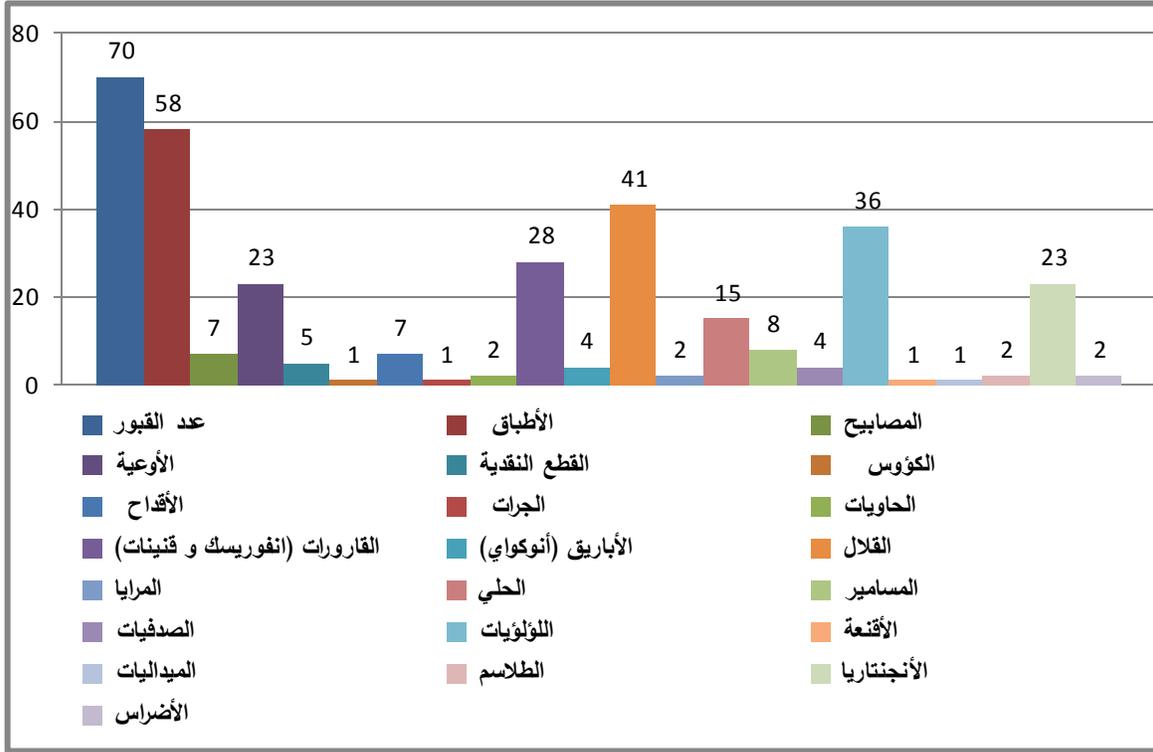


الرسم البياني 33: توزيع الأثاث الجنائزي المتوفر في المقبرة الشرقية

لابد من الإشارة إلى العدد المعتبر للأثاث المكسور ضمن الرصيد المذكور أعلاه، حيث قد يأتي الكسر على شكلين: إما أن يكون كلياً، في شكل قطع أو شققات وإما في شكل قطع مختارة من الآنية (قاعدة، حافة، عنق، قاع... إلخ). سبق وأن تطرقنا إلى الرمزية السحرية لهذا النوع من العناصر مستعينين بقراءتي غ. كامبس وج. فرازير³⁸⁵، فضلا عن رمزيته لدى الرومان التي تمزج ما بين البعد السحري ومبدأ الفصل

³⁸⁵ Camps, 1961, p.59.

بين عالمي الأحياء والأموات. باعتبار عدد الأثاث المكسور يفوق ما تم إحصائه في المقبرة الشرقية لمدينة سطيف، لابد هنا من التدقيق في مسألة الكسر العمدي (الرسم البياني رقم 34).



الرسم البياني 34: توزيع الأثاث المكسور، الشفقات والقطع

يعد الأثاث المكسور جزء لا يتجزأ من مرحلة الحداد بالنسبة للأحياء. إن عدنا إلى تحليل ج. لوكلار، يقوم الفعل الجنائزي على عنصرين أساسيين: التقنية والإيديولوجية³⁸⁶، فأما التقنية، فتشير إلى مخلفات الفعل المبرمج مسبقا في إطار كرونولوجي محدد، بينما الإيديولوجية، فتشير إلى خلفية تلك البرمجة.

انطلاقا من ذلك، فمفاد الفعل الجنائزي بالنسبة لحاملي الحداد أي الأهل، يتمثل في التعامل مع الجثة وفقا لمحددات مقننة (المراسيم الدينية القائمة على القانون الروماني الجنائزي ومراسيم الرهبان) وفي ذات الوقت، تسيير عملية الحداد بشكل موفق أو، على حد تعبير الباحث، تسيير مشاعر الأحياء باعتبار الفعل الجنائزي ترجمة للصدمة العاطفية³⁸⁷. هو ما أدى إلى اعتبار أن مرحلة الحداد بمثابة مرحلة الجثة،

³⁸⁶Leclerc, 1990, p.15.

³⁸⁷Leclerc, 1990, p.15.

تليها، بعد غلق القبر، مرحلة النسيان. يمكن اعتبار كل ما يسبق ذلك بمثابة ميكانيزمات دفاعية أمام واقع مفرغ ومن ضمنها الدفن وإن أردنا التعجيل في إخفاء كل ملامح الجثة ، فترميدها³⁸⁸.

يأتي ج. شايد مدعما التحليل السابق باللجوء، فيما يخص الكسر العمدي، إلى فكرة "بعث" أو "إرسال" المتوفي إلى العالم الآخر³⁸⁹ وكأن الفصل بينه وبين الأحياء أمر مصيري يفرض ما قد نسميه بمسافة الأمان الرمزية، بذلك فالطبق الذي يتم كسره قبل غلق القبر، يفقد وظيفته الأصلية مما يخلق حاجزا ما بين المتوفي والأحياء، لكن دون أن يفقد كيانه كعنصر مرافقة بالنسبة للمتوفي في محيطه الجديد وذلك انطلاقا من مبدأ السحر بالتماس (Magie par contiguïté)³⁹⁰.

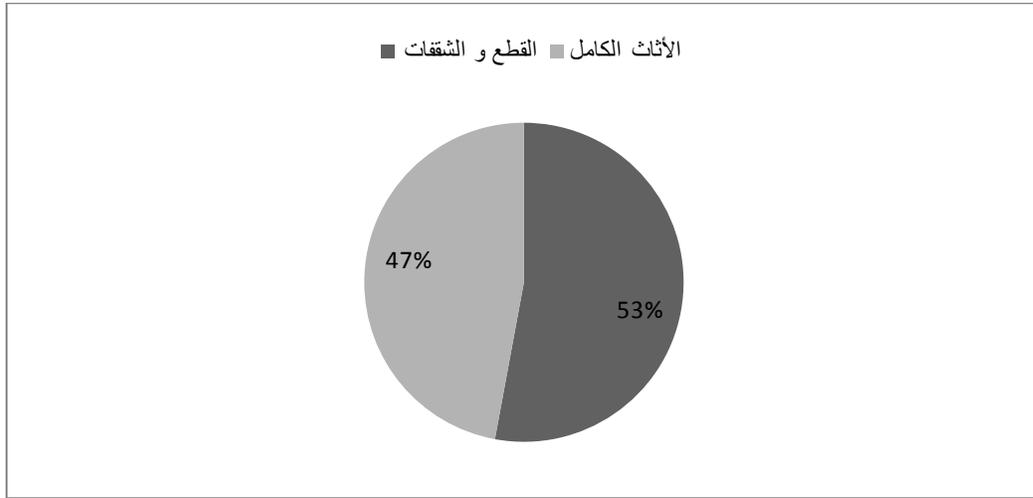
في المقبرة التي تخصنا، نلاحظ أنه باستثناء القبور رقم 8 (عناصر من الحلي وطبق)، رقم 9 (طبق، جرة وكوب مكسور)، رقم 42 (حافة طبق، قدم أنفوريك، قطعة من طبق، مقبض مرآة وشقفة وعاء)، رقم 54 (شققات تابعة لثلاثة أو أربعة قلال)، رقم 58 (قطعتين تابعتين إلى قلتين)، التي تعرضت إلى الإلتلاف، فالقبور في معظمها سليمة وتشتمل على أثاث كامل وكذا مكسور كليا أو في شكل شققات أو قطع مختارة (عنق، مقبض، قاع، حافة)، مما يثبت الفعل المبرمج.

لتوضيح أهمية الأثاث المكسور بالمقبرة الشرقية البونية، ارتئنا اقتراح رسم بياني يجسد نسبة توفر الأثاث الكامل مقارنة بالأثاث المكسور بما في ذلك الشققات والقطع، مع استثناء القطع النقدية والأثاث الذي انفجر بفعل الضغط الحراري وكذلك اللؤلؤات التي أتت كلها كاملة. استثنينا كذلك القبور التي تعرضت للتعديل وتلك التي انكسر أثاثها جراء انهيار سقف القبر. نشير مرة ثانية إلى أنه لا يمكننا إجراء مقارنة هنا بين الأطفال والراشدين باعتبار أن العينة غير محددة وقد تشتمل على قبور أطفال (الرسم البياني رقم 35).

³⁸⁸Leclerc, 1990, pp.15-16.

³⁸⁹Scheid, 2013, p.457.

³⁹⁰Frazer, 1922, pp.14-15-16.



الرسم البياني 35 : نسبة توفر الأثاث الكامل والمكسور بما في ذلك القطع والشققات

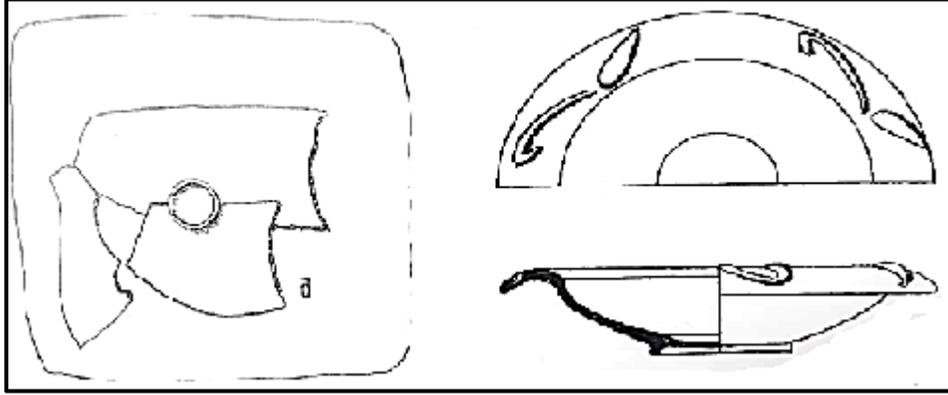
فيما يتعلق بقبور الأطفال، فعددها خمسة على مجموع 70 قبرا وأثاثها كالمعتاد ضئيل وبذلك، نقترح إدراجه في الجدول التالي: (الجدول رقم 9)

رقم القبر	الأطباق والصحون	القلال	الأنجنتاريا	القارورات	الايوعية	الحاويات	حلقات الأذن والأساور	اللؤلؤات	الأضراس
6 مكرر	قطعة						1	27	
24	-	-	-	-	-	-	-	-	-
30 مكرر	1								
40	1	عنق	قاعدة	عنق	1	قاع		1	
53	+2 شظية	1			1				

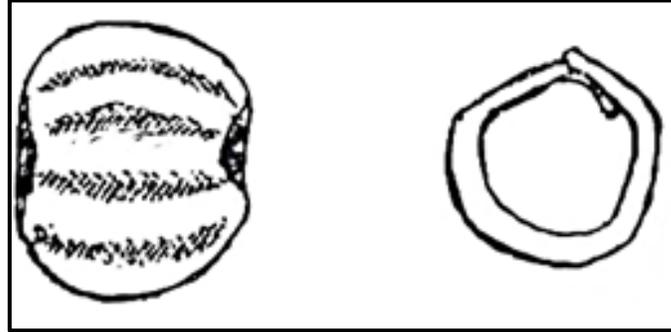
الجدول 9 : توزيع الأثاث الجنائزي في قبور الأطفال

نلاحظ أن من مجموع 5 قبور، تتوفر أربعة منها على مرفقات جنائزية. نلاحظ من جهة ثانية غيابا كليا للقطع النقدية والمصاييح، لكن إن قارنا غيابها بمجموع مصاييح وعملات المقبرة، نلتبس بوضوح أن المسألة لا تعني فئة الأطفال بالتحديد، فالقطع النقدية لا تفوق 3 وحدات لدى العينة الغير محددة في حين

لا تفوق المصايح سبعة وحدات. نقترح بذلك تفسير تلك الندرة بوجود توجه في الممارسات الجنائزية للمقبرة وليست خاصة تنفرد بها فئة الأطفال (الرسم رقم 7، 8 و 9).

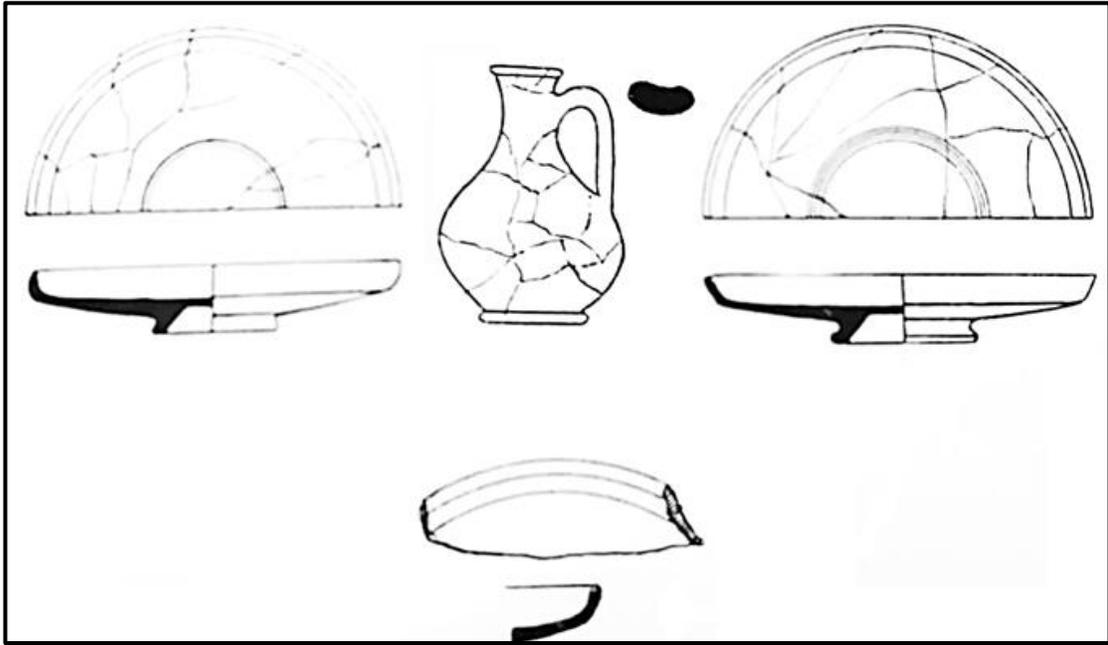


الرسم 7: الأثاث المتوفر في القبر رقم 30 مكرر (طبقيين). عن: Baradez, 1957



الرسم 8 : عنصرين من الأثاث المتوفر في القبر 6 مكرر (قرط فريد ولؤلؤة عنبر كبيرة الحجم وذات اللون الأسود). عن:

Baradez, 1957, pl.1.



الرسم 9 : الأثاث المتوفر في القبر رقم 53 (طبقيين مكسورين، قلة مكسورة معادة التشكيل، شظايا طبق ووعاء). عن:

Baradez, 1957, pl.8

5.3 مخلفات المراسيم التذكارية

لم يتم إحصاء مخلفات كافية للمراسيم التذكارية في المقبرة الشرقية باستثناء النصب الذي عثر عليه ب.سينتاس خلال تحرياته. يفترض الباحث دون تفصيل، أن بعض القبور التابعة لحمليتي س. غزيل و ج. هورجون كانت تحاذيها أنصاب، فضلا عن ذلك الذي أحصاه الباحث³⁹¹. تشير كذلك إلى القبر رقم 33، التابع إلى حملة ج. باراديز، أين عثر على قطعة تابعة إلى نصب. أما عن موائد القرابين وقنوات الإراقة، فلم يُذكر وجودها في أية من الحملات الأربعة.

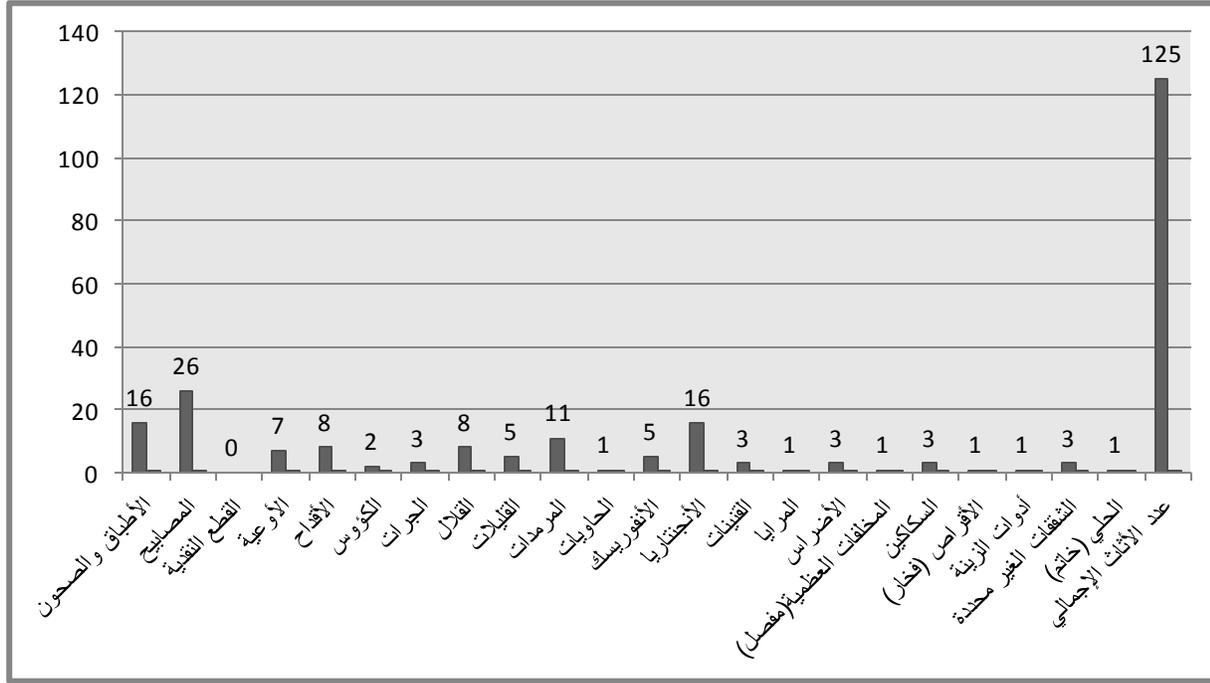
5.4 الأثاث الجنائزي المتوفر في حملة 1969

كشفت حملة 1969 على سردابين (رقم 80 و 81) و 13 قبر أو حفرة (رقم 82، 83، 84 مكرر، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93).³⁹² تدلي نتائج التنقيبات بتوفر أثاث تغطي عليه الأطباق، الصحون، المصابيح والأنجنتراريا مع الأولوية هذه المرة للمصابيح بنسبة 20.8 بالمئة على

³⁹¹Cintas, 1948, pp.279-284-285.

³⁹²Baradez, 1969.

مجموع الأثاث المتوفر (125 عنصر)، تليها الأطباق والأنجنتريا بـ12.8 بالمئة، ثم بنسب جد ضئيلة، الأوعية (7 بالمئة)، الأقداح (6 بالمئة) ومخلفات أخرى متنوعة، في حين تغيب القطع النقدية تماما (الرسم البياني رقم 36).

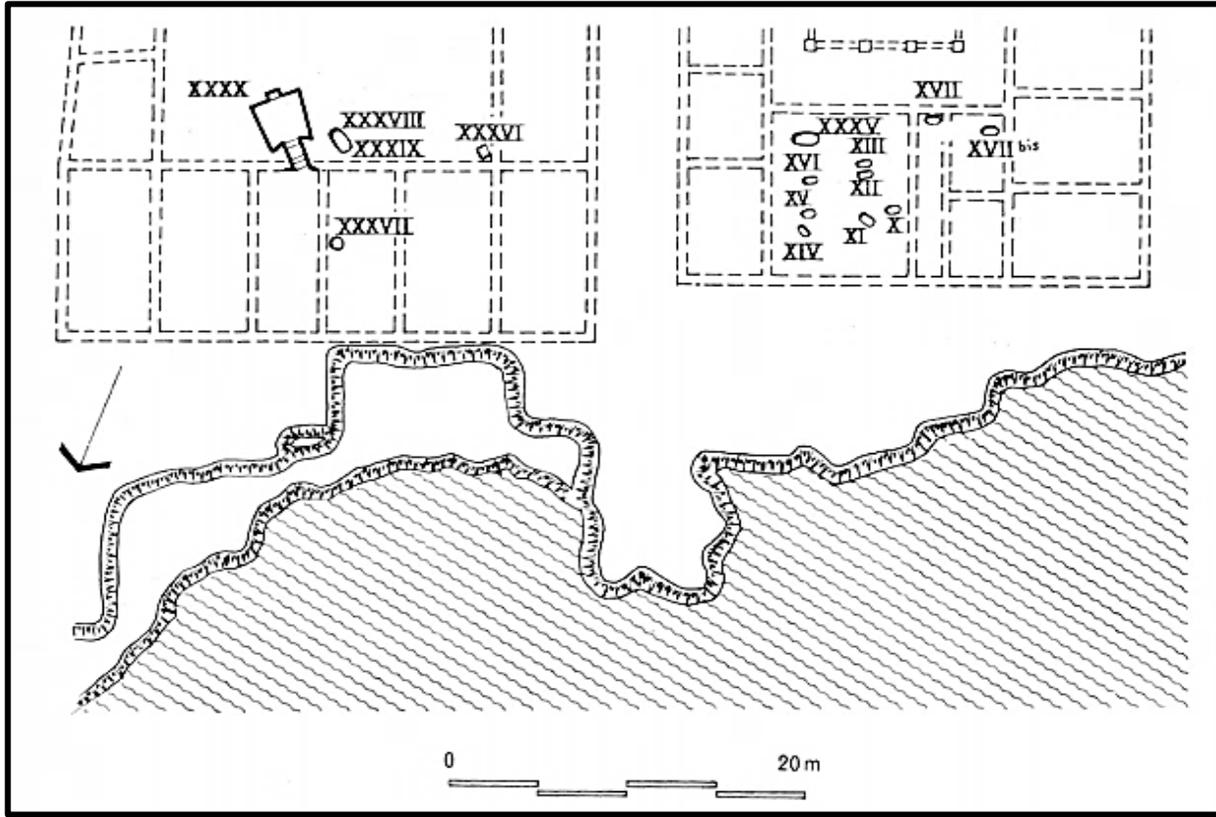


الرسم البياني 36: الأثاث المتوفر في قبور حملة 1969

6. المقبرة الغربية (منزل اللوحات الجدارية)

تقع المقبرة الغربية بداخل السور المشيد عام 149م وعلى بعد 70 إلى 120 متر من السور البدائي للمدينة³⁹³. كشفت الأسفار خلال حملة أولى تمت عام 1958، على جزء من مقبرة وثنية، يشتمل على 35 قبرا؛ تلتها حملة ثانية باتجاه الشرق والتي تم خلالها الكشف عن خمسة قبور إضافية مكتملة لمجموعة الحملة السابقة (المخطط رقم 10).

³⁹³Baradez, 1957, p.7.



المخطط 10: توزيع جزء من القبور تحت منزل اللوحات الجدارية وعلى الكارنو المحاذي. عن: Baradez, 1968, p. 78

تقع المقبرة تحت منزل اللوحات الجدارية وتم الكشف عنها جراء حفر أسبار كان هدفها الأول إبراز حدود المنزل. انطلاقاً من ذلك، فلا تمثل القبور التي عُثِرَ عليها إلا جزءاً من مساحة المقبرة الإجمالية³⁹⁴ وعلى هذا الأساس، فهي بدورها غير كاملة.

يمتد تاريخ المقبرة ما بين فترتي حكم الإمبراطورين فسبسيانوس ودوميتيانوس (69 م و 82 م)، باستثناء القبر رقم 40 (التابع للحملة الثانية) والذي، نظراً لنمطه المعماري ولانعدام الأثاث الجنائزي فيه، لم يتسن للباحث الجزم فيما إن ينتمي إلى الفترة البونية أو إن كان قبراً محلياً ذات تأثيرات بونية، شيد قبيل نشأة مقاطعة موريتانيا القيصرية (باعتبار المدخل المدرج).

³⁹⁴Baradez, 1957, même page.

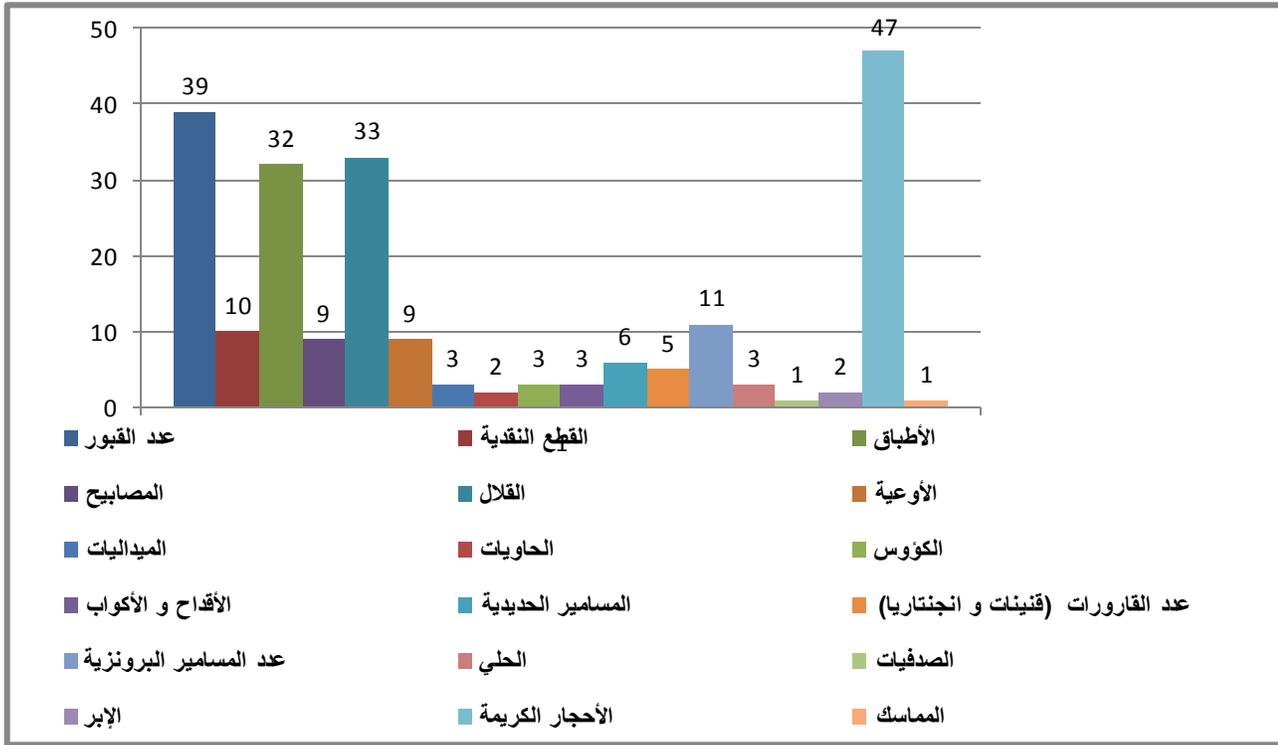
تشتمل المقبرة في مجملها على 40 قبرا، نستثني منهم القبر الأخير باعتباره غير مؤرخ وخالي من كل أثار. يطغى على هذا الجزء من المقبرة الطقس المزدوج (Bi-rituel) وتم فيه اللجوء إلى طقس الترميد في 34 قبرا وإلى طقس الدفن في 4 قبور. تشير فيما يخص هياكل الترميد، إلى أن 11 قبرا يعد بمثابة هياكل حرق أولية، أما القبر المزدوج رقم 3-4، فبمثابة هيكل حرق ثانويين، كما يُرجح الباحث أن القبر رقم 23 هيكل حرق ثانوي مفترض. أما بقية القبور، فهي غير محددة باعتبار أنه تم نقل هياكل عدد منها إلى مواقع مختلفة لتشييد المنزل، هذا ووفقا لتقييم الباحث، تمت تهيئة أغلبية المحاطب بداخل القبور³⁹⁵.

باعتبار قلة قبور الأطفال في المقبرة (قبرين مؤكدين وقبر مفترض) على مجموع 39 قبرا، فلا يمكن أن تشكل عينة وافية. على هذا الأساس، سنكتفي بإدراج جملة الأثار الجنائزي المتوفر وانتقاء منه ما يخص قبور الأطفال، لنعود إليهما في الفصل الخاص بتحليل النتائج.

6.1 توزيع الأثار الجنائزي

يصل عدد القبور التي تشتمل على أثار جنائزي إلى 29 قبرا مقابل 9 قبور تخلو تماما منه (باستثناء القبر رقم 17 مكرر الذي يحتضن شققات لم يتمكن الباحث من إعادة تشكيلها). أما عن مجمل عناصر الأثار المتوفر، فيصل إلى 192 عنصرا، 59 من المجموع يخص قبور الأطفال. على غرار المقبرة الشرقية، لا نلتمس هنا وجود تركيبة نظامية وإنما منح الأولوية للبعض من العناصر على حساب غيرها، كالقلال (83 بالمئة من مجموع الأثار المتوفر) والأطباق والصحون (82 بالمئة). نلاحظ كذلك تقاربا في عدد المصابيح والقطع النقدية والأوعية، حيث تُسجل المصابيح نسبة 32 بالمئة والقطع النقدية والأوعية نسبة 33 بالمئة، فضلا عن اللؤلؤات التي تحتل الصدارة بـ 47 وحدة، 38 منها في القبر رقم 34 (قبر مراهقة)، 8 وحدات في القبر رقم 26 ولؤلؤة واحدة في القبر رقم 9. قد لاحظنا أهمية القلال في المقبرة الشرقية البونية لكن نلاحظ في مقبرة منزل اللوحات الجدارية تقاربا بينها وبين عدد الأطباق (الرسم البياني رقم 37).

³⁹⁵Baradez, 1957, p.47.



الرسم البياني 37: توزيع الأثاث الجنائزي حسب العدد والنوع

أما عن قبور الأطفال التي لا تفوق الثلاث قبور، فكما سبق الذكر، يصل العدد الإجمالي للعناصر إلى 59 عنصر، تمثل منها اللؤلؤات أغلبية ساحقة (38 وحدة) (الجدول رقم 10).

رقم القبر	الأطباق والصحون	القلال	الحلي	اللؤلؤات	المسامير البرونزية	المسامير الحديدية	العناصر الاستثنائية
7 (12-14 سنة)	1	2	-	-	10	3	-
33 (12-13 سنة)	1	1	-	-	-	-	آلة موسيقية
34	-	-	2	35 لؤلؤة عنبر و3 غير محددة	-	-	-

الجدول 10 : توزيع الأثاث في قبور الأطفال حسب النوع

6.1.1 ملاحظات عامة حول قبور فئة الأطفال

نلاحظ أن القبور الثلاثة تشتمل على أثاث. قد يعود ذلك إلى سن المتوفين باعتبار أنه عادة ما تأتي قبور الأقل من سنة خالية أو قليلة الوفرة. قد يكون هنا لتوفر الأثاث علاقة باندماج الطفل ضمن العائلة والمجتمع أو ببلوغ المتوفين سنا اعتادوا فيه على استعمال ذلك الأثاث اليومي ومن ضمنه، نشير إلى اللؤلؤات التي نعلم أنها ترافق الطفل حيا، بينما يستمر دورها الوقائي في الإطار الجنائزي. تتمثل الإشكالية هنا في سبب وجود ثقب للتعليق في ثلاثة منها فقط.

نلاحظ كذلك توفر آلة موسيقية صغيرة وباعتبار سن المتوفي مرة أخرى (12-13 سنة)، يُحتمل أن اعتاد المتوفي على استعمالها، حيث يؤدي هذا النوع من المرفقات في قبور الأطفال التابعين للطفولة المبكرة (المواليد الجدد والرضع خاصة) دورا مغايرا، على علاقة بتهدئة الطفل وأبعد من ذلك، بالنمو السليم للقدرات المعرفية، كما يضمن راحة نفسية نظرا لكون الأطفال الصغار عرضة لشتى المخاوف وحتى للحظات رعب قد تؤدي بحياتهم³⁹⁶. لنا مثال للعبة من هذا النوع بالمقبرة الوثنية بمدينة تيمقاد، أين يطلق

³⁹⁶Dasen, 2017.

عليها الباحث كريستول تسمية Hochet. هي ما يُعرف بشخشيخة الأطفال، نظرا للصوت الذي ينبعث من القطع المعدنية التي تشكلها حين تلتقي. لم يتسن للباحث الجزم فيما إن كان المتوفي طفلا بمقبرة تيمقاد باعتبار غياب الدراسات الأنثروبولوجية³⁹⁷، لكن عادة ما يتم العثور على هذا النوع من المرفقات في قبور الرضع للأسباب المذكورة أعلاه، على عكس القبر الذي يهمننا.

نُدرج كذلك ملاحظة تخص نمط الرسم وعلاقته بالسن، حيث باستثناء القبر رقم 7 (12-13 سنة)، تم اللجوء إلى طقس الدفن بالنسبة للطفلين المتبقين وهم قد تجاوزوا مرحلة التسنين. بالرغم من أن المعطيات الأثرية تدعم عموما ما أتى في المصادر فيما يتعلق بدفن الأطفال قبل التسنين وترميدهم بعد ذلك، نلاحظ كذلك ليونة أمام التطبيق الصارم لما يرد في تلك المصادر³⁹⁸ ولا سيما في الحالة التي تهمننا، مما يحيلنا إلى اعتبار أن دفن الأطفال بعد مرحلة التسنين، يبعدها فعلا عما رواه لنا بليينوس الأقدم وهو عنصر لا بد من الأخذ به، خاصة إن ربطناه بقلة المصابيح وندرة القطع النقدية التي تندرج بدورها ضمن المؤشرات الأساسية للرومنة على مستوى المقاطعات³⁹⁹.

في نفس الإطار، إن عدنا إلى عناصر الأثاث الجنائزي المتوفر إجمالا، نرى أن عدد المصابيح والقطع النقدية ضئيل (9 مصابيح و10 قطع نقدية) إذا ما قورن بعدد الأطباق (32) والقلال (33). إن أضفنا لما سبق أن 3 قبور تشتمل على أكثر من قطعة (القبر الثنائي رقم 3 و4 على ثلاثة قطع والقبر رقم 38 على قطعتين)، فيحدد ذلك أكثر نطاق توزيعها.

على هذا الأساس، نحتمل أن تشير قلة المصابيح والقطع النقدية إلى فعل مبرمج. انطلاقا من ذلك، يمكن احتمال أن الإبتعاد عن الطقس الروماني الوارد لدى بليينوس الأقدم يعكس بدوره توجهها عمديا وقد أشارت أبحاث ف. بليزو في هذا السياق إلى إمكانية إخضاع الممارسات الجنائزية المقننة إلى تعديلات تبعتها عن المعايير المعتادة⁴⁰⁰.

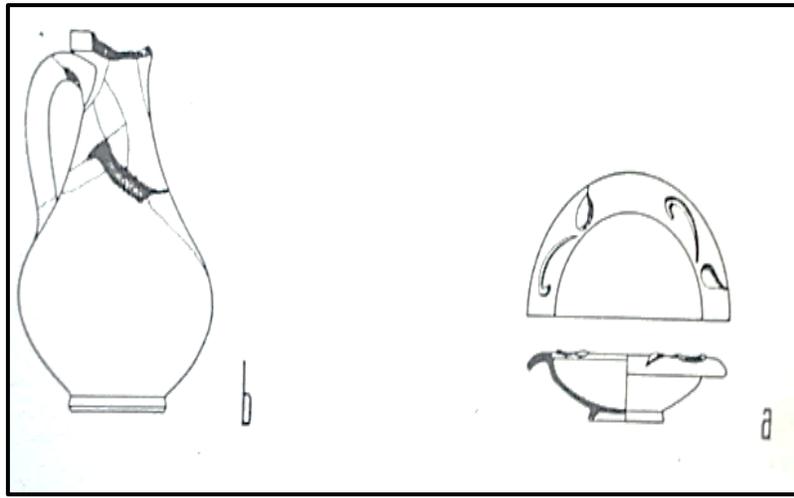
³⁹⁷Christofle, 1936, pp.361-362.

³⁹⁸Blaizot, 2007, pp.157-158.

³⁹⁹Tranoy, 2007, p.166.

⁴⁰⁰Blaizot, 2007, pp.157-158.

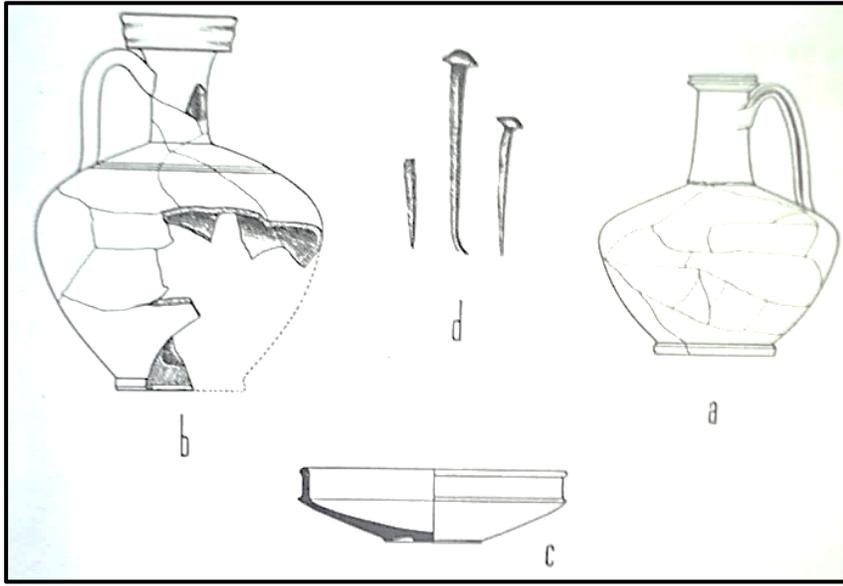
أما عن مخلفات المراسيم التذكارية، فباستثناء القبر رقم 1 (غير محدد)، لا أثر يُذكر لأي منها في قبور الأطفال، باعتبار أن تشييد المنزل استوجب حفر معمم أو تسوية للبنية التحتية من طرف حرفيي المحاجر، مما آل إلى تدمير عدد من القبور ونقل الهياكل⁴⁰¹، بما في ذلك مخلفات المراسيم التذكارية. أما عن قنوات الإراقة، فبما أنها تندمج في التهيئة الداخلية للقبر، فمن المفروض، إن وجدت، أن تبقى آثارها، لكنها تنعدم تماما حتى بداخل القبور السليمة، بما في ذلك القبر رقم 1، الذي تمت تهيئته بإتقان واضح والذي يُعد بمثابة القبر الوحيد الذي أحصيت فيه مائة قرابين بالإضافة إلى نصب⁴⁰².



الرسم 10: الأثاث المتوفر في القبر رقم 33. عن: Baradez, 1961, pl.10

⁴⁰¹Baradez, 1957, pp.7-8.

⁴⁰²Baradez, 1957, pp.8 à 10.



الرسم 11: الأثاث المتوفر في القبر رقم 7. عن: Baradez, 1961, pl.3

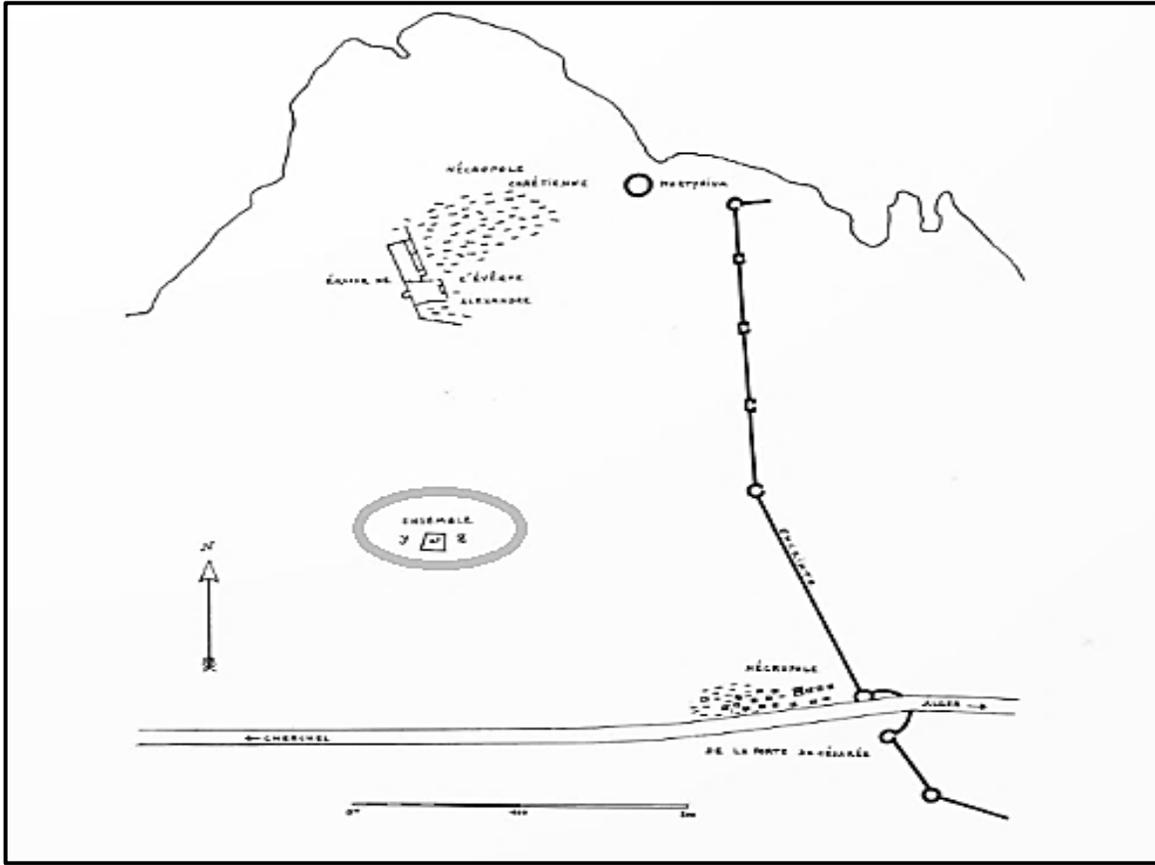
7. المقبرة الغربية البونية

تقع المقبرة الغربية البونية على بعد 250 مترا غرب السور المشيد سنة 149م. تم الكشف عن المقبرة جراء حفر سبر يمتد على مساحة 30 متر مربع⁴⁰³ وهو بدوره لا يمثل إلا عينة من المقبرة. من ضمن التعقيدات التي واجهها س. لانسال، الذي أشرف على الحفريات، تلك التي تتعلق بتأريخ المقبرة، باعتبار العثور على أواني ذات النمط الفينيقي (القلال ذات الفوهة العريضة الدائرية والمؤرخة بالقرن السادس ق.م عموما والخامس ق.م بالنسبة لمدينة تيبازة) (Aiguillère à bobèche) وعلى نمط من الأوعية

(Vase calice) امتد استعماله ما بين القرنين السابع والثاني ق.م. آل ذلك إلى اقتراح إطار كرونولوجي يتراوح ما بين القرن السابع ق.م والقرن الثاني ميلادي عموما لكن بصفة أدق، من القرن السادس إلى الثاني ق.م بالنسبة للمستوى الأول ومن نهاية القرن الأول ميلادي إلى غاية القرن الثاني بالنسبة للمستوى الثاني⁴⁰⁴ (المخطط رقم 11).

⁴⁰³Lancel, 1962-1965, p.69.

⁴⁰⁴Lancel, 1962-1965, pp.54 à 57- 60-61 et 68.



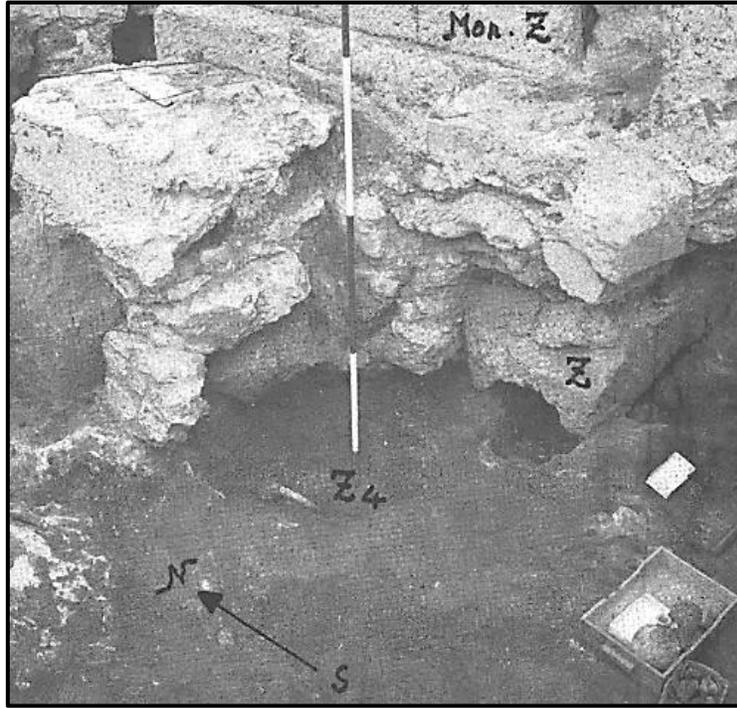
المخطط 11: موقع المقبرة البونية الغربية خارج السور الأنطونيني. عن: Lancel, 1962-1965, fig.1 p.41

كُشف في السبر المذكور أعلاه عن 35 قبرا متوزع على المستويين الأول والثاني (المستوى ز والمستوى ي)، هذا وباعتبار نطاق الإطار الكرونولوجي الواسع، اكتفينا بالقبور التي تمتد ما بين القرن الأول ق.م والقرن الثالث ميلادي. نتحصل بذلك على 8 قبور للأطفال على مجموع 28 قبرا.

نشير إلى الحفرة رقم ز. 17 التي تخلو من البقايا العظمية بينما تتوفر على أثاث، مما أضفى بعض الشك في وظيفة الحفرة⁴⁰⁵. في حالة غياب الجثة، لا يمكن اعتبار ز. 17 قبرا بآتم معنى الكلمة في حين قد تكون المخلفات ذات وظيفة تذكارية أو نذرية أو تعويضية، كما سبق الإشارة إليه بالنسبة إلى القبر رقم 104 في المقبرة الشرقية لمدينة سطيف.

⁴⁰⁵Lancel, 1962-1965, p. 67.

فيما يخص نمط الرسم، نلاحظ اتباع الطقس المزدوج خاصة في المستوى الثاني الذي يعرف تكثفا في عدد القبور (22 قبرا). أما عن هياكل الترميد، فهي تمزج ما بين هياكل ترميد أولية، على غرار القبر ز.16 والقبر ز.3 وهياكل ترميد ثانوية والتي تم وضع البقايا العظمية لكل منها في مرمدة (القبر ز.1؛ القبر ز.7 والقبر ز.14). نشير أخيرا إلى وجود قبور غير محددة، على غرار القبر رقم ز.8، الذي تعرّض إلى التدمير في جهته الغربية بحيث عثر الباحث على مخلفات محتركة مبعثرة، تندمج فيها شققات فخارية، بينما تحتفظ الجهة الشرقية بجملة من الأثاث الذي يحمل آثار الحرق والمكون من طبق من نوع طاجين وقلة من الفخار الإعتيادي⁴⁰⁶. تعذر على الباحث اقتراح تأريخ لكل من القبرين ز.8 و ز.19 وتم ربط الثاني مرجحا بالقبر ز.14، المؤرخ بالنصف الأول من القرن الأول ميلادي⁴⁰⁷ ولذلك، فلم ندمجهم في العينة. أما القبر ز.4، فلم يحدد الباحث ما إن كان هيكل الترميد أوليا أو ثانويا، مكتفيا بتحديد مكان العثور على الإيداع وذلك في غرفة جنازية مهياة في الصخرة. (الصورة رقم 12)



الصورة 12: وضعية القبر ز.4 م التابع لطفلة من فئة 7-10 سنوات. عن: Lancel, 1962-1965, fig.2, p.44

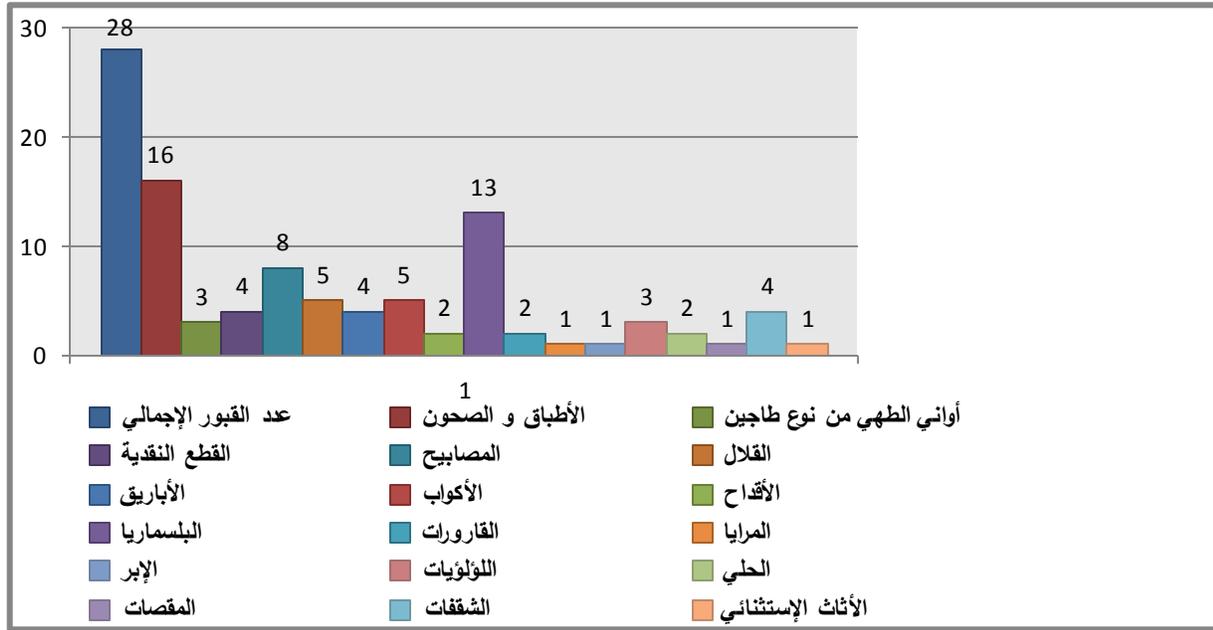
⁴⁰⁶Lancel, 1962-1965, p.66.

⁴⁰⁷Lancel, 1962-1965, pp.54-55.

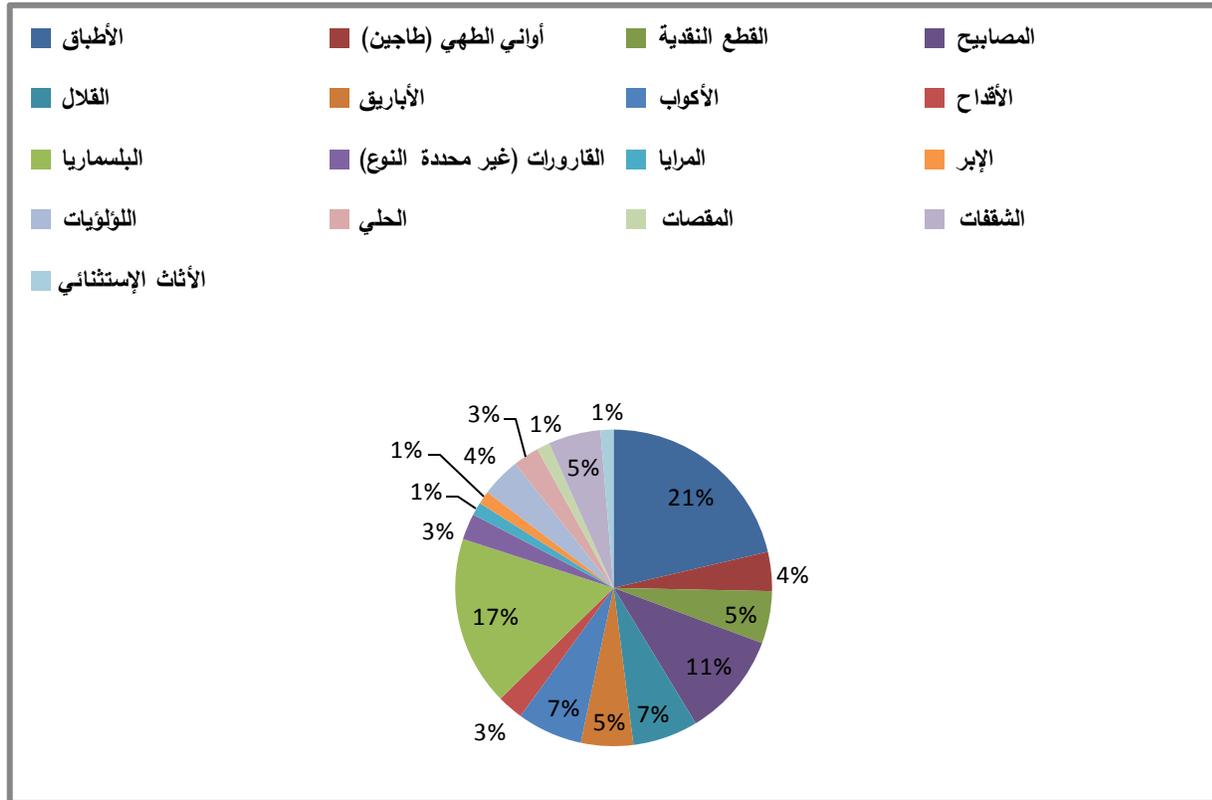
7.1 الأثاث الجنائزي

نجد الأثاث الجنائزي متوفرا في 12 قبرا من مجموع 28 قبرا. يبلغ عدد العناصر الإجمالي 71 عنصرا، تحتل فيه الأطباق الصدارة بنسبة 21 بالمئة، تليها البلسماريا بنسبة 17 بالمئة، ثم المصابيح بنسبة 11 بالمئة، الأكواب والقلال بنسبة 7 بالمئة والقطع النقدية، الأباريق والقارورات (غير محددة النوع) بنسبة 5 بالمئة. أما الأقداح، فتمثل 3 بالمئة من المجموع، فضلا عن جملة من الأثاث الإضافي أو الإستثنائي. نلاحظ هنا كذلك تشتتا في توزيع الأثاث، مما لا يسمح بإثبات وجود تركيبة نظامية.

نشير كذلك إلى أنه بالرغم من أن الأطباق تشكل أكبر نسبة من الأثاث المتوفر، يبقى عددها ضئيل نسبيا خاصة أنها تتعدد أحيانا في القبر الواحد. في هذا الإطار، تم إحصاء أربع قبور تتوفر على طبق واحد (القبر ز.4 وهو قبر طفل؛ القبر ز.14؛ القبر ز.7 والقبر ز.8)، قبران يحتويان على طبقين (القبر ز.01 والقبر ز.3)، قبران يحتضنان 3 أطباق (القبر ز والقبر ي.2) وأخيرا القبر ز.16 الذي اشتمل على 5 أطباق، مما يعزز احتمال غياب التركيبة النظامية. يلي ما سبق المصابيح ب 8 وحدات وهي متوفرة في ست قبور غير تابعة لفئة الأطفال، بحيث يأتي إثنين منها في القبر ز.3 وثلاثة منها في القبر الثلاثي ي.2، فضلا عن قطعة في القبر ز.6. يُعد بذلك عدد المصابيح ضئيلا. أما القطع النقدية، فلا تتجاوز 4 قطع وهي منعدمة لدى فئة الأطفال، بينما لا تفوق اللؤلؤات 3 وحدات، إحداها في قبر طفلة من فئة 7-10 سنوات (القبر ز.4) (الرسم البياني رقم 38 و 39).



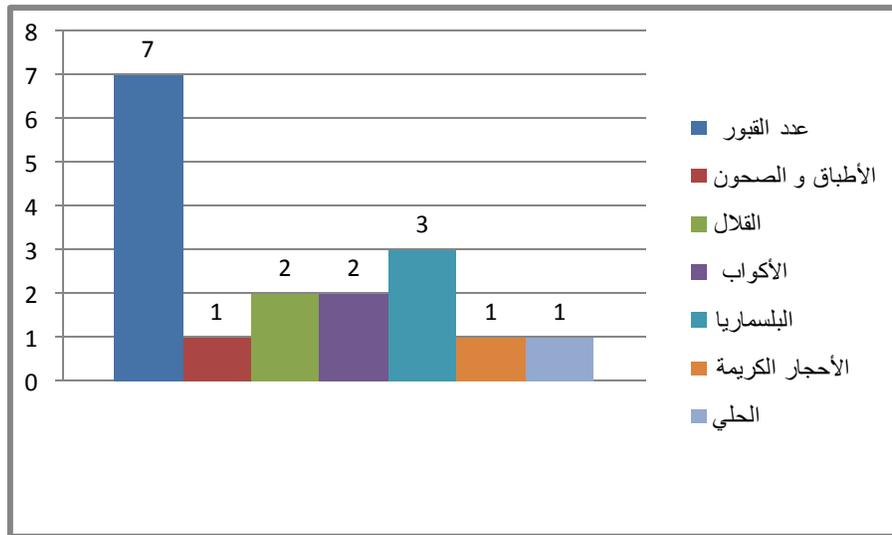
الرسم البياني 38: توزيع الأثاث الجنائزي حسب النوع



الرسم البياني 39: نسب توضح تشتت الأثاث الجنائزي بالمقبرة الغربية

فيما يخص قبور الأطفال (8 قبور)، التي تشتمل على هياكل مدفونة، ما عدا القبر ز.4، فباستثناء القبرين ز. 4 و ز. 23، تخلو بقية القبور من كل أثاث (ز.24؛ ز.9؛ ز.12؛ ز.13؛ ز.18؛ ي.4)، من ضمنها القبر ز.9، الذي لم يتابع الباحث التنقيب فيه.

يحتوي القبر ز.23، المؤرخ بالقرن الأول ق.م (كأحدث تاريخ)، على كوب واحد بينما يشتمل القبر رقم ز.4، المؤرخ بالقرن الأول ميلادي، على بقايا ترميد لهيكل طفلة من فئة ال 7-10 سنوات يرافقها طبق، قلتين، كوب، 3 بلسماريا، إحداها معوجة بفعل الضغط الحراري وخاتم يتكون من لؤلؤة من نوع العقيق (Agate) (الرسم البياني رقم 40) (الصورة رقم 13).



الرسم البياني 40: توزيع الأثاث الجنائزي في قبور الأطفال

-نلاحظ أن قبور الأطفال تحتضن غالبا هياكل مدفونة ومن ضمنها القبر ز.12، التابع لطفل من فئة 7-10 سنوات. بما أن القبور المنقبة تشكل عينة لا تفوق 35 قبرا، فهي لا تعكس بشكل واف الممارسات المتبعة في المقبرة البونية الغربية وبذلك، فلا يمكن الإستنتاج أنه تم تخصيص الدفن لفئة الأطفال ومن ثمة الجرم في وجود طقس من شأنه السجن الرمزي لروح المتوفين، حيث تم إحصاء كذلك 4 قبور دفن تابعة لفئة الراشدين (القبر الثلاثي ز.9 (راشدين وطفل)؛ ي.2. وي.3). نشير كذلك إلى أنه في حالة غياب

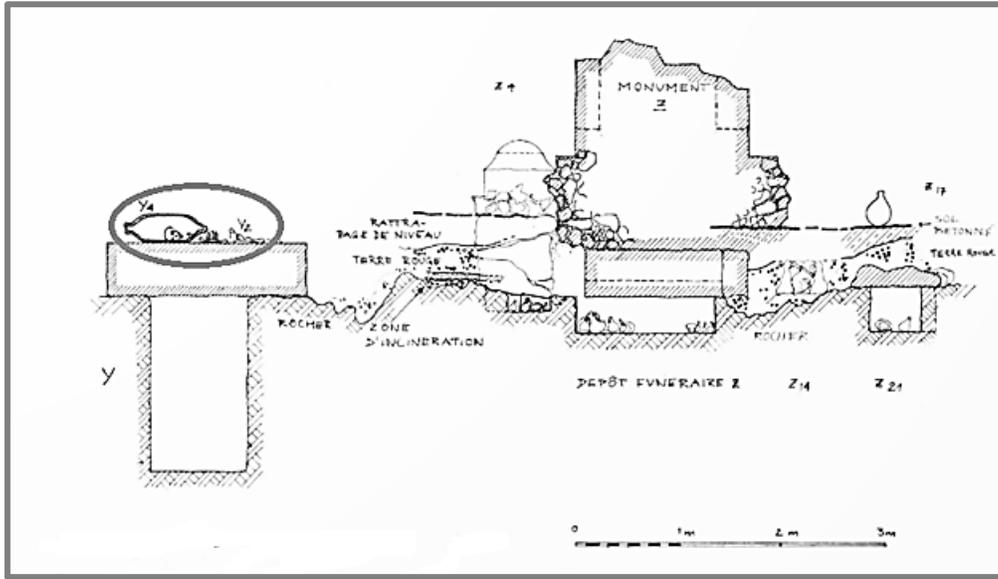
الدراسات الأنثروبولوجية، فلا يمكن الجزم كذلك في أن بقية قبور العينة المنقبة تحتضن بقايا هياكل تابعة لراشدين دون غيرهم.

فيما يتعلق بنمط الرمس المتبع لدى فئة الأطفال، نلاحظ أنه تم اللجوء إلى طقس الترميد بالنسبة للطفلة التابعة للقبر ز. 4 (7-10 سنوات)، مما يتفق والممارسات الشائعة بروما والتي وردت لدى بليينوس الأقدم، باعتبارها تجاوزت مرحلة التسنين، بينما يختلف الأمر بالنسبة للطفل المدفون في القبر ز. 12 التابع لنفس فئة العمر. على هذا الأساس، نحتمل وجود في المقبرة الغربية ليونة في شأن عادة متداولة لدى الرومان، مثلما نلاحظ قلة القطع النقدية والمصاييح عموماً (متوفرة في 4 قبور بالنسبة للقطع النقدية و 6 قبور بالنسبة للمصاييح) وكما سبق الذكر، فهما مؤشرين أساسيين للثرومن في الإطار الجنائزي.

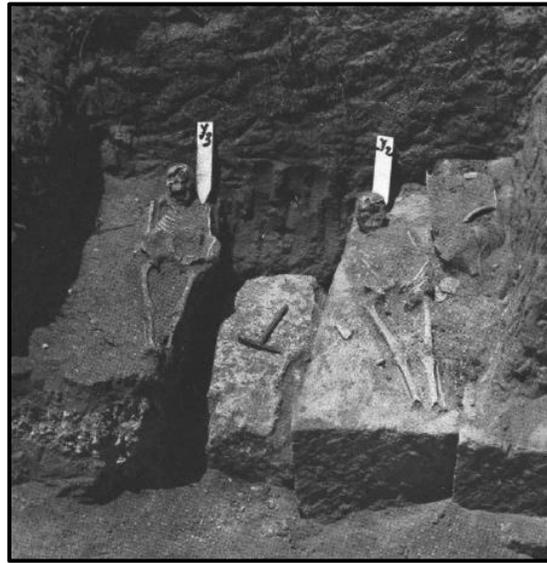
-فيما يخص تموقع قبور الأطفال، فغياب الأبحاث الأنثروبولوجية وصغر حجم المساحة المنقبة لا يسمح باقتراح استنتاج، هذا وبينما نلاحظ أن قبوري الطفلين ز. 23 و ز. 24 متجانبان، فالقبر ي. 2 (راشد) و ي. 3 (راشد) يجانبان القبر ي. 4 التابع لطفل (الصورة رقم 14). تشير كذلك إلى القبر الثلاثي رقم ز. 9، الذي يشتمل على ثلاثة قبور متطابقة لراشدين وطفل؛ هذا ولابد من إثبات أن المتوفين ليسوا من عائلة واحدة، حيث نعلم أنه في مقبرة بوبوت، عُثر على أربعة هياكل ترميد تابعة لأطفال تقل أعمارهم عن ستة أشهر وأتوا بصحبة شخص راشد (الأم)؛ نفس الملاحظة تخص مقبرتي سوسة ولبتيمينوس أين تم دفن تلك الفئة بصحبة راشد من جنس الإناث⁴⁰⁸. يمكن على الأقل، في حدود العينة المنقبة وهي ليست وافية بما يكفي للتقييم، ملاحظة أنه تم دمج الأطفال في فضاء الراشدين (المقطع رقم 13).

-فيما يتعلق بمخلفات المراسيم التذكارية، فلم تتم الإشارة إليها في تقرير الحفرية وذلك أيا كانت الفئة والجنس.

⁴⁰⁸De Larminat, 2016, p.82

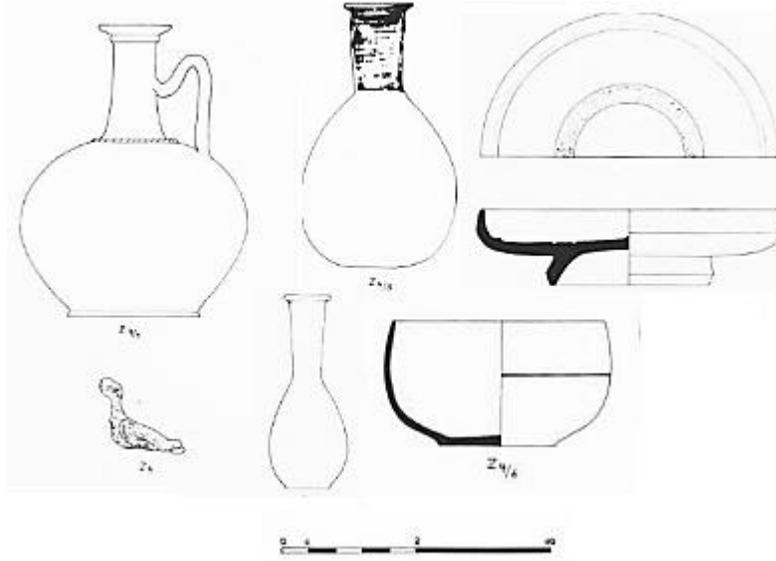


المقطع 13 : التوزيع الطبقي للقبور (محور شرق-غرب). عن: Lancel, 1962-1965, fig.15, p.65



الصورة 13: بجانب قبور الراشدين (ي.12 و ي.3) وقبر الطفل الأنفوري على يمين الصورة (ي.4).

عن: Lancel, 1962-1965, fig.3, p.46.



الصورة 14: الأثاث الجنائزي التابع للقبر رقم ز. 4 (7-10 سنوات) باستثناء الخاتم. عن:

Lancel, 1962-1965, Pl.II.

8. مقبرة ماتارس .8

8.1 إشكاليات المقبرة

تقع مقبرة ماتارس على الجهة الغربية من مدينة تيبازة بالقرب من شاطئ ماتارس، خارج السور الروماني المشيد عام 149 م. تحد المقبرة شمالا مقبرة بازيليك الأسقف الإسكندر ومجمع جنائزي مسيحي، شرقا المقبرة البونوية الغربية ومن الجهة الجنوبية الشرقية، مقبرة باب قيصرية.

يقطع المقبرة الواد مرزوق على محور جنوب- شرق / شمال- غرب، لينعرج بعدها نحو الشرق باتجاه الشاطئ⁴⁰⁹. ساهم قرب المقبرة إلى الشاطئ وكذا عبور الواد مرزوق في تشكيل طبقة أقدمها طبقة صخرية من الحجر الرملي، تليها طبقة رسوبية مشكلة من رمل صفراوي وحمراوي وهي التي تحتضن المعالم الجنائزية، ثم طبقة من التوضعات الشاطئية (Dépôt de type lagunaire)، فضلا عن مراحل من الترسبات الغرينية (Phases d'alluvionnements)، الناتجة عن فيض مياه الواد، مما آل إلى تعرض العديد

⁴⁰⁹Bouchenaki, 1975, p.23.

من القبور، الهياكل والمخلفات الجنائزية إلى التلّف أو الإزاحة من موقعها الأصلي ومن ثمة، تعقيد عملية التنقيب وخاصة التأريخ.

تتكون المقبرة من ثلاثة مجموعات، يحدها غربا مجمع ماتارس (طور الإنجاز حين التنقيب) وشرقا، الرمال الشاطئية التي عُثر تحتها على آثار لمحاجر تعود إلى الفترة القديمة.

كما سبق الذكر، تشير استراتيجرافية الموقع إلى وجود مراحل غرينية ناتجة عن فترات فيض الواد مرزوق. أدى ذلك إلى العثور على جملة معتبرة من القطع النقدية ذات تأريخات متباعدة في القبر الواحد، مما آل إلى تفادي اقتراح تأريخ لها⁴¹⁰، فضلا عن القبور التي عُثر بها على شققات فخارية خارجة عن نطاق الطبقة⁴¹¹، بالإضافة إلى القبور التي أتلّفها فيض الواد كليا⁴¹².

تجدر الإشارة كذلك إلى تعدد القبور التي لم يتم التنقيب فيها⁴¹³ وتلك التي تعرضت للتدنيس⁴¹⁴. على هذا الأساس، كان من الضروري مرة أخرى اللجوء إلى تحديد عينة للدراسة وفقا للإطار الكرونولوجي للبحث وكذا حالة حفظ القبور. بما أن تأريخ المقبرة يمتد على أربع قرون، نقترح مبدئيا وصفا لأنماط قبور كل مجموعة على حدى حتى يتضح سبب تحديد عينة الدراسة.

⁴¹⁰ فيما يخص السرداب رقم 1 التابع الى المجموعة رقم 2-الفضاء رقم 1، تم العثور على 57 قطعة نقدية، 20 منها في حالة حفظ تسمح باقتراح تأريخ يتراوح ما بين 341 و 408م والتي يعتبر الباحث وجودها ناتجا عن مرحلة فيض للواد مرزوق، بينما فضاء القبر المنساوي رقم 11 التابع الى المجموعة 2-الفضاء رقم 3، فيحتضن على مستوى قناة المائدة، 51 قطعة، 30 منها في حالة حفظ مقبولة (مؤرخة ما بين 337-398) و التي تشير، وفقا للباحث، الى نهاية فترة استعمال الفضاء كما لا تسمح باقتراح تأريخ للتوابيت المتواجدة به. في فضاء القبر المنساوي رقم 5 التابع الى المجموعة رقم 3-الفضاء رقم 1، تم العثور على 35 قطعة نقدية (مؤرخة ما بين 270م و 455م) و التي تسبب فيض الواد مرزوق في نكلتها في هذا الفضاء. أما في السرداب رقم 3 التابع للمجموعة رقم 3-الفضاء رقم 1، فقد صرف فيها فيض الواد 45 قطعة نقدية، 16 منها في حالة تسمح بالتأريخ (مؤرخة ما بين 270 و 408).

Bouchenaki, 1975, pp.115-124-141 et 141.

⁴¹¹ السرداب رقم 4 التابع للمجموعة رقم 3-الفضاء رقم 1. Bouchenaki, 1975, p. 148.

⁴¹² القبور رقم 17-18-19-20-22-23، التابعة للمجموعة رقم 2-الفضاء رقم 2. Bouchenaki, 1975, pp. 17-18-19-20-22-23.

⁴¹³ القبور رقم 3-6-16 التابعة للمجموعة رقم 2-الفضاء رقم 2؛ القبور رقم 19-21-23-26-27 التابعة للمجموعة رقم 2-الفضاء رقم 3

(21 و 19 و 23)؛ القبور رقم 13-26-27، التوابيت رقم 6 و 7، القبر المنساوي رقم 5 و القبر رقم 4 التابعة للمجموعة 3-الفضاء رقم 1

Bouchenaki, 1975, pp. 84-85-88-101-107-108-112-113-141-143-153-154.

⁴¹⁴ القبور رقم 18-25 التابعة للمجموعة رقم 2-الفضاء رقم 2. أما القبر رقم 22 من نفس المجموعة، فيمكن أن أتلّفه فيض الواد أو جراء تعرضه للتدنيس. Bouchenaki, 1975, pp.89-90.

8.2 تأريخ المجموعات الثلاثة وتحديد عينة الدراسة

بالرغم من الإشكاليات التي تطرحها المقبرة، تم اقتراح تأريخ لكل مجموعة، سواء مطلقاً (اعتماداً على الطبقة أو القطع النقدية) أو نسبياً، انطلاقاً من ترميز الفخاريات المتوفرة، كما تم تحديد ترميز للمعالم واكتشاف أنماط تنفرد بها مقبرة ماتارس.

8.2.1 المجموعة الأولى

تتكون من ست فضاءات وتحتضن 13 معلماً جنائزياً من ضمنها 3 قبور للأطفال كما تشمل على خمس أنواع من المعالم:

- قبور منساوية: تشمل على ثلاثة أنماط: مائدة قرابين مثلثية الشكل، مائدة قرابين فسيفاية ومائدة قرابين مزودة بقناة⁴¹⁵ (لم يتم التنقيب فيها).

- سرداب مقرب ذات الرسومات الجدارية: لم يتم التنقيب فيه.

- توابيت ذات السقف المحذب (En dos d'âne): تجتمع في الجهة الشمالية الشرقية من المجموعة.

- القبة: تتوزع وفقاً لمحور شمال - جنوب مع فروقات في هيكلها الداخلي.

- قبر محفور: يقع شمال الفضاء رقم 2 ويأتي محمياً بسقف قرميدي.

باستثناء قبر واحد (رقم 6) والمؤرخ ببداية القرن الثاني ميلادي، فبقية معالم المجموعة مؤرخة ما بين القرنين الرابع والخامس ميلادي. يطرح ذلك إشكالية فضاء اتساع المقبرة وبالأخص اتساع المجموعة رقم 1 ومن جهة ثانية إشكالية التأريخ، فما سبب وجود ذلك المعلم الاستثنائي ضمن فضاء تم تأريخ معالمه ما بين القرنين الرابع والخامس ميلادي؟ يحتمل م. بوشناقي أن أقدم تأريخ للمقبرة قد يعود بالفعل إلى القرن الثاني ميلادي بحيث يستحيل أن تكون القبة رقم 6 معلماً شاذاً وبذلك، يمكن أن تكون بقية المقبرة والمجموعة، تبعاً لإحتمال الباحث، مردوماً تحت مجمع ماتارس، مضيفاً أن موقع القبة في عزلة عن بقية القبة، مما يسمح بافتراض، وفقاً لمبادئ المسيحية، اعتزال بقية القبور عن القبر الوثني⁴¹⁶.

⁴¹⁵Bouchenaki, 1975, pp.32-40-48.

⁴¹⁶تم العثور صدفة خلال حفر قواعد قاعة المجمع على ثلاث توابيت، مما يثبت فرضية استمرار المقبرة باتجاه المجمع Bouchenaki, 1975, pp.61-62 et 161.

8.2.2 المجموعة الثانية

تتكون من خمس فضاءات تحتضن 66 قبرا، من ضمنهم 8 قبور للأطفال. تم تأريخ المجموعة ما بين القرنين الثاني والخامس ميلادي وتشتمل على ست أنواع من المعالم الجنائزية:

- الققب: تأتي على ثلاث أنماط: الققب النصف أسطوانية، الققب ذات السقف المسنم والققب ذات السقف المسطح، مع توفر قاعدة عازلة في النمط الأخير. أُرخت الققب ما بين القرنين الثاني والثالث ميلادي.

- القبور المنساوية: وتأتي على عدة أنماط، تشترك في وجود قناة مائية تحيط بالمائدة، فضلا عن نمط تمت تهيئته مباشرة في الصخرة. أُرخت تلك المعالم ما بين نهاية القرن الثالث والقرن الخامس ميلادي.

- التوابيت: وتختلف من حيث التقنية وبالتحديد التهيئة الداخلية للفجوة وتم تأريخ أغلبيتها ما بين نهاية القرن الثالث والقرن الخامس ميلادي.

- الأضرحة: وعددها ثلاثة، تم تأريخ اثنين منها (الضريحين رقم 4 ورقم 10) بالقرنين الثاني والثالث ميلادي.

- القبور المحفورة: تأتي مزودة بغرفة جنائزية ومغطاة بلوحة حجرية عازلة. أُرخت بالفترة المتأخرة (ما بين نهاية القرن الثالث والقرن الخامس ميلادي).

- الغرف الجنائزية أو الكوات: يعتبر الباحث أنها مستوحاة من النمط السابق باعتبارها غرف محفورة تحتضن كوة جدارية في الفضاء الداخلي لها⁴¹⁷.

8.2.3 المجموعة الثالثة:

تشتمل على مجموع 41 قبرا و18 قبرا أنفوريا، من ضمنهم 22 قبرا للأطفال وتجتمع الأغلبية الساحقة منها بداخل أحد السردابين 2 و3.

- السرداب رقم 2: يضم قبة، التابوتين رقم 6 و7 والقبر المنساوي رقم 5.

- التوابيت رقم 8-9-10 (خارج السرداب رقم 2).

⁴¹⁷ Bouchenaki, 1975, pp.132-133.

-القبب رقم 1-2-3، بالإضافة إلى قبر أنفوري يضم بقايا لهيكل مرمد. أما القبب، فهي غير مندمجة في السرداب رقم 2.

-السرداب رقم 3: يحتضن التوابيت رقم 1-2-3-4-5-6، بالإضافة إلى قبرين أنفوريين، قبر ذات السقف المسنم، 5 قبب وجملة من القبور الغير المنقبة.

-السرداب رقم 4: غير مؤرخ.

-السرداب رقم 5: لم يتم التنقيب فيه.

تم تأريخ المجموعة رقم 3 ما بين القرنين الرابع والقرن الخامس ميلادي.

-السبرين رقم 1 و 2 : ويشتملان على 18 قبرا أنفوريا مخصصا للأطفال بالإضافة إلى أربع قبور محفورة، أربعة قبب وثلاث توابيت اكتشفت بالصدفة على مستوى المجمع المحاذي. فيما يتعلق بالقبور الأنفورية المذكورة أعلاه، أثبتت دراسة س. ستيفنس، بأن سن 13 طفلا على مجموع 18 يقل عموما عن السنة وذلك استنادا إلى مقاسات الأنفورات (طول البدن المحفوظ - العنق و/أو القدم * القطر) وطول الحفر⁴¹⁸.

بذلك، فمن مجموع 138 قبرا (بما فيهم السبرين رقم 1 و 2) والمؤرخين عموما ما بين القرن الثاني والخامس ميلادي (باستثناء القبة رقم 6 التابع للمجموعة رقم 1- الفضاء رقم 6، المؤرخة بالقرن الثاني ميلادي)، لم يتم التنقيب في 38 من القبور، مما يحيل عدد القبور الإجمالي إلى 100 قبر.

نضيف أخيرا وجود معلمين جنائزيين ضمن عينتنا، لم يتم العثور فيهما على بقايا للهيكل العظمي ولا على مرفقات جنائزية وبذلك، فلا يمكن اعتبارها قبورا، لا من حيث متطلبات الدراسة التي تهمننا (الأثاث، السن) ولا من حيث القانون الجنائزي الروماني وهما القبرين رقم 11 (المجموعة رقم 2- الفضاء رقم 2) والقبر رقم 20 (المجموعة رقم 2- الفضاء رقم 3). بذلك، تتحدر العينة إلى 98 قبرا.

⁴¹⁸ أجرت الباحثة دراستها على ثلاث مواقع: قرطاجة، لمطة و تيبازة ماتارس. اقترحت الباحثة في المواقع الثلاث وجود اختيار عمدي لأنماط الأنفورات تماشيا ومرحلة التطور البيولوجي للطفل بحيث يأتي المواليد الجدد في أنفورات محززة وبيضوية الشكل (تتكرنا الحزات بشرائط القماطة أو بالمشيمة)، بينما في حدود سن الفطم، فتأتي الأنفورات ممدودة وخالية من الحزات. يُراجع: Stevens, 2016, pp.634-635

فيما يخص القبر رقم 20، يحتمل م.بوشناقى بأنه بمثابة معلم تذكاري مخصص لفرد مفقود وبالفعل، فقد تم العثور على مسمارين (دور وظيفي أو طقوسي؟) وعلى آثار للحرق على بعض الحجارة الدبشية (إبداعات غذائية؟)⁴¹⁹، فضلا عن أن القبر يأتي في هيئة معقدة، تجمع بين الهيكل النصف دائري في الجهة الخارجية، يليه مستوى من الحجر الدبشي المملط الخالي من آثار الحرق وأخيرا، سقف مسنم يحمي غرفة جنازية وبدورها يخلوان من آثار الحرق. يعزز ما سبق احتمال أن القبر كان مخصصا لشخص راشد وذات مصف اجتماعي راقى، هذا إلى جانب المقاسات (الطول 2.70 م- العرض 2.10 م)⁴²⁰؛ يبقى أنه في حالة غياب الجثة والأثاث الجنائزي، فلا يمكن أن يُدمج القبر رقم 20 ضمن عينة الدراسة.

انطلاقا من ذلك واحتراما للإطار الكرونولوجي للبحث، الذي لا يفوق القرن الثالث الميلادي، ارتئينا التقيد بالقبور التي أرخت مؤكدا بالقرنين الثاني والثالث ميلادي والتي تشتمل على مرفقات جنازية. في حالة انعدام التأريخ والمرفقات، اعتمدنا على طقس الترميد الذي تم اللجوء إليه بالتأكيد ما بين القرنين الأول والثاني ميلادي بمدينة تيبازة، حيث تراجع تدريجيا، تبعاً ل س. غزيل، خلال القرن الثالث ميلادي، قبل أن يعوضه طقس الدفن ابتداء من القرن الرابع ميلادي⁴²¹.

أما عن السبرين رقم 1 و2، فحتى وإن كانت أنماط الأنفورات شائعة الإستعمال خلال القرن الثالث، يحتمل الباحث أن استمر استعمالها بعد تلك الحقبة، فضلا عن أنه لا حالة ترميد تُذكر في كلا السبرين وأن الأثاث الجنائزي منعدم، باستثناء القلال التي تجانبها⁴²² والتي يمكن أن تندمج في إطار المراسيم التذكارية المسيحية، كما أن وجود أنماط لموائد القرابين المزودة بقناة يعزز احتمال اللجوء إلى القلال لنفس الغرض.

انطلاقا مما سبق، يصل عدد القبور الإجمالي للعينة في إطارنا الكرونولوجي إلى 29 قبرا وعدد قبور الأطفال المؤكدة فيها إلى 7 قبور. تجذر الإشارة إلى أنه، باعتبار تعرض القبرين رقم 22 و 15 إلى فيض الواد مرزوق أو التدنيس بالنسبة إلى الأول وإلى التدمير بالنسبة إلى الثاني (كلاهما تابعين

⁴¹⁹ القبة رقم 11 التابع للمجموعة رقم 2-الفضاء رقم 2؛ القبة رقم 20 التابع للمجموعة رقم 2، الفضاء رقم 2.

Bouchenaki, 1975, pp.87-100.

⁴²⁰Bouchenaki, 1975, p.100.

⁴²¹Bouchenaki, 1975, pp.61-62 ; Gsell, 1901, *Monuments antiques de l'Algérie*, Tome II, p.39.

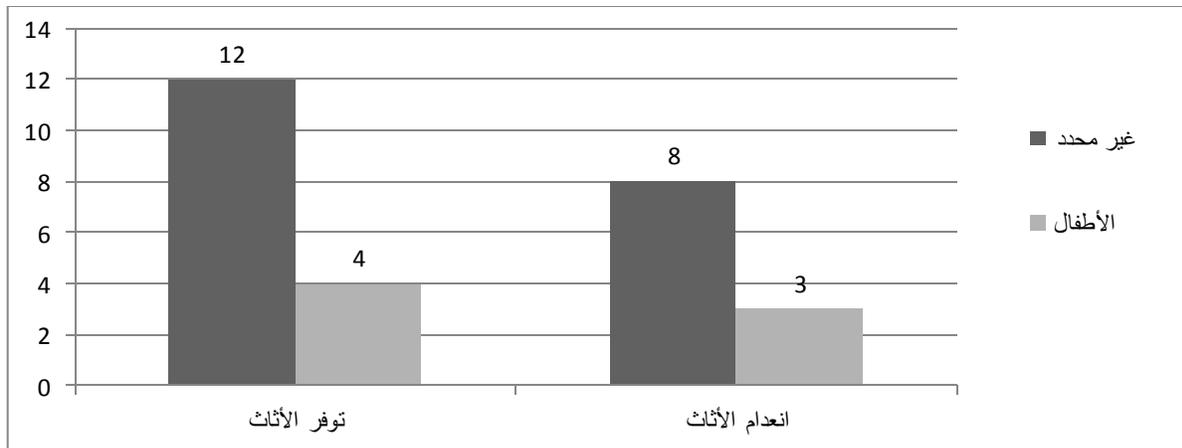
⁴²²Bouchenaki, 1975, pp.157 et 161.

للمجموعة رقم 2- فضاء رقم 2)، فيمكن أن اشتملا على أثاث، فضلا عن القبور الأخرى التي لم تخضع للدراسات الأنثروبولوجية وبذلك، فيمكن أن احتوى بعضها على قبور للأطفال، مما كان ليزيد من الرصيد الذي اعتمدنا عليه لإعداد قاعدة المعطيات. على هذا الأساس، فباستثناء قبور الأطفال المؤكدة وعددها سبعة، سنلجأ إلى عبارة "غير محددة" بالنسبة لبقية قبور العينة وباعتبار غياب القبور المؤرخة بالقرن الأول ميلادي، فتأريخ عينتنا يتراوح ما بين القرنين الثاني والثالث ميلادي.

فيما يتعلق بنمط الرسم، تم اللجوء إلى الطقس المزدوج وتبعا للتفاصيل المتاحة، الترميد في 13 قبرا، مقابل الدفن في 5 قبور. أما عن قبور الأطفال، فأحصينا قبرين تم فيهما ترميد الجثة مقابل 4 قبور تم فيها اللجوء إلى الدفن، بينما لم يحدد الباحث الطقس المتبع في حالة واحدة.

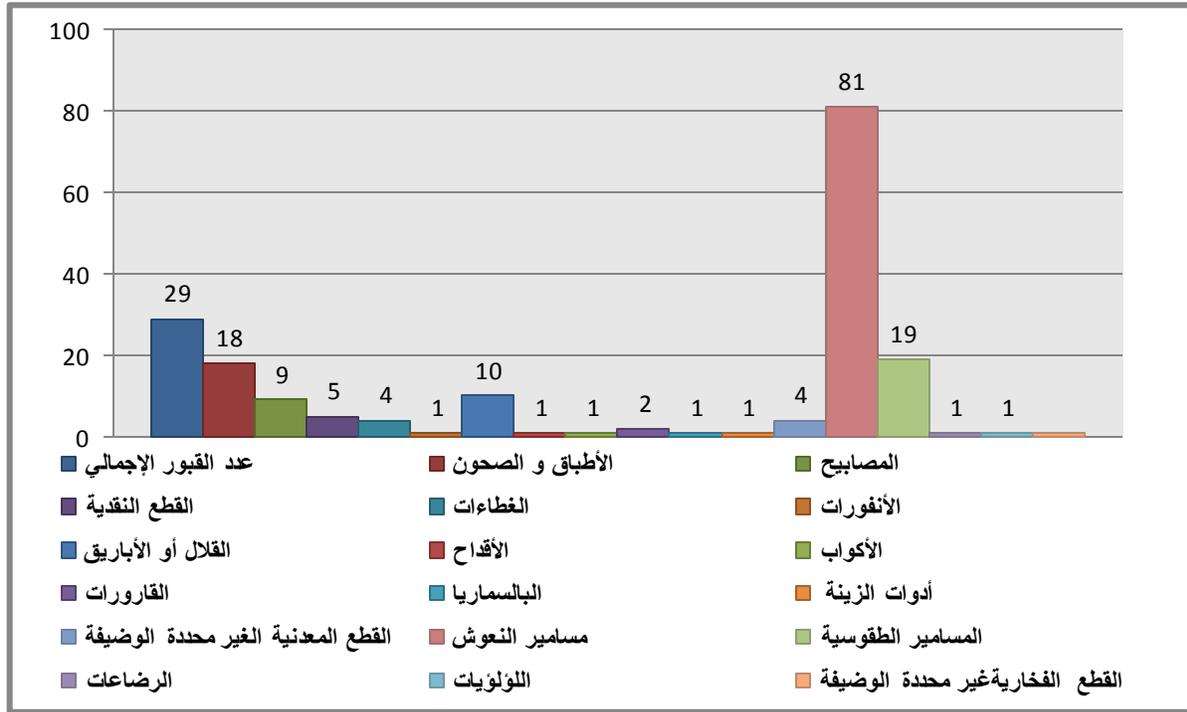
8.3 الأثاث الجنائزي

نلاحظ أن 41 بالمئة من مجموع القبور يخلو من المرفقات الجنائزية أي أن 12 قبرا لدى الفئة الغير محددة و4 قبور لدى فئة الأطفال يشتمل على أثاث جنائزي، مقابل 8 قبور لدى الفئة الغير محددة و3 قبور لدى فئة الأطفال التي تخلو منه (مع استثناء القبر رقم 15 للمجموعة رقم 2- فضاء رقم 2 الذي يُحتمل أنه فقد أثاثه جراء فيض الواد أو التدنيس والقبر رقم 22 الذي تم تدميره) (الرسم البياني رقم 41).



الرسم البياني 41: توفر وانعدام الأثاث حسب الفئات.

فيما يتعلق بعناصر الأثاث المتوفر، فيصل عددها الإجمالي إلى 74 عنصرا، يشتمل على أواني المائدة الفخارية، المعدنية والزجاجية، المصابيح، القطع النقدية، القارورات والبلسماريا، بالإضافة إلى أنفورة واحدة وإلى المسامير الطقوسية (السحرية) والوظيفية (الرسم البياني رقم 42).



الرسم البياني 42: توزيع الأثاث الجنائزي الإجمالي (بالإضافة إلى مسامير التعوش)

نلاحظ من خلال الرسم أعلاه قلة الأثاث الجنائزي بشكل عام وعلى وجه الخصوص الأواني المعتادة، كالأطباق والصحون، القلال وخاصة المصابيح، التي عادة ما تندمج ضمن الأثاث الجنائزي في القبور التي تتوفر على مرفقات، حيث لا تفوق المصابيح في إطارنا الكرونولوجي نسبة 12 بالمئة من مجموع الأثاث المتوفر (إثنين منها في القبر رقم 24 التابع للمجموعة رقم 2- فضاء رقم 2)، بينما لا تتعدى الأطباق والصحون نسبة 24 بالمئة من مجمل الأثاث. نلاحظ كذلك أن القطع النقدية ضئيلة حيث تُقدر بخمسة وحدات (إثنين منها في قبر واحد)، كما نلاحظ التوفر الاستثنائي للحلي وأدوات الزينة، في حين لم يتم إحصاء إلا لؤلؤة واحدة من عجينة الزجاج (القبر رقم 3 التابع للمجموعة رقم 3- فضاء رقم 1) ومراة (القبر رقم 1 التابع للمجموعة رقم 2- الفضاء رقم 2).

من جهة ثانية، نلاحظ توفر عدد معتبر من المسامير المستعملة في تركيب النعوش والتي تصل إلى 81 وحدة، 27 منها تابعة لتابوت طفل (القبر رقم 14 التابع للمجموعة رقم 2- الفضاء رقم 3)؛ أما المسامير المتبقية، فتتوزع على ثلاث قبور⁴²³. نلاحظ أنه بالرغم من العدد المعتبر، فعدد القبور التي تحتضن المسامير ضئيل جدا باعتبار أنها تتوزع على أربع منها من مجموع 29 قبرا، أحدها قبر طفل.

أما عن قبور الأطفال (7 قبور)، فيصل العدد الإجمالي للمرفقات الجنائزية إلى 29 عنصرا، فضلا عن ال 27 مسمارا المذكور أعلاه. يدلي توزيع الأثاث بقلة الانتظام بالرغم من أنه متوفر في أربعة قبور. نلاحظ من جهة ثانية توفر مصباح من مجموع التسعة وحدات المحصاة وأن ستة، من مجموع العشرة قلال، متوفرة في قبور الأطفال، بالإضافة إلى اللؤلؤة الوحيدة من عجينة الزجاج ذات اللون الأخضر (الزمرد) والمتقوية في المركز.

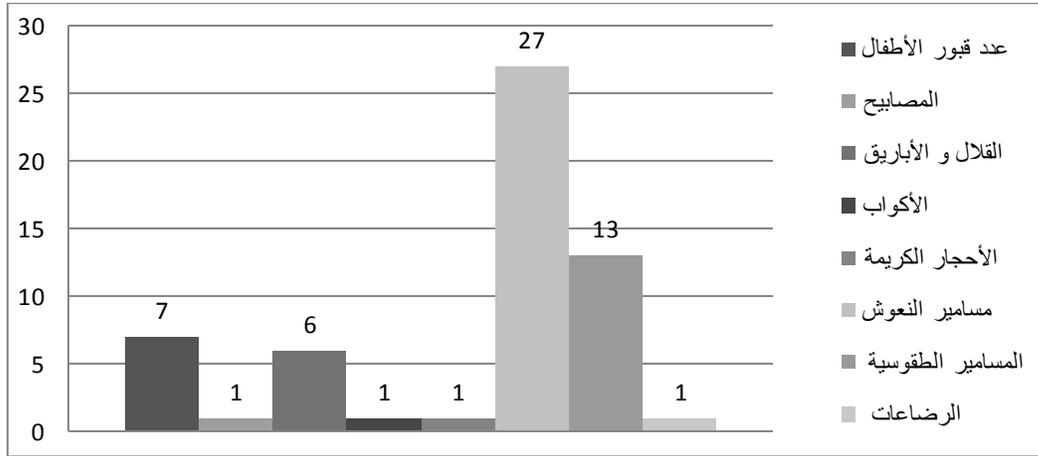
نضيف كذلك أنه من مجموع 19 مسمارا ذات الوظيفة الطقوسية (السحرية)، تأتي 13 وحدة تابعة لتابوت طفل⁴²⁴. بذلك فإن كان الأثاث ضئيلا (ولو أنه متماشي مع عدد القبور الإجمالي)، يبدو أن كان هناك حرص على توفير القسط القليل من المرفقات لفئة الأطفال ولاسيما العناصر ذات الوظيفة الوقائية أو التعويذية (اللؤلؤة والمسامير)، فضلا عن القلال التي نرى أهمية في توفرها (الرسم البياني رقم 43).

⁴²³ فيما يخص مسامير النعوش في الفئة الغير محددة: 20 مسمار تابع للقبر رقم 1 من المجموعة رقم 2- فضاء رقم 2؛ 24 مسمار تابع للقبر رقم

5 التابع للمجموعة 2- فضاء رقم 3 و 9 مسامير تابعة للقبر رقم 6 من المجموعة رقم 1- فضاء رقم 6
إكتفينا بالمسامير التي تم تحديد عددها من طرف الباحث وكذا تلك التي حُددت وظيفتها بالتأكد (طقوسية أو وظيفية)

Bouchenaki, 1975, p.104.

⁴²⁴ التابوت رقم 15 التابع للمجموعة رقم 2- الفضاء رقم 3. Bouchenaki, 1975, p.109.



الرسم البياني 43: توزيع الأثاث في قبور الأطفال.

8.4 المراسيم التذكارية

لم نحص في الفئة الغير محددة إلا 8 أنصاب، 4 موائد للقرابين و 6 قنوات للإراقة على مجموع 29 قبرا، علما أن الثلاث عناصر تجتمع أحيانا في قبر واحد، بحيث على مجموع 22 قبرا للفئة الغير محددة، نجد 8 قبور عُثر بها على مخلفات للمراسيم التذكارية مقابل 14 قبر يخلو منها⁴²⁵. أما لدى فئة الأطفال، فتكاد تنعدم بحيث لم نحص إلا نصبين مع إنعدام كلي لموائد القرابين وقنوات الإراقة.

في تلك الحالة، لا يمكن أن نعتبر أن فئة الأطفال أوليت العناية الكافية فيما يخص الجانب التذكاري إن لم نقل تم تجاهلها تماما، هذا مع اعتبار أن مخلفات المراسيم التذكارية لدى الفئة الغير محددة تُعد كذلك ضئيلة وفي المقبرة ككل، حيث لا تتجاوز الموائد 10 وحدات بمقبرة ماتارس بما في ذلك القبور الغير مؤرخة أو الغير منقبة (القبرين رقم 21 و 23 التابعين للمجموعة رقم 2- الفضاء رقم 3 مثلا)، بينما لا

⁴²⁵ القبر رقم 6 (المجموعة رقم 1-فضاء رقم 6): نصب (غير منقوش) وقناة إراقة؛ القبر رقم 1 (المجموعة رقم 2-فضاء رقم 2): نصب وقناة إراقة؛ القبر رقم 2 (المجموعة رقم 2-فضاء رقم 2): نصب؛ القبر رقم 4 (نفس المجموعة و الفضاء): نصب ومائدة قرابين؛ القبر رقم 7 (المجموعة 2-فضاء 2): نصب؛ القبر رقم 12 (نفس المجموعة و الفضاء): نصب ومائدة قرابين؛ القبر رقم 15 (نفس المجموعة و الفضاء): قناة إراقة؛ القبر رقم 17 (نفس المجموعة و الفضاء): مائدة قرابين؛ القبر رقم 29 (نفس المجموعة و الفضاء): نصب؛ القبر رقم 3: نصب.

تتعدى قنوات الإرافة ستة وحدات في مجمل القبور⁴²⁶. يعزز ما سبق قلة مخلفات المراسيم التذكارية عموما ومن ثمة احتمال عدم اقتصار المسألة على فئة الأطفال.

إن أخذنا بعين الإعتبار دراسة هـ.دودي لتلك المخلفات والتي يوحي غيابها بغياب ذاكرة المتوفي، فيمكن الإحتمال أن ذاكرة الأطفال بمقبرة ماتارس، على حد محتوى العينة، لم تكن من الأولويات. هل لذلك علاقة بقلة عدد قبور الأطفال في عينتنا أم بمصنف الطفل؟ اقترحت هـ.بينيشو - سفر، في مقال يخص توفات سالمبو بقرطاجة، أن غياب الأنصاب وخاصة تلك التي لا تحمل إسم المتوفي (Mémoriel nominatif)، يدلي بوضوح بغياب المراسيم التذكارية وخاصة بانعدام الإهتمام⁴²⁷.

إن كان الأمر كذلك بمدينة تيبازة، يبدو من خلال التوزيع الذي يخص مجمل القبور بمتارس أن المسألة لم تخص فئة الأطفال بالتحديد وإنما كل القبور، هذا علما، كما أشرنا إليه في التمهيد، بأن الأنصاب عموما متوفرة بمدينة تيبازة، لكنها مشتتة في المدينة وضواحيها حتى وإن يشير س. غزيل إلى أنها نذرية أكثر منها جنازية⁴²⁸. نلتمس مما سبق صعوبة الجزم فيما يتعلق بالمراسيم التذكارية من خلال الأنصاب وكذا الجزم فيما إن كان غيابها فعلا يدلي بغياب الحق في الذاكرة ونحن في مدينة من المفروض أن تفاعلت إلى حد معين مع قيم الرومنة في هذه الحقبة بالتحديد أي فترة الإمبراطورية العليا. نستند هنا إلى قراءة الباحث ح. إيديران حيث حاول هو الآخر تفسير قلة الأنصاب المنقوشة مقترحا أن الطبيعة الرملية للحجارة التي استقبلت النقائش لم تكن مناسبة لهذا الغرض، مما قد آل إلى إتلافها، مشيرا في ذات الوقت إلى توفر الأنصاب الرخامية المنقوشة بالرغم من اقتصارها على أثرى العائلات؛ بالمقابل، وقف الباحث على توفر معالم ضخمة في فضاءات مسيجة تغيب فيها النقائش⁴²⁹. في هذا الصدد، اقترحت ج. ماك ويليامس أن جنازات العائلات الأرسطوقراطية بما فيها الأطفال كانت ذات أهمية بالغة نظرا لمصنف تلك

⁴²⁶ إيديران، 2017، ص ص. 148-149 و 151 إلى 153.

لتفاصيل أكثر حول المعالم التذكارية بمقابر تيبازة ولاسيما الجانب التميمطي لموائد القرايين وكذا قنوات الإرافة فضلا عن كل ما يتعلق بطبيعة الإبداعات الغذائية في الإطار التذكاري، يُراجع:

Idiren, 2016

⁴²⁷ Bénichou-Safar, 2012, p.268.

⁴²⁸ Gsell, 1894, p.308.

⁴²⁹ إيديران، 2017، ص ص. 251-252.

العائلات وانعكاسات "تظاهرة" الجنازة على مستقبل أفراد العائلة وعلى هذا الأساس، فقد كانت للجنازة بمختلف الترفيهات التي تقترحها أولوية على تخليد الذاكرة من خلال النقائش⁴³⁰. استنادا إلى كل ما سبق، فإن قلة النقائش لدى فئة الأطفال قد لم يكن سببه صغر السن (أنظر ص. ص. 378-384).

9. مقابر مدينة شرشال ومقبرة سيقا

فيما يتعلق بمقابر مدينة شرشال، فتكاد تتعدم المرفقات الجنائزية، حيث على مجموع 19 قبرا تابع لفئة الأطفال، لم يتم إحصاء، بالفضاء الجنائزي للمقبرة الغربية، إلا ثلاث أباريق، قطعة نقدية وعدد معتبر من المسامير التي لم يحدد الباحث ف. لوفو عددها أو وظيفتها بشكل منظم⁴³¹، بينما في مقبرة المحطة، فتم إحصاء قطعة نقدية، فضلا عن بضعة مسامير وقطعة فخارية⁴³²؛ أما في المقبرة الشرقية لواد النصارى، فاعتمادا على البطاقات التقنية التي أنجزها ل. غازانغ، تم إحصاء خاتم من الزجاج يوحى قطره (2.2 سم) بأنه تابع لطفل⁴³³.

فيما يتعلق بمقبرة سيقا⁴³⁴، فالقبور الأنفورية الأربعة التابعة لفئة الأطفال (القبر الأنفوري رقم 4 (دفن) - 21-22-23 (ترميز جزئي)) تخلو من كل أثاث، باستثناء مسمار من مادة البرونز عُثر عليه قرب فوهة الأنفورة، فضلا عن عنق تابع لوعاء صغير الحجم (القبر الأنفوري رقم 22). انطلاقا من أن دراستنا تعتمد على الأثاث الجنائزي من حيث الوفرة، التوزيع، التموضع والوضعية، فلم نجد ما يكفي من المعطيات لاقتراح دراسة تفيد إشكالية البحث وعلى هذا الأساس، نكتفي بما سبق وصفه.

⁴³⁰ Mc Williams, 2001, p.86.

⁴³¹ القطعة النقدية في القبر الأنفوري رقم 2 مؤرخة بفترة حكم دوميتيانوس؛ المسامير في القبر رقم 4 (12 مسمار)، القبر رقم 3 (23 مسمار)، القبر رقم 11 (20 مسمار)، القبر الأنفوري رقم 12 والقبر الأنفوري رقم 13؛ الثلاث أباريق متواجدة في القبر رقم 3 (إبريقين) ورقم 13 (إبريق واحد) على بعد 60 سم من القبر وليس بداخله). أما القبر الأنفوري رقم 14، فيخلو من كل أثاث.

Leveau, 1976, pp.80-81-95-96- 97 et 100

⁴³² القبر رقم 1-15 بالنسبة للقطعة النقدية و القبر رقم 12-2 بالنسبة للمسامير والقطعة الفخارية. أما القبرين رقم 67-2 الذي يشتمل على ثلاث

قبور دفن، فهو يخلو من الأثاث.

Leveau, 1999, pp.86-87 et 108

⁴³³ Leveau, 1977, p.248.

⁴³⁴ Vuillemot, 1971, pp.57-79 et 84.

الفصل الثاني

الرصيد الإيكونوغرافي والإيبوغرافي

1. الذاكرة والمعلم

تطرقنا في الفصل الأول إلى كل ما يتعلق بكيفية التعامل مع المتوفي قبل غلق القبر وفقا لما أتيح لنا من معطيات تخص المرفقات الجنائزية ووظيفتها، وضعيتها وتموضعها، هيكل وتقنيات حماية القبور، سعيًا لتحديد ما إن وجد هنالك فرق في التعامل مع فئة الأطفال مقارنة بفئة الراشدين وما إن وجدت ممارسات توحى بمصير غامض بالنسبة لتلك الفئة من المجتمع في إطار ما يُعرف بالموت المشؤومة.

سننترق في هذا الفصل إلى مخلفات المراسيم التذكارية التي تلي غلق القبر والتي تندمج في تخصص قائم بذاته وهو علم آثار الذاكرة. في هذا السياق، سنركز على الجزء الثاني من إشكالية البحث وهو بالتحديد إن كان هنالك أمل فعلي لدى الأهل في أن يتم الطفل مساره نحو سن الرشد بعد الوفاة أم أن ما نراه على مشاهد الأنصاب الجنائزية مجرد إسقاط لألم نابع عن ضرر مرحلة الحداد.

سنعتمد بذلك على عينة مكونة من 20 نصبا وتابوت باعتبار قلة الأنصاب الخاصة بالأطفال عموما وإتلاف البعض منها بحيث إن توفر المشهد، نجد النقيشة متلفة. من جهة ثانية، فهدف الفصل ليس تقديم جرد لما هو متوفر وإنما التركيز على العناصر التي تسمح، في حدود العينة المختارة، باقتراح حلول أو فرضيات تفيد الإشكالية.

نلتمس من خلال ما يرد في المصادر وكذلك تاريخ الأبحاث أن الذاكرة لم تكن مسألة شخصية ينكفل بها الفرد أو العائلة. حتى وإن كان الاستياء لا يتجاوز حدود الدوموس، تحرص العائلة ونقصد بذلك حاملي الحداد (*Successores*)، على إدماج المجتمع في تكريس ذاكرة المفقود، مثلما تحرص على إدماجه في سيرورة الحداد خلال التسع أيام الأولى التي تلي الوفاة.

يتم تكريس ذاكرة المتوفي من خلال المعالم التي تحاذي أو تندمج في القبر وأهمها النصب، قناة الإرافة، مائدة القرابين، مذبح، تمثال، فضلا عن القبر بحد ذاته. نُذكر هنا بأن للقبر أهمية أساسية في تكريس

الذاكرة، باعتباره الشاهد المادي والفضائي لوجود المتوفي و"الذاكرة الجماعية" على حد سواء حيث لا تعني الموت البيولوجية "نهاية اجتماعية"⁴³⁵. تظهر أهمية تلك الذاكرة الجماعية من خلال مراسيم مقننة تباشر بها كل عائلات المدينة خلال شهري فبراير وماي، أين تتراجع إن لم نقل تتوقف المشاغل اليومية أمام أولوية طمأنة وتكريس ذاكرة المانس. تبرز هنا علاقة المعلم الجنائزي الفردي بالذاكرة الجماعية باعتباره يحتضن بقايا أحد أجداد كل عائلة ومن ثمة أجداد المدينة بالمعنى الواسع. إلى جانب ذلك، فيؤدي النصب التذكاري بشقيه المتكاملين، النسخي والصوري، دور المحرك الذي يفرض من خلاله المتوفي مكانته ضمن الأحياء.

إن عدنا إلى المصادر القانونية، فيفيدنا فيستوس⁴³⁶ بأن ما نسميه معلما (*Monumentum*) هو بمثابة كل ما تم تشييده لشرف المتوفي أو لشخص معين، على غرار المعابد، الأروقة، الكتابات والقصاصد⁴³⁷، بينما يمنحنا سرفيوس تعريفا أدقا حين يربط المصطلح بالاسم والذاكرة معا⁴³⁸. يبدو بذلك أن نقش الاسم على المعلم هو ما يسهم في إحياء ذاكرة المتوفي من خلال النطق الذي ينفخ فيه نفسا جديدا. في هذا الإطار، فقد تعددت الأبحاث حول علاقة الذاكرة بالاسم نظرا لوفرة النقائش المخاطبة (*Epitaphes parlantes*) والتي تدعو المار أو الزائر إلى القراءة، معززة النقل السحري للنطق بكل مصطلح على المعلم وبالتحديد الاسم. قد يكون لذلك الفعل نفس الدور الذي يؤديه الترداد الجماعي لاسم المتوفي خلال الجنازة (*Conclamatio*) وبذلك، فكلما تم النطق به خلال المراسيم التذكارية أو الزيارة، يتم إحياء يوم جنازته ومن ثمة تعزيز وجوده ضمن الأحياء⁴³⁹. يرد لدى أوسونيوس مثلا، أن رماد المتوفي يحن إلى سماع الاسم وأنه، بالنسبة لمن لم

⁴³⁵Van Andringa, 2018, p.385.

⁴³⁶ سيكتوس بومبيوس فيستوس أو سيكتوس غراماتيكيوس مؤلف، شاعر ومختص في النحو اللاتيني، عاش خلال القرن الثاني ميلادي. أشهر مؤلفاته « *De significatione verborum* » الذي لم يصل إلينا كاملا والذي يُرجح أن استقى الكثير من المعطيات الواردة به من أبحاث فيريوس فلاكوس، سابقه في المجال.

⁴³⁷ *Monimentum est, quod et mortui causa aedificatum est et quidquid ob memoriam aliqujus factum est, ut, fana, porticus, scripta et carmina. Festus, De sign. Verb. XI, Monumentum.*

⁴³⁸ *Inscriptum nomen memoriaque monumentum. Servius, Ad. Aen., 3,22, 12-15 Cité dans Laubry, 2016, p.76.*

⁴³⁹Carroll, 2011, pp.67-68.

فيما يتعلق بأهمية الاسم، فقد وُجدت تنظيمات قانونية تتعلق بمصنف الطفل المتوفي والتي تختلف تبعا لما إن تم منحه إسما أو لا ويبدو أن الطفل الذي توفي قبل منحه الاسم يعد كيانا معترف به قانونيا لكن ذو مصنف أقل من ذلك الذي توفي بعد منحه الاسم وفي ذات السياق، يتسع المجال

يحض بقبر، فالنطق باسمه ثلاثة مرات يعوضه بما شبه ذلك، ليضيف أن الصوت الذي ينادي روح المتوفي يعادل مراسيم الجنازة⁴⁴⁰.

من جهة ثانية، تأتي مع النقيشة تمثيلات إيكونوغرافية تعد مختصرا لحياة المتوفي وكذا لآمال أهله ومفادها جلب نظر واهتمام الزائر وخاصة الحرص على أن يفهم ذلك الزائر الرسالة الموجهة إليه تحسبا لقابليته على تفكيك النقيشة (محدودة أو منعدمة)⁴⁴¹.

في هذا الإطار، إن يتفق الباحثون على الدور المتبادل للنقيشة والمشهد، نلتمس حيرة فيما يتعلق بالهدف، حيث يحتمل من جهته م.غاليني وب. زانكر (بالنسبة للتوابيت)، وجود وظيفة ذات طابع مزدوج، طابع أول رجعي، يظهر من خلال تكريس مصف ومسار المتوفي وطابع ثان ترقبي، يعكس مصير المتوفي المُتمنى في العالم الثاني ويضيف ب. زانكر بأن ذلك الطابع المزدوج هو ما يضمن طمأنينة للنفوس بحيث في حالة الوفاة المبكرة (ولا ينحصر الأمر هنا على الأطفال)، فمن الطبيعي أن يتمنى الأهل أن يحظى فقيدهم في العالم الثاني بما لم تُتَح إليه من فرص في عالم الأحياء؛ هذا ويعترف م. غاليني بصعوبة تحديد نية صاحب التحفة (ويخص هنا بالذكر التوابيت) باعتبار تعدد الزوايا التي يمكن من خلالها تحليل المشاهد⁴⁴²، بينما يكتفي العديد من الباحثين بالتركيز على الطابع الرجعي لها وربطه باستمرار بمفهوم الذاكرة لدى الأحياء.

إلى مسألة الميراث وعرض الأطفال بحيث إن تم عرض طفل قبل منحه الاسم، تكون العقوبة أخف في القانون السالي مقارنة بحالة عرض الطفل بعد منحه الاسم.

Corbier, 1999, pp.1263-1264.

Item communis filius filiave post nominum diem amissus amissave unam decimam adicit; duo autem post nominum diem amissi duas decimas adiciunt. *Tituli ex corpore ulpiani*, 15,2

⁴⁴⁰Ausone, *Parentalia* (préface), p.127.

يُراجع كذلك عزاء سينيكا إلى ماركيا أين يحثها على ترديد اسم ابنها المتوفي بانتظام لضمان راحة مستمرة له. Sénèque, *Consolation à Marcia*, III, p.87.

⁴⁴¹Carroll, 2008, p.49 à 59

⁴⁴²Galinier, 2013, paragr. 23; Zanker, 2012, pp.61- 170 et 239.

بعبارة أوضح، اكتفى الباحثون باعتبار المشاهد مرآة عاكسة لمصنف ومصير المتوفي في ذاكرة الأحياء بينما اقترح ب. زانكر وم. غاليني توسيع نطاق ذلك الدور وإدماج مسألة مصير المتوفي بعد الموت من خلال نفس المشاهد دون التفصيل في طبيعة ذلك المصير ولاسيما فيما يتعلق بالأطفال. هي تلك المعادلة التي تهتم إشكاليتنا بالدرجة الأولى.

فيما يتعلق بتمثيل المتوفي على المشهد، فما نراه من واقعية تميز البورتريه الروماني نابع، وفقا لأقلية من الباحثين، من الأفتعة الجنائزية التي يتم إعدادها قبل أو بعد الوفاة، بينما يحث البعض على التحلي بالحذر⁴⁴³. بالنسبة للرومان، تعكس تلك الواقعية مفهوما معقدا يمزج بين الملاحح الملموسة، ذاكرة الخصال والإنجازات التي تنتقل عبر الأجيال لتشكل قدوة للأحفاد أكثر من أنها أثر لمن سبقهم⁴⁴⁴.

يصبح الفناع حينها تشريفا للمتوفي وتكليفا لأبنائه وأحفاده، باعتبار أن وظيفته الأساسية أن يكون قدوة للعائلة⁴⁴⁵. أردنا التركيز على البورتريه باعتباره من الآليات الفنية التي استعان بها الرومان للحد من التأثيرات الهلنستية وفرض الهوية الرومانية وهو بمثابة ترجمة للطبيعة البراغماتية للمجتمع الروماني والإيطالي ككل، سواء في علاقته بالأرض أو بقيم الأجداد، بعيدا عن الفلسفة المثالية التي كرسها الفن الإغريقي؛ هذا وأشار بعض الباحثين إلى تفاصيل تدلي باستمرارية البورتريهات ذات التأثيرات الهلنستية⁴⁴⁶. أما عن علاقة الواقعية بالفناع الجنائزي، فنجد في المصادر بوليبيوس يعزز أهميته خلال الجنازة حين يصف مشاعر الحماس التي تتبع لدى الحاضرين لسماح إنجازات المتوفي لكن كذلك لما تصاحبها واقعية الملاحح على الفناع ولذلك تحرص العائلة على عدم تجاهل أدق التفاصيل بما في ذلك لون البشرة⁴⁴⁷. نفهم مما سبق أن للفناع الذي قد نبعت منه واقعية الملاحح على التماثيل، دورا اجتماعيا،

⁴⁴³ Meslin, 2001, pp.62-63.

يرى بيانكي بانديليني أن هنالك خصائص في الفناع الجنائزي تُدكرنا بواقعية البورتريه الروماني لكنه يحث الباحثين على الحذر في الجزم فيما إن كانت العلاقة بين الإثنين موجودة فعليا. في هذا السياق، يشير مثلا إلى أن بورتريه أفلاطون الذي شاع على أساس الشبه مع ملاحح الفيلسوف لكن، في الواقع، لم يتم إنجازه إلا بعد وفاة هذا الأخير وبذلك، فلا يمكن اعتبارها صورة طبق الأصل حيث تحتمل تلك البورتريهات قسطا من التعديل. بينما يثير م. فليكر الانتباه إلى غياب المعطيات في المصادر حول العلاقة بين الأفتعة الجنائزية الرومانية وواقعية البورتريهات العائلية؛ هذا ونشير إلى دراسة ف. بوكتان التي تطرقت في مقالها إلى أفتعة يبدو أن تم إنجازها على المتوفين مباشرة وذلك في تركيا الحالية والمشرق بحيث أرخت الأفتعة بالفترة النيوليتية و بالتحديد ما بين 8200 و 7200 ق.م. يراجع:

Bianchi Bandinelli, 1970, pp.72 et 80 ; Boquetin, 2013 ; Flecker, 2017, p.74.

⁴⁴⁴ Molinier Arbo, 2009, p.88.

⁴⁴⁵ Meslin, 2001, pp.61-62.

⁴⁴⁶ Bianchi Bandinelli, 1970, pp.79-81 et 83.

⁴⁴⁷ Polybe, Histoires, VI, 6.

بوليبيوس رجل سياسي، عسكري ومؤرخ ولد بمدينة ميغالوبوليس بمقاطعة أركاديا ببلاد الإغريق ما بين 210 و 202 ق.م وتوفي عام 126 ق.م. تلقى تكويننا عسكريا محكما بفضل قائد الجيش فيلوميناس مما سمح له بتقلد وظيفة حاكم فيلق الفرسان وبعدها الإتحاد الآخي. في مناورات ما بين الأخيين والملك المقدوني برسيوس من جه والرومان من جه ثانية، حاول بوليبيوس دون جدوى تعزيز مواقف الكنفدرالية مما آل إلى إرساله إلى روما

تُوجّه من خلاله رسالة للجميع انطلاقاً من شخصية مقصودة بالتحديد. نلتمس حرص الرومان على الواقعية في علاقتها بالهوية بكل إحدائياتها (فرداً ومجتمعاً/ مظهراً ومضموناً). في هذا السياق، ترد في المصادر إشارات لعواقب التلاعب بالقيم المذكورة أعلاه، حيث يرصد لنا تاكيتوس (Tacitus) قصة ليبو دروسوس الذي اتهم، خلال مهامه السياسي، بالتآمر ضد النظام العام مما آل، بالرغم من اعتراف الرأي العام له بإنجازاته ونبيل مواقفه، إلى جنازة حُرْم فيها من الموكب ومن القناع الجنائزي⁴⁴⁸.

يأتي بدوره كيكرو معززا العلاقة بين خدمة المصلحة العامة وشرف استحقاق القناع الجنائزي الذي يخلد الذاكرة أمام الأحفاد⁴⁴⁹، بينما يشير فاليريوس ماكسيموس (ق.1م) (Valerius Maximus) إلى علاقة القناع بما ميّز مسار المتوفي من فضائل وإنجازات مستعينا بمثال سكيبيو الإفريقي وكانو الأقدم⁴⁵⁰.

لقت تلك الإشارات في المصادر صدى لدى الباحثين، على غرار ف. داسن التي ترى في الألقعة منبعاً لتعبير الصرامة والتحفّظ التي نلاحظها على الأنصاب الجنائزية⁴⁵¹. تشير الباحثة كذلك، وباعتبار النساء والأطفال غير معيّنين بالموكب ولا بالقناع الجنائزي، إلى أنه تم تعويض ذلك بالنسبة لفئة الأطفال بالتمثيلات الإيكونوغرافية للتخفيف من استياء الوالدين أمام فقدان أمل رؤية الأحفاد يوماً وأن يصبح الطفل جداً لعائلة جديدة تضمن استمرارية الاسم⁴⁵².

كرهينة حرب عام 169 بعد هزيمة الملك برسيوس في معرك بيننا. استقبله حينها أيميليانوس سكيبيو أين تم توضيفه كمعلم ضمن العائلة مما أتاحه فرصة الغلغل في أرقى الأوساط الرومانية كما عايش الحروب البونية و دون من خلالها أشهر مؤلفاته " التاريخ العام للجمهورية الرومانية".

⁴⁴⁸Tacite, *Annales*, II, 27 et 73.

بوليبوس كورنيليوس تاكيتوس (56-120م) مؤرخ و رجل سياسي روماني وعضو في مجلس الشيوخ. وُلد لعائلة من مصف الفرسان كما كانت تربطه صداقة ببليوس الأصغر. يُعرف بمؤلفي "الحواليات" و "التواريخ" والذين يخصان القرن الأول الميلادي ابتداء من وفاة الإمبراطور أغسطس إلى غاية فترة حكم الإمبراطور دوميتيانوس. وصلتنا مؤلفات أخرى للمؤرخ ولاسيما "حوار الخطباء"

⁴⁴⁹Cicéron, *Verrines*, V, 14.

⁴⁵⁰Valère Maxime, *Actions et paroles mémorables*, VIII, 15

فاليريوس ماكسيموس مؤرخ ومفكر روماني من القرن الأول ميلادي، عايش فترة حكم الإمبراطور تيبيريوس ورافق القنصل كنيوس بومبيوس في حملته بآسيا عام 14م، قبل أن يندمج ضمن أعضاء البلاط الإمبراطوري. أشهر مؤلفاته "أقوال وأفعال رومانية خالدة"، المكون من تسع أجزاء أو مؤلفات أخرى تطرق من خلالها المفكر إلى مختلف المواضيع تخص الدين، العلاقات الاجتماعية وكذلك خصوصيات الشخصية أو الكيان الروماني.

⁴⁵¹Dasen, 2017, p.276.

⁴⁵²Dasen, 2017, p.276.

نستنتج مما سبق أن ما نراه على المشاهد من ملامح قد يخضع إلى تقنين متفق عليه يستقي جزءا من ثقله الرمزي من القناع الجنائزي، بينما تجسد الهيئة القيم التي يمتثل إليها كل من يطمح في المجتمع الروماني إلى تأدية دور فعال في خدمة المصلحة العامة.

2. الطفل وتقنين مراحل الاندماج

2.1 اللباس

تعد القماطة بمثابة اللباس الأول للطفل ولها خلفياتها الصحية باعتبار وضعية الطفل الحساسة التي تستوجب حرصا مستمرا من طرف الأم أو المرضعة. يتم ذلك باتباع خطوات متفق عليها، من شأنها تفادي وفاة الطفل من جهة وضمان نمو بدني سليم بالتحكم في حركاته خلال ثلاث أشهر على الأقل⁴⁵³. تبعا لوصف م. كارول للرسمين رقم 12 و 13، فبعد انتهاء فترة التقيط في حدود ثلاث أشهر، يتحرر جسم الطفل تدريجيا مع إمكانية أن تحتفظ الأم بالقماطة، مع إضافة ستارة فوق شرائح القماش (Tunica) أو أن تُستبدل القماطة مباشرة بالستارة التي تصل إلى حد الوركين. ما بين السنة الأولى والثانية، يرتدي الطفل ستارة أطول تنحدر إلى حد الركبتين⁴⁵⁴ (الصورة رقم 15 والرسم رقم 12).

⁴⁵³ Soranus, *Gynecology*, II, 12-14 et 42 Cité dans Harlow et Laurence, 2005, p.42.

سورانوس الإفسسي طبيب إغريقي ولد عام 98 م بمدينة إفسس على الساحل الأيوني. درس بالإسكندرية قبل أن يمارس مهنة الطب بروما خلال فترتي حكم ترايانوس وهادريانوس. كرس جهوده إلى مجال التوليد وترك لنا مؤلف يحمل عنوان "علم أمراض النساء" في هذا المجال. فضلا عن ذلك، نجد له مؤلف "حول الأمراض الحادة والمزمنة" الذي لم يبق منه إلا بعض الأجزاء باللغة الأصلية مع ترجمة لاتينية وكذلك مؤلفين تحت عنوان "حول علامات الكسور" و"حول الضمادات".

يشرح الرضيع في التحرر من القماطة ابتداء من أربعين يوما وفقا لسورانوس الأفسسي Soranus, *Gynecology*, 2.16. 30-35 cité dans Carroll, 2018, p. 152.

⁴⁵⁴ Carroll, 2018, p.90-91.



الرسم 12 : ضريح الطفل كورنيليوس ستاتيوس، يوضح مختلف مراحل العمر خلال الطفولة. على اليسار، الستارة التي

تأتي فوق القماطة. عن : J. Willmott : Dessin, 2018, p.93. Carroll,



الصورة 15 : معلم جنائزي لطفلة تبلغ من العمر 6 أشهر يوضح نهاية التعميط وارتداء ستارة تصل إلى الوركين. عن :

Carroll, 2018, p.92

نرى في الرسم رقم 12، أن الرضيع على اليسار يرتدي ستارة تغطي الجذع إلى غاية الوركين وتحتها شرائح قماش القماطة، مما يوحي بأن الرضيع هنا في مرحلة انتقالية. في حدود السنة الأولى من العمر، تنحدر الستارة إلى غاية الركبتين وهو اللباس الذي سيرافق الطفل إلى غاية سبعة سنوات، أين يضيف التوجة⁴⁵⁵ برايتيكستا⁴⁵⁶، إن كان الطفل ابن مواطن روماني⁴⁵⁷ ويرتديها ابتداء من 7 سنوات (سن خروجه الرسمي من الطفولة المبكرة أو الإنفانتيا ودخوله مرحلة البويرتيا)، لتلازمه إلى غاية 15 أو 16 سنة⁴⁵⁸. في اليوم السابع عشر من شهر مارس⁴⁵⁹، تقام حفلة، يستبدل فيها الطفل البرايتيكستا بالتوجة فيريليس أو توجه الرجال (*Dies virilis togae*). على عكس الأولى التي تحمل شريطا ذات اللون القرمزي على حافة القماش (*Prae-texta*)، تأتي التوجة فيريليس موحدة وذات اللون الأبيض⁴⁶⁰. يُسلم الطفل حينها التوجة برايتيكستا والبولا (صورة رقم 16)⁴⁶¹ للإله هركلييس أو لآلهة البيت (اللارس)⁴⁶².

⁴⁵⁵ تعد التوجا بمثابة لباس المواطن بالمقارنة مع العبيد، فهي بذلك تعكس المصنف. هي مشتقة من المصطلح *Tego* وتعني الحماية باعتبارها تأتي فوق الستارة (التونيك)، على عكس العبيد الذي يكتفي بها والذي حتى إن ارتدى معطفا فوقها، فيبقى غير محمي تماما مما يوحي بأن التوجة بمثابة حماية للجسد من العري. تشير التوجة كذلك إلى اللباس الرسمي للمواطن خلال تأدية مهامه المدنية وخلال فترات السلم ويمكن أن يفقدها المواطن جراء حكم قضائي ضده.

Baroin, 2012, pp.46-47

⁴⁵⁶ أما التوجا برايتيكستا، فهي كذلك لباس المواطن وأصل التسمية نابع من الشريط الأرجواني المحيط بها. هي لباس رسمي يرتديه أعيان المدينة السياسيين خلال الحفلات الرسمية أو الدينية وكذلك الأطفال. تأتي التوجا برايتيكستا على أنواع وتسميات تتماشى والأوضاع أو الألوان، فالتوجا ليبيرا تشير إلى الرجل الحر، التوجا بورا إلى اللون الموحد على عكس التوجا كانديدا التي تمتاز بالبياض الناصع والتي يرتديها من يؤدي حملة لتقلد وظيفة سياسية، بينما التوجا بولا، فتشير إلى مرحلة حداد جراء وفاة قريب.

Baroin, 2012, p.47- 48

⁴⁵⁷Carroll, 2018, p.91.

⁴⁵⁸ Hunziker (1877). *Toga*. Dans *DAGR*, p.352.

⁴⁵⁹ هو اليوم الذي تقام فيه حفلة للإله لبيار وعلى هذا الأساس، تسمى التوجا فيريليس كذلك بالتوجة ليبيرا.

Baroin, 2012, p.47 (note de bas de page).

⁴⁶⁰ Courby (1877). *Toga*. Dans *DAGR*, p. 349.

⁴⁶¹ بالنسبة للباحثين، تعد ال *Bulla*، رمزا للمواطنة لدى فئة الأطفال الذكور كما أنها بمثابة طلمس يقيهم من الأرواح الشريرة والعين. عرفت البولا مسارا متشعب الأدوار ابتداء من النصف الأول من القرن الثامن ق.م لدى الإيتروسك حيث كانت تُرتدى مبدئيا من طرف كل الفئات وكذا الجنسين، كما تعددت وظائفها إلى جانب الدور الوقائي، بحيث كان يرتديها الأبطال وحتى الآلهة وأنسب لها إما دور وقائي من خلال مادة الصنع أو الأعشاب التي تحضنها أو دورا شرفيا لتكريم الإنجازات البطولية. إبتداء من القرن الرابع ق.م، تراجعت في إيتوريا بعد ترومن مجتمعها، بينما اقتصر استعمالها على فئة الأطفال في روما، ليتم استرجاعها من طرف الإيتروسك خلال القرن الثاني ق.م أين احتفظت بوظيفة حماية فئة الأطفال.

Haack, 2007, pp.58-60-61-62.

⁴⁶² S.n (1877). *Toga*. Dans *DAGR*, p. 348.

تعد بذلك حفلة ارتداء التوجة فيربليس بمثابة المرحلة التي اكتمل فيها طفل الأمس نضجه الجسدي والمعرفي، كما اكتمل وجوده الفعلي ككائن مستقل، مندمج كلياً في المجتمع ولذلك يشير إليها الشاعر بروبرتيوس (Propertius) (القرن الأول ق.م) على أساس أنها لباس الحرية⁴⁶³.

نشير في ذات السياق إلى أن المعنى الاصطلاحي لكلمة "اللباس"، باللاتينية *Vestis*، يشير إلى علامات الرجولة ومن ضمنها بروز اللحية، على عكس مصطلح *Investis* الذي يشير إلى غياب تلك العلامات. من هذا المنطلق، يبدو أن المصطلحات التي على علاقة باللباس وفي الحالة التي تهمنها، لباس الطفل، تعكس مفاهيم اجتماعية ثقافية بدورها مقننة في الذهنية الجماعية.

أما عن اللباس النسوي، فينحصر عموماً في التونيكاً قبل سن الزواج، التي تُستبدل بعدها بستارة طويلة، عريضة وطويلة الأكمام نسبياً (تماشياً والستارة الداخلية: *Tunica interior*)، كما أنها تصل إلى حد الكاحل، ممسوكة على مدار الوركين أو تحت الثديين وهي ما يُعرف بال *Stola* أي رداء الزوجة وربة البيت (*Habitus Matronalis*)، مرفقة بمعطف فوق عريض يُعرف بال *Pala*⁴⁶⁴.

يشير استبدال لباس الطفولة بلباس الرشد إلى ترقية في المصف (سن الخدمة العسكرية بالنسبة للذكور والزواج بالنسبة للإناث) لكن لذلك المصف علاقة وطيدة بالنضج بالنسبة لكلا الجنسين دون تمييز، على الأقل خلال فترة حكم أغسطس. يشير سويتونيوس في مؤلفه المخصص لذات الإمبراطور أنه، لما تدرجه عائلة ما ضمن قائمة ورثتها، اعتاد الإمبراطور على التخلي عن حقه فوراً لصالح الأبناء وإن كانوا قُصراً، فانتظار يوم ارتداء الذكور التوجة فيربليس أو يوم زواجهم⁴⁶⁵.

⁴⁶³ Properce, *Elégies*, IV, 1.

سيكستوس بروبرتيوس شاعر روماني ولد في النصف الثاني من القرن الأول ق.م بمنطقة أمبريا وتوفي في نهاية القرن الأول ق.م. بعد أن استرجع أكتافوس أراضي العديد من الشخصيات لإعادة توزيعها على مقاعدي الجيش، كانت عائلة الشاعر من ضمنهم وباشرت من جهتها أم الشاعر بدفع قيمة مالية سمحت له بالاندماج في عالم السياسة. أهم مؤلفاته "المراثي" في أربعة أجزاء، حُصص الجزء الأول منها لعشيقته سينثياس والثاني إلى مواضيع أوسع تتعلق بالحب كما تطرق إلى الطغوس الرومانية.

⁴⁶⁴ S.n (1877). *Vestis*. Dans *DAGR*, p.769.

⁴⁶⁵ Suétone, *Auguste*, 66.



الصورة 16: "الطفل الحامل للبولا"

<https://c2rmf.fr/objet/lenfant-la-bulle>. Photo : Les frères Chuzeville, 1987

2.2. التنشئة الاجتماعية وتعايير الوجه

لما نعود إلى عبارة بليينوس الأقدم حين يقول أن مصير الطفل أن يحكم يوماً⁴⁶⁶ ونعتبر من جهة ثانية الجهد الذي يستثمره الوالدان لضمان اكتمال موفق للمرحلة الأولى من الطفولة، بكل ما أوتي من طلاس ومرفقات ذات الطابع الطبي والسحري، لا يمكن أن نتجاهل حرصهم على اكتمال الجانب المعنوي، فالطفل الذي يتكلم عنه بليينوس الأقدم، ما هو إلا ذلك الطفل الذي استوفى الشروط الأولى الأساسية حتى يتسنى له كراشد أداء مهامه بتقان وجدية في خدمة المصلحة العامة.

على هذا الأساس وللوصول إلى درجة الوعي بالمسؤولية التي ستقع على عاتق المواطن المستقبلي، لا بد من تدريبه منذ نعومة الأظافر على القيم التي ستضمن بنية معنوية محكمة ويتعلق الأمر هنا بشتى مظاهر الحياة اليومية وبأبسطها كذلك، كالتقليل من الأكل⁴⁶⁷، التركيز على الوجبات الصحية، تقادي الحمامات الساخنة والرطوبة لتجنب الارتخاء (*Mollitia*)، مما يعود إيجابيا على النمو النفسي والعقلي.

⁴⁶⁶Pline L'ancien, VII, 1, 3.

⁴⁶⁷Aulu Gelle, IV, 19.

من الناحية المعنوية، يتم الحرص على ضرورة التحكم في الذات أمام أي موقف يصادف الطفل الذي بلغ سنا يسمح بمعاتبته⁴⁶⁸. يرد لدى جالينوس (Galenus) (القرن الثاني ميلادي)⁴⁶⁹ أنه لا يمكن الفصل بين الروح والجسد باعتبار الروح تتأثر بما يتغذى منه الجسم وبذلك، فالحمية الصحية مربوطة بالتربية الصحية⁴⁷⁰، بينما يربط الفيلسوف الرواقي سينيكا الأكل بالمرودية إن صح التعبير، فالإفراط يثقل الجسم والعقل ومن ثمة يعرفل النشاط العام، كما يُثمن الفيلسوف التمرن على العمل (*Industria*) ومواجهة المشقات⁴⁷¹.

ابتداء من السن السابعة، يباشر الطفل بمحاكاة هيئة وسلوك الأب أو الأم تبعاً للجنس وكذلك المجتمع، من خلال مصاحبة الابن لأبيه خارج البيت والجلوس برفقته. كلها سبل يتلقى من خلالها الطفل التعليمات التي عليه الامتثال بها في حياته الآنية وخاصة المستقبلية⁴⁷². نرى فيما سبق العلاقة الوطيدة بين الحمية، التفتن والاستيعاب والتي مفادها الهيكلية التدريجية للصورة المثالية للطفل.

انطلاقاً من ذلك، فللتنشئة الاجتماعية أثرها على الهيئة وتعابير الوجه، باعتبار كليهما مرآة عاكسة لقيم امتثل إليها الوالدين قبله والتي يعترف لها المجتمع بالمصادقية والشرعية. من ضمن تلك القيم نذكر الحذر، الهيبة، تحمل وتجاوز المصاعب والتي تجسدها تعابير الصرامة، الانضباط وخاصة التحفظ، سواء كان الطفل واعياً بتلك الضرورة أم أنها ترسخت لا شعورياً إلى درجة العفوية.

في هذا السياق، يعتبر الرومان أن لكل موقف سلوك يناسبه. يركز الفيلسوف الرواقي سينيكا على فضيلة التحفظ عند الأطفال وعلى ضرورة اللجوء إلى القسوة في التعامل معهم، موضحاً خلفية تلك القسوة لدى الرومان، حيث يرى أن الإنسان الصالح هو ذلك الذي تبثليه الحياة بمشقاتها والتي برفع تحدياتها، يحقق

⁴⁶⁸Rousselle, 2005, pp.140-144.

⁴⁶⁹جالينوس (130-200م) طبيب إغريقي اخصص في علم التشريح. درس الطب في آسيا الصغرى والإسكندرية. انتقل بعدها إلى روما أين لحن معارفه وقدم محاضرات، قبل أن يتم تعيينه طبيباً خاصاً للإمبراطور ماركوس أوريليوس. تمكن حينها من التفرغ إلى تجاربه العلمية ولعل أهمها التشريح، كما كشف على بعض الحقائق العلمية ولاسيما علاقة الكسر على مستوى العمود الفقري بانقطاع نخاع ومن ثمة الشلل.

⁴⁷⁰Néraudau, 1984, p.90.

⁴⁷¹Sénèque, *De la providence*, 2 ; Valette-Cagnac, 2009, paragr.9.

⁴⁷²Valette-Cagnac, 2009, paragr. 12 à 15 et note de bas de page n°15.

الراقي إلى مستويات أفضل⁴⁷³. بعبارة أوضح، تعد قسوة الوالدين بمثابة مقدمة لمتاعب الحياة التي تستوجب المقاومة، تحمل مسؤولية الأخطاء والمضي قدما وكأن التربية مختصر للحياة، كلما واجه الفرد مصاعبها بأخلاقية وصبر، كلما عزز فرص الرقي الذاتي. لا تقتصر تلك القسوة على الإطار العائلي وإنما تتسع إلى المدرسة التي قننتها إلى درجة أن أصبحت، تبعا لبعض الباحثين، مكانا للعنف، يُعد فيها المعلم بمثابة أب لأطفال مشاغبين لا بد من تلقينهم النظام بشتى السبل⁴⁷⁴.

في هذا السياق، اختلفت الآراء في المصادر حول فعالية العنف. استاء أوفيدوس (Ovidius) مثلا أمام اللجوء إلى المسطرة على أياد ناعمة⁴⁷⁵ بينما وصفها مارتياليس (Martialis)⁴⁷⁶ بـ"صولجان المتحذلقين" في خطابه لأحدهم والذي نصحه بمنح قسط من الراحة للشباب والأطفال ووضع السطو جانبا⁴⁷⁷. عزز كنتيليانوس (Quintilianus) الفكرة حين صرح بنبذ التام لضرب الأطفال باعتبار الضرب لا يلحق شيئا، في حين يترك آثارا فتاكة في نفسية من يتلقاه⁴⁷⁸. نجد كذلك في المصادر ما يوحي بمسار معاكس للعنف حيث أشار سويتونيوس (Suetonius) إلى تجاوزات الأطفال اتجاه معلمهم وبالتحديد المعلم الشهير أوربيليوس (Orbilius) الذي عاش التجربة في ظل تجاهل بل وغرور الوالدين⁴⁷⁹.

هي أخيرا نفس الفكرة التي ترد لدى القديس أغسطينوس (Augustinus Hipponensis)، مع خلفية نقدية حادة، بحيث ينبذ السبل التي يلجأ إليها الراشدون والتي يرى فيها أمل هؤلاء في تحقيق مصف اجتماعي راق ومرغوب، كما يصف لنا حدة ضرره واستيائه أمام لجوء المعلمين إلى عقوبات جسدية ينعتها

⁴⁷³ Sénèque, *De la providence*, I.

⁴⁷⁴ Legras, 2008, p.25.

⁴⁷⁵ Ovide, *Les Amours*, I, 13.

⁴⁷⁶ ماركوس فالريوس مارتياليس (40م-104م) شاعر روماني من مدينة بيبيليس، شمال شرق مقاطعة إيبيريا، من عائلة ثرية نسبيا، أتاحت له له فرصة السفر إلى روما ليتمتع تعليمه ويتقرب من أكبر مؤلفي عصره، على غرار كنتيليانوس، سينيكا، لوكانوس، بلينوس الأصغر وبيوفاليس. ألف الشاعر قصائد يمدح فيها الأباطرة ولعل أهمهم دوميتيانوس الذي ارتقى بفضلته إلى مصف الفرسان وهي أعلى رتبة حققها الشاعر. ألف كتاب "الإيبوغراما" أين يسرد لنا حياة المجتمع الروماني بشتى تفاصيله في قالب فكاهي.

⁴⁷⁷ Martial, *Epigrammes*, X, 62.

⁴⁷⁸ Quintilien, *Instit. Orat.*, I, 3.

ماركوس فايبيوس كوينتيليانوس، خطيب ومعلم لاتيني، ولد بمدينة كالاكوريس ناسيكا بمقاطعة إيبيريا. درس بروما ليمارس هناك وظيفة المحاماة مثل أبيه قبله، قبل أن يعود إلى مسقط رأسه أين استمر في مهنة المحاماة بالإضافة إلى تدريس فن الخطابة خلال سبع سنين. عاد بعدها إلى روما في عام 68 م، حين اعتلاء الإمبراطور غالبا إلى العرش، حيث مارس وظيفتي المحاماة والتعليم لمدة عشرين عاما، مقتنا خلالها أسس الخطابة، المرافعة، هيكله وضع الحجج وغيرهم من المفاهيم. أشهر مؤلفاته "معاهد البلاغة" الذي دونه في حوالي عام 95 م والذي يظم إثني عشر مجلدا.

⁴⁷⁹ Suétone, *Des grammairiens illustres*, 9.

بالتعذيب والتي لقت تشجيعاً من طرف الوالدين، مضيفاً أن مفاد تلك العقوبات تلقين الطفل أسس نفاق متفق عليه للتمكن من لعبة اجتماعية لا فرق بينها وبين لعب الأطفال سوى انعدام البراءة⁴⁸⁰.

يكن الهدف مما سبق في التركيز على أن العنف كان من ضمن السبل المتداولة في المجتمع الروماني وإن لا يمكن الجزم فيما إن كان سلوك الأطفال بمثابة وسيلة دفاعية ضد الثقل الذي يضعه المجتمع على عاتقهم أم أنه نمط تفكير راسخ ومتفق عليه، يبدو على الأقل أن قلة نضح الطفل كان محفزاً لم يُستهن به، حيث ينتقد بيترونيوس (Petronius) (نهاية القرن الأول ميلادي) ميول الأطفال إلى التسلي في المدارس⁴⁸¹، مما يبعدهم عن الانضباط والتركيز المنتظر منهم. في ذات السياق، كرس ك. لايس و. ي. شتروب مؤلفاً كاملاً لمرحلة الطفولة والشبيبة لدى الرومان تحت العنوان المعبر "الشبيبة وسنين القلق"، أين يفسر الباحثين مراحل النضح خلال الطفولة والمراهقة من منظور علمي، تجتمع فيه نتائج مختلف الأبحاث الحديثة، بحيث تتضح لنا منها خلفية لجوء الرومان إلى شتى سبل الإكراه أو الإكراه والتي تتلخص في ضبط الميول العفوي لتلك الفئة خلال مرحلة يمكن نعتها بالمجازفة (وإن كانت خلفيتها مرهونة بالتطور البيولوجي البحث) مما يؤول إلى التمرد على الواقع والراشدين⁴⁸².

قد نجد هنا عذراً لقسوة الأهل وحرصهم المستمر والتي يقف عليها الباحث ت. فيدرمان، حين يربط قسوة الرومان اتجاه الأطفال بالطبيعة الريفية البراغماتية للمجتمع ككل أين يُعد الأطفال، ليس قوة عاملة فحسب، وإنما ركيزة تقوم عليها طموحات الأهل، مشيراً إلى ضرورة الابتعاد عن اعتبارات المدارس التحليلية التي رأت في تلك الصرامة رغبة كامنة في موت الطفل⁴⁸³، باعتبار أننا فعلاً في ظل حضارة اعتادت على عرض أبنائها في الساحة العامة، قتل الرضع الشواذ، المعوقين والبنات⁴⁸⁴. من ناحية ثانية،

⁴⁸⁰ Saint Augustin, *Les Confessions*, I, 9 ; Iréné-Marrou, 1964, pp.397 à 399.

القدّيس أغسطينوس (354 م-430 م) كاتب، فيلسوف من مدينة تاغاست بنوميديا، من أم قديسة (مونيكا) وأب وثني (بتريكوس). يعتبر من أبرز آباء الكنيسة وأهم شخصيات المسيحية الغربية. درس المسيحية بمنهج عقلاني منطقي مدافعاً عن أسسها ومفاهيمها ولا سيما من خلال المقارنة مع غيرها من الديانات. أشهر مؤلفاته "الإعترافات" و"مدينة الله"

⁴⁸¹ Pétrone, *Le satirion*, 1^{ère} partie, 4, p.82.

⁴⁸² Laes et Strubbe, 2014, pp.1-2-16-228 à 232.

⁴⁸³ Wiedermann, 1989, p30.

⁴⁸⁴ للتفصيل في الموضوع، تراجع أبحاث:

Allély, 2004 ; 2018

Humbert, 2018, pp.145-146

فتهيئة مناخ تربوي بناء للطفل، تجتمع فيه الأم، المرضعة، العبيد وغيرهم، فضلا عن اهتمام الأهل بأولويات الطفل خلال كل مرحلة من مساره نحو سن الرشد⁴⁸⁵ وكذا القيم العائلية التي تحرص من خلالها العائلة على ترسيخ المبادئ الاجتماعية الكفيلة بتشكيل كائن ينفع المصلحة العامة، تشير كلها إلى اهتمام الأهل بمصير أبنائهم ضمن المجتمع وليس العكس.

نرى فيما تم تجسيده على التمثيلات الإيكونوغرافية من انضباط وتحكم في التعابير مرآة عاكسة لما اعتبره الأهل الصورة الأمثل للابن الذي تلقى ما يكفي من قساوة تربوية تؤهله لخدمة المصلحة العامة بمسؤولية ولما لا، صورة لما تمنى الأهل أن يكون الطفل عليه في العالم الثاني، فما نراه على الأنصاب نابع من منظور اجتماعي تمت ترجمته من الناحية الإيكونوغرافية بنفس الصفة لدى الفنتين، بحيث نجد كلتاها تتقاسم نفس الدلالات المعبرة عن القسوة المستوعبة. نتساءل عن سبب عدم الفصل بين الفنتين على أساس السن أو غياب النضج الحركي والمعرفي أحيانا، خاصة إن لم يكتمل اندماجهم ضمن العائلة والمجتمع قبل الوفاة.

في إطار التنشئة الاجتماعية دوما، يلجأ بليينوس الأصغر إلى صفات تشير عموما إلى ضرورة التحفظ، لكن في رسالة موجهة إلى لوكيلوس، عبر المؤرخ عن حزنه الشديد لخبر وفاة الطفلة مينيكيا، ابنة صديقه فوندانوس، في سن الثالث عشرة ويقول في وصفه للمتوفية، أنها كانت تجمع بين حذر الشيوخة (*Prudentia*) وهيبية المرأة الراقية (*Matronalis gravitas*)، فضلا عن العفوية البحتة (*Virginali*) و (*verecundia*)، لطف الطفولة (*Suavitas puellaris*)، الإنصاف في تعاملها مع الناس والانضباط في

⁴⁸⁵ Rawson, 2005, p.2.

يراجع كذلك مقال ك.برادلي الذي تطرق فيه بالتفصيل إلى دور استئناس الحيوانات الأليفة في المجتمعات القديمة والحديثة ولاسيما من طرف الطفل وبداخل البيت العائلي، في تنمية الإحساس بالمسؤولية، الإجابة على بعض التساؤلات، تنمية الجانب العلائقي، الإحساس بالأمان وحتى تقدير الذات. Bradley, 1998, pp.540-541.

دراستها⁴⁸⁶. نرى أن المؤرخ مزج لدى مينيكيا ما بين سلوك النضج التابع لفئة الراشدين (الحذر، الهيبة، العدل، التركيز والانضباط) وذلك التابع لعالم الطفولة (العفوية، النية واللفظ).

يعكس كل ما سبق على العموم صفات الراشد الذي استوفى مراحل النضج العقلي والمعرفي مع اكتمال تشتتته الاجتماعية ويبدو أن ينطبق الأمر على الأطفال في مسارهم التجريبي نحو النضج. قد يكون استياء بليينوس الأصغر لوفاة الطفلة مينيكيا نابعا من علمه بأن مثل هكذا صفات يصعب أن تجتمع في الطفل خلال مرحلة البويريتيا ولو أنها كانت على أبواب الزواج، كما يوحي انبهاره أمامها بأنها كانت على الطريق الصائب كي تؤدي مهامها المستقبلية كربة بيت متواضعة وأم منضبطة. إن ذلك المزج بين التحفظ والبراءة لا يغيب بدوره عن التمثيلات الإيكونوغرافية وانطلاقا مما سبق، قد لا يكون عفويا.

يحن بعدها المؤرخ إلى وجع الأب وذلك لسبب محدد، حيث كانت مينيكيا صورة طبق الأصل لملاح أبيها مما زاد من حدة الألم⁴⁸⁷. يعزز ما سبق مكانة الصورة في مفهوم الذاكرة لكن أبعد من ذلك، يوحي بأن مسار الحداد جراء وفاة الأطفال قد يكتسي نفس القسوة التي تنطبق على الراشدين، حيث بالرغم من النبذ المتفق عليه في المصادر، فتداول مسألة الحداد الخاصة بالأطفال وكيفية التعامل معها لدى المؤلفين القدامى، يعكس اعتياد الرومان على إطلاق العنان لمشاعر الضرر أمام موت ابن أو بنت، حتى وإن لم يتجاوز الطفولة المبكرة⁴⁸⁸.

3. سيرورة الحداد

يكمن الهدف مما سيلي في محاولة إبراز الطابع النسبي لما يرد في المصادر فيما يتعلق بمسألة الحداد عموما وحداد الأطفال خصوصا. كما أشرنا إليه في بداية الفصل، لم تكن مرحلة الحداد لدى الرومان واقعا عائليا فحسب، يعيشه الأهل في صمت إلى غاية زوال الفاجعة وإنما مسار يتدخل فيه الدين

⁴⁸⁶ Pline le jeune, *Lettres à Marcellin*, V, 16, p.397 à 399.

لمعلومات أدق حول الرمزية الثرية لمشهد مينيكيا على تابوتها، يُراجع: Galinier, 2004.

⁴⁸⁷ Vous le louerez quand vous songerez à ce qu'il a perdu. Il a perdu une fille qui n'avait pas seulement la manière, l'air, les traits de son père, mais que l'on pouvait appeler son portrait, tant elle lui ressemblait. Pline le jeune, *Lettres à Marcellinus*, V, 16, p.399.

⁴⁸⁸ Sénèque, *Lettres à Lucilius*, XCIX.

والمجتمع بكامل ثقلهم. بمجرد وفاة فرد من العائلة، تنتقل هذه الأخيرة إلى مصف ضرفي جديد جراء تلوثها بالطاقة السلبية للموت (*Familia Funesta-Funestata*) وذلك نظرا لوجود المتوفي في إطار الأحياء. انطلاقا من ذلك، فهي تهدد بدورها بتلطيخ العائلات النقية (*Pura*) بنجاسة الموت⁴⁸⁹. تفوق النجاسة هنا مسألة التعفن الجسدي لتصبح مسألة دهشة ورعب أمام مفهوم الاندثار الذي بات واقعا.

على المستوى الاجتماعي، فلكل مكانته وتبقى الأولوية للأحياء؛ أما المتوفي، فلم يعد ينتمي إلى عالم الأحياء⁴⁹⁰ ولا بد من المباشرة بخطوات مقننة لتسجيله في محيطه الجديد. تبقى العائلة في وضعيتها الاستثنائية لمدة تدوم تسعة أيام تشكل مرحلة الحداد الرسمية (*Feriae denicales*) والتي تنطلق مباشرة بعد المأدبة الجنائزية (*Silicernium*)، لتختتم بأضحية تطهيرية قربانا للآلهة مانس (*Novemdiale sacrificium*)، مصحوبة بمأدبة أخيرة في اليوم التاسع.

(*Cena novemdialis*)، كما قد تُنظم ألعاب في ذات اليوم لتكريم ذاكرة المتوفي⁴⁹¹ (*Novemdiales ludi*) والتي تتخذ طابعا احتفاليا لما يتعلق الأمر بالعائلات الأرستوقراطية على مستوى الفوروم⁴⁹². تنتظر حينها العائلة بينما يندمج المتوفي رسميا ضمن محيطه الجديد. يرد لدى ج. ك. فواسان أن تطهر العائلة لا يتم عند نهاية فترة الحداد وإنما بمجرد إتمام طقوس رمس المتوفي بحيث، كما ذكرنا في مقدمة البحث، إتمام الطقوس هو ما يضمن استرجاع العائلة مصفها ضمن المجتمع لكن الاحتفال برفع الحداد ونجاسة الموت يتم خلال مأدبة اليوم التاسع⁴⁹³.

نشير في هذا الإطار إلى دراسة إ. موريس⁴⁹⁴ التي تختلف بعض الشيء عما هو متداول في الأبحاث فيما يخص سيرورة الحداد، حيث يقسمها إلى ثلاثة مراحل أساسية:

⁴⁸⁹Scheid, 1984, p.118.

⁴⁹⁰Dumézil, 1966, p.367 Cité dans Scheid, 1984, p.118.

⁴⁹¹Saglio (1877). *Novemdiales*. Dans DAGR, p.110 ; Monchablon, *Dictionnaire abrégé d'antiquités*, 1792, p.448 ; Carroll, 2006, p.4.

⁴⁹²Bodel, 1999, p.260.

⁴⁹³Voisin, 2014, p.93.

⁴⁹⁴Morris, 1992, p.10.

- طقوس الفراق وتشمل عموماً كل ما يسبق غلق القبر ابتداءً من يوم الوفاة. يشير مصطلح الفراق من جهة، إلى حدة الضرر الذي ينجر عن الوفاة ومن جهة ثانية، إلى الإقصاء الظرفي للعائلة، فالمعنى هنا يتعلق بفراق المتوفي كذلك بالظرف الذي يكلف العائلة انسحاباً اجتماعياً ريثما تسترجع مصفها المألوف.

- طقوس إدراك الوضع وهي بالنسبة للباحث مرحلة الحداد، التي تختلف من شخص إلى آخر من حيث الحدة، الوقت والسبل المختارة من طرف حاملي الحداد لمواجهة⁴⁹⁵.

- طقوس الإدماج وهي مرحلة عودة العائلة إلى المصف النقي وإلى الحياة الاجتماعية.

نرى أن العودة إلى المألوف بالنسبة ل إ. موريس لا تتم مباشرة بعد إقامة مأدبة اليوم التاسع التي من المفروض أن ينتهي معها الحداد، ذلك لأنها خطوة تستوجب التفاعل مع واقع جديد يغيب فيه المتوفي لأول مرة.

ارتئيناً فيما سيلي العودة باختصار على المصطلحات المعبرة التي تتردد في المصادر لتجسيد مفهوم الحداد لدى الإغريق وخاصة الرومان والتركيز على مرحلتين بالتحديد وهي: الرثاء بضرب الصدر (*Planctus*) والترجي (*Supplicatio*)، أين ينتقل من خلالهما الاستياء من حالة نفسية فردية إلى طقس جماعي له ثقله في التعافي.

فيما يتعلق بالمصادر الإغريقية، يسرد لنا أرسطو جملة من المشاعر لا يرد الحداد من ضمنها⁴⁹⁶. آل ذلك ببعض الباحثين إلى اقتراح إقصاء الحداد من الحالات النفسية المعترف بها لدى الإغريق⁴⁹⁷، لكن

⁴⁹⁵ تُقسم كذلك ف. بريسكندي مرحلة الحداد إلى ثلاثة مراحل تلقى وتقسيم إ. موريس، فقط أن المرحلة الثانية والتي هي إدراك الوضع بالنسبة ل إ. موريس، تعتبرها الباحثة مرحلة إنقالية بالنسبة للعائلة من خلال التهميش المؤقت. يكمن الفرق في أن مرحلة إدراك الوضع بالنسبة ل إ. موريس لاعلاقة لها بالمحيط بل بعملية استيطان تؤول إلى تقبل الوضع. يأتي تقسيم الباحثة كالتالي: مرحلة الفراق، تليها مرحلة التهميش وأخيراً مرحلة الإدماج.

Prescendi (2019). *Deuil*. Dans Dictionnaire des corps dans l'Antiquité, p.185.

⁴⁹⁶ الغضب، الحب والكراهية، الخوف، الإحساس بالعار، الإحسان، الشفقة، السخط أي الغيرة الأخلاقية، الحسد، التمني، سلوك الشباب، سلوك الأثرياء، سلوك السعداء، العفة (الإعتدال)، الإفراط و النقشف.

Aristote, *Rhétorique*, II.

⁴⁹⁷ Konstan, 2006 cité dans Prescendi, 2008, p.298.

إن عدنا إلى أفلاطون (Plátōn)، في وصفه لجنازة رقيب بأثينا، نرى المفكر يشير إلى السلوك المستوجب تفاديه ومن ضمن ذلك البكاء والرثاء، كما يبحث على تقنين منع البكاء والصراخ خارج البيت وأثناء نقل المتوفي أيا كانت شريحة المجتمع⁴⁹⁸، مما يوحي بالتداول الفعلي لسلوكيات الحداد لدى المجتمع الإغريقي. ترد لدى بلوتارخ إشارات أخرى تتعلق بإصلاحات الحاكم صولون فيما يتعلق بالجنازة وبسلوك النساء خلالها، أين يلجأ إلى مصطلح الحداد⁴⁹⁹، مما يثبت اعتياد الإغريق على التعبير عن استيائهم باللجوء إلى سلوك آل بالحكام إلى الحد منه قانونيا.

أما لدى الرومان، فالحداد مسألة نظمها القانون منذ الفترة الملكية وبالتحديد فترة حكم الملك نوما، سواء تعلقت الوفاة بالأطفال أو بالراشدين ونلاحظ ليونة اتجاه النساء فيما يتعلق بالفترة الزمنية وبكيفية مواجهته⁵⁰⁰. إن كان الرجل معنيا بالضرر الذي ينجر عن وفاة الأقربين، نجد في المصادر نبذا تاما أو قبولا استثنائيا للتعبير عنه ويتجسد ذلك تارة في سخط واحتقار بلينوس الأصغر لريغولوس جراء إفراط هذا الأخير في التعبير عن ضرره إثر وفاة ابنه (وذلك يعود جزئيا إلى احتقار الكاتب لشخصية ريغولوس عموما)⁵⁰¹ وتارة أخرى في تقديره للألم الذي واجهه فوندانوس جراء وفاة ابنته مينيكيا⁵⁰²، هذا ونتذكر أن مواساة بلينوس لفوندانوس نابعة من ندرة طبع مينيكيا وليس بالضرورة تفهما لرد فعل الأب. لم يجد بدوره سينيكيا أي عذر لانفعال صديقه مارولوس جراء وفاة ابنه⁵⁰³. في رسالة موجهة من الإمبراطور م. أوريليوس إلى ك. فرونتو (Q.Cornelius Fronto)، يذكر الإمبراطور وفاة ابن أستاذه، القتل هيروداس أتيكوس (Herodes Atticus)، مشيرا إلى الاضطراب الشديد الذي انتاب نفسية الأب (*Non aequo animo fert*)⁵⁰⁴. لما نعلم حرص الإمبراطور على ضرورة التحكم في المزاج (*Aequanimitas*) تبعا لتعاليم

⁴⁹⁸Platon, *Lois*, XII, 3 et 9.

⁴⁹⁹Plutarque, *Solon*, XV et XXIX.

⁵⁰⁰Sénèque le jeune, *Consolation à Helvia*, 3 et 16.

⁵⁰¹ما زاد من سخط المؤلف هو نبذه لشخصية ليغولوس برمتها ويخبرنا أن حتى حداده تسبب في خلق اضطرابات في المدينة وأن خلق

الاضطرابات تلك قد منحه راحة في حداده. Pline Le Jeune, *Lettre à Clemens*, IV, 2, p.255.

⁵⁰²Pline le jeune, *Lettre à Marcellinus*, V, 16, p.397 à 399.

⁵⁰³Sénèque le jeune, *Lettre à Lucilius, Sur la mort du fils de Marullus. Divers motifs de consolation*, XCIX.

⁵⁰⁴Fronton, *Correspondances*, pp.162-163.

المدرسة الرواقية وقيم روما التي لطالما كرسها، نفهم نبذه لموقف هيروُدس أتيكوس ونلتمس في نفس الوقت نوعا من التفهم لما يطلب من ك. فرونتو أن يرسل القنصل لمواساته في حيرته⁵⁰⁵. نركز أخيرا على عزاء الشاعر ستاتيوس (Statius) لصديقه أتيديوس ميليور إثر وفاة ابنه، بحيث يشير الشاعر إلى درجة ضرر آلت بالأب إلى ضرب الصدر (Planctus) والبكاء الصارخ⁵⁰⁶ ونحن نعلم أنها محل تفهم مؤقت أو نسبي بالنسبة للنساء؛ ليضيف الشاعر أنه مضطر لأن يشارك رفيقه نفس الشعور.

نستنتج مما سبق أن تداول التجاوزات خلال سيرورة الحداد، سواء تعلق الأمر بالأطفال أو بالراشدين، هو ما شكل حافزا لتركيز المصادر الأدبية والقانونية على ضرورة التحكم في الذات وبذلك، فرتاء المتوفي، أيا كانت فئة العمر، يعد بمثابة سلوك شائع ولو منبوذ.

أما النساء، فقد تم تقنين وتحديد فترة الحداد بعشرة أشهر لما يتعلق الأمر بالزوج، الأخ أو الابن⁵⁰⁷، لكن كما سبق الذكر، يبقى حداد النساء محل ردود فعل نسبية؛ لما نعود إلى سينيكا، في عزائه لأمه هيلفيا، نرى أنه يحث هذه الأخيرة على التحلي بضبط المشاعر والتعالي عن مواقف الضعف الشائعة لدى جنس الإناث، مساندا مبادرة القانون للحد من فترة الحداد "دون إغائها"، بحيث يرى في ذلك ضمانا للتوازن ما بين إصرار المرأة على التعبير عن آلامها وضرورة عدم التمادي في ذلك⁵⁰⁸.

فيما يتعلق بحداد الأطفال، فهو درجات وبينما لا حداد يُذكر بالنسبة للأقل من سنة وفقا لأوليبيانوس، نجد تنظيم القانون لحداد جزئي أو نسبي لمن قلت أعمارهم عن 3 سنوات، بينما ابتداء من 3 سنوات إلى غاية 10 سنوات، فشهرا لكل سنة⁵⁰⁹. نرى أن المتوفين خلال الطفولة المبكرة مقصين تماما ويمكن إحالة ذلك الوضع مرة أخرى إلى نسبة الوفيات العالية خلال السنة الأولى أو إلى عدم منح الطفل إثما لما تأتي الوفاة خلال الأسبوع الأول؛ هذا وتشير دراسة ب. زانكر إلى أنه، بالرغم من ندرتها، فالتوابيت التي تحمل

⁵⁰⁵ لتفاصيل أدق حول نضرة الإمبراطور لمرحلة الطفولة، يراجع الفصل الأول من مؤلف من مؤلف 6 à 11 Wiedermann, 1989, pp. 6 à 11

⁵⁰⁶ Statius, *Silvae*, II, 1, pp.77.

⁵⁰⁷ Dasen, 2006, p.3.

⁵⁰⁸ Sénèque le jeune, *Consolation à Helvia*, 3 et 16.

⁵⁰⁹ Plutarque, *Numa*, p.156 ; *Fragmenta Vaticani*, 321.

مشاهد رثاء عائلي، غالبا ما تخص فئة الأطفال، مع أغلبية للذكور⁵¹⁰. توحى هنا المخلفات الأثرية بأن القانون لم يكن يؤخذ بعين الاعتبار لما يتعلق الأمر بضرر فقدان الأهل لأبنائهم.

نلتمس من شهادات المصادر هاجسا ما بين القانون الذي ينظم الحداد (أيا كانت فئة العمر) والمشاعر المرتبطة به. في هذا السياق، يلجأ بعض المؤلفين القدامى إلى مصطلحات توحى بصرامة وتفهم للوضع في آن واحد. تطرق بلينوس الأقدم⁵¹¹ إلى وجه من أوجه الحداد وهو القابلية على البكاء التي يصفها بشعور ينفرد به الإنسان، بينما يربطه كيكرو، تبعا للرواقيين، بالحزن (*Aegritudo*) المضر والذي يمكن التحكم فيه⁵¹²، بالتحديد إذا تعلق الأمر بالأطفال في حين يدعو إلى تجاهله بالنسبة للمواليد الجدد⁵¹³. أما بالنسبة لسينيكا⁵¹⁴، فالحداد نابع من ما قد نشبهه بالحنين إلى الفقد (*Desiderata, desiderissimus*) الذي يحيي ألم فقدان بمجرد حدوث موقف يذكرنا بالمتوفي. بذلك، فالحداد بالنسبة لسينيكا بمثابة جرح دام يصعب تضيده لكن يحث، كبقية المؤلفين القدامى، على مقاومة تلك الانفعالات معتبرا الوفاة نهاية للمشقات⁵¹⁵.

بالرغم من تداول الشهادات المتعلقة "بوصفة الحداد المثالية"، نجد مصطلحات أخرى تعكس هذه المرة مشاعر المؤلف وليس فكره، على غرار مصطلح "*Casus*" أي "المصيبة" والذي يلجأ إليه تاكيتوس حين يروي لنا وفاة ابن قائد الجيش أغريكولا في السنة الأولى من عمره وردة فعل الأب المثالية⁵¹⁶ (سنصادف هذا المصطلح في أحد أنصاب عينتنا، المهدي إلى يوليا إيغيا)، بينما يعترف كيكرو، رغم نبذه للحداد

⁵¹⁰Zanker, 2012, p.60.

⁵¹¹Pline L'ancien, VII, p.5 (Trad. page 4).

⁵¹²Cicéron, *Tusc.*, IV, 7.

⁵¹³Cicéron, *Tusc.*, I, 39.

⁵¹⁴Sénèque, *Lettres à Lucilius*, XLIX, 1, p.23.

لتفاصيل أكثر حول أشكال الحداد المتداولة لدى المجتمع الروماني، نجد وصفا غير مباشر لها من خلال تحليل لخلفياتها لدى بعض المؤلفين، على غرار بلوتارك، لوكانوس وسينيكا

Plutarque, *Consolation à sa femme*; Lucain, *La Pharsale*, II; Sénèque, *Lettres à Lucilius*, LXIII.

⁵¹⁵ نجد المصطلح الذي يلجأ إليه سينيكا على نقيشتين من مدينة قيصرية (طفلا يبلغ من العمر سبعة سنوات و طفلة تبلغ من العمر سنة)

CIL VIII, 21134 ; CIL VIII, 21136

⁵¹⁶Tacite, *Agricola*, XXIX, 1.

المفرط ولاسيما ذلك الخاص بالرضع والأطفال، أن الطبيعة كانت قاسية أُنجاهم حين استرجعت ما وهبتة
بتلك السرعة⁵¹⁷.

نشير إلى عنصر أخير لا يقل أهمية عن المشاعر وهو الطابع الطقوسي لها، حيث بالرغم من نبذ القانون
والأعيان لمضمونه، فكلاهما يعترف بضرورة التعبير عن الاستياء بشتى السبل احتراماً للمتوفي. يعني
ذلك أن الحداد مرحلة مقننة في سلوكياتها، يُسمح فيها بطلق العنان للمشاعر خلال جنازة المتوفي احتراماً
له ولذاكرته، سواء تعلق الأمر بالرجال أو النساء⁵¹⁸.

في ذات السياق، تقترح ف. بريسكندي، في مقال خصصته لسيرورة الحداد، قراءة معمقة معتمدة على
وصف لوكانوس (Lucanus)⁵¹⁹، أين تمنح للحداد مصفا يفصله عن بقية المشاعر. تعتبر الباحثة أن
التعبير عن شعور أو انفعال مثل الغضب والخوف مرهون بإحداثيتين: من جهة، نية الملحق بالضرر
ومن جهة ثانية، قيمة الخسارة، بينما الحداد، فهو شعور مستقل عن من يحيط بنا ولا يمكن فيه تقييم
الضرر وفقاً لهم، فقط تقييم الخسارة؛ يتم حينها إسقاط الألم في شكل لوم على القضاء والقدر، حيث يعتبر
المضرور نفسه ضحية الحياة في هيكلتها أي ضحية الآلهة⁵²⁰.

نفهم هنا أن خلفية تداول مصطلحي القضاء (*Fatum*) والخطف (*Raptus*) في النقائش الجنائزية ليس
عفويا وإنما نابع من شعور بل نظرة متفق عليها توحى برفض للأمر الواقع. تقترح من جهتها ن. لورو
تحليلاً يعتمد على المعنى الفيزيائي أي الجسدي للموت، بحيث لا يمكن تقييم درجة القرابة وبالتحديد
رابطة الأم بالإبن إلا جراً إختفاء ذلك الحضور الفعلي⁵²¹.

في هذا الصدد، نجد دعماً في الأساطير الميثولوجية لنساء آل بهن ضرر فقدان الأبناء إلى الانتقام
ونذكر منهن هيكوب جراً وفاة ابنيها أو كليتمسترا التي عاقبت زوجها بالقتل جراً إهداء الأب لإيفيجينيا

⁵¹⁷ Atqui ab hoc acerbius exegit natura quod dederat. Cicéron, *Tusc.*, I, 39.

⁵¹⁸ Cicéron, *Tusc.*, III, 61 cité dans Sterbenc Erker, 2004, pp.267-268.

⁵¹⁹ Lucain, *La Pharsale*, II.

⁵²⁰ تقترح أ. كيث دراسة معمقة لتعابير الحداد التي يسردها لوكانوس. يراجع. Prescendi, 2008, p.299.

⁵²⁰ Keith, 2008, pp.233-257

⁵²¹ Loraux, 1998, p.35.

قربانا للآلهة⁵²². نذكر في ذات السياق تلك العفاريت التي إعتاد الرومان والإغريق على ربطها بعودة الأطفال بعد الموت لتعذيب الأحياء، على غرار لاميا، أمبوسا، مورمو، ستريكس أو جيلو. كلها عفاريت أنثوية لكن بالنسبة للاميا ومورمو، فكانتا قبل ذلك أمهات أخفقن في حماية ذريتهن وفي تحقيق هدفهم الاجتماعي وهو الأمومة⁵²³. نلتمس من قصة لاميا ومورمو درجة تأنيب الضمير الذي خلفه فقدان واختفاء الأبناء من الحيز العائلي. لما نتذكر مصف المرأة في العالم القديم (والحديث إلى حد معين) والذي يتبلور في قابليتها على الإنجاب، يمكن أن نعتبر تأنيب ضمير لاميا ومورمو تجسيدا لوضعية النساء اللواتي لم توفقن في إبقاء أبنائهن على قيد الحياة وهو ما تلخصه ف.داسن في عبارة "الحداد المستحيل"⁵²⁴.

أما فيما يتعلق بالمراحل التي ركزت عليها ف. بريسكندي، فسبق وأن ذكرنا الرثاء (المصحوب بضرب الصدر) (*Planctus*) والترجي (*Supplicatio*)⁵²⁵ وهي تخص النساء كما أنها تتم في تظاهرة جماعية⁵²⁶ (الصورة رقم 17).

⁵²² Loraux, 1998, p.50.

⁵²³ Iles Johnston, 1995, pp.367-368 et 369

⁵²⁴ Dasen, 2006.

⁵²⁵ Prescendi, 2008, pp.301-302-308-310

⁵²⁶ Prescendi, 2008, p.305-306.



الصورة 17: نحت من قبر عائلة هاتيري، يجسد مشهد جنازة لامرأة من العائلة محاطة بحاملي الحداد والعييد يرثون المتوفية بضرب الصدر والترجي الجماعي. (Musée du Vatican, Rome). Trimble, 2018, p.337, fig.12.8
<http://arachne.uni-koeln.de/item/marbilder/5088318>

اعتادت النساء بروما على اللجوء إلى الرثاء برفقة خدم البيت. نرى مبدئياً الطابع الجماعي للفعل والذي تم تجسيده في شتى التمثيلات الإيكونوغرافية. أما عن الترجي، فيتم كذلك في إطار جماعي وبمطالب، يقول لوكانوس، اعتادت الآلهة على سماعها⁵²⁷، باعتبارها موجهة لها وهدفها إثارة العطف⁵²⁸. يسمح ذلك الطابع الجماعي، على حد تحليل الباحثة، بإفراز قسط من الاستياء مما ينجر عنه التخفيف من الألم ومنع حامل الحد من أن يبقى سجين حلقة دائمة، كما يضمن توجيهها سليماً للألم⁵²⁹.

⁵²⁷ Lucain., *bell. civ.*, 2, 28-41 cité dans Prescendi, 2008, p.309.

⁵²⁸ Linke, 2003, p.71 cité dans Prescendi, 2008, p.309.

⁵²⁹ Prescendi, 2008, p.306.

بعبارة أوضح، يسمح البكاء والصراخ بالخروج من الفاجعة وتحرير الطاقة السلبية المكبوتة جرائها. بذلك فسيرة الحداد التي ينبذها المؤلفون في المصادر، لأسباب ثقافية، فلسفية أو دينية، تعد ردة فعل سليمة تسمح باسترجاع الاتزان النفسي والعقلي. قد يكون ذلك هو الرد الذي بحث عنه الملك نوما حين نظم وحدد فترة الحداد ولم يمنعها، كما قد يكون ذلك سبب اللجوء إلى الطابع الطقوسي للحداد والذي يحمل شقين، شق ذاتي من خلال توجيه الضرر وإفرازه في تظاهرة جماعية وشق موضوعي، مفاده تكريم ذاكرة المتوفي⁵³⁰؛ فالتقييم السليم للدور الذي يؤديه الحداد هو ذلك الذي تُعتبر فيه ضرورة انفجار الألم بصفة أو بأخرى، ثم منحها صبغة جماعية حتى يتسنى للجميع تحمل ثقل الفاجعة، لتنتقل بعدها سيرة العودة إلى المؤلف. نلاحظ أن حدة الاستياء تلك لم تستثنى، في المصادر، فئة الأطفال.

نشير في هذا الصدد إلى التحليل الذي اقترحه د. غوروستيدي بي والذي تعزز فيه ما سبق ذكره معتبرة وجود سلوك مزدوج، ذلك المقبول اجتماعيا والقائم على ضرورة التحفظ مثلما يرد في المصادر والسلوك الخاص بالمشاعر وكيفية التعامل مع وطأة الفراق والفاجعة، خاصة إن تعلق الأمر بموت مبكرة وبالتحديد لدى الشرائح البسيطة من المجتمع التي تعبر عن آلامها وأفراحها بعفوية أكبر. تضيف الباحثة أن الميكانيزمات الدفاعية المذكورة أعلاه، بمثابة ردة فعل طبيعية⁵³¹.

يتيح ما سبق فرصة إعادة تقييم ما أتى في المصادر ولاسيما ما يتعلق بفئة الأطفال عموما، سواء تعلق الأمر بالحداد أو ما هو متداول في تاريخ الأبحاث حول الموت المشؤومة. هو ما تدعو إليه م.كارول اعتمادا على تداول المعالم التذكارية الخاصة بالأقل من سنة، حيث بالرغم من قلتها وبساطتها، فهي منتج استثمار مالي غير متاح للشرائح المعوزة من المجتمع، في حين تلاحظ الباحثة ذكر الأهل لسن الوفاة بالتدقيق، معتبرة ذلك بمثابة شاهد رمزي على حدة الاستياء⁵³².

⁵³⁰Cicéron, *Tusc.* III, 61 Cité dans Sterbenc Erker, 2004, p.267.

⁵³¹Gorostidi Pi, 2019, p.72-73-83-84

تُراجع كذلك قراءة ك. هوبكينز حول الفروقات التي تفصل الثقافات، ما يجمعها أمام مسألة الحداد ووضع الرومان ما بين المصادر الأدبية والأثرية

Hopkins, 1983, pp.220 à 226.

⁵³²Carroll, 2018, pp.157 ; Gorostidi-Pi, 2019, p.73.

انطلاقاً مما سبق، نحتّم بدورنا أن تم إسقاط ذلك الضرر على الأنصاب الجنائزية الرومانية سواء بروما أو ببقية المقاطعات لكن مع خلفيات إيكونوغرافية نحتملها خاضعة إلى ما قد يكون معادلة طقوسية: من جهة، من خلال الطابع المزدوج: دنيوي (مصنف الطفل والذاكرة) وأخروي (مصير الطفل ضمن عالم المانس)، ومن جهة ثانية، من خلال تدخّل شتى معطيات النقيشة لتعزيز رسالة المشهد وذلك، أملاً في حفظ ذاكرة المتوفي لدى الأحياء لكن خاصة في لغة يفهمها الآلهة.

إن يتم أحياناً تمثيل الطفل بملاح البراءة وهيئة تناسب وسنه، ففي غالب الأحيان، يأتي على هيئة شخص راشد بكل ما يتبع ذلك من تعابير مثيرة للانتباه إن لم نقل للحيرة. نصادف كذلك المزج بين الاثنين، أي الضرف الآني (الملاح المتفقه مع السن) وهيئة المستقبل (الاكتمال الجسدي وتعابير النضج). قد يشير ذلك المزج إلى حرص الأهل، وبالرغم من صرامة التعابير، إلى الحفاظ على يذكّهم بعفوية ولطف المتوفي.

في ذات السياق، يحتّم م.إ. فينلي بأن الطفولة مرحلة غير واضحة المعالم وكأنها لحظة يتوقف فيها الزمن ليعود إلى سياقه عند بلوغ الطفل سن الرشد وعلى هذا الأساس، فما الطفل على التمثيلات الإيكونوغرافية إلا راشداً مصغراً⁵³³. يمكن تسجيل ما سبق ضمن مفهوم أقدم في تاريخ الأبحاث والذي يُعرف بنموذج الطفل العجوز (The puer senex motif). أول من باشر باقتراحه هو أ. ر. كورتنيوس عام 1956 في إطار دراسته لتأثيرات العالم القديم على أدب العصور الوسطى ولا سيما منها التأثيرات الإغريقية-الرومانية على مختلف المنتجات الفكرية. لاحظ الباحث اتساع تلك التأثيرات إلى التمثيلات الإيكونوغرافية في تمثيل الطفل بتعابير وهيئة تمزج بين حكمة الشيخوخة وبراءة الطفولة. هو ما يدمجه الباحث ضمن مفهوم "التوبوس" (Topos) أي ذلك المفهوم المحوري الذي يقطع القرون بتشعباته دون فقدان معناه الكامن⁵³⁴ والذي يُدمج هنا تمثيل الأطفال في هيئته راشدة على مختلف مشاهد العصور الوسطى. تأتي بعده ت.س. كارب لتربط "توبوس" الطفل العجوز بما يرد على مشاهد الأطفال في كلتا الحضارتين الإغريقية والرومانية لكن بتحليل يبقى قائماً على إسقاط الوالدين لاستيائهم وعلى الرغبة في

⁵³³Finley, Falkner et De Luce, 1989, p.5 Cité dans Dasen, 2017, pp.266.

⁵³⁴Curtius, 1956 Cité dans Ferrand, 2001.

تجسيد طموحاتهم المجهضة⁵³⁵. يعود الفضل إلى ف.داسن، التي، بالرغم من توفر مشاهد تجسد الطفل المتوفي على هيئته وبملاحح الطفولة⁵³⁶، احتملت في إطار مقال أن تفوق المسألة آمال الوالدين، لتعتبر وجود ذاكرة سابقة لأوانها أو "الذاكرة المسبقة" (Mémoire anticipée)؛ هو نفس المفهوم الذي نجده لدى م. كارول تحت عبارة "الذاكرة المتخيلة" (Mémoire imaginée) لكن دوما بخلفية الإسقاط⁵³⁷.

اتسعت دراسة ف.داسن إلى اقتراح تصنيف للمشاهد في شكل مفاهيم تتلخص فيما يلي:

-الذاكرة المسبقة⁵³⁸ لما يمزج المشهد بين تفاصيل الطفولة وهيئة وتعابير الرشد (الصورة رقم 19 و 20)

-الطفولة الأبدية⁵³⁹ لما يأتي الطفل في هيئة رضيع أو طفل مجنح.

-الطفل المؤسس أو "الطفل الجد"⁵⁴⁰ لما يتم تجسيد الطفل في تمثيل نصفي على خلفية النصب، مصحوبا بالولدين في المقدمة. في الحالة الأخيرة، ترى الباحثة أن هنالك سعي لتعويض المتوفي حرمانه من الخطبة الجنائزية والقناع الجنائزي⁵⁴¹، كما تحتمل وجود حوار مجازي يُعد إسقاطا لأمل الوالدين في أن يحظى الطفل بفرصة تأسيس عائلة يكون فيها يوما بمثابة الجد. إن اقتصر النوع الأخير على الأرسطوقراطيين والأحرار خلال الفترة الجمهورية، فقد اتسع بعدها ذلك النمط الإيكونوغرافي تدريجيا إلى المعتوقين ويُحتمل حتى العبيد⁵⁴² (الصورة رقم 18).

⁵³⁵Carp, 1980, pp.736 à 739.

⁵³⁶Dasen, 2006, p.6.

⁵³⁷Carroll, 2011, p. 112.

⁵³⁸Dasen, 2017, p.270.

⁵³⁹Dasen, 2017, pp.280-281.

⁵⁴⁰Dasen, 2017, pp.275-276.

⁵⁴¹ بالرغم من ذكرها في المصادر وتقنيها في إطار قانوني (*Ius Imaginum*)، فهي نادرة جدا وفي إفريقيا أحد أقدمها يعود إلى مصر الفرعونية وهو قناع "تيتي"، ملك الأسرة السادسة. أما في باقي إفريقيا، فتم العثور على أحدهم بسرديب مدينة حصرموت بتونس سنة 1905 لتأتي بعدها اكتشافات سليم هادي بمدينة تيسروس (الجم) بتونس، حيث أثبت الباحث وجود ورشة مخصصة لإنتاج الألقعة الجنائزية قرب منزل لوكيوس فيروس والمؤرخة بالقرن الثالث ميلادي.

Slim, 1976, pp.80, 81 et 89.

⁵⁴²Dasen, 2017, p.275.

الصورة 18 : نحت بارز يمثل الوالدين والابن في الخلفية في هيئة تذكر بالقناع الجنائزي لأجداد العائلة. متحف الفاتيكان. روما. عن: Dasen, 2017, fig.13, p.275.



الصورة 19: نحت بارز لسيكوندوس، عامين و6 أشهر. عن: Musée Dasen, 2017, fig.7, p.269. d'Aquitaine



الصورة 20 : جذع لطفل بملامح الطفولة يرتدي معطفا مثبت بإبزيم. عن:

Dasen, 2017, fig.4, p.269.

نلاحظ في الصورة رقم 19 أن سن المتوفي لا يناسب ملامح الوجه ولا الهيئة المكتملة، بينما في الصورة رقم 20، فنرى أن تفاصيل الملامح طفولية، في حين تشير تسريحة الشعر إلى الراشدين وبالتحديد الأباطرة، كما لا يتناسب المعطف المثبت بإبزيم على الكتف بسن المتوفي⁵⁴³. أما عن تعابير الوجه، فهي تتفق مع قيم التنشئة الاجتماعية الرومانية حيث تلتقي في مفهوم العفة (*Pudicitia-Pudor*).

نقترح فيما سيلي دراسة لعينة مكونة من 20 نصبا وتابوتا تم انتقائهم على أساس وضوح المشهد بكل مكوناته (ملامح، لباس، رموز جنائزية، زخارف بشتى أنواعها) وتوفر النقيشة، مع التركيز في الحالة الأخيرة على رابطة النسب، الصفات التي يُنعت بها الطفل وكذا الرموز التي تمنح للنصب شرعية تجعلها أداة طقوسية، سعياً منا لتحديد ما إن كانت مفاهيم الذاكرة المسبقة، الطفولة الأبدية والطفل المؤسس متوفرة في المقاطعات الإفريقية-الرومانية وإن وُجدت هنالك معادلة طقوسية تتيح للأعين كلا متجانسا مقننا؛ سنتطرق كذلك إلى خلفية تلك المعادلة، إن وُجدت، انطلاقاً من فرضية الأمل الفعلي في أن يتم

⁵⁴³ Dasen, 2017, p.268.

الطفل مساره نحو النضج في العالم الثاني. على هذا الأساس، قمنا بتخصيص ما سيلي للبطاقات التقنية بمكوناتها الأساسية وهي:

الرقم التسلسلي، رقم جرد المتحف، مكان الحفظ، نوع المعلم، مكان الاكتشاف (إن توفر)، سنة الاكتشاف (إن توفرت)، المادة، حالة الحفظ، المقاسات، ثم وصف لكل سجل على حدى، مرفقا بتعليق مختصر سندقق في خلفياته في الفصل المخصص للتحليل وأخيرا البليوغرافيا.

4. البطاقات التقنية

البطاقة رقم 01

الرقم التسلسلي: 01

رقم الجرد: 1.80

مكان الحفظ: المتحف الوطني العمومي بشرشال.

رقم النقيشة: CIL VIII, 09473 ; CLE II, 1153

نوع المعلم: نصب جنائزي منقوش.

مكان الاكتشاف: غير محدد.

سنة الاكتشاف: 1891-1881

المادة: رخام أبيض.

حالة الحفظ: جيدة.

المقاسات: العلو 61 سم، العرض 29 سم، السمك: 85 سم.

الوصف: نصب مستطيل الشكل يتكون من ثلاث سجلات.

السجل الأول: جبهة مثلثية تحتضن طبلية، تحدها على

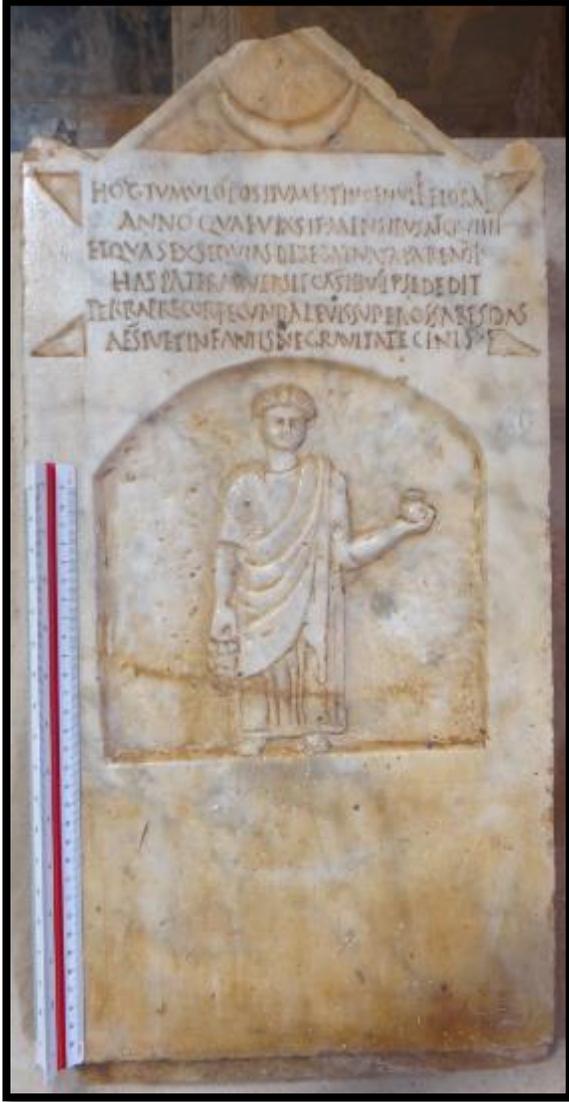
الجانبين زخرفة من نوع أكروتير. يتوسط الطبلية هلال،

قمتيه نحو الأعلى.

السجل الثاني: نقيشة جنائزية لاتينية، مكونة من ست أسطر بداخل إطار مزخرف على الجانبين

(*Tabula*

ansata)



السجل الثالث: كوة غائرة ربعها العلوي نصف دائري. تحتضن في المركز مشهدا لطفلة واقفة في وضعية مواجهة. ترتدي الطفلة ستارة ذات ثنايا مستقيمة تغطي الجسم إلى حد الكاحلين، بينما لا تتجاوز الأكمال المرفقين. يأتي فوق الستارة معطف ذات ثنايا مرتخية يغطي الورك الأيمن، الجزء الأيسر من الصدر ليقع شق منه على الكتف الأيسر. اليد اليمنى مستقيمة على طول الجسم وتحمل عنقود عنب، بينما اليد اليسرى منطوية نصفيا نحو الجهة الخارجية وتشير بها الطفلة إلى قنينة وفقا ل ك. همدون أكثر منه إلى الرمانة⁵⁴⁴. ملامح الوجه غليظة، الأعين واضحة المعالم، الأذنين بارزتين. تسريحة الشعر كثيفة مشكلة من شريطين ناتئين على جانبي شريط وسطي فاصل وناتئ.

نقل النص:

« *Hoc tumulo positum est ingenii fil(ia) flora, anno quae uixit mensibus atq(ue) VIII, et quas exsequias dedebat nata parenti has pater aduersus casibus ipse dedit. Terra, precor, fecunda leuis super ossa residas, Aestuet infantis ne gravitate cinis* »⁵⁴⁵

ترجمة النقيشة:

"في هذا القبر، وُضع جثمان فلورا، ابنة إنغينووس، التي عاشت سنة وتسع أشهر والمراسيم الجنائزية التي كان من المفروض أن تقيمها لوالدها، هي تلك التي أقامها الوالد بنفسه لها في تلك الفاجعة الغير طبيعية. أيتها التربة الخصبة، أترجاك أن تخفي على عظامها، حتى لا يختنق رماد طفلة صغيرة تحت ثقلك".

التعليق:

نلاحظ مبدئيا أن سن المتوفية لا يتفق وطول، هيئة الجسم وملامح الوجه فضلا عن كثافة الشعر. نلاحظ كذلك أن تعابير التحفظ لا تناسب طفلة في السنة الأولى من العمر. أما عن التسريحة، فالخصلتين

⁵⁴⁴Hamdoun, 2013, p.9.

⁵⁴⁵Rénier, 1855, 3976,p.485.

الجانبين، الفارق أو النتوء الوسطي⁵⁴⁶ (*Nodus*)، فضلا عن بروز الأذنين بشكل واضح أو جزئيا، تشير إلى تسريحة شعر أغريبيينا الأقدم (حفيدة أغسطس) أو ليفيا (زوجة أغسطس). هي تسريحة لقت صدى خلال الفترة اليوليو-كلاودية عموما كما يشير إليه تأريخ المعلم أعلاه؛ تنطبق نفس الملاحظة على جفني الأعين الواضح المعالم. بذلك، فتسريحة الشعر لا تناسب سن المتوفية ولا مصفها، حيث تشير إلى امرأة ذات مصف راق. أما اللباس، ففي سن الأولى من العمر، يستبدل الطفل الستارة التي تغطي الوركين بستارة أطول تصل إلى حد الركبتين، بينما في المعلم الذي يهمننا، ترتدي فلورا تونيكًا يعلوها معطف أو توجة (التي يُسمح أن يرتديها الجنسين خلال الطفولة). تشير إلى الشريط الذي يظهر في أسفل التونيكا والذي قد يحيلنا إلى ما يُعرف بحاشية الـ "إنستيتا" وهو رمز الستولا⁵⁴⁷، لكنه يتعذر الجزم في ذلك، باعتبار صعوبة تحديد ذلك على نحت بارز. نضيف أنه باعتبار غلاضة النحت، فلا يمكن الجزم فيما إن كان غياب إنحناءات جسم المرأة يعود إلى غلاظة النحت أو إلى غياب حزام أم أنه يشير إلى سن فلورا الفعلي حين توفت.

نحتمل أن تكون لحاشية الإنستيتا، المعطف المرتخي، فضلا عن تسريحة الشعر علاقة بأمل الوالدين في أن ترتقي المتوفية إلى مصف الـ *Matrona stolata*.

فيما يتعلق بالرموز التي تحملها فلورا، نرى عنقود العنب من جهة والقنينة، تبعا ل. ك. همدون، من جهة ثانية. إن كان الأمر كذلك، فتشير فلورا من خلالها إلى إقامة المراسيم الجنائزية المعتادة؛ أما إن كان العنصر في اليد اليسرى رمانة، فهي كذلك من ضمن الرموز الجنائزية المألوفة وتشير إلى عالم الأموات وإلى البعث باعتبار أسطورة بروسبيرينا وهادس، بينما يرمز العنقود بدوره إلى البعث.

يمكن هنا أن نقترح احتمالا متحفظا على علاقة بإزدواجية الرمزية، حيث تبقى الرمانة رمزا لإختطاف الإلهة من قبل الإله هاديس بالدرجة الأولى. إنجر عن تلك الحادثة، من جهة زواج بروسبيرينا واستياء الأم سيراس أمام فقدان إبنتها ومن جهة ثانية، توقف الأرض عن سيرورة الفصول السنوية. لقد سبق وأن

⁵⁴⁶Lichoka, 2012, pp.192-196-198-200.

⁵⁴⁷Molinier Arbo, 2014, p.161.

تم ربط وفاة الطفلة قبل الزواج بمفهوم الزواج بعد الموت من الإله هادس⁵⁴⁸ وبالرغم من تعرض الفكرة إلى انتقادات في الوسط الأكاديمي، تبقى الرمانة رمزا للزواج بالنسبة للإلهة باعتبارها الفاكهة التي فصلت في مصير بروسبيرينا. من هذا المنطلق، فإن لم يتعلق الأمر بالزواج من الإله بالدرجة الأولى في الحالة التي تهمنا، قد نلتبس مفهوم العزوبة حين الوفاة وفقدان أمل الأمومة في آن واحد.

فيما يتعلق بعنقود العنب، فهو كذلك رمز جنائزي يوحى بالبعث لكن باعتبار سن المتوفية، فقد نربطه بمفهوم محدد في أسطورة ديونيزوس وهو إنقاذ الإله من قبضة الموت والولادة مجددا، اعتبارا للجانب اللغوي لتسمية ديونيزوس أي "المولود مرتين". من جهة ثانية، تشير بعض الأبحاث إلى أن الأطفال الممثلين بعنقود عنب يأتون باستمرار في وضعية لا تشير إلى الطفولة بقدر ما توحى بالوقار وكأنما يخبرنا المتوفي بأنه على مسار التآليه. لنا مثال عن ذلك في مدينة شرشال سننتطرق إليه لاحقا، لكن نحفظ في حالة فلورا بأن العنقود قد يرمز إلى الولادة المجددة وبذلك إلى الطفولة الأبدية⁵⁴⁹.

نكون بذلك أمام إحتمالين: من جهة إسقاط الأب لإستيائه أمام فاجعة موت فلورا، فقدان فرصة الزواج الفعلي والأمومة المجهضة، مما يشير إلى الذاكرة السابقة لأوانها ومن جهة ثانية، أمل إنقاذها من قبضة الموت وولادتها المجددة في هيئة طفولية أبدية وهو العنصر الثاني الذي قد يشير إلى سنها الفعلي حين توفت. نضيف أخيرا أن الرمانة من حيث اللون الأحمر والعنب من خلال منتج النبيذ، يشيران إلى الطاقة الحيوية والبعث.

التأريخ: القرن الأول ميلادي⁵⁵⁰

الببليوغرافيا

Rénier, L. (1855). Inscriptions romaines de l'Algérie, recueillies et publiées sous les auspices de S.Exc. M. Hippolyte Portoul.

⁵⁴⁸Papaikonou, 2013, pp.121-122.

⁵⁴⁹Vatin, 1983, pp.71 et 73.

⁵⁵⁰تظهر عبارة التكريس للآلهة مانس بشرشال عموما ابتداء من القرن الثاني ميلادي
Leveau, 1984, p.87.

Hamdoun, Ch. (2013). Les distiques élégiaques de Césarée et la familia des rois de Maurétanie. *Antaf* 43, 5-17.

Vatin, C. (1983). Une épigramme funéraire grecque de Cherchel. *Antaf* 19, 69-74.

Épitaphe versifiée de Flora, « Epicherchell », étude Christine Hamdoune. <http://ccj-epicherchel.huma-num.fr/interface/fiche.php?id=329>.

Coltelloni-Trannoy, M. (2017). Le langage des pierres : le mot et l'image sur les stèles votives et funéraires de Caesarea de Maurétanie (Cherchell, Algérie). In Corbier, M. & Sauron, G. (dirs.), *Langages et communication : écrits, images, sons* (pp.137-169). Éditions du Comité des travaux historiques et scientifiques. 10.4000/books.cths.900

ملاحظة: نشير هنا إلى أنه فيما يتعلق بالأنصاب اللاحقة، فقد استقينا البعض منها من مختلف المراجع لعدم توفرها على مستوى المخازن أو المواقع الأثرية كما نشير إلى أنه في حالة نصب تيتوس فلافيوس، فاستقيناها من موقع مانفريد كلاوس الذي لم يوفر لنا معطيات حول مكان حفظ المعلم

البطاقة رقم 02

الرقم التسلسلي: 02

رقم الجرد: /

مكان الحفظ: المتحف الوطني العمومي بشرشال.

نوع المعلم: نصب جنائزي منقوش.

مكان الاكتشاف: مقبرة القنطرة. شرشال.

سنة الاكتشاف: 1890.

المادة: رخام أبيض.

حالة الحفظ: سيئة. النصب مكسور نصفيا وإلى خمسة قطع في الجهة السفلية.

المقاسات: العلو: 50 سم. العرض: 25 سم. السمك: 0.45 سم.

الوصف: نصب جنائزي مستطيل الشكل يشتمل على ثلاث سجلات.

السجل الأول: جبهة مثلثية منحوتة بتقنية الحز على سطيحة النصب، يحدها على الجانبين شكل أكروتير، بقي منهما إلا النموذج الأيمن. يتوسط طبلية الجبهة هلال تتجه قمته نحو الأعلى.



السجل الثاني: مباشرة تحت الجبهة، حقل إبيغرافي يشتمل على نقيشة إغريقية مكونة من عشر أسطر .

ترجمة النقيشة

" بروكلوس، ابن بوبليوس، أرتاح هنا شابا، عشتُ مرتين خمسة سنين ولم أتمتع بكل ما تكتنزه الحياة من لذة. أرسلتني إلهة القدر إلى هاديس ووضعت حدا لحياة قصيرة. كلفتُ أبي كثيرا من الأسى ودموعا أليمة وبما أن الشيخوخة أمل ممنوع، شاطريني، أنا التعيس، أيتها النمفا الحاضنة نيزا وللأبد، قسطا من شبابك الأبدى".

السجل الثاني: كوة غائرة يأتي ربعها العلوي في شكل دائري مدعم بهلال قمتيه نحو الأسفل. يتوسط الكوة الطفل بروكلوس، واقفا في وضعية مواجهة، مقدما ساقه اليمنى على اليسرى ويبدو من خلال اللباس أن الركبة منحنية، مما يمنح حركية أنيقة للجسم. يرتدي بروكلوس توجة واسعة مرتخية الحنايا، تمر تحت الذراع الأيمن مروراً بالجزء الأيسر من الصدر ليقع شق منها على الكتف والذراع الأيسرين. الذراع الأيسر منطوي نحو الصدر بينما تُمسك اليد بشق التوجة. الذراع الأيمن مستقيم على طول الجسم بينما تمسك اليد بعنقود عنب أو بكوز من الصنوبر⁵⁵¹.

التعليق

نستعين جزئياً بتعليق ك.فاتين الذي أولى حرصاً كبيراً في ربط النقيشة الجنازئية بالرموز الإيكونوغرافية. يرى الباحث علاقة ما بين النمفا الحاضنة نيزا وعنقود العنب باعتبارها إحدى النمفات اللواتي تكفلن برعاية الإله ديونيزوس ابن سيميلي بعد إنقاذه من الموت وهو لم يلد بعد. أصبحت نيزا إثر ذلك بمثابة الراعية للطفل المتوفي والموعود بشباب أبدي⁵⁵². انطلاقاً مما سبق، نحتمل أن نقيشة بروكلوس الحامل لعنقود العنب والمشير إلى نيزا والشباب الأبدي، تدلي برغبة الوالدين، في إثارة عطف النمفا الحاضنة للتكفل بالطفل بروكلوس، الذي نُذكر أنه توفي في منتصف المسار، ما بين الولادة وسن الرشد، مثلما

⁵⁵¹Vatin, 1983, p.65 ; Carcopino, 1918, BCTH, pp.228-229.

⁵⁵²Vatin, 1983, p.73 ; Commelin, 1837, p.52 à 56.

تكلت النمفا الحاضنة ديونيزوس بعد أن أجهضت ولادته الأولى في منتصف حمل أمه سيميلي. نشير في نفس الإطار إلى ما يرد لدى أوفيدوس، حيث يحتمل الشاعر أن ارتداء الأطفال للتوجة فيربليس يوم الاحتفال بالإله ليبر على صلة بكون الإله يمزج ما بين الطفولة والشباب كما أنه يبقى في تلك المرحلة الانتقالية⁵⁵³.

نلتمس علاقة ما بين ثبات الإله في المرحلة الانتقالية المذكورة لدى أوفيدوس والسن الذي توفي فيه بروكلوس، حيث بعد تجاوزه مشقات ومخاطر الطفولة المبكرة، لم يحض بإتمام مساره نحو النضج الكامل. تشير بعض التفاصيل في أسطورة ديونيزوس إلى أنه أُخرج من النيران من طرف الإله فولكانوس الذي منحه للنمفة الحاضنة ماكريس⁵⁵⁴ والتي بدورها منحتة لزيوس حيث اكتمل نضجه في فخذ الإله. نلتمس بوضوح العلاقة بين أمل الوالدين في بعث إبنهم في شكل ديونيزي حتى يتمتع بالشباب الأبدي، كما لا يمكن تجاهل خلفية اكتمال النضج بعد الوفاة التي ترد في الأسطورة. نشير إلى أن الطفل مجسد في الهيئة واللباس الذي يناسب سنه، ففي سن العاشرة، كان قد تجاوز مرحلة الإنفانتيا واستبدل الستارة بالتوجة برايتيكستا مما يعزز تلك المرحلة الانتقالية؛ أضف إلى ذلك أن ملامحه توحى بتعابير البهجة وكأن مصيره مضمون وموفق.

يبدو أن بروكلوس يندمج ضمن التمثيلات الإيكونوغرافية التي تشير إلى مفهوم الطفولة أو الشباب الأبدي وليس الذاكرة المسبقة، خاصة وأن آخر جملة من النقيشة، تشير إلى حتمية ضياع أمل الشيخوخة وفي ذات الوقت، تعويضه بأمل الطفولة الأبدية. نذكر هنا أن الحورية بمثابة الحامية للطفل في العالم الآخر لكن من خلال ترجي بروكلوس للطفولة الأبدية، نلتمس وجود احتمالات أخرى. نحتمل أن رثاء الطفل لضياح فرصة الوصول إلى مرحلة الشيخوخة مربوط بالطلب الموجه للنمفا الحاضنة وكأنه يفضل ما سيأتي (البراءة الأبدية) لما كان ليحدث لو عاش (الشيخوخة). هو شعور نابع من الاستياء لكن طرح القضية ونقيضها في نفس العبارة قد لا يكون عفويا.

⁵⁵³ Ovide, *Fastes*, III, 3, p.595.

⁵⁵⁴ Commelin, 1837, p.53.

نشير أخيرا إلى عنصر يبدو جذيرا بالذكر وهو اليد اليسرى التي تمسك بالتوجة. نلاحظ أن كل الأصابع منطوية باستثناء الأبهام الذي يظهر بشكل واضح. يمكن أن تكون حركة اليد عفوية، لكن اعتاد الرومان على تجسيد الأعداد على الأنصاب وفق نظام رمزي يعتمدون فيه على الأصابع وهو ما يُعرف بالتعداد اليدوي (*Comput digital*). في هذا النظام، تتم الإشارة إلى العشرات من خلال الأبهام والسبابة (الأصبع الموالي)، بينما الثلاث أصابع المتبقية، فتشير إلى الوحدات، كما أنه يتم التعبير عن العشرات باليد اليسرى بينما المئات والآلاف، فباليد اليمنى⁵⁵⁵. هي في الواقع تحاليل تكتسي درجة معتبرة من التعقيد خاصة إن اعتبرنا أن البعض من تلك الحركات قد يشير إلى مصف أو وظيفة (فعلية أو متخيلة)، لكن بربط سن المتوفي برمزية الأبهام الحسابية (عشریات) وباعتبار أن اليد اليسرى هي التي يظهر عليها الأبهام بوضوح، يمكن أن تم تحريره لتجسيد نظام عشري، نحتمل أن يمثل سن المتوفي أي 10 سنوات.

نشير أخيرا إلى جملة من العناصر توحى بتأثيرات إغريقية واضحة: من جهة، إسم المتوفي ولغة النقيشة في قالب شعري، مما يثير انتباهنا إلى مصف بروكلوس وباعتبار سنه، قد يعكس ذلك رمزيا قدراته على الكتابة والقراءة باللغة الإغريقية ولما لا شغفه بالدراسة. نضيف حرص الأهل على إبراز الأصول الإغريقية في ظل حكم ملك بدوره شغوف بقيم ذات الحضارة وأخير، تمثيل الطفل في هيئة وبملاح البهجة، مما يناسب سنه لكن يبعدنا بعض الشيء عن التحفظ الروماني المعتاد، فضلا عن الساق الأيمن المنطوي الذي يشير بدوره إلى وضعية الكونترابوستو التي قطعت من خلاله الحضارة الإغريقية شوطا حضاريا - فنيا لا يستهان به. يبدو أن كل شيء في نقيشة ومشهد بروكلوس يكرس أصوله الإغريقية.

التأريخ: القرن الأول ميلادي⁵⁵⁶.

الببليوغرافيا

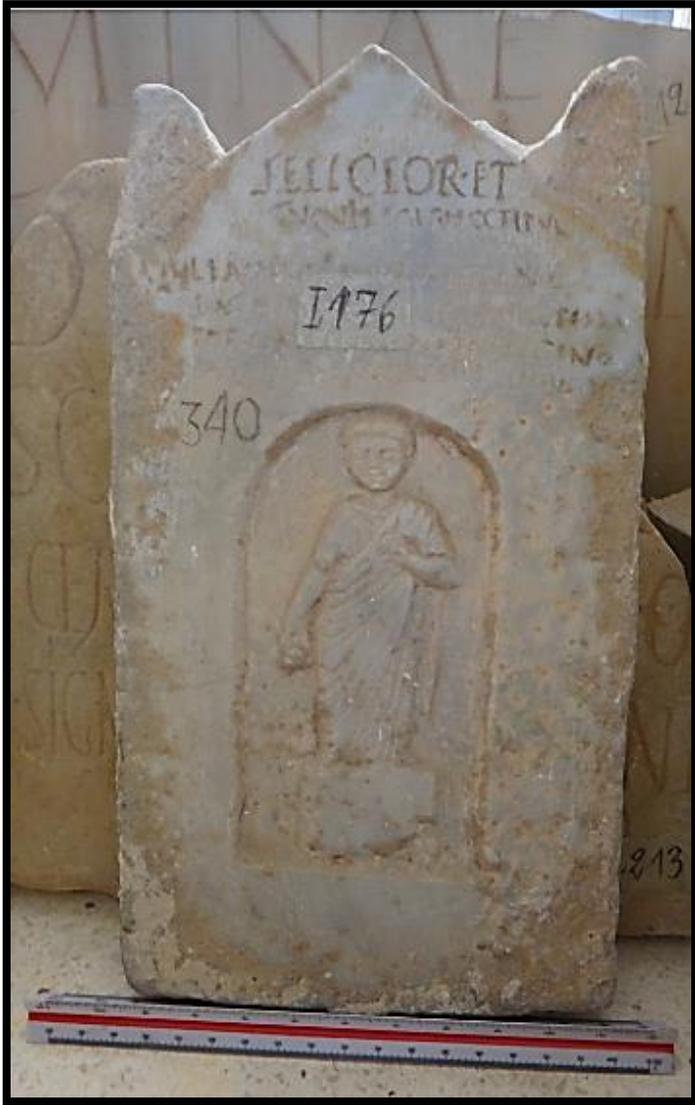
Carcopino, J. (1918). Sur quelques antiquités récemment acquises par le musée des antiquités algériennes. *BCTH*, pp. 225-237.

Vatin Cl. (1983). Une épigramme funéraire grecque de Cherchel. *Antaf 19*, pp. 65-74.

⁵⁵⁵Minaud, 2006, p.8 et Annexe.

⁵⁵⁶Vatin, 1983, p.65 (note de bas de page).

البطاقة رقم 03



الرقم التسلسلي: 03

الجرد: 1.76

مكان الحفظ: المتحف الوطني العمومي بشرشال.

نوع المعلم: نصب جنازتي منقوش.

مكان الاكتشاف: المقبرة الشرقية بشرشال.

المادة: رخام أبيض.

حالة الحفظ: جيدة.

المقاسات: العلو 43.5 سم. العرض 23 سم.

السمك: 7 سم.

الوصف: نصب مستطيل يشتمل على سجلين.

السجل الأول: جبهة مثلثية تحدها زخرفتي أكروتير

ويندمج جزئياً في الجبهة حقل إبيغرافي يحتضن

نقيشة جنازية لاتينية، مكونة من ست أسطر.

نقل النص:

« *Felicio et tu qui legis hoc titulum Iulia Hygia uixit sine lachrimis iucundissima felicissime nata hygino (p)atri , mensibus III, diebus II.* »⁵⁵⁷

⁵⁵⁷Cagnat, 1908, pp.200-201.

ترجمة النقيشة:

"كم أسعد (مني) أنت الذي تقرأ هذه النقيشة! عاشت الوسيمة جدا يوليا إيغيا، دون بكاء وللسعادة البالغة لإيغوس والدها، ثلاثة أشهر ويومين."

السجل الثاني: كوة غائرة ربعها العلوي نصف دائري. تحتضن في المركز مشهد طفلة واقفة على قاعدة تمثال في وضعية مواجهة، ترتدي ستارة ذات ثنايا غليظة ومستقيمة تمتد إلى غاية الكاحلين ومعقودة على مستوى الكتف الأيسر بإبزيم، بينما لا تتعدى الأكمام المرفقين. يأتي فوقها معطف غليظ ذات ثنايا مستقيمة. يغطي المعطف الورك الأيمن، الجزء الأيسر من الصدر ليقع شق منه على الكتف الأيسر. اليد اليمنى مستقيمة على طول الجسم، تحمل عنقود عنب، بينما اليد اليسرى منطوية نصفيا نحو الصدر، تشير بها الطفلة إلى عنصر دائري الشكل. يأتي شكل الوجه دائريا بخدود ممتلئة، أعين جاحظة تمنح النظرة نوع من القسوة وأنف غليظ. نلاحظ كذلك خلا في التناظر على مستوى الوجه. تسريحة الشعر كثيفة بخصلات مستقيمة، مشكلة من شريطين ناتئين على جانبي شريط وسطي فاصل، يبدو مستمرا إلى خلف الرأس. التسريحة مضبوطة والأذنين بارزتين نسبيا. أما تعابير الوجه، فتبدو متحفظة، هادئة.

التعليق

هو نفس التعليق الذي اقترحنه في البطاقة رقم 1، فقط أن الرمانه غائبة أو غير مجسدة بوضوح، كما أن تفاصيل الجسم الأنثوي أوضح من مشهد البطاقة رقم 1 بالرغم من غلاظة النحت وقد يشير ذلك إلى فعل عمدي مفاده تعزيز الفارق بين السن الفعلي ليوليا وآمال الوالدين في اكتمال مسارها ما بعد الموت أو أنه ناتج عن تقدم الساق اليمنى عن اليسرى. نضيف أنه تم تمثيل يوليا على قاعدة تمثال، مما قد يشير إلى الحرص على تجسيد مسافة بينها وبين الأحياء⁵⁵⁸ ومن ثمة إبراز مفهوم العبور إلى العالم الثاني.

التأريخ: نهاية القرن الأول ق.م - بداية القرن الأول ميلادي.

⁵⁵⁸ Fascady, 2011, p.194

البليوغرافيا

Commaticum de la très jeune Iulia Hygia, « Epicherchell », étude Christine Hamdoune.
<http://ccj-epicherchel.huma-num.fr/interface/fiche.php?id=327>.

Rénier, L. (1855). *Inscriptions romaines de l'Algérie* : recueillies et publiées sous les auspices de S.Exc. M. Hippolyte Portoul.

Cagnat, R. (1908). Stèle funéraire de marbre blanc trouvée à Cherchel. *BSNAF*, pp.200-201.

البطاقة رقم 04



الرقم التسلسلي: 04

رقم الجرد: 1.83

مكان الحفظ: المتحف الوطني العمومي
بشرشال.

رقم النقيشة: CIL VIII, 21101.

نوع المعلم: نصب جنائزي منقوش.

مكان الاكتشاف: غير محدد.

سنة الاكتشاف: 1883.

المادة: رخام.

حالة الحفظ: متوسطة: كسر في الجزء السفلي

من النصب على مستوى الرجلين.

المقاسات: العلو: 30 سم. العرض: 18 سم.

الوصف: نصب جنائزي مستطيل الشكل يشتمل على ثلاث سجلات.

السجل الأول: جبهة مثلثية بارزة على سطحية النصب، يحدها على الجانبين زخرفة في شكل أكروتير.

السجل الثاني: حقل إبيغرافي غير مؤطر يحتضن نقيشة مكونة من أربع أسطر.

نقل النص

« *Martialis Hic s(itus) es(t) / v(ixit) an(n)os II / Semnos Sy(m)p(h)oniacus / fecit* »

ترجمة النقيشة

"هنا جثمان مارتياليس، عاش عامين، سيمنوس سيمفونياكوس أنجز المعلم"

السجل الثالث: كوة غائرة نسبياً، ربعها العلوي نصف دائري، تحتضن مشهد طفل واقف في وضعية مواجهة، يرتدي ستارة قصيرة ذات أكمام لا تتعدى المرفقين. يأتي فوق الستارة معطف ذات ثنايا دائرية، مغطيا الورك الأيمن، الجزء الأيسر من الصدر ليقع شق منه على الكتف الأيسر. اليد اليسرى مستقيمة على طول الجسم، تحمل عنقود عنب، بينما اليد اليمنى منطوية نحو الصدر وتحمل تفاحة. الوجه دائري، عليه تعابير البراءة، الأعين صغيرة، الأنف غليظ والأذنين بارزتين. أما الشعر، فهو قصير وكثيف.

التعليق:

إن كانت الملامح تتناسب وسن المتوفي، نحتمل أن للباس رمزية مزدوجة. نجد من جهة التونيكا التي تصل إلى غاية الركبتين وهي بذلك توافق ما يرد في تاريخ الأبحاث حيث ابتداء من السن الثانية، تصل الستارة إلى غاية الركبتين، في حين يتنافى المعطف وسن مارتياليس. نلاحظ من جهة ثانية الاسم الأحادي وبذلك فالتوجة لا تتفق بدورها ومصنف المتوفي.

أشرنا في مقدمة الفصل إلى إمكانية الذاكرة السابقة لأوانها والتي يُسقط من خلالها الوالدين كل آمالهم في ما لم يتم تحقيقه. يتعلق الأمر بسنين العمر الضائعة بالدرجة الأولى، لكن لا يقصي ذلك آمال المسار الشرفي أو العسكري أو حتى الترقية في المصف الإجتماعي⁵⁵⁹. تشير ب. روسن في هذا الإطار إلى الوالدين الذين كانوا عبيداً أو معتوقين وارتقوا إلى مصف المواطنة، مما آل إلى كسب ثروة مادية وفي حالة وفاة أحد الأبناء، قد لا يعكس معلم ذكرتهم استياء الوالدين بقدر ما قد يفيد في تسجيل الأشواط

⁵⁵⁹Dasen, 2017, pp.267.

الاجتماعية التي قطعوها⁵⁶⁰. يبقى التساؤل مطروحا حول هوية من أنجز المعلم في النصب الذي يهمننا، حيث لم يتم تحديد الرابطة بين المهدي والمهدى إليه، كما أن المهدي يحمل الإسم الثنائي مما يشير إلى مصف المعتوقين بينما المتوفي، فيحمل الإسم الأحادي. سنعود إلى هذه النقيشة في التحليل بتفاصيل أكثر ونحتفظ هنا بملاحظة عدم توافق اللباس والسن، مما يعزز مفهوم الذاكرة المسبقة، كما نركز على التناقض ما بين اللباس والمصف، مما قد يوحي بآمال في الإرتقاء من مصف العبودية إلى مصف المواطنة.

التأريخ: باعتبار غياب عبارة التكريس، يمكن اقتراح تأريخ القرن الأول ميلادي⁵⁶¹.

البليوغرافيا

Leveau, Ph. (1984). *Caesarea de Maurétanie, une ville romaine et ses campagnes*. Ecole française de Rome (70).

⁵⁶⁰Rawson, 2005, p.51.

⁵⁶¹Leveau, 1984, p.82.



البطاقة رقم 05

الرقم التسلسلي: 05

رقم الجرد: 1520.

مكان الحفظ: /

رقم النقيشة: /

نوع المعلم: نصب جنائزي منقوش.

مكان الاكتشاف: شرشال.

سنة الاكتشاف: 1890.

المادة: رخام.

حالة الحفظ: جيدة.

المقاسات: /

الوصف: نصب جنائزي مستطيل الشكل، يشتمل على ثلاث سجلات.

السجل الأول: جبهة مثلثية بارزة خالية من كل زخرفة.

السجل الثاني: حقل إبيغرافي غير مؤطر يحتضن نقيشة مكونة من ثلاث أسطر.

نقل النص:

« *Q(uintus) Fabi f(ilius) vixit mensibus/ octo, dulcis parentibus/ Hic situs est.* »

ترجمة النقيشة :

" كوينتوس، ابن فابيوس، عاش 8 أشهر. من طرف والديه الحنونين. هنا جثمانه "

السجل الثالث: كوة غائرة، ربعها العلوي دائري الشكل، تحتضن طفلا واقفا في وضعية مواجهة، يرتدي ستارة تصل إلى الركبتين وتغطيها توجة مرتخية تغطي الورك الأيمن، الجزء الأيسر من الصدر، ليقع شق منها على الكتف والذراع الأيسرين. الذراع الأيمن منطوي نحو الجهة اليمنى من النصب، تحمل فيه اليد عنقود عنب، بينما يأتي الذراع الأيسر منطويا على الصدر، حاملا لشق التوجة الذي يقع على الذراع وماسكا بيده بالشق الذي يمر على الصدر. تشير ملامح الوجه إلى التحفظ.

التعليق:

من الواضح أن الهيئة العامة للجسم توحى باكتمال جسدي لا يتفق وسن رضيع، لكن يمكن كذلك أن ندرج الملاحظات التالية:

ينبعث من هيئة الجسم نوعا من الثقة. إن كان الأمر كذلك وباعتبار الإسم الأحادي للأب والإبن، نحتمل أن ما يرمز إليه المشهد ليس مفهوم الذاكرة المسبقة فحسب وإنما يشير كذلك إلى إسقاط الولدين لأملهم في أن يلقي كوينتوس مصيرا أفضل من العبودية في العالم الثاني. هي ضاهرة شائعة لدى العبيد المعتوقين أو أبناء المعتوقين بعدهم، الذين يحرصون على تسجيل إسمهم الثلاثي على نقيشة الوالدين لإبراز ترقيتهم وتحقيقهم لآمال والديهم وبنفس الصفة، تبعا ل ب. روسن، فوفاة طفل في سن مبكرة يعد بمثابة صدمة مزدوجة لما يكون الأهل من المعتوقين أو العبيد⁵⁶². هوما أثبتته حفرة الحيز رقم 23 بمقبرة بورتا نوشيرا ببومبيي، التي تحتضن قبر المعتوق فيليروس، حيث أثبتت الدراسات الأنثروبولوجية المجراة على هيكل الإبن (بوبليوس فيزونيبوس بروكولوس) بأن أبيه باشر بتعديل في السن على النقيشة

⁵⁶²Rawson, 2005, p.352.

(13 سنة عوض حوالي 8 سنوات) حتى يتلائم سن الطفل المتوفي بالفترة التي تم فيها عتق الأب وبذلك ضمان أن يتذكر الزائرون ابن المعتوق وليس العبيد⁵⁶³.

فيما يتعلق بالمشهد عموماً، نلاحظ أن اليد اليمنى منطوية نحو الخارج وتحمل عنقود عنب وفير يشغل فضاء لوحده، مما يوحي برغبة في توجيه نظر الزائر صوبه ونعلم من خلال هـ.بينيشو - سفر أن الفراغ على الأنصاب ليس عفويًا⁵⁶⁴. باعتبار السن أي ثماني أشهر، يمكن أن يكون للعنقود رمزية مزدوجة: من جهة، رمز البعث ومن جهة ثانية، رمز الطفولة الأبدية التي أشرنا إليها سابقاً. نلاحظ بالفعل أن عنقود العنب بمثابة الرمز الوحيد الذي يحمله كوينتوس (على غرار بروكلوس) وفي كلتا الحالتين، في اليد اليمنى.

التأريخ : القرن الأول ميلادي⁵⁶⁵.

الببليوغرافيا:

Orfali, M.K. (1989). *Inventaire des sculptures funéraires et votives de la Maurétanie*, [thèse de doctorat non publiée], Université d'Aix-en Provence.

Leveau, Ph. (1984). *Caesarea de Maurétanie, une ville romaine et ses campagnes*. Ecole française de Rome (70).

⁵⁶³Duday et Van Andringa, 2013, paragr.28 et 29.

⁵⁶⁴Bénichou-Safar, 2007, pp.15-16.

⁵⁶⁵Leveau, 1984, p.82.

البطاقة رقم 06



الرقم التسلسلي: 06

رقم الجرد: 175

مكان الحفظ: المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية (الجزائر العاصمة).

رقم النقيشة: CIL VIII, 9430

نوع المعلم: نصب جنائزي منقوش.

مكان الاكتشاف: شرشال.

سنة الاكتشاف: /

المادة: رخام.

حالة الحفظ: متوسطة.

المقاسات: /

الوصف: نصب جنائزي ذو جبهة مثلثية، يشتمل على ثلاث سجلات.

السجل الأول: جبهة مثلثية في شكل نحت بارز على سطحية النصب، تتوسطه طبلية.

السجل الثاني: يأتي في شكل إطار مستطيل الشكل ذات أطراف مستديرة، يحده على الجانبين عمود يعلوه تاج من زهرة اللوتس. يتوسط المشهد طفلا يقف على قاعدة في وضعية مواجهة، مرتديا ستارة قصيرة يعلوها معطف. الذراع الأيسر منطوي نحو الصدر وفي اليد عصفور، بينما الذراع الأيمن مرتخي، منطوي نسبيا وممدود نحو الخارج حيث تحمل اليد عنقود عنب. ملامح الوجه محمية.

السجل الثالث: حقل إبيغرافي غير مؤطر يحتضن نقيشة لاتينية.

نقل النص:

« *Saburio, Antae vi/triari et Paulae f(i)lius) vix/it menses sex dulcis h(ic)
s(itus) e(st).*»

ترجمة النقيشة:

"إلى سابوريوس، الإبن اللطيف لأنتا فيترياريوس وباولا، عاش ست أشهر. هنا جثمانه"

التعليق:

ندرج نفس الملاحظات التي اقترحناها فيما يتعلق بالأنصاب التي لا يتلائم فيها اللباس مع سن المتوفي؛ ارتئينا إضافة هذا النصب لتعزيز تداول مفهوم الذاكرة المسبقة وفي هذا النموذج بالتحديد، لوجود العصفور والعنب الذين يرمزان إلى البعث بالدرجة الأولى. سنعود إلى الأنصاب التي يتوفر فيها العصفور والعنقود في التحليل وخاصة إلى مصف الأب.

التأريخ : باعتبار غياب التكريس، يمكن تأريخ النقيشة بالقرن الأول ميلادي⁵⁶⁶.

الببليوغرافيا:

Orfali, M.K. (1989). *Inventaire des sculptures funéraires et votives de la Maurétanie*, [thèse de doctorat non publiée], Université d'Aix-en Provence.

⁵⁶⁶Leveau, 1984, p.82.

Leveau, Ph. (1984). *Caesarea de Maurétanie, une ville romaine et ses campagnes*. Ecole française de Rome (70).

البطاقة رقم 07



الرقم التسلسلي: 07

رقم الجرد: 1.94

مكان الحفظ: المتحف الوطني العمومي بشرشال.

رقم النقيشة: CIL VIII, 21062

نوع المعلم: نصب جنائزي منقوش.

مكان الاكتشاف: شرشال.

سنة الاكتشاف: 1892.

المادة: رخام.

حالة الحفظ: رديئة: مكسورة إلى خمسة قطع .

وملامح الوجه ممحاة

المقاسات: العلو: 40 سم. العرض: 30 سم. السمك: 5 سم.

الوصف: نصب جنائزي مستطيل الشكل، يشتمل على سجلين.

السجل الأول: كوة غائرة مستطيلة الشكل، تحتضن مشهد طفلة واقفة في وضعية مواجهة، ترتدي ستارة طويلة ذات ثنايا مستقيمة تقع حوافها على الرجلين وتبدو مرتدية لحزام تحت الثديين، بينما تصل الأكوام إلى حد المرفقين. يأتي فوق الستارة معطفا (أو بالاً) لا يتعدى الركبتين، يمر شقا منه على الفخذ الأيمن، الجزء الأيسر من الصدر ثم الكتف الأيسر، لتحمل المتوفية ما تبقى منه في اليد اليسرى. الذراع الأيمن

منطوي نسبيا في حركة مرتخية أنيقة وينتهي بعنقود عنب في اليد، بينما الذراع الأيسر منطوي على الصدر وفي اليد عنصر غير واضح المعالم (تفاحة - رمانة؟). ملامح الوجه متلفة، بينما يأتي الشعر كثيفا متموجا، يبدو ممسوكا خلف الرأس.

السجل الثاني: حقل إبيغرافي يشغل مجمل مساحة النصب السفلى ويحتضن نقيشة جنازية لاتينية مكونة من أربع أسطر.

نقل النص:

« *D(is) M(anibus) / Sacrum Aemeliae Seueriae/ Aemili seuerini dec(urioni) f(iliae) uixit Annis V s(emis) S(it) T(ibi).T(erra) L(euis) / Iulia Ueria auia et antistia Lucilia Mater faciendum curauerunt. »*

ترجمة النقيشة:

"إلى الآلهة مانس مكرس وإلى أيميليا سيويريا، ابنة الحاكم الثنائي أيميليو سيويرينوس، عاشت خمسة سنوات ونصف. لتكن التربة خفيفة على عظامك. تكلفت بإنجاز المعلم يوليا ويريا أويا وأمها أنتيستيا لوكيليا"

التعليق

ترتدي أن أيميليا سيويرينا رداء يظهر عليه انتفاخ على مستوى الوركين والذي يشير إلى ما يُعرف بالتونيك ذات الكولبوس (Tunique à Kolpos) وهي لباس يليق بالبنات الصغار يبدو لنا أن المشهد عامة ولا سيما تحفظ الحركات، يوحي بسن أكبر من ذلك الوارد في النقيشة. نشير كذلك إلى أن أيميليا ابنة الحاكم الثنائي في المجلس المحلي، أيميليو سيويرينوس وعلى هذا الأساس، فأمل كل أب وأم من مصف بهذا المستوى، أن تصبح الابنة زوجة وربة بيت محترمة. من جهة ثانية، نلاحظ أن المهدي ليس بالأب وإنما الأم والجدة ويمكن هنا احتمال أنهم رمزيا بمثابة سابقتهما في هذا المسار المرغوب فيه. قد

يُعزز تكفّل الأم والجدة بإنجاز المعلم ما تجسده الصورة من أمل محتمل في فرصة الزواج والأمومة في العالم الثاني والذي كان مستقبلها الحتمي إن لم تختطفها فاجعة الوفاة.

التأريخ : تظهر عبارة التكريس عموماً تبعاً ل ف. لوفو بشرشال ابتداءً من القرن الثاني ميلادي⁵⁶⁷.

البليوغرافيا

Leveau, Ph. (1984). Caesarea de Maurétanie, une ville romaine et ses campagnes. Ecole française de Rome (70).

http://db.edcs.eu/epigr/epi_ergebnis.php

⁵⁶⁷Leveau, 1984, p.82.

البطاقة رقم 08

الرقم التسلسلي: 08

رقم الجرد: I. 89.

مكان الحفظ: المتحف الوطني العمومي بشرشال.

رقم النقيشة: AE 1985,00905

نوع المعلم: نصب جنائزي منقوش.

مكان الاكتشاف: المقبرة الشرقية. ملكية ريفارد.

سنة الاكتشاف: 1892.

المادة: رخام.

حالة الحفظ: جيدة باستثناء كسر على حواف

الجهة اليسرى العلوية، الوسطى والسفلى.

المقاسات: العلو: 23 سم. العرض: 23 سم. السمك: 5.5 سم.

الوصف: نصب جنائزي مربع الشكل، يشتمل على ثلاث سجلات وعلى ثقب على مستوى القاعدة (للتثبيت؟).

السجل الأول: جبهة مثلثية منحوتة على سطحية النصب في شكل إطار بارز. يتوسط الطبليية هلال تتجه قمتيه نحو الأعلى.

السجل الثاني: حقل إبيغرافي يحتضن نقيشة جنائزية لاتينية مكونة من سطرين.



نقل النص:

« [S]aturninus C(aii) Iuli(i) Craci / s(ervus) vixsit m(enses) V dies XXI h(ic)
s(itus) e(st) »⁵⁶⁸

ترجمة النقيشة:

"ساتورنينوس، عبيد كايوس يوليوس كراكوس، عاش خمس أشهر وواحد وعشرون يوما. هنا جثمانه"

السجل الثالث:

إطار مستطيل الشكل ومنحوت بإتقان، يحتضن كوة ريعها العلوي دائري الشكل، يتوسطه مشهد طفل واقف في وضعية مواجهة، الكعب الأيسر مرفوع والركبة متجهة نحو الساق الأيمن. يرتدي الطفل ستارة لا تتعدى الركبتين وذات أكماف قصيرة لا تفوق المرفقين؛ تأتي فوقها توجة ذات ثنايا، يمر شق منها تحت الذراع الأيمن مروراً بالجزء الأيسر من الصدر، ليقع على الكتف الأيمن متدلّيا خلف الظهر. ملامح الوجه ممحية وكذلك تسريحة الشعر، بينما تضر الأذنين بارزتين. الذراع الأيمن مستقيم على طول الجسم. تحمل اليد اليمنى عنقود عنب بينما اليد اليسرى منطوية على الصدر وبها عنصر دائري الشكل (نفاحة؟).

التعليق

يمكن ملاحظة جملة من العناصر الغير مناسبة لسن ساتورنينوس: مبدئياً الإكمال الجسدي والطول الذان يشيران إلى طفل وليس إلى رضيع لم تبرز أسنانه بعد. تأتي بعدها وضعية الجسم (الكونترابوستو) التي تمنح حركية للجسم وأناقة للحركة والتي بدورها تتنافى و سن ساتورنينوس. نلاحظ أن المتوفي من مصف العبيد وعلى هذا الأساس، فلا يسمح له مصفه بإرتداء التوجة ولا حتى سنه، باعتباره لم يتم بعد مرحلة الإنفانتيا (7 سنوات). تدلي أخيراً النقيشة بأن المهدي بمثابة سيد ساتورنينوس (كايوس يوليوس كراكوس) وأنه حرص على تسجيل إسمه إلى جانب إسم المتوفي، مما يوحي بعلاقة عاطفية وبضرر

⁵⁶⁸Coltelloni-Trannoy, 2017, p.142 ; Leveau, 1985, fig.1, N°117, pp.112 et 160.

السيد. قد يكون المشهد تعبيراً عن إستياء هذا الأخير لوفاة ساتورنينوس في سن الرضاعة وباعتبار تدوين اسمه على النقيشة، قد تم اسقاط أمل في أن يتم مساره في العالم الثاني وأن يرتقي إلى مصف أفضل من العبودية (باعتبار التوجة).

التأريخ: القرن الأول ميلادي⁵⁶⁹.

البليوغرافيا

Coltelloni-Trannoy, M. (2017). Le langage des pierres : le mot et l'image sur les stèles votives et funéraires de Caesarea de Maurétanie (Cherchell, Algérie). In Corbier, M. & Sauron, G. (dirs.), *Langages et communication : écrits, images, sons* (pp.137-169). Éditions du Comité des travaux historiques et scientifiques.

Leveau, Ph. (1984). *Caesarea de Maurétanie, une ville romaine et ses campagnes*. Ecole française de Rome (70).

Leveau, Ph. (1985). Nouvelles inscriptions de Cherchel. *BAA VII* (1977-1979), 3^{ème} série, pp.111-191.

Orfali, M.K. (1989). *Inventaire des sculptures funéraires et votives de la Maurétanie*, [thèse de doctorat non publiée], université d'Aix-en Provence.

⁵⁶⁹Leveau, 1984, p.82.

البطاقة رقم 09



الرقم التسلسلي: 09

رقم الجرد: 1. 89.

حالة الحفظ: متوسطة: كسر على الجهة اليمنى العلوية، الوسطى والسفلى وعلى الجهة اليسرى السفلية.

نوع المعلم: نصب جنائزي منقوش.

مكان الاكتشاف: شرشال.

مكان الحفظ: /

سنة الاكتشاف: حفريات الستينات.

المادة: رخام

المقاسات: /

الوصف: نصب جنائزي منقوش يشتمل على ثلاث سجلات.

حالة الحفظ: سيئة. ينقص النصب الجزء العلوي الأيمن والجزئين الأيمن والأيسر السفليين.

السجل الأول: جبهة مثلثية غائرة منحوتة على سطحية النصب.

السجل الثاني: حقل إبيغرافي يحتضن نقيشة جنائزية لاتينية غير كاملة نتيجة الكسر الذي طرأ على الجهة اليمنى من النصب.

نقل النص:

*Fausto fil[...], Fausti Quadr//[...] V(ixit) M(ensibus) III, S(it) Tibi T(erra)
lev(is)⁵⁷⁰*

ترجمة النقيشة

"إلى الإبن فاوستوس، من طرف فاوستوس كوادراتوس؟، عاش أربع أشهر. لتخف التربة عليك"

السجل الثالث: كوة غائرة منحوتة بإتقان، ريعها العلوي دائري الشكل، تحتضن مشهد طفل واقف في وضعية مواجهة، يرتدي ستارة قصيرة تصل إلى حد الركبتين وذات أكمام قصيرة. تغطي الستارة توجة ذات ثنايا غليظة؛ يمر شق منها تحت الذراع الأيمن ثم على الجزء الأيسر من الصدر، ليقع على الكتف الأيسر. الملامح غير واضحة لكن نلتمس الوجه الطفولي المستدير ذات الخدود الممتلئة. الذراع الأيمن مستقيم على طول الجسم وفي اليد عنقود عنب، بينما الذراع الأيسر منطوي على الصدر تمسك فيه اليد بشق التوجة.

التعليق

ندرج نفس الملاحظة التي اقترحناها في البطاقة السابقة، حيث لا يتفق اللباس والهيئة وكذا إكمال الجسم مع سن فاوستوس، باعتباره لا يزال في سن الرضاعة. من جهة ثانية، يشير الوجه الممتلئ إلى الملامح الطفولية وهو ربما العنصر الذي يحيلنا إلى سنه الفعلي. نلاحظ أخيرا أن المهدي هو الأب.

باعتبار أن النقيشة غير كاملة، لا يمكن تحديد مصف الأب لكن يفيدنا ف. لوفو⁵⁷¹ بأن فاوستوس إسم عائلي غائب في مدينة قيصرية بينما مذكور مرة واحدة في إفريقيا، في حين أثبت ج. توتان⁵⁷² أن "كوادراتوس" بمثابة كنية إستوحي منها لقب "كوادراتيوس" المتوفر في إفريقيا وهو ما يرد كذلك لدى ف. لوفو. بذلك فلدينا إسم عائلي وكنية في غياب الإسم المختصر. يحيلنا ما سبق إلى احتمال كون الأب من

⁵⁷⁰ Leveau, 1985, n° 275, fig.35, p.157.

⁵⁷¹ Leveau, 1985, p.157.

⁵⁷² Toutain, 1895, p.183 cité dans Dondin-Peyre, 2006, p.83.

مصنف المعتوقين بالرغم من غياب الإسم، باعتبار ذكر إسم الحامي أمر معتاد، لكن يطرح ذلك في نفس السياق إشكالية الاسم الأحادي للإبن. سنعود إلى هذه النقطة في التحليل ونكتفي هنا باحتمال إسقاط الأب أمله في مصنف أرقى لإبنه باعتبار ارتدائه التوجة، بينما تُدمج هيئة ولباس فاوستوس المشهد في مفهوم الذاكرة المسبقة.

التأريخ: باعتبار غياب التكريس، يمكن تأريخ النقيشة بالقرن الأول ميلادي⁵⁷³.

الببليوغرافيا

Leveau, Ph. (1985). Nouvelles inscriptions de Cherchel. *BAA VII (I)*, 3^{ème} série, pp.111-191.

⁵⁷³Leveau, 1984, p.82.

البطاقة رقم 10



الرقم التسلسلي: 10

رقم الجرد: 1.175

مكان الحفظ: المتحف الوطني العمومي بشرشال.

رقم النقيشة: CIL VIII, 09351

نوع المعلم: نصب جنائزي منقوش.

مكان الاكتشاف: مدينة شرشال (بداخل ملكية فيش، قرب واد القنطرة).

سنة الاكتشاف: 1896.

المادة: رخام.

حالة الحفظ: متوسطة. ينقص النصف السفلي من النصب.

المقاسات: العلو 22.5 سم. العرض: 21 سم. السمك: 4 سم

الوصف: نصب جنائزي يشتمل على ثلاث سجلات.

السجل الأول: جبهة مثلثية منحوتة في شكل إطار بارز، تحتضن فيه الطبلية هلالا بارزا تتجه قمته نحو الأعلى.

السجل الثاني: حقل ابيغرافي بداخل إطار بارز، يحتضن نقيشة جنائزية لاتينية مكونة من ثلاث أسطر.

نقل النص:

« *Philocalus, Pyladis regis Ptol(e)maei l(iberti) L(ibertus) vixi(t) annu(m) minus diebus/XV h(ic) s(itus)e(st)* »

ترجمة النقيشة:

"فيلوكالوس، معتوق بيلاداس، معتوق الملك بتوليمايوس، عاش سنة إلا خمس عشرة يوما. هنا جثمانه"

السجل الثاني: كوة غائرة منحوتة بإتقان، ربعها العلوي دائري، يرتكز على دعامة مندمجة. تحتضن الكوة مشهد طفل في وضعية مواجهة، يرتدي ستارة ممسوكة على مستوى الوركين؛ الوجه دائري ذات حدود ممثلة لكن ملامح الوجه محية. الذراع الأيمن مرفوع ومرتخي، تحمل فيه اليد عنصرا لا يمكن تحديده نظرا لتلف الجزء السفلي للنصب، بينما الذراع الأيسر منطوي على الصدر وتحمل اليد فيه عنصرا بدوره غير واضح (تفاحة؟).

التعليق

ما يهنا في هذا النصب هو تمثيل فيلوكالوس في الهيئة التي تتفق وسنه بحيث يرتدي ستارة نرى، من خلال الإنفتاح، أنها ممسوكة على مستوى الخصر أو الوركين وبذلك، فهي تشبه تلك التي يرتديها

الأطفال مباشرة بعد الستارة التي تعوض القماطة (في حوالي 3 أشهر)⁵⁷⁴ وهو ما قد يشير إليه كذلك غياب المعطف. بذلك، فشكل الوجه من جهة واللباس من جهة ثانية يوحيان بتمثيل الطفل على هيئته وفي سنه أو أكثر بقليل مما يحيلنا مرجحاً إلى مفهوم الطفولة الأبدية.

التأريخ: القرن الأول ميلادي⁵⁷⁵.

الببليوغرافيا

Leveau, Ph. (1984). *Caesarea de Maurétanie, une ville romaine et ses campagnes*. Ecole française de Rome (70).

(1989). *Inventaire des sculptures funéraires et votives de la Maurétanie*, [thèse Orfali, M.K. de doctorat non publiée], université d'Aix-en Provence.

⁵⁷⁴Carroll, 2018, p.91.

⁵⁷⁵Leveau, 1984, p.82.

البطاقة رقم 11



الرقم التسلسلي: 11

رقم الجرد: 1.179

مكان الحفظ: المتحف الوطني العمومي
بشرشال

رقم النقيشة: CIL VIII, 9441

نوع المعلم: نصب جنائزي منقوش.

مكان الاكتشاف: غير محدد.

سنة الاكتشاف: 1856.

المادة: رخام.

حالة الحفظ: متوسطة. ينقص النصف السفلي من النصب.

المقاسات: العلو: 28.5 سم. العرض: 31 سم. السمك: 2.5 سم.

الوصف: نصب جنائزي يشتمل على ثلاث سجلات.

السجل الأول: جبهة مثلثية مؤطرة، أتلقت حافتها اليمنى وتحتضن طبلية يتوسطها هلال بارز، ممتلئ نصفيا وذو قمتين متجهتين نحو الأعلى.

السجل الثاني: حقل إيبيغرافي في شكل إطار مزخرف على الجانبين (*Tabula ansata*)، يحتضن نقيشة مكونة من ثلاث أسطر.

نقل النص:

“*Atilia Cloe mater / Redempto filio suo vixit / me(n)ses octo*”⁵⁷⁶

ترجمة النقيشة:

"الأم أتيليا كلوي، إلى ابنها ريدمبتوس، عاش ثماني أشهر"

السجل الثالث:

كوة غائرة منحوتة بشكل متقن، لم يبق منها إلا الربع العلوي، تحتضن طفلا في وضعية مواجهة، يرتدي ستارة. ملامح الوجه طفولية، الوجه دائري بخدود ممتلئة، الفم رقيق، الأعين منحوتة بحزات عميقة، الشعر كثيف يأتي في شكل خصلات ملتوية، يقطعها فارق وسطي يستمر إلى مؤخرة الرأس. الذراع الأيسر منطوي نحو الصدر وفي اليد عنصر غير واضح المعالم (تفاحة؟).

التعليق

نرى بوضوح أنه حتى وإن كانت الملامح طفولية توحى بالبراءة، إلا أن الهيئة وكثافة الشعر لا تتفقان مع السن، فضلا عن التحكم في الحركات من خلال وضعية اليد. نحتمل بذلك أن تمثيل ريدمبتوس في هيئة أكبر بقليل تماشيا ولامح البراءة، قد يشير إلى أمل الأم في الطفولة الأبدية لابنها، باعتبار أنه كان من الممكن أن تجسد آمالها وكذا استيائها في إطار مفهوم الذاكرة المسبقة.

التأريخ: القرن الأول ميلادي⁵⁷⁷.

⁵⁷⁶Berbrugger, 1865, p.221-222.

⁵⁷⁷Leveau, 1984, p.82.

البليوغرافيا

Leveau, Ph. (1984). *Caesarea de Maurétanie, une ville romaine et ses campagnes*. Ecole française de Rome (70).

Berbrugger, A. (1865). *Chronique : Visite de l'empereur à la bibliothèque et au musée d'Alger*. *RevAfr* 9, pp. 212-222.

Orfali, M.K. (1989). *Inventaire des sculptures funéraires et votives de la Maurétanie*, [thèse de doctorat non publiée], université d'Aix-en Provence.

البطاقة رقم 12



الرقم التسلسلي: 12

رقم الجرد: /

مكان الحفظ: المتحف الوطني العمومي بشرشال.

نوع المعلم: نصب جنائزي منقوش.

مكان الاكتشاف: /

رقم النقيشة: AE 1981, 00984

سنة الاكتشاف: 1856.

المادة: رخام أبيض.

حالة الحفظ: حسنة. ينقص الجزء السفلي من

النصب.

المقاسات: /

الوصف: نصب جنائزي يشتمل على ثلاث سجلات.

السجل الأول: يحتضن عبارة التكريس مختصرة.

السجل الثاني: كوة غائرة منحوتة بإتقان، ذات قمة مثلثية، تتوسطها طفلة واقفة على قاعدة تمثال، ترتدي ستارة طويلة يبدو أن يغطيها لباس فوق ممسوك تحت الثديين. الذراعين ممدودين صوب المشاهد ومرتحيين. تحمل اليد اليمنى عصفورا واليد اليسرى عنقود عنب. الوجه طويل، الأعين بارزة، الأنف عريض والفم رقيق. أما التعابير، فتوحي بالتحفظ.

السجل الثالث: حقل إبيغرافي يحتضن نقيشة مكونة من سطرين.

نقل النص:

«*D M Ueneria, vixit an(nis)II, me(n)ses III*»⁵⁷⁸

ترجمة النقيشة

" إلى الآلهة مانس. وينيريا، عاشت عامين وثلاث أشهر "

التعليق

نلاحظ أن الستارة التي تصل إلى الرجلين لا تتفق وتلك التي يشع في إرتدائها الأطفال إبتداء من سنة أو سنتين خاصة أن الحزام على مستوى الصدر يبرز الثديين. نلاحظ أن هيئة وينيريا توحى بأنها تخاطب المشاهد أو الزائر مشيرة بذراعيها إلى الرموز التي تحملها وهي فيما يخص العنب إشارة للبعث، فضلا عن الإله ديونيزوس، رمز الحياة السعيدة بعد الموت. يقترح ك. فاتين أن عنقود العنب على أنصاب الأطفال يشير إلى إنتماء الطفل إلى العالم الديونيزي ومن ثمة، فهو موعود بولادة ثانية مثل الإله وبالطفولة الأبدية⁵⁷⁹. أما العصفور، فإن اعتمادنا على إحدى قراءات أ. بربروجير، لنصب بمدينة غورايا، فقد يرمز إلى روح المتوفي⁵⁸⁰. نحتمل من جهتنا إشارة إلى الإله هرمس حيث تُنسب إليه عدة أصناف من العصافير فضلا عن كون الإله مجنحا⁵⁸¹ كما أن الإله مرتبط كذلك بوظيفة جنائزية (Hermès

⁵⁷⁸ هناك اختلاف في الربط فيما يتعلق بالسنة *Annis* وكذلك الأشهر: *Menses* عوض *Mensibus*

Leveau, 1980, n°96, fig.98, p.143.

⁵⁷⁹Vatin, 1983, pp.71 et 73.

⁵⁸⁰Berbrugger, 1933, p. 73.

⁵⁸¹ باعتبار تعدد الأدوار الخاصة بالإله هرمس، فيُعد بمثابة إله يجمع بين المتضادات ومن ضمن رموزه شتى أنواع العصافير وحيوانات أخرى على غرار السلحفاة والتي وفقا لشكل أو طبيعة وخصوصيات كل منها، تسمح بإقامة علاقة مع الإله .

Ropars, 2016.

(psychopompe)، حيث يتكلف بنقل الأرواح إلى عالم الأموات⁵⁸². قد يجمع بذلك مشهد وينيريا ما بين العديد من الرموز والآمال (العبور، البعث، إتمام المسار نحو سن الرشد).

التأريخ: باعتبار توفر عبارة التكريس في شكل مختصر، يمكن اقتراح تأريخ القرن الثاني ميلادي.

الببليوغرافيا

Leveau, Ph. (1980). Nouvelles inscriptions de Cherchel. *BAA VI (2^{ème} série)*, pp.83-165.

Berbrugger, A (1933). Stèles et inscriptions de Gouraya. *RevAfr* 74, pp.54-74. <https://www.opu-dz.com/portal/fr/revue-africaine>

⁵⁸²Florence, 2003, p.66

البطاقة رقم 13



الرقم التسلسلي: 13

رقم الجرد: /

مكان الحفظ: غير محدد.

رقم النقيشة: CIL VIII, 21207

نوع المعلم: نصب جنائزي منقوش.

مكان الاكتشاف: مدينة شرشال.

سنة الاكتشاف: 1882.

المادة: رخام.

حالة الحفظ: حسنة. مكسورة نصفيا مما خلف ثلاث أجزاء.

المقاسات: /

الوصف: نصب جنائزي يشتمل على ثلاث سجلات.

السجل الاول: جبهة مثلثية في قمته هلال تتجه قمته نحو الأعلى.

السجل الثاني: حقل إبيغرافي مندمج في إطار مزخرف على الجانبين (*Tabula ansata*)، يحتضن نقيشة لاتينية مكونة من

سطين، تشغل كل مساحة الحقل.

نقل النص

« *Gemela Flori filia) vixit/ annis IV hic s(ita) e(st) s(it) t(erre) t(ibi) l(evis) »*

ترجمة النقيشة:

"غيمبلا، ابنة فلوروس، عاشت أربع سنوات، هنا جثمانها. لتكون التربة خفيفة عليك"

السجل الثالث: كوة غائرة، ربعها العلوي نصف دائري. تحتضن في المركز مشهد طفلة واقفة في وضعية مواجهة، ترتدي ستارة طويلة تصل الى مستوى الكاحلين، بينما يبدو أن تغطي الأكمام كل الذراع الى غاية المفصلين. يأتي فوق الستارة معطفا ذات ثنايا مرتخية. الذراع الأيمن منطوي نسبيا ومرتخي على طول الجسم، تحمل فيه اليد عنقود عنب، بينما الذراع الأيسر متلف جراء الكسر النصفي للنصب. ملامح الوجه توحى بقلة التناظر، لكن نلاحظ تعابير التحفظ والهدوء وملامح توحى بسن متقدمة. تسريحة الشعر مقسمة الى نصفين، يفصلهما شريط وسطي. يبدو أن التسريحة ملمومة بشكل محكم.

التعليق:

باستثناء هيئة الجسم واللباس التي تتناقض وسن غيمبلا، فما يثير الانتباه هي ملامح الوجه، حيث نلتمس على ما يبدو تعابير الكهولة وبالرغم من الكسر الذي تعرض اليه المعلم، يمكن أن نلتمس استدارة على مستوى الكتفين التي قد توحى بدورها بتحدب الظهر. أما عن تعابير الوجه، فيبدو عليها هدوء وطمأنينة الحكمة، حيث تقتقر الى صرامة التحفظ التي تتجسد من خلال استقامة الهيئة على بقية الأنصاب. نتساءل هنا عما إن كنا في مفهوم الذاكرة المسبقة. يرى بعض المفكرين، على غرار كيكرو، حكمة في الشيخوخة، تحررا وطمأنينة تختمها موت هادئة⁵⁸³؟ إن ثبت ذلك، فهل أسقط الأب باعتباره من أنجز المعلم، أمنيته المجهضة في أن يعيش ليرى أحفاد ابنته عوض أن يتكف بالجنائز؟

⁵⁸³Cicéron, *De Senectute*, 2, 5, 9, 14 et 19.

Orfali, M.K. (1989). *Inventaire des sculptures funéraires et votives de la Maurétanie*, [thèse de doctora non publiée], Université d'Aix-en Provence.

البطاقة رقم 14

الرقم التسلسلي: 14

رقم الجرد: /

مكان الحفظ: المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية (الجزائر).

نوع المعلم: نصب جنائزي منقوش.

مكان الاكتشاف: ملكية ريفار.

رقم النقيشة: CIL VIII, 9350

سنة الاكتشاف: 1856 .

المادة: رخام أبيض.

حالة الحفظ: جيدة.

المقاسات: العلو: 40 سم؛ العرض: 26 سم؛ السمك: 4 سم.

الوصف: نصب جنائزي يشتمل على ثلاث سجلات.

السجل الأول: جبهة مثلثية مؤطرة. تحتضن الطبلية هلالا ذات قمتين متجهتين نحو الأعلى.

السجل الثاني: حقل إبيغرافي يحتضن نقيشة جنائزية لاتينية مخاطبة، تتكون من أربع أسطر.



Fig. 4 : CIL, VIII, 9350 (cliché Ph. Leveau).

نقل النص:

« *Laetus, Accepti regis Iubae l(iberti) f(ilius), iniquitate factorum raptus anno I, h(ic) S(itus) e(st), praeteries tuum est dicere : ossa tibi bene dies VII, adquiescant* »⁵⁸⁴

ترجمة النقيشة:

"لايتوس، ابن أكسبتوس، معتوق الملك يوبا، إختطفه قدر غير عادل في السنة الأولى وسبعة أيام. هنا جثمانه. لك، أيها المار، أن تقول: لترتاح عظامك"

السجل الثالث: كوة غائرة منحوتة بإتقان، يتوسطها مشهد طفل في وضعية مواجهة ويبدو أن تتقدم الساق اليسرى ساقه اليمنى. يرتدي الطفل ستارة لا يفوق طولها الركبتين، بأكمام قصيرة لا تتجاوز المرفقين وتغطيها توجة ذات ثنايا عميقة، يمر شق منها تحت الذراع الأيمن ثم على الجزء الأيسر من الصدر، ليقع على الكتف الأيمن متدلّيا خلف الظهر. الوجه دائري نو خدود ممتلئة، لكن الملامح متحفظة وصارمة. الذراع الأيمن ممدود أين تحمل اليد عنقود عنب وفير، بينما الذراع الأيسر منطوي على الصدر وفي اليد تفاحة؟

التعليق

نلاحظ أن الهيئة العامة للجسم لا تتفق وسن لايتوس، فالرجل اليسرى المتقدمة، ولو أنها قد تشير إلى التأثيرات المصرية ونحن في عهد يوبا الثاني وكلوبترا، فهي توحى فيما يهمننا بالقدرة على المشي، فضلا عن الطول والهيئة اللذان يشيران إلى إكتمال النضج الحركي. أما عن اللباس، فالتوجة بدورها لا تتفق وسن لايتوس. انطلاقا من ذلك، نلتمس إسقاط الأهل لأمل في أن يتم الطفل مساره وهو ما تعززه ملامح التحفظ التي تشير إلى استيعاب قيم التنشئة الإجتماعية الرومانية. أما الوجه الدائري بخدود ممتلئة، فنحتمل أن يشير إلى سنه الفعلي.

⁵⁸⁴CIL VIII, 09350= CLE 1455 ; Rénier, 1855, 3875, p.472; Berbrugger, 1860, n° 249, pp. 222-223 ;

التأريخ: ما بين نهاية القرن الأول ق.م وبداية القرن الأول ميلادي⁵⁸⁵.

الببليوغرافيا

Rénier, L. (1855). *Inscriptions romaines de l'Algérie, recueillies et publiées sous les auspices de S.Exc. M. Hippolyte Portoul.*

Berbrugger, A (1860). Livret de la bibliothèque et du musée d'Alger. *RevAf*4, pp. 220-228.

Épitaphe de Laetus, fils d'un affranchi du roi Juba, « Epicherchell », étude Nicolas Tran et Christine Hamdoune. <http://ccj-epicherchell.huma-num.fr/interface/fiche.php?id=289>

⁵⁸⁵Leveau, 1984, p.82.

البطاقة رقم 15



الرقم التسلسلي: 15

رقم الجرد: 1.177

مكان الحفظ: المتحف الوطني العمومي بمدينة شرشال.

رقم النقيشة: CIL VIII, 09516

نوع المعلم: نصب جنائزي منقوش.

مكان الاكتشاف: غير محدد.

سنة الاكتشاف: 1881.

المادة: رخام أبيض.

حالة الحفظ: متوسطة. ينقص الجزء السفلي من النصب.

المقاسات: العلو: 30 سم. العرض: 16.5 سم.

السماك: 5.5 سم.

الوصف: نصب جنائزي مستطيل الشكل، يشتمل على سجلين.

السجل الأول: جبهة مثلثية ذات طبلية غائرة، تحتضن نقيشة جنائزية لاتينية.

السجل الثاني: إطار غائر يتوسطه مشهد طفل عار وواقف في وضعية الثلاث أرباع. يلامس الرأس

حافة السجل الأعلى متجها نحو الجهة اليسرى. الذراع الأيسر منطوي نحو الخارج في شكل زاوية قائمة

وفي اليد صحن أو كعكة، بينما الذراع الأيمن منطوي دون أن يتضح لنا ما إن يوجد شيء في اليد. يبدو كذلك من خلال وضعية الساقين أن الطفل واقف على ما قد يكون قاعدة، بحيث لا نرى تفسيراً آخر لإلتصاق قمة الرأس بالحافة السفلية للسجل الأول.

نقل النص:

« *Sec/undi/o, Hic/ Situs Est* »⁵⁸⁶

ترجمة النقيشة:

"إلى سيكونديوس. هنا جثمانه"

التعليق

بالرغم من بساطة النقيشة وخاصة غياب سن سيكونديوس، نجد هنا مثالا لتمثيل الطفل في هيئة مغايرة لما هو مألوف على الأنصاب الرومانية وبذلك، فمشهد سيكونديوس يبتعد عن مفهوم الذاكرة المسبقة ونحتمل أن تم تجسيده على هيئته حين توفى. أما الطبق أو الكعكة، فيوحيان بإقامة المراسيم الجنائزية أو بوضعه تحت حماية الإله ساتورن وفي كلتا الحالتين، فقد يعزز ذلك مكانته ضمن العائلة من خلال حق الذاكرة وعدم حرمانه من أدنى شروط الإدماج في العالم الآخر.

التأريخ: القرن الأول ميلادي⁵⁸⁷.

الببليوغرافيا

Wierzejski, J (1901). Catalogue du Musée de Cherchel. *Rev.Af*45, pp. 237-288.

Leveau, Ph. (1984). *Caesarea de Maurétanie, une ville romaine et ses campagnes*. Ecole française de Rome (70).

⁵⁸⁶Wierzejski, 1901, n° 408, p.273. *CIL*, VIII 9516

⁵⁸⁷Leveau, 1984, p.82.

البطاقة رقم 16



الرقم التسلسلي: 16

رقم الجرد: sc148/440

مكان الحفظ: متحف الموقع الأثري بمدينة
جميلة.

رقم النقيشة: ILA 02-03, 08056

نوع المعلم: نصب جنائزي منقوش.

مكان الاكتشاف: /

سنة الاكتشاف: /

المادة: حجر كلسي.

حالة الحفظ: متوسطة.

المقاسات: الطول: 61 سم؛ العرض: 31 سم؛

السماك: 13 سم.

الوصف: نصب جنائزي يشتمل على سجلين (تبعاً لحالة الحفظ).

السجل الأول: كوة غائرة ربعها العلوي نصف دائري، يتوسطها مشهد طفلة واقفة في وضعية مواجهة. يبدو أن الرجل اليسرى تتقدم اليمنى، بينما يتجه القدم نحو اليسار. ترتدي الطفلة ستارة طويلة إلى غاية الكاحلين، مربوطة بحزام تحت الثديين وذات أكمام قصيرة. يأتي فوق الستارة معطف أو "بالا"، ذات ثنايا

مرتخية ويغطي جزءا من الفخذ الأيمن والساق، بينما يقع شقا منه على الكتف الأيسر والذراع الأيسر. الذراع الأيمن مرفوع ومرتخي نسبيا وفي اليد عنصر دائري (كعكة في شكل إكليل؟)، توجهه المتوفية نحو المذبح المحاذي، بينما الذراع الأيسر منطوي نحو الخارج أو يواجه الزائر وفي اليد كوز من الصنوبر أو عنقود عنب. ملامح الوجه وتسريحة الشعر محيين.

السجل الثاني: حقل إبيغرافي يحتضن نقيشة جنائزية لاتينية تتكون من ثلاث أسطر.

نقل النص:

« *D(is) M(anibus) S(acrum)/ Baia vixit annis/ III men(s)i(bus)VII* »

ترجمة النقيشة:

" إلى الآلهة مانس مكرس، بايا التي عاشت ثلاث أعوام وسبع أشهر "

التعليق

يبدو واضحا أن اللباس لا يوافق سن بايا التي توفيت في سن الثالثة، خاصة وأننا نلاحظ على النحت بروزا على مستوى الورك الأيسر الذي يمنح الجسم أنوثة ويشير إلى النضج الجسدي وباعتبار أن شق المعطف السفلي لا يغطي الورك، قد حرص النحات على إبراز حنيتها. انطلاقا من ذلك، نحتل أن ما نراه على مشهد بايا يعكس مفهوم الذاكرة المسبقة وباعتبار الكعكة في شكل إكليل، ربما حتى أمل الأهل في أن يُدمج الإله ساتورن بايا تحت حمايته، باعتبار أن الكعكة، بمختلف أشكالها، من ضمن رموز الإله المتداولة على الأنصاب النذرية ولا سيما في مدينة جميلة⁵⁸⁸.

التأريخ: تظهر عبارة التكريس المختصرة في كل من ضاحيتي سيتيفيس ولمايزيس ما بين القرنين الثاني والثالث ميلادي وهو التأريخ الذي يمكن اقتراحه بالنسبة لنصب بايا⁵⁸⁹.

⁵⁸⁸Leglay, 1966, p. 211 ; Beschaouch, 1980, p.130.

⁵⁸⁹Février et Gaspary, 1966, pp.44 à 50 Cité dans Pietri, 1997, p.8.

البليوغرافيا

Pietri Ch. (1997). Inscriptions funéraires latines. Version originale en français de Grabinschrift II (lateinisch), *RAC XII, Stuttgart, 1983, col. 514-590, pp.1407-1468.*

البطاقة رقم 17



الرقم التسلسلي: 17

رقم الجرد: sc021

مكان الحفظ: متحف الموقع الأثري بمدينة جميلة.

رقم النقيشة: IALg, 02-03 08118

نوع المعلم: نصب جنازي منقوش.

مكان الاكتشاف: /

سنة الاكتشاف: /

المادة: الحجر الكلسي.

حالة الحفظ: حسنة، باستثناء تلف في قمة النصب، كسر على

مستوى قمة الكوة مع محو إحدى الزهيرتين وكسر في الجهة السفلية اليمنى.

المقاسات: الطول 61 سم؛ العرض 36 سم؛ السمك: 22 سم.

الوصف: نصب مستطيل الشكل، ذات قمة مسطحة ويشتمل على سجلين.

السجل الأول: كوة غائرة ذات قمة مثلثية يحدها على الجانبين سنبله تنتهي بزهرية ذات أربع بتلات. أما الزهرية على الجهة اليمنى، فهي محمية. يتوسط الكوة مشهد طفل واقف في وضعية مواجهة، يرتدي ستارة غير واضحة التفاصيل باستثناء على مستوى الصدر وربما الرجلين، تغطيها توجة ذات حنايا غليظة ومرتخية نسبياً، تمر تحت الذراع الأيمن ثم بالجزء الأيسر من الصدر، لتقع على الكتف الأيسر. الذراع

الأيسر ممدود على طول الجسم أين تحمل اليد ما يشبه سنبله. الذراع الأيسر منطوي بينما تحمل اليد مجلدا (*Volumen*). الوجه دائري، الأعين لوزية يعلوها قوس حاجب بارز. الأنف ممحي والفم رقيق، أما الشعر فكثيف، تأتي تسريحته في شكل خصلات متجهة نحو مقدمة الرأس. تنبعث من ملامح الوجه تعابير الكآبة أو التحفظ الشديد.

السجل الثاني: حقل إيببغرافي يحتضن نقيشة جنائزية لاتينية مكونة من أربع أسطر، تفصل بين كلمات السطرين الأولين والرابع ورقة لبلاب.

نقل النص:

« *D(iis) M(anibus) S(acrum)/ M(arcus) Cessius/ Nampulus/V(ixit) A(nnis) II,*
H(ic) S(itus) E(st) »

ترجمة النقيشة:

"إلى الآلهة مانس مكرس، ماركوس كيسيوس نامبولوس، عاش عامين. هنا جثمانه"

التعليق

نلاحظ عدم توافق اللباس وسن ماركوس، كما توحى تعابير الوجه وتسريحة الشعر المصفوفة نحو مقدمة الرأس بسن الرشد وهي مألوفة لدى الأباطرة، لكن ما يثير إنتباهنا هو أن واقعية التعابير توحى بانطفاء في المشاعر وغياب كل أثر للحبوية وكأنه تم إنجاز وجه الطفل انطلاقا من قناع. في ذات السياق، تحتمل م.كارول أن البورتريهات الواقعية للأطفال قد تكون نابعة من القناع الجنائزي للمتوفي⁵⁹⁰ لكنها تخص الراشدين ونادرا الأطفال. اعتمادا على عدم توافق الهيئة واللباس بسن ماركوس، يمكن إدراج المشهد ضمن مفهوم الذاكرة المسبقة. من جهة ثانية، فقد يشير المجلد أحيانا، تبع ل ب. زانكر، إلى

⁵⁹⁰Carroll, 2018, p.141.

المستوى الثقافي المرغوب⁵⁹¹؛ انطلاقاً من ذلك وإن اعتبرنا مصف والد ماركوس (مواطن) والهيئة المتحفظة، قد نحتمل أمل الوالدين في مصف ومستوى مماثلين في العالم الثاني.

التأريخ: باعتبار ظهور التكريس DMS في ضواحي مدينتي سيتيفيس ولامبايزيس ما بين القرنين الثاني والثالث ميلادي، فهو التأريخ الذي نقترحه بالنسبة لنصب ماركوس⁵⁹².

⁵⁹¹ يشير الباحث في تحليله لتابوت من مدينة أوستيا والمؤرخ ب 150 ميلادي أن المجلد قد يشير إلى المستوى الثقافي الراقى للمتوفي (الزوج على التابوت) لكن قبل ذلك التأريخ، كان المجلد على علاقة بجملة من الخصائص ومن ضمنها الوظيفة .
Zanker et Ewald Björn , 2012,pp.179-180.

⁵⁹²Pietri, 1997, p.8.

البطاقة رقم 18

الرقم التسلسلي: 18

رقم الجرد: /

مكان الحفظ: /

رقم النقيشة: CIL VIII, 02259

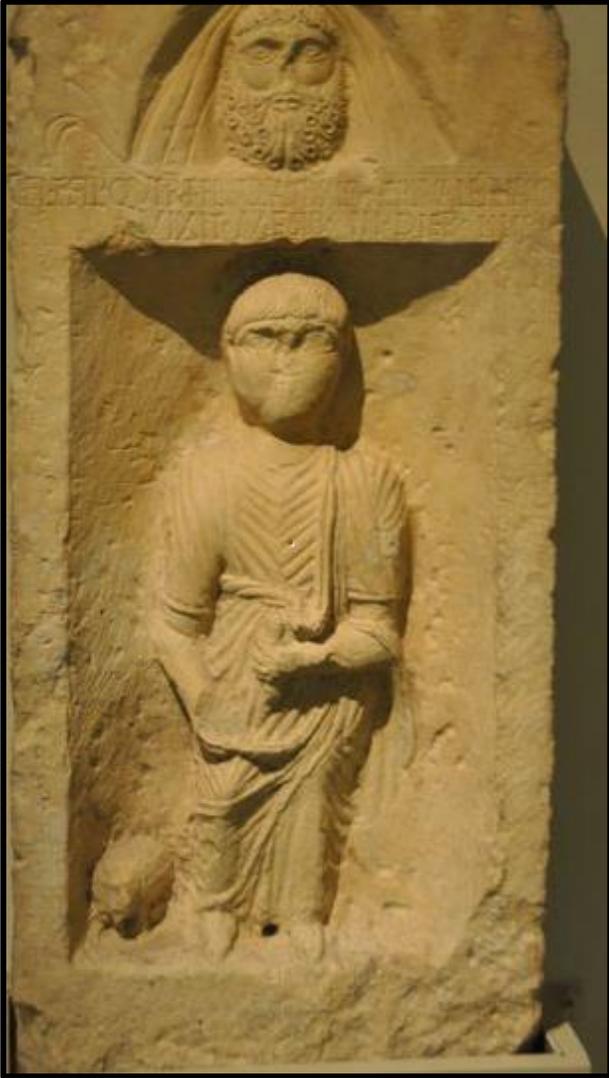
نوع المعلم: نصب جنائزي منقوش.

مكان الاكتشاف: مدينة خنشلة.

سنة الاكتشاف: /

المادة: حالة الحفظ: جيدة.

المقاسات: العلو: 92 سم. العرض: 43 سم.



الوصف: نصب مستطيل الشكل، يشتمل على ثلاث سجلات.

السجل الأول: كوة مثلثية الشكل تحتضن رأس الإله ساتورن مغطى بسترة وبلحية كثيفة. الأعين لوزية عميقة، حلقة الحاجب بارزة، الأنف مكسور.

السجل الثاني: حقل إبيغرافي يتسع على مجمل عرض النصب، يحتضن نقيشة جنازية لاتينية مكونة من سطرين.

نقل النص:

« *T(ITO) FL(AVIO), T(ITI) FIL(IO), QUIR(INA TRIBU), T(ITI) FL(AVII) SOSANDRI FRATRI, VALERIANO. VIXIT ME(N)SIB(US) III, DIE(BUS) IIII* »

ترجمة النقيشة:

"إلى تيتوس فلافيوس فاليريانوس، ابن تيتوس من قبيلة كويرينا، أخ تيتوس فلافيوس سوساندر، عاش ثلاث أشهر وأربع أيام"

السجل الثالث: كوة عميقة منحوتة بإتقان تحتضن نحتا بارزا لطفل في وضعية واقفة مواجهة، بأكتاف عريضة؛ الساق الأيمن منطوي بينما الأيسر مستقيم. يرتدي الطفل ستارة طويلة تعلوها توجة، يسمك بشق منها بيده اليمنى، بينما تحمل اليسرى مجلدا (*Volumen*) وكلا الذراعين منطوي. الأعين لوزية منحوتة بدقة، الأنف ممحي والقم رقيق منحوت بتقنية الحز. يرتدي الطفل لحية تبدو كثيفة بينما يأتي الشعر في شكل خصلات رقيقة أو حزات متجهة نحو مقدمة الرأس. تعابير الوجه مطمئنة، مبتسمة وفي أسفل النصب، بجانب الرجل اليمنى، حيوان يُذكرنا بخروف مصغر.

التعليق: نرى بوضوح أن الهيئة لا تتفق مع سن تيتوس، بل حتى أن عرض الكتفين يوحي بالإكتمال العضلي أو بالهيئة الرياضية، فضلا عن النمو الكامل للحية الذي يتم وفقا لتقسيم الفلاسفة للأعمار في حوالي 28 عاما⁵⁹³

⁵⁹³Néraudau, 1984, p.34.

وهو سن قد يناسب المشهد الذي يهمننا. نلاحظ كذلك إشارة للقبيلة وهو أمر غير معتاد في تلك السن⁵⁹⁴ حتى وإن أصبح الطفل مندمجا في العائلة والمجتمع وكذا له كيان قانوني حين منحه اللإسم⁵⁹⁵. يحتمل كل من س. غزير وه. غرايو أن النصب كان موجها إلى معبد ساتورن وأعيد استعماله في إطار جنازتي⁵⁹⁶، مما قد يوضح سبب عدم اتفاق الهيئة بالسن، لكن ينتقد من جهته ر. كانيا الفكرة مؤكدا أن النصب ذات وظيفة جنازية ومكرس إلى الإله ساتورن⁵⁹⁷. نقترح من جهتنا ما أفادتنا به دراسة ج. ماندر للرموز التي تتداول على أنصاب الأطفال وبالتحديد الحيوانات حيث تبين من عينة مكونة من 700 معلم أن حوالي 600 من مختلف الرموز متوفرة على 400 معلم ومن ضمنها 174 يخص الحيوانات بينما يشير 92 آخر إلى الجانب المدرسي، من ضمنهم 56 مجلد⁵⁹⁸. يعزز ما سبق الطابع الجنازي لمعلم تيتوس فلاقيوس فاليريانوس، فضلا عن توفر نصب الأخ وسن وفاة كلاهما. سنعود إلى كل العناصر المذكورة أعلاه بتفاصيل أدق خلال الفصل المخصص لتحليل النتائج.

التأريخ: الشعر واللحية المضبوطة من خصائص فترتي حكم تريبانوس وهاديانوس، تليها التصنيفات الملتوية خلال فترة حكم ماركوس أوريليوس⁵⁹⁹. يمكن بذلك إقتراح نهاية القرن الثاني - بداية القرن الثالث ميلادي⁶⁰⁰.

الببليوغرافيا

Leglay, M. (1966). *Saturne africain (monuments)*, T.2. CNRS.

Gsell St & Graillot, H. (1893). Exploration archéologique dans le département de Constantine (Algérie)-Ruines romaines au nord de l'Aurès (à suivre). *MélRome*, 13, pp. 461-541. doi.org/10.3406/mefr.1893.6108

⁵⁹⁴Leglay, 1966, p.177.

⁵⁹⁵Corbier, 1999, p.1263.

⁵⁹⁶Gsell et Graillot, 1893, p.496.

⁵⁹⁷Cagnat, BCTH, 1934-35, p.263.

⁵⁹⁸ 118 رمز للعصفور، 41 للكلب، 9 للأرنب، 4 للدجاج، 1 للعززة مع غياب كلي للقطط. يراجع:

Mander, 1983 (éd.2013), chap.3, p.37.

⁵⁹⁹Humbert-Bucher, 1998, p.24.

⁶⁰⁰Leglay, 1966, p. 176.

Cagnat, R. (1934-35). Séance de la commission de l'Afrique du Nord, *BCTH*, pp.255-266.

البطاقة رقم 19



الرقم التسلسلي: 19

رقم الجرد: /

مكان الحفظ: /

رقم النقيشة:

نوع المعلم: نصب جنائزي منقوش.

مكان الاكتشاف: مدينة سور جواب.

سنة الاكتشاف: /

المادة: /

حالة الحفظ: رديئة. الجزء العلوي الأيمن مكسور والتفاصيل محمية نسبيا.

المقاسات: العلو: 100 سم. العرض: 50 سم. السمك: 25 سم.

الوصف: نصب جنازي قمته متلفة، قد يشتمل على سجلين.

السجل الأول: كوة غائرة ذات قمة نصف دائرية، تحتضن مشهد طفل في وضعية جانبية متحركة، بينما الوجه في وضعية مواجهة. الساق الأيمن مستقيم، الأيسر منطوي نسبيا وكعب الرجل مرفوع. يرتدي الطفل ستارة قصيرة تصل نسبيا إلى حد الركبتين⁶⁰¹. الوجه دائري طفولي بخدود ممتلئة، التعابير حيوية بريئة. الذراع الأيمن مرفوع نسبيا ومرتخي تحمل فيه اليد كرية؛ الذراع الأيسر منطوي نحو الجذع ويقترح م. لوغلي أن تحمل اليد مجلدا. نلاحظ على الأرضية ما قد يكون كرية ثانية.

السجل الثاني: حقل إبيغرافي يحتضن نقيشة متلفة، لم تتبق منها إلا بعض الإشارات.

نقل النص:

« *D(iis) M(anibus) S(acrum) / [] didin [] v(ixit) a(nnis) III* »⁶⁰²

ترجمة النقيشة:

"إلى الآلهة مانس مكرس، ...ديدين ...عاش ثلاثة سنوات"

التعليق:

يمثل المشهد البارز طفلا في وضعية اللعب وحيوية وبراءة الطفولة المستمتعة، فضلا عن الملامح، اللباس والهيئة التي تتفق تماما مع سن المتوفي (التونيك التي تصل الركبتين). نلاحظ كذلك التركيز على لحظة رمي الكرية مما قد تشير إلى ميول الطفل إلى ذلك النوع من المتع. نحتمل تجسيد أمل في أن تستمر متعة الإين بعد الموت وأن يبقى ببراءته الطفولية وعلى هيئته، حيث تأتي التمثيلات الإيكونوغرافية الجنازية على أنواع ومنها ما يقف على إبراز أحد التفاصيل التي ميزت المتوفي. يمكن بذلك إدماج المشهد ضمن مفهوم الطفولة الأبدية، خاصة أن المتوفي، من خلال الوجه المستدير، الخدود والساقين

⁶⁰¹ بالنسبة ل م. لوغلي، فالطفل عار.

Leglay, 1951, p.70.

⁶⁰² Leglay, 1951, p.70.

البدنيتين، يذكرنا بالإيروس⁶⁰³.

التأريخ: باعتبار توفر عبارة التكريس في شكل مختصر، يمكن تأريخ النقيشة على الأقل بالقرن الثاني وربما إلى غاية القرن الثالث ميلادي.

البليوغرافيا

Le Glay M. (1951). Reliefs, inscriptions et stèles de Rapidum. *MélRome* 63, pp. 53-91.
<https://doi.org/10.3406/mefr.1951.7361>

⁶⁰³Dasen, 2017, p. 281.



البطاقة رقم 20

الرقم التسلسلي: 20

رقم الجرد: A.P.21

مكان الحفظ: المتحف العمومي الوطني بمدينة سطيف.

رقم النقيشة: AE 1972, 00726

نوع المعلم: نصب جنائزي منقوش.

مكان الاكتشاف: مدينة سطيف.

سنة الاكتشاف:

المادة: حجر كلسي.

حالة الحفظ: حسنة. النصب مكسور نصفيا ومرمم والنقيشة

مشوهة نسبيا.

المقاسات: الطول: 130 سم. العرض: 52 سم. السمك: 22

سم.

الوصف: نصب مستطيل الشكل، يشتمل على ثلاث سجلات.

السجل الأول: جبهة مثثية منحوتة في شكل إطار بارز. تتوسط الطبلية زخرفة تشبه النخلة المحورة.

السجل الثاني: نحت بارز يتسع على كل عرض مساحة النصب دون تهئية أو تأطير ويشتمل على مشهد نصفي لأم وإبنها في وضعية مواجهة. ترتدي الأم لباسا يحمل زخارف في شكل زهيرات مما يعرقل تحديد نوع اللباس، نلاحظ فقط أن العنق مغطى بينما تغطي الرأس قبعة (Mitra). نلاحظ كذلك أن ملامح الوجه تفتقر إلى التماثل والواقعية: الأعين اللوزية غير متناظرة، الأنف مكسور لكن يبدو أن أخذ مساحة معتبرة من الوجه، بينما يبدو الفم أصغر حجما من خلال الحزة التي تفصل الشفتين. أما بالنسبة للإبن، فنجد نفس التفاصيل التي ترد لدى الأم، فقط أن لباسه مشكل من ستارة تغطيها توجة ذات ثنايا غليظة، بينما تأتي تسريحة الشعر في شكل خصلات عريضة مخروطية الشكل متجهة نحو مقدمة الرأس إلى حد الجبهة.

السجل الثالث: حقل إبيغرافي مندمج في إطار يحتضن نقيشة لاتينية مكونة من خمس أسطر.

نقل النص:

« *D(is) M(anibus) Mamilia/Tertia vixit an(nos) XXV impendia felicis/ filius eius maximus/ v(ixit) mensibus IV h(ic) s(itus) e(st)* »

ترجمة النقيشة

"إلى الآلهة مانس مكرس، ماميليا ترتيا، عاشت 25 سنة، مسلوبة السعادة؟، عاش إبنها ماكسيموس أربع أشهر، هنا جثمانه"⁶⁰⁴

التعليق: نلاحظ عدم توافق اللباس، الملامح وتسريحة الشعر مع سن ماكسيموس وباعتبار سن الإبن وتمثيل الأم والإبن على نصب واحد، يمكن احتمال أن توفيت جراء تعقيدات في عملية التوليد وهي حوادث شائعة في العالم القديم مثلها مثل وفاة الرضع. أما عن هيئة الطفل، فنحن نلاحظ أن تندمج في مفهوم الذاكرة المسبقة. نجهل هوية من تكلف بإنجاز المعلم، لكن باعتبار مصف ماكسيموس (عبيد) وغياب كل إشارة للأب أو الزوج، يمكن أن تكلف السيد أو الحامي بالنسبة للأم بإنجاز المعلم بتكاليف النصب، كما يمكن أن كان لقلّة الإمكانيات دورا في تحديد نطاق النقيشة إلى أهم التفاصيل.

⁶⁰⁴ Février, 1970, p.342 (Fig. p.343).

أما عن الخلل الذي نلاحظه في التماثل بين نصفي الوجه، فتبعاً ل ف. غاغديس- روبين و م. هايزمانس، لا خلفية ورائه، حيث يُعد مألوفاً على الأنصاب الجنائزية وحتى على تلك المُنجزة بإحترافية⁶⁰⁵ نشير أخيراً إلى احتمال إنتماء الأم إلى مصف ذات علاقة بالحياة الدينية باعتبار القبعة التي ترتديها أي الميتر. يشير إيزيدور الإشبيلي أن الميتر قبعة ترتديها النساء اللواتي إندمجن في الحياة الدينية وأنها نسوية بحتة⁶⁰⁶.

التأريخ: يسمح التكريس المختصر DM باقتراح تأريخ النقيشة بنهاية القرن الأول (الفلافيين) وخاصة القرن الثاني ميلادي⁶⁰⁷.

الببليوغرافيا

Février, P.A (1970). Inscriptions de Sétif et de sa région, BAA 2, pp.319-410.

⁶⁰⁵ Gaggadis-Robin et Heijmans, 2001, p.127.

⁶⁰⁶ Isidore de Séville, The Etymologies, XIX, 31, p.390.

البطاقة رقم 21



الرقم التسلسلي: 21

رقم الجرد:

نوع المعلم: تابوت مزخرف.

مكان الاكتشاف: مدينة تيمقاد.

مكان الحفظ: متحف الموقع الأثري بمدينة تيمقاد.

سنة الاكتشاف: 1882.

المادة: رخام.

حالة الحفظ: جيدة.

المقاسات: الطول: 212 سم؛ العرض: 66 سم.

التاريخ: القرن الثالث ميلادي.

الوصف: تابوت مستطيل الشكل يحمل مشهدا رمزيا يشغل كل المساحة الخارجية، يتوسطه حوض مستدير الأطراف.

يتكون المشهد من أربع إيروتاس مجنحة، على يمين ويسار إكليل يتوسطه نحت بارز نصفى لطفل مرتد توجة كونتابولاتا ومندمج في قلادة (*clipeus*). يتوسط كل من الإيروتاس الأربعة إكليلا من الفواكه (عنب، تفاح، إجابص، حمضيات)، متصلين فيما بينهم بشرط يظهر جليا على حافتي المشهد وبداخل كل إكليل قناع تراجيدي.

التعليق:

في غياب النقيشة، لا شيء، باستثناء الملامح، يشير إلى أن المتوفي طفلا. إن اعتمادنا عليها، فالتوجة كونتابولاتا في تناقض مع السن. تتفق جملة من الباحثين على أن هذا النوع من التوجة بالتحديد كان مخصصا لرجال الدين في مقاطعة مصر الرومانية خلال أواخر القرن الأول ميلادي، لتعرف رواجاً خلال الفترة السيفيرية، أين إنفرد بها أعيان المدينة وذلك لأن مرسوم الإمبراطور كركلا، الذي اكتسب فيه الأحرار حق المواطنة، أتاح فرصة ارتداء التوجة للجميع، مما آل إلى لجوء الأعيان إلى التوجة كونتابولاتا حرصاً على الفصل بين المصنفات⁶⁰⁸. يعزز ما سبق التناقض المذكور أعلاه. أما عن المشهد، فيمكن إدراج الملاحظات التالية:

- يشير القناع التراجيدي إلى منظور الرومان للحياة عامة ويرد في المصادر ما يثبت ذلك، حيث يسرد لنا سويتونيوس الكلمات الأخيرة التي قد تلفظ بها الإمبراطور أغسطس حين سأل الحضور إن وُفق في

⁶⁰⁸ Fejfer, 2008, pp.190 et 192.

أدائه لتراجيديا الحياة⁶⁰⁹، ليضيف: "إن إسمتعم بتلك المسرات، فلا ترفضوا لها تصفيقاتكم"⁶¹⁰. في الإطار الجنائزي، يشير القناع بالتحديد إلى حياة مكتملة بمشقاتها ومصاعبها⁶¹¹.

- نلاحظ على جوانب القلادة التي تحتضن التمثال النصفي للمتوفي، أربع إيروتاس ذات الأجنحة المفردة، زوج منهم يمسك بصفة محكمة ومركزة بإطار المشهد، بينما الساقين في حركة، يأتي فيها كعب إحدى الرجلين مرفوعا، بينما يرتكز الثقل على الساق الثاني. نلاحظ أن نظرة كليهما موجهة نحو الإيروس الذي يقابله على حواف المشهد والذي بدوره ينظر إلى نفس الاتجاه. نلاحظ كذلك أن وضعية الساقين لدى الزوج المتواجد على حواف المشهد نفسها حركة الزوج الذي يحاصر القلادة، فقط أن إحدى الساقين في الإتجاه المعاكس لها.

- يتوسط المشهد المركزي تمثال نصفي لطفل يرتدي تونيكاً ذات العنق الدائري فوقها توجة كونتابولاتا⁶¹². أما عن الوجه، فنلتمس عليه عبارات التحفظ.

بربط المعطيات المذكورة أعلاه، نقترح ما يلي: يوحى زوج الإيروتاس المحيط بالمشهد وبمنظرة موجهة إلى الزوج المتواجد على حافتي المشهد، بتناسق في الحركة التي تسبق الإنطلاقة نحو الأفق ورفع روح المتوفي نحو العالم الثاني، اعتبارا لكون الإيروتاس بمثابة رمز التألّيه (Apothéose)⁶¹³. إن أضفنا إلى ذلك، الرمز الديونيزي الذي يجسده عنقود العنب، فنحن أمام تمثيل لمفهوم البعث، بينما يشير كائن الإيروس، فضلا عن التألّيه، إلى الطفولة الأبدية.

أما عن القناع التراجيدي الذي يعكس حياة حافلة بالمشقات والمصاعب، فباعتبار الطفل لم يقض ما يكفي من الوقت لكي يكمل برمز يشير إلى الحياة المكتملة وباعتباره أتى في شكل نصفي ومؤطر، فما قد تمناه

⁶⁰⁹ Equid iis vederetur mimum vitae commode transegisse. Si vous avez pris goût à ces délassement, ne leur refusez pas vos applaudissements. Suétone, *Auguste*, 99, 1.

⁶¹¹ Rochette, 1838, p.184.

⁶¹² هي توجة بالنسبة ل ج. لاسو. Lassus, 1981, p.223, fig.182.

⁶¹³ Rawson, 1999, p.231.

الأهل هو اكتمال حياة أوقفها القضاء قبل أوانها، كما نحتمل أن يندمج النحت النصفي المقلد ضمن مفهوم الطفل المؤسس رغم غياب الوالدين.

نشير الإنتباه كذلك إلى إكليل الفواكه والذي ابتداء من القرن الثالث ميلادي، أصبح رمزا لمختلف التساؤلات ذات العمق الميتافيزيقي، المتعلقة بالمعنى الكامن للحياة والوجود. إنتقلت المفاهيم الإيكونوغرافية حينها من الجانب الميثولوجي الذي يكرس البعث الموفق والإنجازات الشخصية إلى تفاصيل إيكونوغرافية تتسم بالتواضع وفي هذا الإطار، أصبحت الفواكه، عادة رمز الرخاء والوفرة، بمثابة صورة للإندثار والبعث في ذات الوقت⁶¹⁴. باعتبار تأريخ التابوت بالقرن الثالث ميلادي وكذلك التفاصيل التقنية التي تخص المعلم، تأتي التوجة كونتابولاتا لتعزز ذلك التأريخ وأخيرا الإكليل بخلفيته الفلسفية.

نشير أخيرا إلى أن المشهد المقلد (*imago clipeus*) نابع من الفن الإغريقي⁶¹⁵. هو نوع خاص لدى الإغريق إن اعتبرنا عزوفهم عن تفكيك الجسم في منتوجاتهم الفنية. يشير هذا النمط الفني بالتحديد إلى وضعية رمزية تتعلق بتأليه الشخص الممثل (*Apotheosis*)، مما يعزز ما ذكرناه أعلاه فيما يتعلق بالإيروتاس. استمرت المنحوتات المقلدة على طول الفترة الإمبراطورية ولا سيما على مختلف المعالم الجنائزية كالتوابيت والمعالم التذكارية⁶¹⁶.

الببليوغرافيا

Hamoutène, A. (1983). *Inventaire de musée de Timgad*, thèse de doctorat de 3^{ème} cycle, sous la direction de P.A. Février, Aix université, Aix-en-Provence.

Lassus, J. (1981). *La forteresse byzantine de Thamugadi, 1. Fouilles à Timgad 1938-1956*. CNRS. https://www.persee.fr/doc/etaf_0768-2352_1981_mon_1_1

⁶¹⁴Zanker, 2010, pp.193-194.

⁶¹⁵ أقدم تأريخ للنحت المقلد ببلاد الإغريق يعود إلى القرن الأول ق. م، بالتحديد سنة 100 ق. م في الفضاء المقدس لآلهة مدينة ساموثراس، بينما يظهر لدى الرومان في حوالي 80 ق. م من خلال نحت أحد أفراد عائلة أبيوس كلاوديوس والذي وُضع بمعبد بيلونا بروما، هذا ولابد من الإشارة إلى الحضارة المصرية التي اعتادت بدورها على اللجوء إلى الأقتعة الجصية لتجسيد وكذا الحفاظ على ملامح المتوفين إلى جانب التحنيط. يُراجع:

Pline L'ancien, XXXV, 44 ; Bianchi Bandinelli, 1970, pp.87 et 89.

⁶¹⁶Bianchi Bandinelli, 1970, p.87.

Rochette, D. (1838). Notice sur deux vases en argent. *Nouvelles Annales Publiées Par La Section Française de l'Institut Archéologique* 2 (1), pp.170–190.

Rawson, B. (1999). The iconography of roman childhood, chapter 9. In Rawson, B., Richard, P. Carey Weaver (eds.), *The Roman Family in Italy : Status, Sentiment, Space* (pp.305-332). Oxford university press.

Bianchi Bandinelli, R. (1970). *Rome, the Centre of Power: Roman Art to A.D. 200* (P. Green Trad.). Thames & Hudson, 437p.

Suétone, *Vie des douze césars: Auguste* (M. Cabaret-Dupaty Trad.),1893. Garnier Frères.

الفصل الثالث

خلاصة وتحليل النتائج

نقترح فيما يلي تحليلاً للعناصر التي لم تُدمجها خلال الفصل الأول والتي تسمح بالتعمق في خلفية توفر بعض المخلفات أو بعض المخلفات على حساب غيرها، التساؤل حول بعض التناقضات في انتقاء سكان المدينة لمراسيم جنازية والتخلي عن أخرى وكذا محاولة إبراز استمرارية بعض الطقوس السابقة للوجود الروماني. يهدف الهدف من هذا الفصل أساساً إلى تدعيم فرضية غياب مفهوم الموت المشؤومة بمقاطعات إفريقيا فيما يخص فئة الأطفال وإبراز العناصر المدعمة لمنظور محلي قد يختلف عما أُعتد عليه لدى الرومان فيما يتعلق بالموت عموماً.

فيما يتعلق بالمقبرة الشرقية لمدينة سطيف خلال مرحلة الدفن البدائية:

- الحلي: لاحظنا قلتها لدى فئة الأطفال مع منح الأولوية لأصغر الفئات وفي ذات السياق، تم إحصاء خاتم واحد، أربع صدفيات، ثلاث لؤلؤات وحلقتي أذن⁶¹⁷. فيما يتعلق بشظيتي بيض النعام (فئة الأقل من سنة)، فوفقاً ل هـ. بينيشو - سفر، يُعد بيض النعام من الحلي الذي يحمل رمزية الخصوبة، بينما تفيدنا هـ. كامبس فابرر بأن شظايا بيض النعام متوفرة فقط في القبور من نمط البازينا والتلال وأنها كانت أكثر تداولاً في القبور البونية بحيث لما قُلت فيها، أصبحت تقتصر على قبور الأطفال، لتضيف الباحثة أنه، إن كان لها بعد وظيفي خلال فترة ما قبل التاريخ، فقد اكتست بعد ذلك طابعاً جنازياً⁶¹⁸. أما ف. كرينغس، فتربط بيض النعام المزخرف برمزية العنصر الحيوي في الإطار الجنائزي لدى الحضارات الشرقية (بلاد ما بين النهرين، سوريا، فلسطين وجزيرة قبرص) بينما تحمل معنى رمزي ووقائي لدى الحضارات الغربية، أين شاعت ما بين القرنين السابع والثالث ق.م، تبعاً لنمطها (أوعية مصنوعة من بيض النعام أو أفنعة)⁶¹⁹.

نلاحظ أن كل ما أحصيناه من حلي متوفر لدى أصغر الفئات (الخاتم، الأربع صدفيات، اللؤلؤات الثلاث، حلقتي الأذن وشظيتي بيض النعام) بحيث تنعدم في قبور فئات ال 4-7 سنوات، 7-10 سنوات و 10-16 سنة، كما مُنحت أولوية التوفر لفئة الأقل من سنة.

⁶¹⁷ الخاتم في القبر رقم 27 (4-2 سنوات)؛ الصدفيات في القبر رقم 61 (سنة)؛ اللؤلؤات في القبور رقم 27 (4-2 سنوات) - رقم 77 (أقل من سنة)؛ حلقتي الأذن في القبر رقم 63 (سنتين).

⁶¹⁸Camps-Fabrer, 1994, paragr.12-13.

⁶¹⁹Cecchini, 1995, p.530.

إن توفر الحلي ولو بنسبة ضئيلة جذير بالاهتمام، خاصة لما يتعلق الأمر بفئة الأطفال، باعتباره يعكس حواراً مجازياً يشير إلى عناية أهل براحة المتوفي من خلال الاعتراض إلى كل ما من شأنه تشويش تلك الراحة وهو ما تثبته لؤلؤة العقيق الأحمر التي ترمز إلى الحماية والبعث واللؤلؤتين ذات اللون الأزرق اللتان تحميان المتوفي من الأرواح الشريرة. للصدفيات بدورها رمزية وقائية من الأرواح الشريرة كما لها علاقة بالخصوبة وذلك منذ فترة ما قبل التاريخ. يشير غ. كامبس إلى توفرها في المقابر الميغاليتية على غرار بونوارة، عين الباي، قسطل، ركنية، سيلا، الجلفة ومغنية⁶²⁰.

تندرج تلك التي تم العثور عليها في القبر رقم 61 بالمقبرة الشرقية لمدينة سطيف ضمن عائلة *Cerastoderma* و *Cardium*، *Pecten*. إلى جانب رمزية الخصوبة، يتم اللجوء إلى الصدفيات من عائلة *Pecten* لصنع حاويات مواد الزينة والتي يتم العثور عليها في الإطار الجنائزي، فضلا عن أن اللون الأحمر الذي يطغى على هذا النوع من الصدفيات قد يشير إلى الطاقة الحيوية⁶²¹. يُحتمل في الحالة التي تهمنها (القبر رقم 61)، أن تندمج العناصر الثلاث من عائلة *Pecten* في إطار الأثاث ذات الطابع الأنثوي من خلال علاقتها بالخصوبة، بينما يعزز لونها أمل البعث والحياة. فيما يخص بقية الأثاث ذات الدلالة الجنسية، فعادة ما تُعد الخواتم، الإبر، الأساور، حلقات الأذن لما تأتي مزدوجة وكذا مماسك الشعر من ضمن الأثاث ذات الطابع الأنثوي، أما المرأة، فإن يُدمجها البعض، على غرار ف. داسن، يُبدي البعض الآخر تحفظاً، لتوفرها لدى الجنسين⁶²².

خلال مرحلة الدفن البدائية، لم يتجاوز عدد المرايا الثلاث عناصر، إثنين منها في قبوري راشدين بينما الثالثة، ففي القبر رقم 104 الذي سبق وأن عزلناه عن قائمة القبور باعتبار انعدام الجثة والذي احتل في شأنه م. لوجلي، انطلاقاً من المقاسات، أنه تابع لطفلة. أما مماسك الشعر، الأبازييم وأدوات الزينة، فهي منعقدة. بذلك يبقى أن نعتبر عناصر الحلي، كالخواتم والأساور وحلقات الأذن من ضمن الأثاث ذات الدلالة الرمزية بالدرجة الأولى، باعتبار اقتصره على أصغر الفئات وبالدرجة الثانية الجنسية. أما عن الأثاث الذي يُنسب عادة إلى الذكور وعلى وجه الخصوص الكواشط المنظفة أو الكريات العظمية، فهو منعدم لدى فئة الأطفال.

⁶²⁰Camps, 1961, p.528.

⁶²¹Bifarella, 2020, p.1447.

⁶²²Cassimatis, 1998, pp.298-299.

نتساءل بذلك عما إن كان غياب أدوات الزينة باستثناء الحفرة رقم 104 واقتصار الحلبي عموماً على أصغر الفئات، يدل على أنه في هذه المرحلة المبكرة من ترومن مجتمع مدينة سطيف، لم يتم في الذهنية الجماعية الفصل ما بين الجنسين في الإطار الجنائزي؟ من جهة ثانية، فالحلي متوفرة بمدينة سطيف ولو بعدد ضئيل، مثلما توفرت بعدد ملحوظ في المقابر الميغالييتية ومن ضمنها حلقات الأذن في كل من قسطل وبني مسوس والأبازيم في كل من بني مسوس و كدية السلطان (بالقرب من الكاف) وعلى هذا الأساس، فتوفرها بعدد يفوق أدوات الزينة في المقبرة الشرقية قد يتفق ومبدأ الاستمرارية كما قد لا يكون حتماً على علاقة بجنس المتوفي.

يشير غ. كامبس⁶²³ و س. غزير إلى اعتياد الملوك المور وكذا المجتمع المحلي على ارتداء حلقة أذن واحدة⁶²⁴ ومن ضمنهم الملك يوغرطة⁶²⁵. هو ما يرد بالفعل في المصادر ولا سيما لدى ماكروبيوس (Macrobius) وبلوتارخ (Plutarch)، أين يسرد لنا المؤرخان حادثة جرت بين أحد الحضور (أوكتافيوس) وكيكرو، حيث تساءل كيكرو عما إن لم يكن أوكتافيوس، الذي تباهى بمصنف اجتماعي راق، ذات أصول ليبية وذلك باعتبار أن إحدى أذنيه مثقوبة، بينما يشير من جهته ماكروبيوس إلى أنها عادة متداولة لدى الليبيين⁶²⁶. هو ما يثبت توفرها منفردة ضمن المرفقات الجنائزية لقبور درارية العاشور (القبور A3 و B5)⁶²⁷، المؤرخة بالقرنين الرابع والخامس ميلادي (والتي لم يحدد فيها الباحث جنس المتوفي)، مما يدل، على الأقل، باستمرارية تلك العادة إلى غاية آخر فترات الإمبراطورية السفلى.

أما الأبازيم، فبينما يذكرها س. غزير كأحد عناصر الربط للباس، آلت ندرتها ضمن المخلفات الجنائزية ب. غ. كامبس إلى الشك حتى في اندماجها ضمن اللباس المتداول في الحياة اليومية ودوماً دون تحديد الجنس⁶²⁸. نشير هنا إلى انعدامها ضمن قبور الأطفال في المقبرة الشرقية خلال المرحلة البدائية وذلك حتى لدى أكبر الفئات. باعتبار ما سبق وخاصة شبه انعدام أدوات الزينة مقارنة بالحلي، نحتمل أنه لم

⁶²³Camps, 1961, p.430.

⁶²⁴Gsell, 1927, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T.VI, p. 3 .

⁶²⁵Plutarque, Marius, 12 cité dans Gsell, 1927, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T.VI, p.37.

⁶²⁶Plutarque, *Questions conviviales*, II, 1, (note de bas de page n°4) ; Macrobe, *Les saturnales*, VII, 3.

⁶²⁷Camps, 1955, pp.241- 243-249-258.

⁶²⁸Camps, 1961, pp.431 et 432.

يكن هنالك فصل راسخ في الذهنية المحلية ما بين الجنسين خلال الطفولة في الإطار الجنائزي واستمرار ذلك خلال الفترة الرومانية بالمقبرة الشرقية لمدينة سطيف خلال مرحلة الدفن البدائية. فيما يخص القطع النقدية، فهي لا تتعدى 4 قطع لدى الفئتين. نستوحي من جهة أن فئة الأطفال معنية بطقس العبور في المقبرة الشرقية خلال هذه المرحلة مما يعزز الأمل في حياة ثانية. من جهة ثانية، نلاحظ أنه لم تُمنح الأفضلية لفئة على حساب أخرى (أطفال - راشدين). هذا وتضعنا قلة القطع النقدية أمام اشكالية تتعلق بما إن كان طقس العبور يكتسي نفس الرمزية لدى سكان مدينة سطيف. بعبارة أوضح، هل كان حق العبور مفهوم مألوف ومدمج ضمن المراسيم الجنائزية قبل الاستيطان الروماني؟ باعتبار أن العديد من القطع التي تم العثور عليها بالمقبرة تعود إلى ملوك الممالك النوميدية، فد نحتمل وضع المتوفين تحت حماية تلك الملوك وفي تلك الحالة، فنعلم أن تأليه الملوك أمر متداول لدى المجتمع الليبي.

بالرغم مما سبق ذكره، نعود مرة أخرى إلى أبحاث غ. كامبس، الذي يشير إلى ندرة القطع النقدية في المقابر الميغاليثية الغربية وذلك ابتداء من مدينة سطيف، أين لاحظ غيابها ضمن الممارسات الجنائزية إلى غاية الفترة الرومانية، كما أنها نادرة في القبور من نوع الدولمان، بينما ينحصر توفرها في شمال ووسط تونس، في كل من بولا ريجيا، دقة، مكث وفي الجزائر، بمدينة تبسة. يلاحظ الباحث من جهة ثانية، أنه حتى في تونس، أين تم إحصاء أكبر عدد من العناصر في المدن المذكورة أعلاه، تبقى القطع النقدية غائبة عن الممارسات الجنائزية خارج تلك المراكز الحضرية. إلى جانب تونس، يذكر الباحث توفرها في المنطقة السيرتية (سيلا، راس عين بومرزوق، سيقوس وعين الباي) وفي قسطل وعين الحمام⁶²⁹؛ لكن يشير إلى عنصر جذير بالذكر وهو أن تلك القطع النقدية (نوميدية، بونية، رومانية)، تظهر في قبور معادة الاستعمال خلال فترة متأخرة أو في قبور تعرضت للتدنيس⁶³⁰.

يمكن حينها احتمال أن القطع النقدية لم تندمج ضمن الممارسات المعنادة لدى المجتمع المحلي وقد يُنسب توفرها في بعض القبور الميغاليثية إلى إعادة الاستعمال في مرحلة متأخرة. انطلاقا مما سبق،

⁶²⁹Camps, 1961, p.432.

⁶³⁰Camps, 1961, p.433.

فندرتها في المقبرة الشرقية خلال هذه المرحلة البدائية من الترومن، يعزز احتمال وجود منظور محلي لحق العبور، إن وُجد وعلى أية حال، استمرار الندرة خلال الفترة الرومانية. فيما يتعلق بالأثاث الجنائزي ومخلفات الأدبة، تُذكر مبدئياً بأن الأثاث المتواجد في تراب الردم أو خارج الغرفة الجنائزية ضئيل مقارنة بذلك الذي عُثر عليه بداخل الغرفة الجنائزية (12 عنصر مقابل 57)، كما تم العثور على عناصر من الأثاث توحى بإيداعات غذائية فعلية أو رمزية والمتمثلة في الأطباق المقلوقة والأواني المغطاة. قد يدل ذلك بإيداعات غذائية تم استهلاكها خلال الأدبة وهو ما يوحي به توفر القلة المغطاة والطبق المقلوب في القبرين رقم 24 ورقم 69.

أما لدى فئة الراشدين، فالأواني المقلوبة أكبر عدداً (4 عناصر) لكن تنحصر في طبق مقلوب في كل من القبور رقم 10-57-84 وطبق مغطى في القبر رقم 44. نلاحظ أنه، إن كان عدد الإيداعات الغذائية (رمزية كانت أو فعلية) أكبر لدى فئة الراشدين، فيبقى استثنائياً، في حين نرى أنه غير منعدم لدى فئة الأطفال (عنصرين). نشير مجدداً إلى تحليل ج. شايد الذي لا يُقضي اللجوء إلى ممارسات تعويضية كاستبدال ذبيحة الأدبة بطقس الإرافة وذلك تبعاً لمحددات تتعلق بالثقافة المحلية والإمكانات المادية. يمكن بذلك أن تمت إقامة أدبة وفقاً لمعايير مغايرة لما أُعتد عليه في الثقافة الرومانية وذلك بالنسبة للفئتين.

نعود مرة أخرى إلى ما يرد في دراسة غ. كامبس للممارسات الجنائزية بشمال إفريقيا خلال فجر التاريخ، حيث يشير بدوره إلى قلة الإيداعات الغذائية في الأواني التي تم العثور عليها في القبور الميغاليتية. من جهة ثانية، يذكر الباحث توفر أوعية منقلبة في مقبرة بونوارة (من القرن الثالث أو الثاني ق.م إلى غاية حوالي 150 أو 250 ميلادي)⁶³¹ (الدولمان رقم 1، III، XIX) وكذلك عناصر من أواني السوائل أنت ممدودة على الجانب (القبور رقم VIII، XII، XVII، XIX، XXI)⁶³². عثر الباحث كذلك على طبق منقلب بمقبرة درارية العاشور (القبر A2)، المؤرخة ما بين القرنين الرابع والخامس ميلادي ويشير في هذا الإطار إلى أنها ممارسة محلية ولو أنها غائبة في بقية قبور ذات المقبرة. يلاحظ من جهة ثانية وجود نوع من التمازج في الممارسات الجنائزية، حيث إلى جانب القطع النقدية والمصابيح وكذا النقائش الجنائزية في

⁶³¹Camps, 1991, paragr.7.

⁶³²Camps, 1961, p.518.

نفس المقبرة (درارية العاشور)، تم العثور على بقايا للمغرة وأواني فخارية مسطحة وهي ممارسات ونمط يعترف لهما بالطابع المحلي⁶³³.

يذكر الباحث كذلك توفر الأواني الخالية من مخلفات الإيداعات الغذائية والتي لا يُقصد في شأنها احتمال توفير إيداعات ملموسة أتلفت أو أخرى رمزية، بالإضافة إلى أواني مغطاة، قد احتوت فعلا على بقايا إيداعات غذائية ولكنها نادرة⁶³⁴.

انطلاقا مما سبق، فإن استمرت من جهة بعض الممارسات المحلية في مقبرة مؤرخة ما بين القرنين الرابع والخامس ميلادي فيما يخص الأواني المنقلبة وإن عُرفت من جهة ثانية المقابر الميغاليثية بقلة الإيداعات الغذائية وبتوفر أثاث يوحي بنية إهدائها من خلال الوضعية، يمكن احتمال أن استمرت خلفية تلك الممارسات في ذهنية سكان مدينة سطيف الذين منحوا مكانة ثانوية للإيداعات الغذائية بينما تتعدد الأواني التي توحى بها⁶³⁵.

نحتمل وجود تمازج في الممارسات الجنائزية، قد آل إلى انتقاء سكان مدينة سطيف لما هو مألوف بالنسبة إليهم ومنح مكانة ثانوية أو حتى استبعاد ما هو غير مألوف وذلك على أساس أنه، في كل تمازج أيا كان نوعه، فأهم وأول عنصر يثير انتباه المجتمع الذي يستقبل قيم ثقافة جديدة هو عنصر التشابه⁶³⁶ وهو ما يعزز احتمال منظور محلي للموت بما في ذلك ما يخص فئة الأطفال.

فيما يتعلق بالأثاث المكسور والمعكوس الوضعية، فأحصينا خلال مرحلة الدفن البدائية 3 عناصر مكسورة لدى فئة الأطفال (فلتين في القبر رقم 70 ومرآة في القبر رقم 89) مقابل 3 أخرى لدى فئة الراشدين (مرآة في القبر رقم 58، قطعة من طبق في القبر رقم 25، قطعة من طبق في القبر رقم 91). نلاحظ مبدئيا أنه لم يتم تفضيل فئة عن أخرى ونحتمل حتى أن قل الحرص على فصل الموتى رمزيا عن عالم الأحياء باللجوء إلى الكسر. يمكن أن ننسب قلة الأثاث المكسور إلى توجه عام للمقبرة قد يكون ناتجا مرة أخرى عن نظرة مغايرة للفعل الجنائزي والتي لم تكن لرمزية الكسر فيها أولوية وإلا لأتى عدد العناصر

⁶³³Camps, 1955, pp.246 et 264.

⁶³⁴Debruge, 1910, p.83 ; Logeart, 1935-1936, p.82 Cité dans Camps, 1961, p.516-517.

⁶³⁵Camps, 1961, p.520.

⁶³⁶Bernard ; Capone ; Lenoir et Champion, 2001, p.2.

أكبر. من جهة ثانية، يطرح قلة عدد الأثاث المكسور إشكالا باعتباره لا يندمج فقط ضمن الممارسات المعتادة لدى الرومان وإنما كذلك ضمن تلك التي تم إحصائها في المقابر الميغالييتية. نذكر من ضمنها مقبرة واد الورق، على بعد 11 كم من شلالة (المدية) والمؤرخة كأقصى حد بالعصر الحديدي⁶³⁷ أي عموما ما بين القرن الثامن إلى غاية بداية الإستيطان الروماني⁶³⁸، أين لاحظ ب. روفو أنه، رغم فقر القبور من حيث المرفقات، فكل الفخاريات (ذات التأثير البوني) أتت مكسورة عمدا، إلى درجة أن إستحال إعادة تشكيل أية منها بشكل كامل⁶³⁹. أما عن حفريات غ. كامبس بمقبرة بونوارة (جبل مزيلة)، فأحصى هو الآخر عددا من الفخاريات المكسورة في شكل شققات وقطع (دولمان رقم 2-4-10-14-20) رغم فقر المخلفات الجنائزية.

يُنسب الباحث وجود الأثاث في تلك الهيئة إلى المصنف المادي للعائلة وإلى الطابع السحري للشققات والقطع بحيث لا يُلغى الكسر الوجود الفعلي للآنية، كما يفسر الباحث مفهوم الكسر بنفس الطريقة التي يقترحها ج. شايد عموما، الذي يعتبره تجريدا للآنية من بعدها الوظيفي في الحياة اليومية لكي تندمج كليا في الإطار الجنائزي، لكن يضيف غ. كامبس أنه بكسر الآنية، يتم فصلها عن عالم الأحياء لتكريسها للمتوفي كليا أين يصبح "مالكها" الفعلي⁶⁴⁰. نلتمس من تفسير الباحث أن للكسر وظيفتين متتاليتين تتمثلان في تجريد الآنية من وظيفتها الأولية كخطوة أولى والتي تؤول إلى فصل المتوفي رمزيا عن الأحياء، مما سيؤول إلى ربطه بالآنية المكسورة حتى يتسنى له "امتلاكها"⁶⁴¹ كليا في العالم الثاني وهو جانب مهم من تحليل غ. كامبس لا نلتمسه لدى ج. شايد، بحيث في قراءة غ. كامبس، تنتقل الإشكالية من مفهوم الفصل الناتج عن سيرورة الحداد وخوف الأحياء من نجاسة الموت إلى مفهوم الفصل الذي مفاده تيسير اندماج المتوفي وامتلاكه لما اعتاد عليه حيا. قد يجذر الفصل بين تفسير الباحثين باعتبار الأول يدرس الفعل الجنائزي في ضل الحضارة الرومانية بينما يقترح الثاني نظرة محلية وانطلاقا من ذلك، فيتجرد مفهوم الكسر العمدي جزئيا لدى غ. كامبس من صبغة الرعب ليكتسي طابعا إيمانيا أين تُمنح الأولوية لراحة المتوفي في محيطه الجديد.

⁶³⁷ Roffo, 1938, pp.229-234.

⁶³⁸ E.B, 1997, *Encyclopédie berbère* 18, paragr.4.

⁶³⁹ Roffo, 1938, pp.229-234.

⁶⁴⁰ Camps, 1961, pp.59 et 520.

⁶⁴¹ Camps, 1961, p.520.

يمكن أن نحتفظ بقراءة الباحث حول الواقع المادي في مقبرة بونوارة باعتبارها قد تدعم دور الإمكانيات المحدودة في توفير أثاث مكسور لتوظيفه في الإطار الجنائزي لكن في المقبرة الشرقية، يذكر الباحث أن الأثاث المتوفر جديد أو على الأكثر مشقوق، مما يقصي احتمال استعمال أثاث يومي مكسور في إطار جنائزي.

يمكن حينها احتمال أن الكسر لم يكن مرهونا بفقير الإمكانيات المادية لسكان مدينة سطيف بقدر ما كانت له علاقة بأولويات سكان المدينة بحيث إن كان الكسر أساسيا وعلى علاقة بمسألة عزل المتوفي، لتوفر بعدد أكبر ولدى الفئتين، مما يحيلنا إلى التساؤل عما إن كان سكان مدينة سطيف يخشون فعلا أهلهم المتوفين أم أن كانت لهم مراسيم تعويضية لمسألة الفصل بين الأحياء والأموات.

فيما يخص الأثاث المعكوس والذي يحمل نفس الرمزية، فقد أحصينا 4 عناصر لدى فئة الأطفال و10 عناصر لدى فئة الراشدين. بالرغم من أن الفارق ملحوظ بين الفئتين، إن أخذنا بعين الاعتبار أن عدد قبور الراشدين أقل من عدد قبور الأطفال (34 قبرا مقابل 67)، يبقى في نهاية المطاف، أن ذلك الفارق لا يتعدى 6 عناصر. إن اعتمدنا على ذلك، يمكن، دون جزم، أن نعتبر وجود تفضيل نسبي لفئة عن أخرى وفي تلك الحالة، يكون الحرص على الفصل من خلال الوضعية المعكوسة يخص فئة الراشدين أكثر من فئة الأطفال.

يطرح ما سبق إشكاليتين: تتمثل الأولى فيما طرحناه أعلاه أي هل كان الحرص على الفصل نابع من سيرورة حداد أو من خوف من نجاسة الموت أم أن الراشدين أولى من الأطفال بالطابع الإدماجي السابق الذكر في محيطهم الجديد؟. في كلتا الحالتين، توجي القلة العددية للأثاث المعكوس لدى الفئتين، أنه خلال مرحلة الدفن البدائية، لم يكن الفصل أو الإدماج ضمن عالم الأموات من خلال الوضعية المعكوسة من العناصر التي تسمح بالجزم في وجود تمييز واضح في التعامل.

فيما يتعلق بطقوس السجن والعزل لدى فئة الأطفال، يبدو لأول وهلة من خلال تموقع القبور على المخطط أن هنالك توجه أو ميول نحو عزل فئة الأطفال (Cantonement). إن كان إدماج الأطفال وخاصة المواليد الجدد ضمن فئة الراشدين في المقابر العمومية غير استثنائي، يبقى العزل نموذجاً شائعاً ومرهون في كلتا الحالتين بميزة كل مقاطعة إن لم نقل كل مدينة في المقاطعة.

في مقاطعة البروقنصلية على سبيل المثال، تم تخصيص مقبرة بأكملها لفئة الأطفال بمدينة تيسدروس (الجم حالياً)، كما احتل الباحثون أن تم عزل الأطفال البالغين من العمر أقل من ست أشهر في فضاءات مقدسة تحت رعاية الإله ساتورن⁶⁴²، بينما كشفت الحفريات بمقبرة الحكيمة (القرن الثاني ق.م) في منطقة قصور الساف على الساحل التونسي، على هيكل واحد تابع لفئة الأطفال من مجموع قبور المجموعتين رقم 1 و2⁶⁴³، مما يوحي بتخصيص فضاء لفئة الأطفال خارج المقبرة أو في حيز من المقبرة العمومية. من جهة ثانية، أدلت تقارير الحفريات في كل من لبتيمينوس وسوسة بدفن الأطفال بجانب شخص راشد (الأم)، بينما أحصينا حالتين من هذا النوع بالمقبرة الشرقية لمدينة سطيف.

يتفق بعض الباحثين على أنه في حالة العثور على الأطفال وخاصة فئة الأقل من سنة بداخل المقابر العمومية، فيعني ذلك أن هنالك بداية إدماج إجتماعي⁶⁴⁴. نلاحظ أن في المقبرة الشرقية لمدينة سطيف، تم دفن الأجنة والمواليد الجدد مع بقية الفئات بما في ذلك الراشدين. يصعب احتمال أن الإدماج الإجتماعي قد تم بالنسبة لهذه الفئة إن إنطلقنا من المنظور الإغريقي-الروماني الذي يخضع فيه الطفل لمراحل صارمة ومقننة وكأنها مسؤولية تقع على عاتق الأهل والطفل على حد سواء، لكن تواجدهم في المقبرة الشرقية بدون أية برمجة مسبقة للمواقع، على ما يبدو، وفي قبور فردية، قد ينبع من نظرة محلية لا تقوم على مكانة الطفل ضمن المجتمع إلى درجة أنها تحدد مصيره بعد الوفاة. من جهة ثانية، فلا نرى في العزل بشكل عام مؤشراً للإقصاء أو الإدماج ونحتمل أن يكون الأمر على صلة أكبر بالفضاءات المتاحة في علاقتها بصغر حجم قبور الأطفال أو وربما بالموت المبكرة (بعيدا عن الموت المشؤومة) التي تعد عاملاً مشتركاً لأعضاء تلك الفئة.

⁶⁴²De Larminat, 2013, pp.38-39.

⁶⁴³TB/9. Ben Younes, 1988, p.56.

⁶⁴⁴Dedet, 2012, p.153.

في نفس سياق فكرة العزل، لم يتم إحصاء أية حالة للوضعية البطنية، التثبيت، قطع الرأس، بينما تم دفن كل المتوفين التابعين لفئة الأطفال دون تمييز بين فئات العمر على كل المساحة التي تتسع عليها المقبرة، مما يستبعد في آن واحد الممارسة التي رواها لنا بليينوس الأقدم فيما يتعلق باعتياد الرومان على حرق الأطفال بعد بروز الأسنان (بينما يتم دفنهم قبل ذلك) ويقربنا من منصور محلي في كيفية تسيير الفضاء الجنائزي.

لتعزيز ما سبق حول النظرة المحلية وعدم عزل الأطفال، نستعين مرة أخرى باستنتاجات غ. كامبس الذي يشير إلى فروقات في التعامل والتي يبدو أن لم تكن معممة، حيث بينما، في مدينة تيديس، تم الكشف فيما يسميه الباحث بالبازينا الكبرى عن عدد معتبر من الإيداعات العظمية بداخل حاويات فخارية، تم المزج في إحداها بين عظام الراشدين والأطفال (الوعاء 5a-1)، كشف الباحث كذلك عن بازينات أصغر حجما بالقرب من البازينا المذكورة أعلاه والتي اشتملت على بقايا عظمية تابعة لفئة الأطفال دون سواهم، مما أحال الباحث إلى احتمال إنتقاء سكان منطقة تيديس للعظام تماشيا وفئة عمر المتوفي. أما في قبور مدينة سيلا، فتم المزج بين عظام الفئتين دون تفضيل⁶⁴⁵.

في كلتا الحالتين، نلتمس نوعا من الليونة قد لا تمت بصلة بالمفهوم السلبي للعزل، حيث نلاحظ أنه شُيدت بازينات خصيصا للأطفال تقع بالقرب من البازينا الكبرى كما تم المزج بين الفئتين في ظل معلم جنائزي واحد. يحيلنا ذلك إلى عدم تجاهل جهد التشييد الذي يدلي بأن للطفل كيان قائم بذاته⁶⁴⁶ ويُذكرنا من ثمة بالجهد الذي بذله سكان المقبرة الشرقية في حماية قبور أطفالهم.

نعود هنا إلى إشكالية قد أشرنا إليها في الفقرة المخصصة للأواني المكسورة وإلى علاقتها بأولوية فصل عالم الأحياء عن الأموات والتي تتعلق بما إن كان سكان مدينة سطيف يخشون فعلا عودة الأموات سواء كانوا راشدين أم أطفالا.

⁶⁴⁵Camps, 1961, pp.494 et 495.

⁶⁴⁶Logeart, 1935-1936, p.78 Cité dans Camps, 1961, p.492.

نتطرق إلى هذا العنصر باعتبار أنه سبق التطرق إلى طقوس السجن من طرف س. غزيل، حيث يشير إلى حرص السكان المحليين على التأكد من عدم عودة المتوفي باللجوء إلى الربط الوثيق للجنة أو تشييد قبور يُشبهها الباحث بالسجون، ليضيف أن روح المتوفي المحرومة من الجسد تبقى تائهة ومن ثمة حاقدة⁶⁴⁷.

ينقد غ. كامبس من جهته تحليل س. غزيل، اعتمادا على نتائج الحفريات في المقابر الميغاليتية بشمال إفريقيا، حيث لم يجد صدى لذلك من خلال المخلفات الأثرية. يشير مثلا إلى أن المسامير قد توجي بنظرة مغايرة تماما لما تم إنسابها إليه ويقصد هنا طقس التسمير، مشيرا مبدئيا إلى قلتها مع اقتراح وجود علاقة بالبعد الوقائي أكثر منه بسجن روح المتوفي، حيث تم رصد حالة "تسمير" واحدة في مقبرة المعاضيد (نمط الشوشات) أين عُثر على مسمار مغروس في قطعة من النحاس يقطع فيها المسمار عظم العانة. بالنسبة للباحث، قد يتعلق الأمر بعملية جراحية سمحت بتثبيت العظام وهو احتمال يصعب إقصائه؛ أما عن بقية المسامير، فوجودها في شكل مجموعات أو أفواج (كما نلاحظ لدى فئة الراشدين في المقبرة التي تخصصنا والتي لا تقل على 285 عنصرا)، فقد نبع من بعد رمزي ذات الطابع الوقائي مفاده حماية المتوفي من شر الأحياء وكذا الأرواح الشريرة⁶⁴⁸ وإلا لكن سجلنا إحدى خصوصيات التسمير التي أشرنا إليها بالنسبة لمقبرة لكالاد بفرنسا.

يبقى التساؤل مطروحا كذلك حول علاقة المخلفات بسن المتوفي والتي يتفق الباحثون في شأنها على أنها تعكس المصنف. إن كان الأثاث المتوفر لدى فئة الراشدين يدلي إما بالجنس أو بالمصنف (المهنة مثلا)، قد يكون الأمر كذلك بالنسبة للأثاث المتوفر في قبور الأطفال (الرضاعة، أدوات الزينة ومن ضمنها الإبريم الذي أشرنا إلى ثقله الرمزي) لكن خلال المرحلة الموالية أي مرحلة الترميد. نحتمل أن ضعف وتقريبا انعدام الأثاث الذي يعكس المصنف خلال المرحلة البدائية على علاقة بضعف الإمكانيات وبقلة درجة استيعاب معايير الرومنة في مدينة سطيف وفي تلك الحالة، قد نتساءل عما إن كان سكان مدينة سطيف يربطون أساسا سن الطفل بمفهوم المصنف قبل تأسيس المستوطنة الرومانية، فتوفر التركيبة

⁶⁴⁷Gsell, 1927, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T.VI, pp.238-239 et 240.

⁶⁴⁸De Boysson, 1869, pp.621-636 Cité dans Camps, 1961, p. 541-542.

القاعدية يخص الفئتين وكذلك الحرص على توفير قبور فردية فضلا عن حمايتها، بينما بقية المرفقات، التي عادة ما تعكس ما اعتاد المتوفون على استعماله، فنلاحظ أن أكبر الفئات لدى الأطفال لم تحض بمرفقات أكثر وفرة؟

إن كان سكان المقبرة الشرقية أفارقة، على حد تعبير ر.جيري⁶⁴⁹، قد نأخذ كذلك بعين الاعتبار أن أغلبية عناصر الجيش لم يكونوا رومانيي الأصل وانطلاقا من ذلك، فما أثر ذلك على وجود، قلة أو انعدام الأثاث الذي يعكس مصف المتوفي؟. يبدو لنا مما سبق أن أبرز أو أكثر المخلفات تداولا خلال مرحلة الدفن البدائية توحى بمصير المتوفي عموما (راشدين وأطفال) أي مفهوم البعث وقد تعود قلتها أو وفرتها إلى إمكانيات المتوفين وأهلهم وكذلك الطقس (دفن أو ترميد)، كما نلتمس أن انعدام المرفقات الجنائزية في قبور الأجنة والمواليد الجدد على علاقة بانعدام فرصة اللجوء إلى ذلك الأثاث في الحياة اليومية.

⁶⁴⁹ Guéry, 1985, p.319.

أما عن مرحلة الترميد، ففيما يخص الأثاث الجنائزي الخاص بفئة الأطفال، نلاحظ ارتفاعا في عدد العناصر المتوفرة، حيث على مجموع 32 قبرا، يشتمل 28 على أثاث مقابل قبرين يخلوان منه (القبرين رقم 228 ورقم 230). لم تُدمج القبرين رقم 125 ورقم 131 نظرا لاحتمال ر. جيري عدم انتماء كل عناصر الأثاث إلى القبر الذي وُجدت به. تُعد بذلك القبور التي تخلو من الأثاث لدى فئة الأطفال إستثنائية وهو التغيير الأول الذي نلاحظه مقارنة بالمرحلة السابقة.

تتمثل التركيبة المتداولة في قبور الأطفال بالدرجة الأولى في الطبق والمصباح بالإضافة إلى القلة وتُعد القلة بمثابة الفرق الثاني ما بين مرحلة الترميد ومرحلة الدفن البدائية.

فيما يتعلق بتوزيع عناصر الأثاث، فتحتل أواني المائدة والمصابيح الصدارة بنسبة 63 بالمئة بالنسبة للأطباق، 26 بالمئة بالنسبة للمصابيح، 6 بالمئة بالنسبة للقطع النقدية كما نلاحظ ظهور أدوات تحضير المتوفي، الزينة والأبازيم بنسب 2، 1 و 2 بالمئة.

أما عن الحلي، فسجلنا غيابها الكلي بما في ذلك اللؤلؤات، أصلية كانت أو من عجينة الزجاج. باعتبار الطابع الوقائي للحلي، نحتل في ظل غيابه، وجود علاقة بين طقس الترميد والإستغناء عن توفير حماية للمتوفين من خلاله؛ قد يؤدي الترميد دورا في تحرير روح المتوفي ومن ثمة، ضمان العبور إلى العالم الثاني. نلتمس كذلك أن ظهور أدوات الزينة وتحضير المتوفي، بالرغم من ضعف النسب، على علاقة بالترومن التدريجي لمجتمع مدينة سطيف.

في شأن مخلفات المأدبة الجنائزية، فلاحظنا مبدئياً قلة الأثاث في تراب الردم (4 عناصر مقابل 97 عنصر عُثر عليه بمحاذاة المتوفي) كما لاحظنا وفرة الأثاث الذي يخلو من آثار الحرق (طبق واحد محترق في القبر رقم 180). أما عن بقية المؤشرات، فنشير إلى أنه من مجموع 64 قبرا (عينة الأطفال والعينة التجريبية)، توفرت الإيداعات في 17 قبرا، 5 منها تابع لفئة الأطفال و12 لقبور عينة الراشدين. يمكن أن تندمج تلك الإيداعات ضمن مخلفات المأدبة الجنائزية، لكن يبق عدد 17 قبرا ضئيلا عموما مقارنة بالعدد الإجمالي (64 قبرا). قد يكون ذلك ناتج عن توجه عام للمقبرة الشرقية له علاقة بالإمكانيات المادية ولا يخص فئة محددة أو عن نظرة محلية كما سبق الذكر، تقوم على طقوس تعويضية للذبيحة وللإيداعات الغذائية بالإرافة مثلا مما قد يفسر ظهور وتداول القلال في التركيبة النظامية خلال مرحلة الترميد.

فيما يخص علاقة الأثاث الذي يخلو من آثار الحرق بالمأدبة الجنائزية، تساءلنا عما إن كانت هنالك توضيحات أدق وفي الواقع، لم نجد إلا احتمالات. تذكر ه.بينشو - سفر أن قبور الترميد بمقابر قرطاجة اتبعت طقسين يشتملان على أثاث مترامن (الطقس 1 والطقس 2). لاحظت الباحثة أنه في الطقس 1 وهو الأكثر تنوعا ووفرة (دويمس وتلة يونو)، يخلو الأثاث من آثار الحرق (باستثناء قطعة من العاج)، بينما في قبور الطقس 2، أين يندم الأثاث تقريبا (مما قد يوحي بضعف الإمكانيات)، فيخلو بدوره من آثار الحرق باستثناء بعض القطع النقدية⁶⁵⁰.

بعبارة أوضح، لدينا طقسين، أحدهما يشتمل على أثاث وفير يدلي بمصنف راق (حلي من ذهب مثلا)، تخلو أغلبية أثاثه من آثار للحرق، مما يطرح إشكالية إقامة مأدبة للمتوفي في المحطبة، بينما يأتي أثاث الطقس الثاني جد ضئيل مما يوحي بقلّة الإمكانيات لكن خال بدوره من آثار الحرق. فضلت الباحثة التحدث عن فلسفتين دينيتين مختلفتين وليس عن وفرة أو قلة الإمكانيات المادية.

في المقبرة الشرقية، لدينا أثاث يتعدد ويتنوع، مع تركيبة نظامية، في مقبرة أثبت ر.جيري أن لأهلها إمكانيات محدودة، بينما يخلو كل أثاثه (باستثناء طبق واحد) من آثار الحرق. قد يعزز تعدد الأمثلة والإحتمالات التي تنجر عنها، بأن المراسيم لا تقوم على الإمكانيات المادية أو على اتباع مضبوط للممارسات الرومانية، بقدر ما قد تتعلق بفلسفة خاصة لا علاقة لها بمصنف المتوفين وإنما بأولويات

⁶⁵⁰Bénichou-Safar, 1982, pp. 238-239 et 247-248

تخص طقس الترميد بالذات؛ فما الذي قد يفسر أن يأتي الأثاث أكثر وفرة مقارنة بقبور طقس الدفن، تبعا لما أعتد عليه في المقاطعات الرومانية، دون توفر آثار الحرق فيه والتي تُعد بدورها متداولة. إن اعتبرنا أن هنالك تأثيرات بونية مثبتة، سواء في تنميط القبور خلال مرحلة الدفن البدائية وبالتحديد القبور ذات الغرفة الجنائزية، واعتبرنا أنه تم اللجوء إلى طقس الدفن أو الترميد بالنسبة لكل فئات العمر دون تمييز ونحن على علم بأن البونيين لم يجدوا إشكالا في ترميد المواليد الجدد⁶⁵¹، يمكن أن اتسع نطاق تلك التأثيرات إلى عدم حرق الأثاث مع الجثة واللجوء إلى ممارسات جنائزية مغايرة لإقامة المراسيم الدينية. إن يبق التساؤل قائما، فقد تم على الأقل اقتراح وجود مثل هكذا ممارسات في القبور القرطاجية كما أن التأثير البوني مُثبت في المقبرة الشرقية.

فيما يخص الأثاث المكسور والمعكوس ومبدأ الفصل بين العالمين، نُذكر باختصار بالمعطيات المتاحة: لاحظنا أنه من مجموع 101 عنصر (4 عناصر وظيفية و97 عنصر مرافقة) في عينة الأطفال، تحتل الأواني ذات الوضعية الإعتيادية الصدارة ب 37 عنصر، تليها الأواني المكسورة ب 21 عنصر ثم الأواني ذات الوضعية المعكوسة ب 19 عنصر وأخير الأواني المقلوبة ب 18 عنصر. إن جمعنا بين الأثاث الذي يرمز بالدرجة الأولى إلى المرافقة والبعث (الأثاث المقلوب وذات الوضعية الإعتيادية)، نتحصل على مجموع 55 عنصرا، بينما إن جمعنا بين عناصر الأثاث الذي يرمز إلى الفصل بين عالم الأحياء والأموات (الأثاث المكسور والمعكوس)، فنتحصل على مجموع 40 عنصرا.

نتساءل مرة ثانية عن المعنى والمكانة التي منحها سكان مدينة سطيف لمفهوم الفصل خلال مرحلة الترميد: هل الفصل نابع من خشية أمام عودة المتوفي أم أنه يسمح بتعزيز مكانته في محيطه الجديد وما أهمية ذلك؟، حيث يبدو أن ارتفع عدد الأواني المكسورة من 6 عناصر (بالنسبة للفئتين) خلال مرحلة الدفن البدائية إلى 21 عنصر خلال مرحلة الترميد طبق (واحد مكسور صدفة (القبر رقم 222))، مما يوحي بالترسخ التدريجي لأهمية الكسر في الذهنية الجماعية ويتفق من ثمة وما تم العثور عليه في

⁶⁵¹ يراجع مقال ه. بينيشو- سفر الذي تطرقت فيه الباحثة إلى مسألة ترميد الأطفال الصغار لدى البونيين والذي تطرح فيه إشكالية تقديم الأطفال قربانا للإله بعل في إطار المولكمور، سعيا لتحديد مرحلة إهدانهم: قبل أو بعد الوفاة وذلك اعتمادا على معايير علمية خصت مثلا وضعية الجثث انطلاقا من تحاليل المخلفات العظمية.

Bénichou-Safar, 2008.

المقابر الميغاليتية كذلك. نحتمل كذلك أن كان لترמיד الجثة دور في تحرير الروح، بينما قد يأتي الأثاث المكسور لتعزيز مكانته في محيطه الجديد أين يصبح، تبعاً ل. غ. كامبس، المالك الفعلي لتلك العناصر.

أما عن إشكالية استمرارية المراسيم التذكارية، فيبدو أن تأثرت العديد من القبور بالتعديلات التي انجرت عن تشييد قبور جديدة، مما خلف تشوهات. في هذا الإطار، تم إحصاء لدى فئة الأطفال تسعة قبور. كما سبق الذكر خلال دراسة مرحلة الدفن البدائية، فإن التشوهات التي تعرضت لها القبور تدلي بالفترة التي توقفت فيها المراسيم التذكارية. إن اعتبرنا قصر مرحلة الترميد عموماً (النصف الثاني من القرن الثاني وبداية القرن الثالث ميلادي) وأخذنا بعين الاعتبار القبور المتزامنة، فمن المفروض أن كانت عائلات المتوفين لا تزال على قيد الحياة للوقوف على تلك المراسيم. هل تم التخلي عن هذه القبور لأنها تخص فئة الأطفال أم أن الأمر مثبت كذلك بالنسبة لعينة الراشدين؟

نلاحظ أن توقفت المراسيم خص الأطفال والراشدين على حد سواء وقد يعود ذلك إلى وضعية استثنائية في حياة المدينة والمقبرة، حيث لا يُعقل أن لم يبق أحداً من أهل المتوفين لإحياء ذاكرة موتاهم.

نشير أخيراً مسألة الكثافة حيث يأتي عدد القبور الإجمالي بالمقبرة ضئيلاً (1120 قبراً في المظقتين أ و ب)، إن اعتبرنا الإطار الكرونولوجي الذي يمتد على حوالي ثلاث قرون على الأقل، لكنه معتبر إن قدرنا المساحة (1.15 هكتار بالنسبة للمنطقة أ فقط ومربع طول ضلعه 15 م بالنسبة للمنطقة ب) ومن ثمة، فلا بد من التنقيب في المقبرة الشمالية للمدينة. للمقارنة، يمتد تأريخ مقبرة بوبوت بالبروقنصلية ما بين القرنين الثاني والرابع ميلادي أي قرنين من الزمن، في حين تحتضن المقبرة 1500 قبراً لكن على مساحة تُقدر بسبع هكتارات. يصعب بذلك تحديد نسبة الوفيات الإجمالية في إطار عام؛ هذا وفي إطار المعطيات المتاحة وفي حدود القبور المنقبة بالنسبة لفئة الأطفال، تم تحديد النسب ب 16.67 بالمئة بالنسبة للجنيات، 38.60 بالمئة بالنسبة للأقل من سنة و فقط 20.18 منهم فقط بلغ سن الرشد⁶⁵². هي نسب تتقارب وتلك المتداولة بإيطاليا وحتى بالعاصمة روما، أين أبرزت الأبحاث الأثرولوجية أن 60 بالمئة من الأطفال المتوفين بمقبرة كوارتو كابيلي ديل بريتي لم يتجاوزوا السن السادسة وعموماً ما بين

⁶⁵² Février et Guéry, 1980, p12.

20 و 30 بالمئة توفوا خلال السنة الأولى من العمر⁶⁵³. إن تقييم الكثافة السكانية لمدينة سطيف أو غيرها قد يستوجب حتى اعتبار وجود حفر جماعية التي لم تتم الإشارة إلى وجودها والتي لطالما استوعبت قسطا معتبرا من أدنى الشرائح الإجتماعية بروما (أحرارا وعبيد) وذلك خلال الفترة الجمهورية والإمبراطورية، كما تم إنشاء جمعيات جنائزية للحد منها، بإتاحة الجميع فرصة الحصول على قبر فردي، جنازة ومعلم تذكاري وفقا لتنظيمات الدين والقانون الجنائزي⁶⁵⁴. على هذا الأساس، فتحديد الكثافة السكانية مرهون بالكشف عن تلك الحفر الجماعية وكذا عن آثار للجمعيات الجنائزية، فضلا عن التنقيب في المقبرة الشمالية.

في شأن قلة الأثاث الجنائزي، يمكننا اعتبار الوضعية الإقتصادية لمدينة سطيف وما سبق ذكره حول المؤشرات التي تدلي بعناية الأهل بفئة الأطفال. يجدر التركيز هنا على أن المدينة واجهت واقعا صعبا قيّد ازدهارها. ندرج فيما يلي بعض المعطيات التي أفادتنا بها دراسة إ. فنتراس، حتى يتسنى لنا الفصل ما بين ما له علاقة بالإهتمام وما حدده واقع المدينة:

- السياسة الإمبراطورية التي استحوذت على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية لإدماجها في إطار الملكيات الإمبراطورية.
- اللجوء إلى الزراعة الأحادية النوع (القمح ثم الشعير)، ينتجها مستأجرون وهم بمثابة خماسين لم تكن لهم الإمكانيات لبيع فائض الغلة (إن وجد) خارج السوق المحلية وإن أُتيحت لهم فرصة بيع الفائض، فقد شكل ثمن النقل ووعورة المسالك عائقا بالنسبة للمستغلين المحليين.
- الحصيلة الضئيلة لتربية المواشي والتي كانت تشكل أقل من نصف المنتوجات المستهلكة عموما، مما قد يفسر غياب مخلفات الذبائح في إطار المراسيم الجنائزية وبالتحديد المآدب.
- فيما يخص الأواني الفخارية المستوردة، فهي ضئيلة كما لم يتم تصدير المنتوجات الفخارية خارج الأسواق التي تربط مدينة سطيف بمدينة جميلة وهو ما بدوره قد يفسر أن أغلبية الأواني الفخارية المتداولة ذات إنتاج محلي. من هذا المنطلق، يمكن احتمال أن إدماج عناصر مستوردة في قبور الأطفال، على

⁶⁵³ Carroll, 2012, p.42 ; Carrol, 2018, p.156.

⁶⁵⁴ Hopkins, 1983, pp.205 à 217.

غرار الأطباق من نمط لمبوغليا 36/4 أ وب، الأقداح من نمط مايي 32 والمصابيح من نمط دونوف 7أ، ب و ج، يُعد جهدا جذير بالإهتمام.

- فيما يتعلق بالأنفورات، فلم يتم تسجيل أي إنتاج محلي بحيث كل ما عثر عليه آت من مدينة توبوسوبتو (تيكلات)، على بعد 20 كم غرب سالداي (بجاية)، بينما يُحتمل أن بيعت الخمور والزيتو المنتجة محليا في براميل على مستوى السوق المحلية⁶⁵⁵. قد يفسر ما سبق عددها الضئيل في قبور المقبرة الشرقية، بحيث تم إحصاء حالة واحدة في المنطقة ب التي نقب فيها ر.جيري، بينما عثر جاسباري في المنطقة أ على 7 أنفورات، تحتضن كلها جنث أطفال⁶⁵⁶. يجدر هنا كذلك تقدير قيمة الجهد المبذول.

عادة ما يتم اللجوء إلى الأنفورات في الإطار الجنائزي كحاو للجنثة، كونها بضاعة سهلة الإقتناء، بأثمان متاحة كما أنها قابلة للرسكلة (من الفضاء المعيشي إلى الإطار الجنائزي)⁶⁵⁷. يبدو بالرغم من ارتفاع مدينة سطيف إلى مصف المستوطنة الرومانية، أن بقي المنتج قليل التوفر ولا سيما إذا ما قورن بعواصم مثل قرطاجة أو قيصرية. بذلك فقلة نسبة الأنفورات في قبور المقبرة الشرقية قد لا يعكس تعامل سكان المدينة مع الأطفال المتوفين وإنما قلة توفر المنتج بحد ذاته.

أما عن المصف والمصير، فيمكن احتمال أن مصير الأطفال، على عكس الراشدين، لم يكن مرهونا باستحقاق المتوفي، بحيث لم يحض الأطفال بما يكفي من الوقت لعيشوا حياة يكافؤون أو يعاتبون فيها على أفعالهم بعد الموت، مثلما يرد في المصادر فيما يتعلق بالمنتحرين مثلا (المعنيون بدورهم بمفهوم الموت المشؤومة) وكما تشير إليه بعض طقوس السجن على غرار التثبيت، الوضعية البطنية العمدية، التسمير أو نقائش اللعن وفي هذا الصدد، نجد لدى سينيكا تعزيزا لما سبق حين يذكر، في عزائه لماركيا جراء وفاة ابنها، بأن طريق السماء أيسر لمن غادر مشاغل الدنيا باكرا، غير متبوع بالقذارة والأعباء⁶⁵⁸.

⁶⁵⁵Fentress, 1990, pp.119 à 124.

⁶⁵⁶Guéry, 1985, p.303.

⁶⁵⁷De Larminat, 2012, p.516.

⁶⁵⁸Sénèque, *Consolation à Marcia*, III, p.87.

نستند كذلك إلى ما أفادنا به بلوتارخ في رسالة موجهة إلى زوجته، جراء بلوغه نبأ وفاة ابنتهما في سن الثانية من العمر والتي قد تُضفي قليلا من الضوء على ما سبق.

يُذكر بلوتارخ زوجته بالعبادات والقوانين المتبعة بروما منذ القدم والمتمثلة، لما يتعلق الأمر بالأطفال الصغار، في عدم إقامة طقس الإراقة ولا غيرها من المراسيم الدينية، على عكس غيرهم من الفئات؛ لا يتم كذلك الوقوف عند قبورهم (المراسيم التذكارية) كما يُمنع قانونيا إقامة فترة حداد لأجلهم، حيث يُعد ذلك منافيا لقيم الدين (Irréligieux). يتمثل أهم عنصر بالنسبة لإشكاليتنا في توضيح سبب العزوف عن تلك الطقوس ويعتبر المفكر في هذا الصدد أن الأطفال في عالم أفضل وأن رحيلهم قبل تذوق مشقات الحياة وملذاتها، قد حررهم من أية علاقة قد تربطهم بها⁶⁵⁹.

نفهم من الفكرة الأخيرة أن الأطفال ليسوا في حيرة ولا غضب جراء رحيلهم في سن مبكرة وبذلك فلا داعي للخوف منهم ولا للخوف عليهم. عبر المؤرخ عن ذلك بوضوح حين اعتبر أنه لم تكن لإبنتهما إلا متعا سطحية، لم تعرف غيرها ولم يتسن لها اكتشاف غيرها؛ أما عن الملذات التي لم تشعر بها، فهي لم تتمناها يوما وبذلك، يتعذر الحديث عن الحرمان⁶⁶⁰. قد نجد في تحليل بلوتارخ أحد الأسباب الخفية لقلّة أو غياب الأثاث الجنائزي لدى فئة الأطفال والمواليد الجدد والذي نجد له صدى فيما يسميه إكروبيزي

⁶⁵⁹ Les lois et les usages antiques de notre pays démontrent ces vérités encore mieux. Aux enfants morts tout à fait en bas âge, on n'offre point de libations et à leur égard, on ne pratique aucune des cérémonies qu'il est naturel d'exécuter pour les autres personnes qui meurent. Ces enfants ne tiennent en aucune façon à la terre, ni à rien de la terre. On ne s'arrête point autour de leurs tombeaux et de leurs monuments; on n'expose point leurs corps en public; on ne se tient pas auprès d'eux. Il y a plus: les lois ne permettent pas de porter le deuil pour des morts d'un âge si tendre, parce que le deuil serait irréligieux à l'égard de ces âmes qui ont passé dans une condition et dans un séjour meilleur et plus divin. Je n'ignore pas que sur ce point, il y a lieu ici à bien des contestations. Mais comme il est plus dangereux de se refuser à de semblables croyances que de les admettre, conformons-nous, en ce qui est de l'extérieur, aux prescriptions des lois. Plutarque, *Consolation à sa femme*, 11.

⁶⁶⁰ Ta Timoxène n'a perdu que de minces jouissances. Elle n'en connaissait, elle n'en avait pas d'autres; et quant à celles dont elle n'a pas eu le sentiment, elle n'y a pas songé, elle ne les a pas désirées. Comment pourrait-on dire qu'il y a pour elle privation ?. Plutarque, *Consolation à sa femme*, 11.

لما يتكلم بلوتارك عن قيم الدين والتقاليد القديمة بروما، فهو يقصد إصلاحات الملك روما خلال الفترة الملكية، حيث قام هذا الأخير بتنظيم فترة الحداد فيما يخص الأطفال وفقا للسن بحيث تزداد فترة الحداد بقدر ما تتعدد سنوات عمر المتوفي. بالنسبة للأطفال الذين تفوق أعمارهم عن 3 سنوات، فيتم تعداد فترة الحداد بشهر لكل سنة وفي هذا الصدد، تشير م. كارول إلى فئة الأقل من سنة وانعدام الحداد بالنسبة لتلك الفئة.

Plutarque, *Numa*, p.156.

Carroll, 2011, p.100

بالمعنى الكامن (Contenu latent)، أين غياب أو حضور طقس معين أو ممارسة لا يحمل بصفة حتمية معنا فريدا وفي الحالة التي تهمنا، يمكن قراءة قلة أو غياب الأثاث من زاويتين.

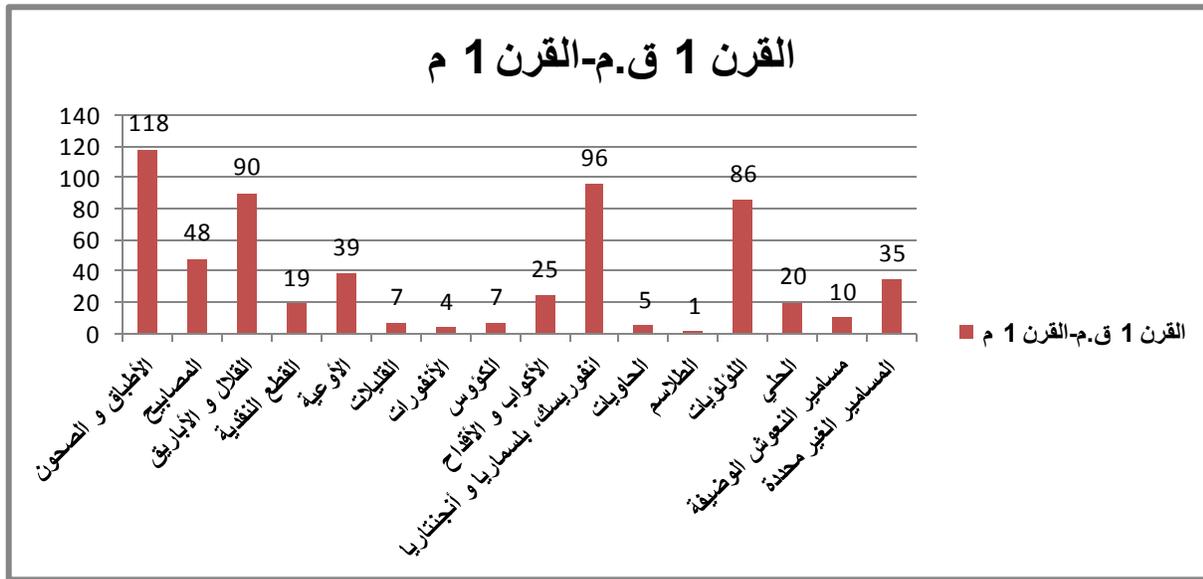
نلتمس كذلك من توصية بلوتارخ، اعتياد الأهل على اللجوء إلى كل ما ينهى زوجته عنه لكن من جهة ثانية، رفض المجتمع لفكرة إقصاء الطفل من الممارسات الجنائزية على أساس أنه غير واع بملذات الحياة. قد ترد خلفية ذلك الرفض في أن من لا وعي له بواقعه الملموس، قد لا يعي بوجوده في عالم غير ملموس. بعبارة أوضح، هنالك نوع من الرعب أمام مفهوم الوعي والوجود في الحياة وفكرة اللاوعي والاندثار بعد الوفاة ومعه ضياع كل أمل في ذاكرة وجود الطفل يوما. هو ما قد يفسر توفر مصباح في قبر جنين لم يأت بعد إلى الحياة. نجد لدى كيكرو توجيهات تلتقي وتلك التي أفادنا بها بلوتارخ، حيث بحث على تجاوز مشاعر الإستياء فيما يخص الأطفال وعلى إلغاء كل مشاعر الحزن أساسا أمام وفاة المواليد الجدد⁶⁶¹ وهذا يدلي بتداول سلوكات الحداد بصفة غير رسمية بالنسبة لأصغر الفئات.

⁶⁶¹Cicéron, *Les Tusculanes*, I, 39.

فيما يتعلق بمقابر مدينة تيبازة، نقتراح إدراج نسبة توفر الأثاث في مجمل مقابر المدينة وفقا للنوع والحقب التاريخية التي تنتمي إليها، ثم انتقاء منها ما يخص فئة الأطفال. في مرحلة ثانية، سنحاول إبراز البعد الرمزي للبعض من المرفقات وبالتحديد اللؤلؤات والمسامير، لنتطرق أخيرا إلى إشكالية قلة المصابيح والقطع النقدية باعتبار دورها المصيري ضمن الأثاث الجنائزي، فضلا عن كونها من المؤشرات الأساسية للثرومن في الإطار الجنائزي. نُذكر مبدئيا أن المقابر المدروسة تشتمل في مجملها على 182 قبرا، من ضمنهم 22 قبرا تابعا لفئة الأطفال في حدود الحقة المدروسة أي القرن الأول ق.م - القرن الثالث ميلادي.

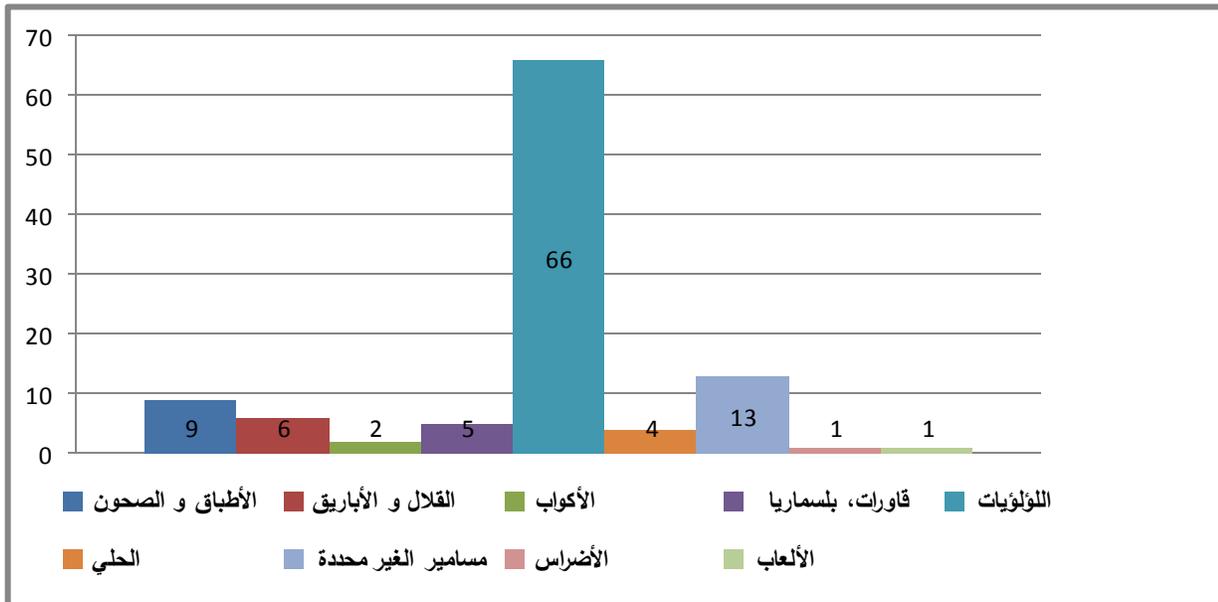
فيما يخص الأثاث الجنائزي في المقابر المؤرخة عموما ما بين القرن الأول ق.م والقرن الأول ميلادي، فتندمج ضمن هذه الحقة التاريخية كل من المقبرة البونية الشرقية ومقبرة منزل اللوحات الجدارية بالإضافة إلى بعض قبور المقبرة البونية الغربية المؤرخة مؤكدا بالفترة الرومانية. تشتمل المقابر الثلاثة على 143 قبرا من ضمنهم 12 قبرا تابع لفئة الأطفال. يكمن الهدف مما سيلي في محاولة الفصل ما بين ما قد يكون توجهها عاما للمقابر (من خلال توفر الأثاث أو قلته تماشيا والحقة التاريخية) وما تنفرد به فئة الأطفال.

- فيما يتعلق بالأثاث الجنائزي، نلاحظ من مجموع 587 عنصرا (بعد استثناء مسامير النعوش والمسامير الغير محددة الوظيفة)، أنه تم منح الأولوية للأطباق والصحون (20 بالمئة)، تليها القلال والأباريق (15 بالمئة)، القارورات (أنفوريسك، قنينات، بلسماريا وأنجنتاريا) (16 بالمئة) ثم المصابيح (8 بالمئة)، الأوعية (7 بالمئة) وأخيرا الحلي (3 بالمئة) والقطع النقدية (4 بالمئة) (الرسم البياني رقم 44).



الرسم البياني 44: الأثاث الجنائزي المتوفر في مقابر مدينة تيبازة ما بين القرن الأول ق.م والأول ميلادي.

فيما يخص قبور الأطفال، فعناصر الأثاث أقل بكثير، حيث أحصينا 8 أطباق، 6 قلال وأباريق، كوب واحد، 3 بلسماريا، حلقة أذن واحدة و 66 لؤلؤة، هذا ونلاحظ عموما وفي حدود عدد القبور، أنه تم منح الأولوية لنفس أنواع الأثاث المتوفر في بقية قبور هذه الحقة (الرسم البياني رقم 45).



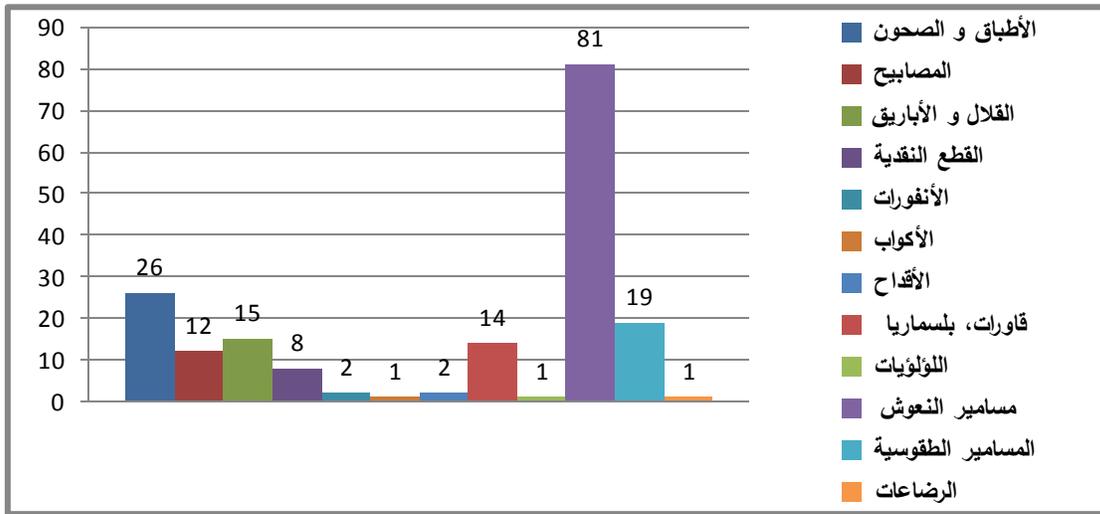
الرسم البياني 45: الأثاث الجنائزي المتوفر في قبور الأطفال ما بين القرن الأول ق.م والقرن الأول ميلادي.

تشتمل الحقبة الثانية، المؤرخة عموماً ما بين القرنين الثاني والثالث ميلادي، على البعض من قبور المقبرة البونية الغربية ابتداء من القرن الثاني ميلادي بالإضافة إلى مقبرة ماتارس وتحتضن 39 قبراً من ضمنهم 10 قبور تابعة لفئة الأطفال.

فيما يخص الأثاث المتداول، فمن مجموع 101 عنصر (باستثناء مسامير النعوش)، تبقى الأطباق والصحون تحتل الصدارة بنسبة 26 بالمئة من مجمل العناصر المتوفرة، تليها القلال والأباريق بنسبة 15 بالمئة، المصابيح بـ 13 بالمئة وأخيراً القطع النقدية بـ 9 بالمئة. أما القارورات (بلسماريا، أنفوريسك وأنجننتاريا) التي وصل عددها إلى 96 عنصر خلال الحقبة السابقة، فنراها تتراجع خلال القرنين الثاني والثالث إلى 14 بلسماريا، في حين تختفي الأنجننتاريا والأنفوريسك (الرسم البياني رقم 46).

نلاحظ بذلك تراجعاً في العدد الإجمالي للأثاث الجنائزي مقارنة بالحقبة الأولى ويعود ذلك منطقياً إلى تراجع عدد القبور؛ لكن بالتدقيق في عناصر الأثاث المتوفر، نلاحظ ارتفاعاً في عدد الصحون والأطباق (من 20 إلى 26 بالمئة)، المصابيح (من 8 إلى 13 بالمئة)، القطع النقدية (من 4 إلى 9 بالمئة)، المسامير التي تنتقل من 45 عنصراً خلال الحقبة الأولى إلى 100 عنصر خلال الحقبة الثانية (81 مسماراً وظيفياً و19 مسماراً طقوسياً) مع استثناء مسامير حملة سنة 1969 أين اكتفى ج. باراديز بذكرها دون تحديد العدد.

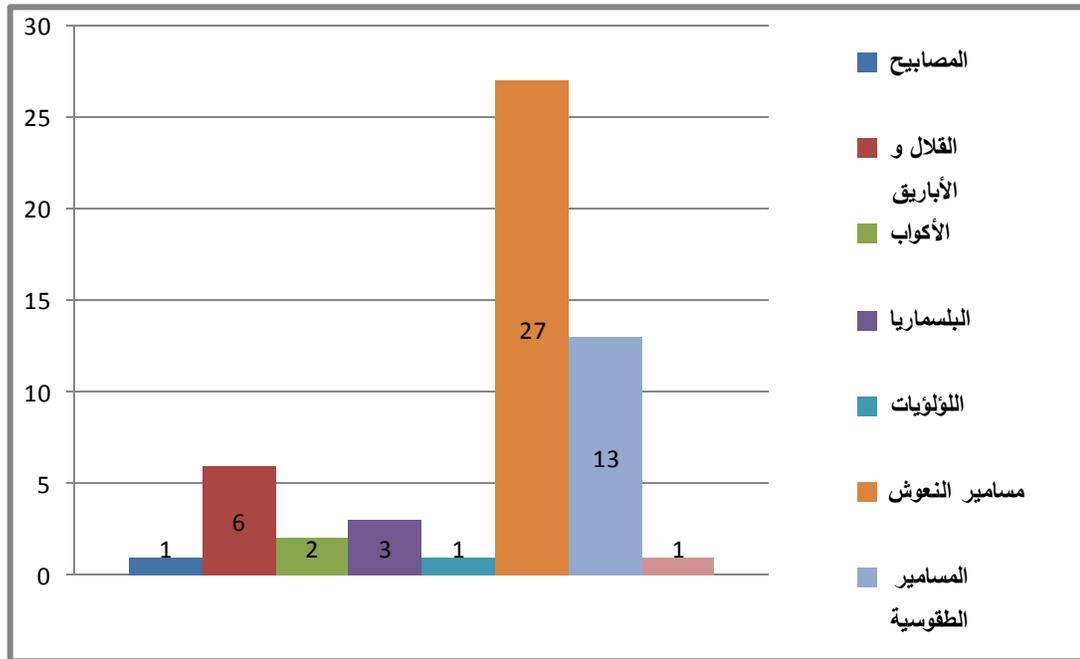
نلاحظ من جهة ثانية بقاء القلال في مستواها (15 بالمئة) مع اختفاء اللؤلؤات، باستثناء عنصر واحد ذات اللون الأخضر تم العثور عليه في هيكل ترميد تابع لطفل. نشير كذلك إلى اختفاء الأوعية والقليلات، بينما تسجل بلسماريا تراجعاً ملحوظاً خاصة في مقبرة ماتارس (13 عنصر في المقبرة البونية الغربية مقابل عنصر فريد في مقبرة ماتارس)، مع اختفاء للأنجننتاريا والأنفوريسك. يمكن إحالة ذلك إلى العراقيل التي واجهها م. بوشناق في الحفرية ومن ضمنها فيض الواد مرزوق أو إلى عدد القبور الغير منقبة أو تلك التي تعرضت للتدنيس أو أخيراً إلى تعذر إتمام الحفرية نظراً لتشييد مجمع ماتارس الذي يُرجح الباحث أنه شُيد على أقدم القبور (أي الوثنية) والتي قد تعود إلى القرن الأول ميلادي.



الرسم البياني 46: توزيع الأثاث الجنائزي في مجمل مقابر مدينة تيبازة خلال القرنين الثاني والثالث ميلادي.

فيما يخص فئة الأطفال، نلاحظ تغيراً في عدد عناصر الأثاث المتوفر بينما يتعادل تقريباً عدد قبور الحقبين (12 قبرا خلال الحقبة الأولى و 10 قبور خلال الحقبة الثانية)، حيث تختفي الصحون تماماً في حين تستقر القلال في مستواها السابق (6 قلال خلال الفترة السابقة مقابل 6 قلال خلال الحقبة الثانية)، بينما تم إحصاء مصباح واحد واللؤلؤة المذكورة أعلاه، إلى جانب 27 مسماراً وظيفياً (النعوش) و 13 مسماراً طقوسياً، كلها تابعة لمقبرة ماتارس (التابوتين رقم 14 و 15 للمجموعة رقم 2 - الفضاء رقم 3). نشير أخيراً إلى ظهور رضاعة واحدة في ذات المقبرة، في القبر رقم 3 التابع للمجموعة رقم 3 - الفضاء رقم 1.

نستخلص مما سبق أنه بالرغم من التراجع الملحوظ في عدد القبور واختفاء الصحون لدى الأطفال، فقد ارتفع عدد العناصر المذكورة أعلاه من الحقبة الأولى إلى الثانية، باستثناء القلال، التي بقيت في مستواها عموماً ولدى فئة الأطفال بالتحديد، كما نلاحظ ارتفاعاً في عدد القطع النقدية والمصابيح. نحتمل انطلاقاً مما سبق ترسخ أعمق لقيم الرومنة خلال القرنين الثاني والثالث وبالتحديد فيما يتعلق بحق العبور والمرافقة إلى العالم الثاني، تماشياً وترسخ النظرة الرومانية لفئة الأطفال والتي تتجسد من خلال القلة العددية للمرفقات الجنائزية (الرسم البياني رقم 47).



الرسم البياني 47: توزيع الأثاث الجنائزي لدى فئة الأطفال بمدينة تيبازة خلال القرنين الثاني والثالث ميلادي.

ما يمكن استخلاصه كذلك هو مرة أخرى استمرار الحرص على حماية الأطفال من خلال المرفقات الوقائية كالمسامير الطقوسية، فضلا عن القلال التي تم الإحتفاظ بها والتي تُذكر برمزياتها في الإطار الجنائزي كحاو للماء أو للخمر (الحيوية والبعث). يبدو لنا من جهة ثانية أن عوّضت العناصر المذكورة أعلاه الأواني المعتادة فيما يخص فئة الأطفال وكأنه منح سكان تيبازة، على عكس سكان المقبرة الشرقية لسطيف، الأولوية لحماية المتوفين التابعين لهذه الفئة عوض مرافقتهم بتركيبة اعتيادية.

لا يعني توفير الحماية من الأرواح الشريرة أن الأطفال في غير حاجة إلى بقية المرفقات ونلاحظ أنها متوفرة في مختلف القبور فضلا عن مؤشرات المراسيم الجنائزية من خلال توفر 3 بلسماريا مثلا أو مخلفات الإبداعات الغذائية (القبر رقم 6 مكرر بالمقبرة الشرقية)، لكن نلتزم مع ذلك التركيز على المرفقات ذات الطابع الوقائي.

نلاحظ أخيرا غياب طقوس السجن، قطع الرأس، التثبيت، الوضعية البطنية⁶⁶² أو التسمير في مقبرتين (المقبرة الغربية ومقبرة ماتارس) في حدود القبور المنقبة، في حين يتعدّر الجزم فيما يخص التسمير

⁶⁶² Bouchenaki, 1975, p.167.

بالمقبرة الوثنية أو مقبرة منزل اللوحات الجدارية، نظرا لتوفر مسامير حديدية، دون تحديد ج. باراديز لوظيفتها؛ هذا ولم يتطرق الباحث إلى أية وضعية غير مألوفة أو غريبة وهي عادة ما يثير انتباه الآثاري. فيما يخص طقس الدفن عوض الترميد، نلاحظ في قبور فئة الأطفال أن حالات الدفن تفوق حالات الترميد. يمكن إنساب ذلك إلى عدد القبور الغير منقبة أو تلك التي تعرضت للتدنيس، هذا ويبقى أنه تم دفن أطفال تجاوزوا مرحلة التسنين، مما يتنافى واعتقاد الرومان على دفن الرضع قبل تلك المرحلة وترميدهم بعدها.

فيما يخص قلة المصايح والقطع النقدية في قبور الأطفال، فيمكن كذلك أن ننسبها جزئيا إلى نفس الأسباب المذكورة أعلاه (عدد القبور الغير منقبة، المعرضة للتدنيس والغير مشخصة)، لكن يبدو لنا أنها على علاقة بتوجه عام لمقابر تيبازة المدروسة، حيث لا يفوق عدد المصايح الإجمالي 74 وحدة في مجمل المقابر (مقابل مصباح واحد لدى فئة الأطفال) على مجموع 688 عنصر متوفر وذلك خلال الحقبين أي 11 بالمئة، بينما لا يفوق عدد القطع النقدية 27 وحدة أي 6 بالمئة من نفس المجموع.

انطلاقا من ذلك، فإن لم تكن المصايح من ضمن المرفقات المتداولة لدى مجمل المتوفين، يمكن أن يكون الفعل مبرمجا مسبقا بالنسبة لكل المقابر المدروسة ومن ثمة، أن ينطبق الأمر منطقيا على فئة الأطفال، خاصة إن اعتبرنا قلة عدد قبور تلك الفئة وكذلك منح الأولوية للمرفقات ذات الطابع الوقائي على حساب المرفقات المعتادة. سنعود إلى هذا العنصر لاحقا في تحليل خاص.

نتطرق الآن إلى رمزية اللؤلؤات والمسامير التعويذية لكن نقف مبدئيا على الأثاث الإستثنائي. لاحظنا توفر عدد معتبر من اللؤلؤات في قبور الأطفال (67 وحدة على مجموع 87) مع وجود عنصر استثنائي يتمثل في نيب خنزير، فضلا عن آلة موسيقية صغيرة. باستثناء الآلة الموسيقية، التي نحتمل أن اعتاد الطفل المتوفي على استعمالها باعتبار السن الذي يسمح بذلك (13-14 سنة)، يمكن اعتبار بقية العناصر (اللؤلؤات والمسامير) من المرفقات الوقائية.

يندرج نيب الخنزير ضمن قائمة الطلاس، سواء في المقابر الرومانية أو في المقابر الميغاليتية بشمال إفريقيا، لكن بينما يرجح غ. كامبس وظيفته كعنصر واقى للمتوفي⁶⁶³، تندرج الأضراس عموماً ضمن العناصر الحامية ولاسيما أضراس الذئب أو الحصان لدى الرومان التي تقي الطفل من الأمراض المرتبطة بمرحلة التسنين⁶⁶⁴، حيث تؤدي دور المساعد في إتمام المرحلة دون صعوبات أو وفاة. يسمح وجود ذلك النيب في القبر رقم 40 من المقبرة الوثنية باحتمال أن كان الطفل في تلك المرحلة عند وفاته، حيث بالرغم من عدم تحديد السن، توحى مقاسات القبر (65 طولاً-43 عرضاً-15 عمقاً) بأنه قبر رضيع⁶⁶⁵.

من جهة ثانية، يمكن التساؤل عما إن كان لوجوده علاقة بسبب وفاة الطفل (التسنين) أو بسنه عند الوفاة أو بمجرد حرص من طرف الأهل على توفير حماية للمتوفي؛ هذا وباعتبار أن الدور الأساسي المتفق عليه لهذا النوع من المرفقات يكمن في الحماية خلال مرحلة التسنين وباعتبار غياب الثقب، يحيلنا الأمر إلى احتمال عدم استعمال الطفل للطلسم قبل الوفاة ومن ثمة إلى التساؤل عن فائدة وجوده أساساً في إطار جنازري. على هذا الأساس، نرى في توفيره أمل في أن يتم الطفل رمزياً تلك المرحلة.

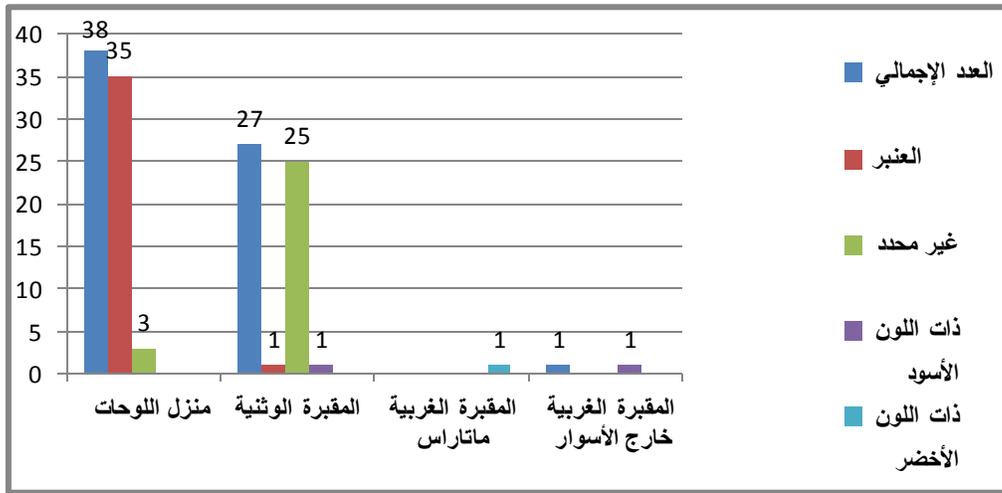
من جهة ثانية، وباعتبار وجود الرضاعة التي تشير عادة إلى مرحلة الفطم، فضلاً عن الآلة الموسيقية المتداولة في القبور الإغريقية أو الرومانية واللؤلؤات، نحتمل، فيما يخص أنياب الخنزير، أننا أقرب إلى المنظور الروماني.

فيما يتعلق باللؤلؤات، فتعد كذلك من الطلاس وهدفها الوقاية أو الحماية، سواء من الأمراض أو من الأرواح الشريرة. تحتمل ف.داسن أن وجودها بقبور الأطفال قد يكون على علاقة بالسبب الذي أودى بحياة الطفل. نلاحظ في مقابر مدينة تيبازة توفرها إلى درجة أنها تندرج ضمن الأولويات، فباستثناء اللؤلؤة الوحيدة المتوفرة خلال الحقبة الثانية، نرى أنه من مجموع 86 وحدة، تنتمي 67 لؤلؤة إلى قبور الأطفال، 36 منها مصنوعة من العنبر، 28 غير محددة وإثنتين منها ذات اللون الأسود. هي نفس الألوان التي نجدها في قبور العينة الغير محددة، حيث تم إحصاء 8 لؤلؤات عنبر، 4 ذات اللون الأسود والسبعة المتبقية غير محددة (محتركة). (الرسم البياني رقم 48)

⁶⁶³Camps,1961 , p.508.

⁶⁶⁴Pline L'ancien, XXVIII, 78, p.293.

⁶⁶⁵Dubois, 2012, p.330.



الرسم البياني 48: توزيع اللؤلؤات لدى فئة الأطفال.

يفيما يتعلق برمزية العنبر، فهو يندرج ضمن المواد المتداولة في قبور الأطفال. تذكر المصادر مبدئياً دورها الطبي حيث تشفي عموماً من اليرقان، الحمى، أمراض المعدة، الأذن واضطرابات الرؤية⁶⁶⁶، كما يشير بليينوس الأقدم إلى دورها الإيجابي فيما يخص الأطفال حين يتم حملها في شكل طلسم⁶⁶⁷. أما اللؤلؤات الأخرى، فيتم ربط اللؤلؤة ذات اللون الأخضر بالزمردة وهي متداولة في الإطار الجنائزي لدى المصريين، أين تشير إلى الإله "توت" وترمز إلى الإخضرار والحياة حين تأتي من مادة الفلدزبات الأخضر⁶⁶⁸. أياً كانت وظيفتها (وقائية أو طبية)، فإن تم توفيرها في قبور فئة الأطفال بهذا العدد يدلي بالحرص على ضمان الحماية وعلى هذا الأساس، فحتى وإن نجد منها ما لم يتم تحديد لونه، فلا يقلل ذلك من الإصرار الملحوظ.

أما عن المسامير، فتحمل كذلك رمزية مزدوجة حيث يربطها الرومان والإتروسك بآلهة القضاء والقدر ورمزياً بكل ما له طابع ثابت غير قابل للتغيير. تم تمثيل بعض الآلهة حاملة لمسامير لتجسيد فكرة الثبات ومن ضمنها أثروبوس (إحدى الآلهة الثلاثة المسؤولة عن الحياة والموت) (Les parques) وللإشارة، فإن إسمها يعني "ما لا يمكن تفاديه" أي الموت. ينحصر دور الإلهة أثروبوس في قطع الحبل الذي يرمز إلى حياة الفرد وبذلك، فهي تحدد يوم وفاته وتعكس من ثمة واقعا لا يمكن الطعن فيه. نشير إلى أنه في

⁶⁶⁶Dasen, 2003, p.182.

⁶⁶⁷Pline L'ancien, XXXVII, 12, paragr. 3 et 4.

⁶⁶⁸Pierret, 1882, pp. 547-548.

إحدى التمثيلات الإيكونوغرافية للإلهة، تم تمثيل أثروبوس حاملة لمسمار في اليد، كرمز للحظة التي سيتوفى فيها ميلياغروس⁶⁶⁹. أما عن إلهة النصر، فتأتي هي الأخرى حاملة لمسمار أمام غنيمة حرب لتجسيد نفس المفهوم، فما هي فرص انقلاب الوضع في إطار هزيمة حربية وما هي فرص الطعن فيما آلت إليه الأوضاع؟.

أما عن الرمزية الثانية، فنجدها مرتبطة بفكرة معاكسة تماما وهي التجديد. تعود أصول ذلك المفهوم إلى الإتروسك، قبل أن تنتقل إلى مدينة روما. في مدينة فولسي الإتروسكية، أعتيد على إدماج مسمار في معبد الإلهة نورتيا (إلهة الحظ لدى الإتروسك، تقابلها الإلهة فورتونا لدى الرومان) لتعداد السنوات المنفرطة. انتقلت العادة إلى الرومان، على يد التاركينيين، حيث عند تشييد معبد كابيتول، يتم عادة إدماج مسمار ما بين غرفة جوبيتر ومينزفا في أواخر أيام شهر سبتمبر، كرمز للسنة الجديدة.

خلال الفترة الجمهورية، كان يتم اللجوء إلى طقس التسمير للحد من الفوضى أو الآفات، كتلك التي عمّت بالعاصمة عام 261 ق.م جراء انتفاضة الشعب أو آفة عام 391 ق.م. أهم مما سبق، كان هنالك طقس تسمير شائع يدخل في إطار الـ «*Piaculum*» الذي له طابع تعويذي ومفاده نسيان ما مضى والتركيز على ما سيأتي⁶⁷⁰. كان يُطبق للحد من الأمراض وفي ذات السياق، ينصح بليينوس الأقدم بإدماج مسمار من الحديد في المكان الذي سقط عليه المريض وبالتحديد حيث سقط الرأس، كما ينصح بحمله كطلمس لتفادي آلام الجروح، للتعافي من التشنجات أو انخلاع المفاصل⁶⁷¹ وعادة ما استعمل للحد من عواقب السحر⁶⁷² أو لإقامة الطقوس السحرية.

في هذا الصدد، يذكر أبوليوس اللجوء حتى إلى مسامير الصلب لنفس الأغراض وكذلك بليينوس الأقدم⁶⁷³. كلها محددات منحت المسامير في الحياة اليومية ثقلا رمزيا وطابعا تعويذيا لا يمكن أن يُقصى من الإطار الجنائزي، أين يواجه المتوفي واقعا مهيبا وأين لا يُستبعد كذلك استعمالها للإنقاذ من روح المتوفي من خلال طقس التسمير.

⁶⁶⁹Humbert (1877), *Clavus gubernaculi*. Dans DAGR, pp.1240-1241.

⁶⁷⁰Humbert (1877), *Clavus gubernaculi*. Dans DAGR, p.1241.

⁶⁷¹Pline L'ancien, XXVIII, 12, 1 ; 17, 5.

⁶⁷²Humbert (1877), *Clavus gubernaculi*. Dans DAGR, p.1241.

⁶⁷³Apulée, *Métam.*, III, 17, 5, p.48 ; Pline L'ancien, XXVIII, 11, 2.

في الحالة الأخيرة، تأتي المسامير من مادة الحديد وفي وضعية تثير الإنتباه، إما مغروسة أو بالقرب من المرفقات، دون أن يكون لتوفرها بعد وظيفي وقد دققنا في المسألة فيما يخص القبر 261 في المقبرة الشرقية لمدينة سطيف من خلال مقارنة مع قبر من مقبرة لاكلاد بفرنسا⁶⁷⁴ (الصورة رقم 21).

نستنتج من المعطيات أعلاه تمازجا بين فكرة الواقع الغير قابل للتعديل وهو الموت، انقاء الأرواح الشريرة، التعافي من الأمراض وأخيرا الإعلان عن منطلق جديد. بذلك فوجودها بهذا العدد لدى فئة الأطفال قد يدلي بآمال على صلة مباشرة بالمصير. نشير في نفس السياق إلى أنه في حالة ما إن كانت للمسامير الدور الوقائي المذكور لدى بلبينوس الأقدم، أي جلب الطاقة السلبية للأمراض وتثبيتها في المعدن، يمكن حينها احتمال أن لوجودها في قبور الأطفال دور إبعاد الأمراض التي قد تسببت في الوفاة ومن ثمة التساؤل عن سبب توفرها. أما عن دورها في إبعاد الأرواح الشريرة، فإن كان الطفل محل مخاوف قد تؤدي إلى سجن روحه في القبر، نتساءل عن المغزى من توفر اللؤلؤات وغيرها.



الصورة 21: نماذج لمسامير سحرية (على اليسار)، الإلهة أثروبوس، تشير إلى رأس ميلياغروس بمسما (على اليمين). إلهة النصر تحمل بيدها مسمارا موجها نحو غنيمة كرمز لواقع غير قابل للتغيير (في الوسط). عن:

Darembert et Saglio, 1877, p.1241

⁶⁷⁴Bérard, 1963, pp.304 et 306.

لا بد أن نتوقف بشيء من التفصيل على إشكالية قلة المصابيح والقطع النقدية، حيث تبعدنا قلتها عن ممارسة رومانية ذات أهمية، في حين لاحظنا من خلال المرفقات الجنائزية المتوفرة، ترسخ تدريجي لقيم الرومنة بالمدينة ابتداء من القرن الثاني، كما تبعدنا عن التأثيرات البونية التي بدورها أدمجت المصابيح والقطع النقدية ضمن مرفقات القبور. لنا مثال على ذلك في حفريات مقابر مدينة قرطاجة، أين يتوفر العنصران بشكل نظامي خاصة ابتداء من القرن الثالث ق.م.

باعتبار التأثيرات البونية، نقتراح في الجدول أدناه حوصلة لنسب توفر المصابيح والقطع النقدية وكذلك الأنجنتريا (التي لاحظنا أنها تنعدم في قبور القرن الثاني والثالث ميلادي) في مقابر مدينة قرطاجة، سعياً لإثبات أن غيابها في قبور الأطفال لا علاقة له بحرمانهم من دليل نحو العالم الآخر وإنما ناتج عن توجه قد يكون عاما مبرمجا من طرف سكان مدينة تيبازة والذي قد ينبع من نظرة محلية طغت إلى حد معين (الجدول رقم 11).

الموقع	نوع الأثاث			الحقبة التاريخية: من القرن الخامس إلى الثالث قبل الميلاد
	قنينات (أنجنتريا)	قطع نقدية	مصابيح محلية	
دهر المورالي	المقبرة رقم 92=42 بالمئة	المقبرة رقم 8 =42 بالمئة	المقبرة رقم 0 =42 بالمئة	القرن الخامس ق.م
مقبرة المسرح		المقبرة رقم =46 42 بالمئة	المقبرة رقم 0 =46 بالمئة	

مقبرة الأديون (الجهة ش-ش)	المقبرة رقم 7=36 بالمئة	المقبرة رقم 36 بالمئة 14=	المقبرة رقم 0=36 بالمئة	
أرض الخرايب	المقبرة رقم 8=59 بالمئة	المقبرة رقم 29=59 بالمئة	المقبرة رقم 0=59 بالمئة	
مقبرة الأديون (الجهة ش-ش)		المقبرة رقم 13=35 بالمئة	المقبرة رقم 40=35 بالمئة	القرن الرابع ق.م
مقبرة المسرح	المقبرة رقم 59=40 بالمئة	المقبرة رقم 29=40 بالمئة	المقبرة رقم 59 =40 بالمئة	
دهر المورالي (السفلي)	المقبرة رقم 0=41 بالمئة	المقبرة رقم 0=41 بالمئة	المقبرة رقم 11=41 بالمئة	
مقبرة الأديون	المقبرة رقم 157=47 بالمئة	المقبرة رقم 86=47 بالمئة	المقبرة رقم 120=47 بالمئة	القرن الثالث ق.م
مقبرة حدود المسرح	المقبرة رقم 186=46 بالمئة			
أرض الخرايب	المقبرة رقم 56 بالمئة 134=	المقبرة رقم 54=56 بالمئة	المقبرة رقم =56 155 بالمئة	

الجدول 11 :مقارنة لنسب توفر المصابيح، القطع النقدية والقارورات بمقابر مدينة قرطاجة ابتداء من القرن الخامس

إلى غاية القرن الثالث ق.م. عن: Bénichou-Safar, 1982, pp. 113-114-115

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن المصابيح غائبة خلال القرن الخامس ليترسخ وجودها تدريجيا ابتداء من القرن الرابع أين تتوفر عموما في 37 بالمئة من قبور المقابر الثلاثة المذكورة، لتبلغ نسبة توفرها 137 بالمئة في نفس المقابر خلال القرن الموالي.

أما القطع النقدية، فهي متوفرة في كل المقابر باستثناء المقبرة رقم 41 والتي تنعدم فيها كذلك المصابيح، لكن نلاحظ تطورها التدريجي وبنسب متباينة، سُجلت أعلاها بالمقبرة رقم 46 (46 بالمئة)، المقبرة رقم 56 (54 بالمئة) والمقبرة رقم 47 (86 بالمئة) مع أعلى نسبة (في الحالتين الأخيرتين) خلال القرن الثالث ق.م. أما في بقية المقابر، فالقطع النقدية متوفرة ابتداء من القرن الخامس بنسب متفاوتة، أقلها نسبة 8 بالمئة بالمقبرة رقم 42، في حين تغيب كليا خلال القرن الرابع فقط بمقبرة دهر المورالي.

يشير التفاوت في بعض المقابر والوفرة أو الغياب في أخرى، إلى تنوع في طبيعة الممارسات لكن كذلك إلى استمرارية توفر العنصرين وفقا لمنحنى تصاعدي، بينما في مقابر مدينة تيبازة، فيبدو أن قلتها تخص كل المقابر المدروسة على مر ثلاث قرون، اتبعت خلالها مسارا تصاعديا بطيئا.

فيما يتعلق بالأنجننتاريا، فنلاحظ أنها متوفرة في كل المقابر باستثناء المقبرة رقم 41 خلال القرن الرابع ق.م، لتعرف رواجاً بعدها، بلغ الذروة خلال القرن الثالث ق.م، بنسب 134 بالمئة، 157 بالمئة وأخيرا 186 بالمئة⁶⁷⁵.

خلال القرنين الثالث والثاني ق.م، استمرت الممارسات الجنائزية البونية في إدماج القطع النقدية (التي استُخرجت بالعشرات على حد تعبير ه. بينيشو - سفر) والمصابيح (إثنين على الأقل في معظم القبور)⁶⁷⁶، في حين ارتفع عدد الأنجننتاريا. يعزز بدوره ح. بن يونس أهمية الإنارة في مقبرة الحكمة البونية (القرن الرابع - القرن الثاني ق.م) أين تمت تهيئة كوات لإستقبال المصابيح. في القبر رقم 13، المؤرخ بالقرن الرابع ق.م الذي انعدمت فيه الكوات، تمت تهيئة هيكل طيني مخروطي الشكل لإستقبال

⁶⁷⁵Benichou-Safar, 1982, pp.314-315.

⁶⁷⁶ نشير إلى أنها أنتت خالية من آثار الحرق على مستوى فتحة التهوية والفوهة والتي تأتي بدورها مسدودة، مما يطرح في الحالة الأخيرة إشكالية وظيفتها في القبر. يُراجع:

Benichou-Safar, 1982, p.318-319

مصباح وُضع بداخل غطاء أنفورة قرب الإيداعات العظمية المرمدة للمتوفي. يؤكد الباحث أهمية الإنارة في المقابر البونية، باعتبار أن غياب الكوة لا يعني عدم الإهتمام بإنارة القبر⁶⁷⁷.

نشير أخيرا إلى استمرار توفر المصابيح والقطع النقدية خلال الفترة الرومانية⁶⁷⁸ ولاسيما في مقبرة الساحة العامة بمدينة الجم أين كشفت التنقيبات على 216 مصباح. تكمن إحدى خصوصيات مدينة الجم في توفر المصابيح بمقبرة الساحة العامة بعدد معتبر في حين تأتي جد نادرة في مقبرة الأطفال بينما تتزامن المقبرتين⁶⁷⁹. إن لم تقترح الباحثة ل. سليم حلا للإشكالية، نرى على الأقل عمدية الفعل بوضوح سواء في المقبرة العمومية من خلال توفير المصابيح أوفي مقبرة الأطفال من خلال ندرتها. نستنتج أن قلة المصابيح والقطع النقدية في مقابر تيبازة تبعنا فعلا عن ممارستين أساسيين، سواء في الحضارة الإغريقية-الرومانية أو البونية ونحن على دراية بدرجة ترسخ التأثيرات البونية في تاريخ المدينة.

نضيف أن الأنجننتاريا التي نراها متوفرة بنسب معتبرة في مقابر قرطاجة، بدورها حاضرة بشكل واضح ضمن مخلفات مدينة تيبازة خلال الحقبة التاريخية الأولى (96 عنصرا)، لتختفي خلال الحقبة الثانية وبذلك، يمكن أن تم هنا إختيار إدماج ذلك العنصر والتقليل منه بعد ذلك، مما يعزز احتمال أن المسألة قد تخص فعلا مبرمجا على المستوى العام.

نشير هنا إلى ما سبق اقتراحه في المقبرة الشرقية لمدينة سطيف، حول قلة توفر القطع النقدية، اعتمادا على مقارنة قامت على مرفقات المقابر الميغالييتية ونحتل أن تكون لقلتها في مقابر تيبازة علاقة بمحددات نابعة من نفس التوجه.

فيما يخص المصابيح مثلا، نُذكر بما أفادنا به غ. كامبس، الذي يشير إلى قلة توفرها في كل المقابر التي تحتضن قبورا من نمط الدولمان والتلال (خاصة في الشرق الجزائري) وكذلك في المقابر البونية على غرار غورايا، ليستمر الوضع إلى غاية القرنين الرابع والخامس ميلادي بمقبرة درارية العاشور. في الحالة الأخيرة، لاحظ الباحث تمازجا في الممارسات، منها ما يسبق الوجود الروماني، كالأطباق المسطحة

⁶⁷⁷ Ben Younès, 1988, 58-59 ; Ben Yonès & Ben Younès - Krandel, 2014, p.154.

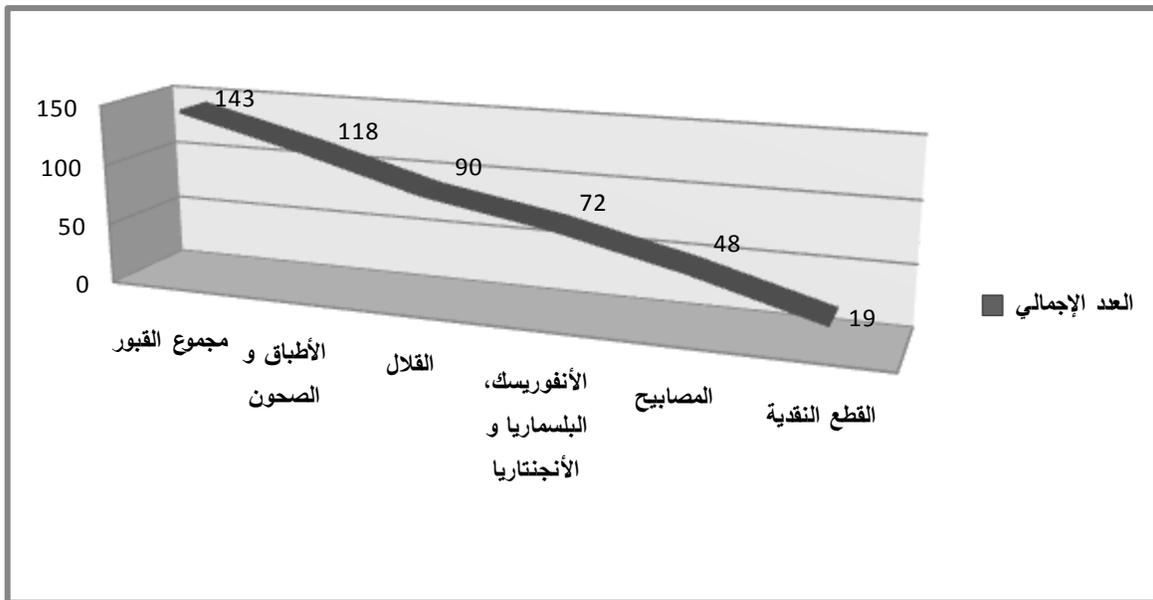
⁶⁷⁸ Bénichou-Safar, 2010, pp.36-39-41-43-44-45-46-47-50-51-53.

⁶⁷⁹ Slim, 1984, p.171.

القاعدة، اللجوء إلى استعمال المغرة وكذلك عدم منح الأولوية لإنارة القبور باللجوء إلى المصابيح⁶⁸⁰. باعتبار قلة توفر القطع النقدية والمصابيح في المقابر الميغاليتية وكذا في غورايا ودرارية العاشور، يمكن احتمال أن احتفظت الممارسات في الذهنية الجماعية لسكان مدينة تيبازة بشيء من هذا القبيل.

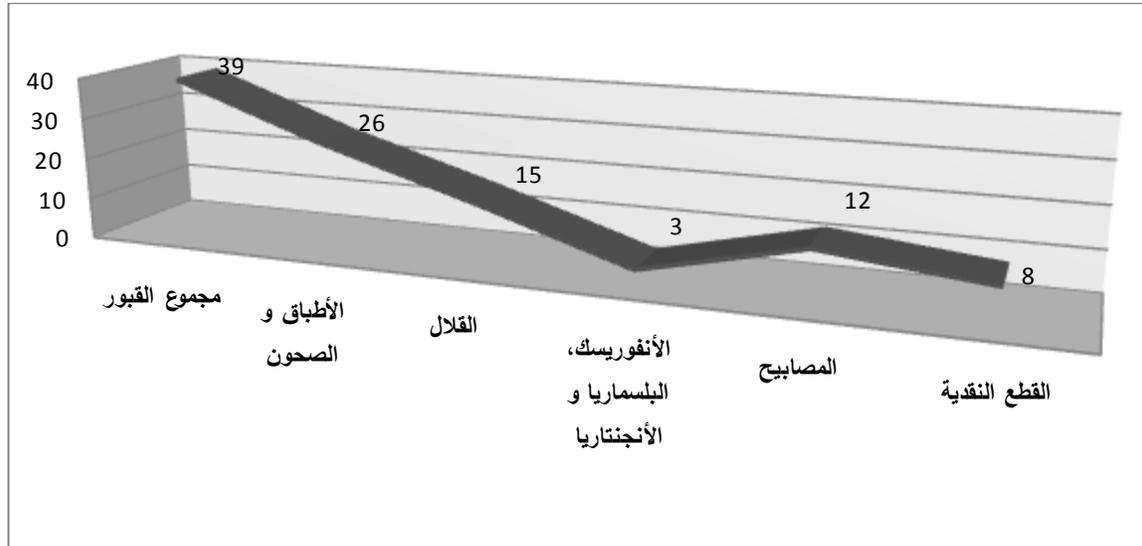
نتطرق كذلك إلى مسألة القلال، حيث نلاحظ أنها تلي باستمرار الأطباق والصحون فيما يتعلق بأواني المائدة، كما نلاحظ استقرارها من حيث النسبة المئوية خلال الحقبين لكن كذلك لدى فئة الأطفال (الرسم

البياني رقم 49 و 50)



الرسم البياني 49: توضيح مكانة المصابيح والقطع النقدية مقارنة بالقلال ما بين القرن الأول ق.م والقرن الأول ميلادي.

⁶⁸⁰ Camps, 1961, p.310 ; 1955, p.264.

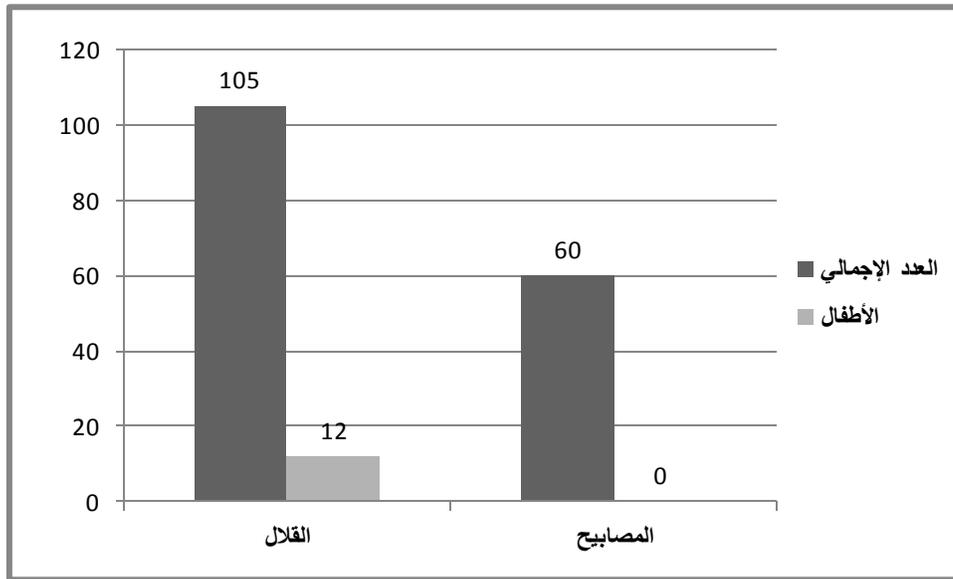


الرسم البياني 50: توضيح مكانة المصابيح والقطع النقدية مقارنة بالقلال خلال القرنين الثاني والثالث.

ارتئينا التدقيق في مسألة توزيع القلال، من جهة اعتبارا للنقل الرمزي الذي تحمله ومن جهة ثانية، لتعزيز احتمال استمرارية بعض الممارسات المحلية في الذهنية الجماعية والتي قد تثبت الفعل العمدي والتوجه العام لمقابر تيبازة، حيث تُعد القلال، على عكس المصابيح والقطع النقدية، من ضمن الأواني المتوفرة في المقابر الميغاليتية، والتي يربطها غ. كامبس بالماء المنعش، مركزا على أهمية الماء بالنسبة المتوفي⁶⁸¹. نلاحظ من خلال الرسمين البيانيين أعلاه أنه خلال الحقبين، بقيت الأولوية للقلال أمام المصابيح والقطع النقدية.

انطلاقا مما سبق، نعزز احتمال أن ما نلاحظه في الرسومات البيانية ناتج عن أولويات سكان المدينة أين حرصوا على الحفاظ على ما له أهمية في منظورهم للموت والبعث، بما في ذلك ما يمس فئة الأطفال، بينما ما قد يُعد ثانويا، فنرى نسب توفره ضئيلة وإن سجلت تطورا نسبيا (الرسم البياني رقم 51).

⁶⁸¹ Camps, 1961, p.295.



الرسم البياني 51: نسب توفر المصايح والقلال في مجمل مقابر مدينة تيبازة.

نقترح فيما يلي مقارنة ما بين المقبرة الشرقية لمدينة سطيف ومقابر مدينة تيبازة وفي هذا السياق، فقد سبق وأن تطرقنا إلى احتمال أن يكون سكان مدينة سطيف قد منحوا الأولوية لمرافقة المتوفين التابعين لفئة الأطفال من خلال الأثاث الإعتيادي على حساب حمايتهم بمختلف المرفقات الوقائية، بينما نلتمس مسارا معاكسا لدى سكان مدينة تيبازة، أين يبدو أن تم الحرص على توفير مرفقات، مفادها وقاية الأطفال من مختلف المخاطر. ارتئينا تجسيد ما سبق في الجدول أدناه، حتى يتبين لنا إن كان ذلك الإحتمال مقبولا. فيما يخص أثاث المقبرة الشرقية لمدينة سطيف، قمنا بإدماج أثاث مرحلة الدفن المتأخرة، باعتبار أن مجرد توفره بها (بما في ذلك الحلي) يشير إلى الفترة الوثنية وهي لا تفوق القرن الثالث ميلادي أي حدود إطارنا الكرونولوجي (الجدول رقم 12).

مقابر مدينة تيبازة			المقبرة الشرقية لمدينة سطيف				الأثاث الجنائزي/ الحقب التاريخية
المجموع	القرن 2-القرن الثالث ميلادي	القرن 1 ق.م- القرن الأول ميلادي	المجموع	القرن 3- القرن الخامس ميلادي	القرن 2- القرن الثالث ميلادي	نهاية القرن 1- النصف الأول من القرن 2 ميلادي	
9	0	9	53	7	29	17	الأطباق والصحون
1	1	0	49	6	25	18	المصابيح
0	0	0	11	1	6	4	القطع النقدية
12	6	6	34	2	24	8	القلال - القليلات والأباريق
4	2	2	16	5	7	4	الأكواب والأقداح
4	0	4	10	6	1	3	الحلي
66	1	65	5	0	0	3	اللؤلؤات
13	13	غير محدد	1	1 غير مؤكد	0	0	المسامير التعويضية
1	0	1	4	4	0	0	الأضراس
1	0	1	8	1	5	2	الإبداعات الغذائية (بقايا مادية او من خلال وضعية الأثاث)

الجدول 12: مقارنة بين المرفقات الجنائزية لمقبرة مدينة سطيف ومقابر مدينة تيبازة (اللون القاتم يمثل المجموع و كذا

أثاث وقاية أو حماية المتوفي)

نلتزم من خلال الجدول أعلاه أن الأثاث الجنائزي بالمقبرة الشرقية لمدينة سطيف اشتمل أساسا على أثاث اعتيادي مع تركيبة نظامية متداولة، تتمثل في الطبق والمصباح، لتضاف إليها القلة خلال مرحلة الترميد، بينما تكاد تنعدم العناصر ذات الوظيفة التعويذية والوقائية على غرار المسامير واللؤلؤات.

أما في مقابر مدينة تيبازة، فنرى حرصا على توفير العناصر ذات الوظيفة الوقائية، تتجسد من خلال المسامير واللؤلؤات حتى وإن توفر الأثاث المعتاد في الإطار الجنائزي. نعزز بذلك أن فرضية المصباح والقطع النقدية في مدينة تيبازة تعكس توجهها عاما للمقابر لا تنفرد به فئة الأطفال مدعمين احتمالنا بمسألة استمرارية بعض الممارسات في المقابر الميغالييتية.

حتى وإن تم اقتراح احتمال التوجه الطقوسي العام لمقابر تيبازة أو استمرارية منظور محلي في المقبرة الشرقية لمدينة سطيف والذي، في كلتا الحالتين، لا يقتصر على فئة الأطفال، نتساءل عن السبب الذي آل بسكان مدينة سطيف إلى إدراج المصباح ضمن أولويات الأثاث المتوفر (التركيبة النظامية) على حساب القطع النقدية وكلاهما من مؤشرات الرومنة في الإطار الجنائزي، بينما قد منح سكان مدينة تيبازة للعنصرين مكانة تبدو ثانوية لكن على حد سواء. يبق السؤال مطروحا في حدود معطياتنا ورصيدنا المعرفي.

فيما يخص الفصل الثاني، نقترح كخطوة أولى إدراج ملاحظات عامة تخص الجانب الهيكلي للمعالم المدروسة والتي تنحصر فيما يلي:

-تقسيم الأنصاب إلى سجلين أو ثلاث سجلات: سجل علوي يحتضن الجبهة. تستقبل الجبهة غالبا هلالا ذو قمتين متجهتين نحو الأعلى تحدها أحيانا زخرفة نباتية أو عناصر معمارية كالأكروتير والأعمدة؛ سجل ثاني (وسطي أو سفلي) يستقبل الحقل الإبيغرافي؛ سجل ثالث (وسطي أو سفلي) يحتضن كوة بها مشهد المتوفي. يشير تقسيم النصب إلى سجلات، إضافة إلى رمز الهلال على مستوى الجبهة، إلى احترام مبدأ التناظر وكذلك التأثيرات البونية⁶⁸²

- يحتضن المشهد أطفالا بمفردهم، غالبا في وضعية مركزية، باستثناء نصب ماكسيموس بمدينة سطيف الذي يأتي مصحوبا بأمه ماميليا ترنيا.

- المشهد بمثابة العنصر الرئيسي حيث يشغل أكبر نسبة من مساحة الأنصاب.

- تداول نمط النصب ذات الجبهة المثلثية أساسا مع توفر نماذج أدمجت فيها الأعمدة الجانبية والتيجان. تشير الجبهة المثلثية والعناصر المعمارية إلى إتمام الطقوس في إطار مقدس حيث تُذكرنا بواجهة المعبد. يطلق على هذا النوع من المعالم الجنائزية تسمية "المعابد القبرية" «Grabtempel»⁶⁸³.

- تحرر اليمين مقارنة بالتحفظ النسبي للأجساد، خاصة بمدينة شرشال وكأن اليد بمثابة دليل المتوفي للزائر أو المشاهد نحو الرموز الجنائزية.

- توفر الرموز ذات العلاقة بالعبور (العنب، الرمانة، التفاحة، العصفور)، بالبعث (العنب باعتباره رمز ديونيزي)، بالمراسيم الجنائزية (الطبق أو العبارات المقدسة التي قد يرمز إليها المجلد) أو بالإله ساتورن (السنبله والعنب على نصب كيسيوس نامبولوس والكعكة على نصب بايا بمدينة جميلة).

⁶⁸²Cottelloni-Trannoy, 2017, p.145.

⁶⁸³Wrede, 1981, p.86 Cité dans Huskinson, 2011, p.115.

- يأتي عنقود العنب في اليد اليمنى على تقريبا كل الأنصاب المتواجد بها، كما نلاحظ أنه يتخذ على البعض منها حجما يفوق المعتاد. في هذا الإطار، نركز على قلة الواقعية فيما يتعلق بحجم بعض العناصر الواردة على المشاهد، يُعد وسيلة لجأ إليها الرومان لتعزيز الأهمية التي يكتسبها العنصر في المشهد⁶⁸⁴ أي أن تلك العناصر التي تفوق الحجم المألوف تشكل العنصر الأساسي في رسالة المشهد.

-تداول الوضعية المواجهة وهي، تعال ر. بيانكي باندينلي، من خصوصيات الفن الشعبي الروماني وبالتحديد، منحوتات نخبة الطبقة الشعبية التي تسعى إلى تجسيد إنجازاتها واندماجها ضمن مصف أرقى (plebeian art)⁶⁸⁵؛ هذا وتشير دراسة أ. مشرك لأنصاب البونية بمدينة حاجب العيون (قرب مدينة سبيطة بتونس)، إلى أن الوضعية المواجهة والواقعة من خصوصيات النحت النوميدي⁶⁸⁶. تأتي هيئة المتوفي كاملة في أغلبية الحالات المدروسة، باستثناء تابوت مدينة تيمقاد ونصب ماميليا ترتيا وإبنا ماكسيموس بمدينة سطيف وبذلك، فقد تم احترام مبدأ ايكونوغرافي ثان لا يقل أهمية عن التناظر وهو العمودية.

تشير دراسة م. كولتيلوني ترانوي إلى أن اللجوء إلى الوضعية المواجهة، التناظر، مبدأ العمودية، فضلا عن تداول نفس الرموز وفي مواقع محددة (الهلال في طبلية الواجهة، الفواكه، الأطباق والمجدل في سجل المشهد) يدل بالحرص على مبدأ الفصل (ما بين السجلات) لكن في تركيبية عامة متكاملة أي أن وضعية الرموز في سجل معين دون غيره خاضع إلى تقنين، مما يضمن، بالرغم من تقسيم النصب إلى سجلات منفصلة، أن يبقى محتوى كل منها في علاقة متبادلة⁶⁸⁷.

على أساس الملاحظات المذكورة أعلاه، ستكون نقطة المنطلق لما سيلبي، غياب العفوية ووجود تركيبية تقوم على الطابع التكراري أو ما يسميه ب. زانكر بالقولبة الصورية أو الصورة النمطية (Stéréotype figuratif) والتي يتفق المشاهدون على سبل تفكيكها بتعودهم على الفضاء الذي تتواجد به وكذا من خلال طابعها المتكرر. في هذا السياق، طرح الباحث كذلك إشكالية تعدد الثقافات (سواء بروما أو بالمقاطعات)،

⁶⁸⁴Bianchi Bandinelli, 1970, p.57-58.

⁶⁸⁵Bianchi Bandinelli, 1970, p.58.

⁶⁸⁶Mcharek, 2002, pp.25-26-27-33.

⁶⁸⁷Coltelloni-Trannoy, 2017, pp.145-146.

أين صرح بصعوبة تحديد ما إن وُجدت هنالك قراءة موحدة ومشاهد نمطية متداولة، اعتباراً لتنوع الشعوب، لتعاقب المراحل التاريخية، لتغيّر إيديولوجية الأباطرة وحتى لحرص فرد أو عائلة أو هيئة معينة في إبراز بعض التفاصيل دون سواها⁶⁸⁸.

ما يشير إليه ب. زانكر باللقولبة الصورية أو الصورة النمطية قائم على مبادئ وأسس سبق للمصادر الإغريقية والرومانية أن أولتها عناية وذلك في إطار مفهوم "فن الذاكرة" (*Ars memoriae-Ars memorativa*).

يُعد سيمونيداس (القرن السادس ق.م) أول من اهتم بالذاكرة على أساس أنها قدرة معرفية قابلة للتطوير والتي آلت به إلى ابتداع أدوات تقنية تحفيزية. من خلال حادثة عاشها المؤلف خلال مأدبة، بدا له أن أهم تقنيات التحفيز تتمثل في ربط العنصر بالفضاء الذي يوجد به⁶⁸⁹. يرى بدوره أرسطو أن الذاكرة غير مرتبطة بقدرة الفرد على التفكير بقدر ما هي مرهونة بالصورة والقدرة على التخيل (باعتبار أن ما هو غائب، لا وجود له في الحاضر)، معززا فكرة سيمونيداس في أن الذاكرة تستوجب ربط العنصر بالفضاء⁶⁹⁰.

اعتمد الرومان بدورهم على نفس المبدأ لتحفيز الذاكرة ولا سيما فيما يتعلق بفن الخطابة بهدف استقاء سليم للرسالة التي يحملها عنصر محدد في الفضاء والذي تم اختياره بعناية، بحيث يخضع الفضاء والرموز إلى تنظيم يسمح، بفعل تعود البصر، بربط المفهوم أو الفكرة بالصورة⁶⁹¹. على هذا الأساس، فلا بد من المباشرة بانتقاء ما هو أساسي.

يوحى ما سبق وكذلك المبادئ التي نكرناها في بداية التحليل بأن ما نراه على الأنصاب خاضع بدوره لتقنين يؤدي فيه الجانب الممارساتي أو الطقوسي دور نقطة الإنطلاقة والهدف في آن واحد، وذلك اعتماداً على تقنين فكري، تصوري يتخذ بدوره مكانة أساسية في نشأة وتداول المفهوم الذي يرد على المشاهد.

⁶⁸⁸Zanker, 1994, pp.283-284-288-289.

⁶⁸⁹*Lyra graeca*, II, Simonides, XI, p.307 ; Cicéron, *De oratore*, II, 86 ; Yates, 1999, pp.1 et 2.

⁶⁹⁰Aristote, *Traité de la mémoire et de la réminiscence*, 4, pp.204.

⁶⁹¹Baroin, 2007, paragrr.38-39.

من جهة ثانية، ففي الإطار الذي يهمننا، قد تطرأ إشكالية إعادة استعمال الأنصاب المخصصة لفئة الأطفال وذلك انطلاقاً من الشكوك التي تدور حول مصفهم الإجتماعي لكن خاصة حول التناقض ما بين المشهد والسن. لذلك، فلا بد لنا التطرق إلى تلك الإشكالية بشيء من التفصيل سعياً لمحاولة إثبات الطابع الأصلي، لنعود بعدها إلى محددات الذاكرة لدى الرومان ودورها المحتمل في تدعيم التناقض الملحوظ على المشاهد.

نلاحظ مبدئياً أنه اعتماداً على تفاصيل المشاهد المدروسة أعلاه، نلاحظ تداول إثنين من الثلاث مفاهيم التي حددتها ف. داسن والتي تتمثل مبدئياً في مفهوم الذاكرة المسبقة ومفهوم الطفولة الأبدية. أما المفهوم الثالث، أي الطفل المؤسس، فنحن نأمل أن لنا مثالا له من خلال تابوت مدينة تيمقاد بالرغم من غياب الوالدين.

سبق وأن تطرق الباحثون ولا سيما ف. داسن إلى احتمال اللجوء إلى أنصاب معادة الإستعمال وكذلك ج. هوسكينسون، على الأقل بالنسبة للبعض منها، أين تعتبر هذه الأخيرة أن تلك المشاهد تعكس جهد الأهل لخلق ذاكرة تسمح بالتخفيف من قسوة القدر وتعديل درجة غضب الأحياء ضده⁶⁹²، بينما بادرت ف. داسن⁶⁹³ بمقال تطرقت فيه إلى أمل إتمام المسار (دون احتمال خلفية طقوسية)، باللجوء إلى عينة دراسة لم تطرح فيها فرضية إعادة الإستعمال إطلاقاً⁶⁹⁴ وذلك لوفرة النماذج التي تحمل ذلك التناقض ما بين السن والهيئة وبشتى الصيغ. نرى بدورنا فيما سبق حافزا للتساؤل، باعتبار تداول هذا النوع من المشاهد في المقاطعات الإفريقية الرومانية⁶⁹⁵.

⁶⁹²Huskinson, 2011, pp.116-117.

⁶⁹³Dasen, 2006, 2017.

⁶⁹⁴ تشير إلى أن الذاكرة المسبقة قابلة للنقد في بعض الأحيان، باعتبار وجود أمثلة بمدينة بومبيي مثلا، على غرار ابن ديكيموس لوكريتيوس فالنس (أيدليس خلال عام 34/33م)، الذي تم إدماجه في المجلس المحلي ولم يتجاوز سن الثامنة، بينما تم تعيين ابنه الآخر كذلك في المجلس المحلي قبل وفاته في السن الثالث عشرة. لا يسمح ذلك بتعميم المسألة إلى درجة اعتبار أن كل الأطفال الذين تم تجسيدهم في هيئة راشدين، كانوا في نفس الموقف، خاصة إن اعتبرنا سن بعضهم وأنه وُجد من ضمنهم أطفال من مصف العبيد، فضلا عن أنه، إن كان الأمر كذلك، لحرص الوالدين على ذكر ذلك في النقيشة. يُراجع:

Carroll, 2006, p.141

⁶⁹⁵ De Larminat, 2016, p.81-83.

نحتمل أن يفوق الأمر مسألة التعويض البحث وحتى إعادة استعمال الأنصاب في أغلب الحالات بحيث إن وجد منها ما قد يندمج في هذا الإطار، فلا يمكن التعميم للأسباب التالية: غياب كل إشارة إلى آثار لإعادة الاستعمال من طرف الباحثين بحيث وفي تلك الحالة، قد تبقى بعض مخلفاتها على غرار آثار المحو، قلة التجانس في مكونات المشهد، في المصطلحات المُستعملة، الأسماء أو المعنى العام للنقائش⁶⁹⁶. فيما يخص أنصاب مدينة شرشال، سبق وأن أشار ف. لوفو إلى احتمال اقتلاع صفائح الرخام التي كانت تغطي القبور المقبية والتي يحتضن بعضها زخرفة في شكل التابولا أنساتا. هو بالفعل ما توحي به النقائش التي تتجاوز حيز الحقل، لكن لم يشر الباحث إلى أي محو، تعديل أو خلل في التناسق على المشاهد ولا في النقائش، مضيفاً أنه من المعتاد أن يتم إعداد الأطر التي تستقبل النقيشة قبل تدوينها؛ هذا وهناك مثال تمت فيه تهيئة الإطار بعد تدوين النقيشة⁶⁹⁷. في نفس السياق، نشير الإنباه إلى وجود مشاهد تظهر عليها تعديلات بصفة تُقصي كل شك، على غرار مشاهد ثنائية الجنس (Cross-gendered)، أين يُنحت وجه ذات الملامح الأنثوية على جسد ذكر.

في هذا الصدد، أثبتت دراسة س. بيرك توفر نماذج تم فيها تعديل المشهد حتى يقترب من ملامح المتوفي أو الإحتفاظ بالهيئة الأولية للمشهد بخيار عمدي، هدفه توجيه رسالة رمزية تخص المصنف أو الدور الاجتماعي المرغوب أو المتمنى من طرف المتوفي. نلتمس هنا تعبيراً لما لم يكن من نصيب المتوفي أي تعبيراً يبتعد عن هوية المتوفي الفعلية. بالرغم من إحصاء الباحث لنماذج معادة الإستعمال، تبقى المسألة تتعلق أساساً بالنسبة له بليوننة الهوية، مما يعزز طابعها المقبول إجتماعياً⁶⁹⁸. بالنسبة لنا، يعزز ذلك الطابع المقبول، التعود على تسجيل الأمانى خاصة، مما يبعدنا بعض الشيء عن السعي للخلود في ذاكرة الأحياء ويفتح مجال التفكير في المصير. نفهم كذلك مما سبق أن مؤشرات إعادة الاستعمال قد تخدم تلك الرسالة (الصورة رقم 22 و 23).

⁶⁹⁶ Mathieu, 2011, paragr.6 et note de bas de page n°14.

⁶⁹⁷ Leveau, 1984, pp.84-85 ; *CIL*, VIII 21275

⁶⁹⁸ Birk, 2011, pp.231 à 234.



الصورة 22: على اليمين، نحت لملاح الرجل المتوفي على جسد امرأة بعد محو الوجه. عن: Birk, 2011, p.332

Photo : Troels Myrup Kristensen. The Henry R. Huntington library, inv. 22.6 (Californie).

الصورة 23 : على اليسار، اختيار المتوفية العمدي للمشهد على يمين المعلم بينما كان المشهد الأثوي على اليسار

متاحا. عن: Birk, 2011, p.333

Photo: Stine Birk. Museo Nazionale Romano delle Terme, inv. 196637.

إن نتمعن في نصبي ريدمبتوس وفيلوكالوس مثلا، سنلاحظ أن الملاح لا تسمح بالجزم فيما إن كان المتوفي ذكرا طغت عليه تعابير البراءة، أو أنثى خاصة إن ركزنا على تسريحة الشعر ذات التصنيفات الملتوية، لكن لا أثر لأي تعديل أو محو يرد في الأبحاث ولا من خلال تدقيق الملاحظة في المشهد. قد يدعم ذلك من جهة الطابع الأصلي للنصب ومن جهة ثانية الخيار العمدي من طرف من أنجز المعلم للتذكير ببراءة المتوفين (8 أشهر وتقريبا سنة).

نلاحظ من جهة ثانية توفر المشاهد التي تجسد الأطفال في هيئة طفولية ولباس يناسب السن (التونيك القصيرة أو الطفل العاري) وذلك من خلال نصب مدينة سور جواب أو نصب سيكونديوس بمدينة شرشال.

فيما يتعلق بالإخوة فاليريانوس وسوسندر بمدينة خنشلة، فهي فريدة من نوعها. لقد حرص الأب في نقيشة تيتوس فاليريانوس على إضافة القبيلة التي ينتمي إليها التوأمان وهو كما سبق الذكر أمر غير مألوف، على حد تعبير م. لوغلي. يذكر الباحث كذلك توفر البولا على مشهد الأخ سوساندر وأنت هنا لتعزز الإسم الثلاثي في قالب صوري، باعتبارها رمز المواطنة الخاص بالطفل. إن كان للأهل الرصيد المالي الكافي لتسجيل هوية كاملة بتفاصيل غير معتادة بينما كان الإسم الثلاثي وحده ليكفي لإبراز المصنف، مع إضافة إسم الأخ التوأم، نحتمل أن مشهد الطفل ناتج عما حدده المهدي لصاحب الورشة.

نشير أخيرا إلى مشهد أيميليا سيويريا بمدينة شرشال. من الصعب احتمال أن لجأ حاكم ثنائي في المجلس المحلي إلى نصب مجهول أو معاد الاستعمال، إن اعتبرنا ما يفرضه تقلد الوظيفة من استثمار مالي، فضلا عن شتى الإلتزامات الجانبية على طول مسار الوظيفة، على غرار الهبات، تنظيم الألعاب وغيرها من التظاهرات (*munera-curalia*)⁶⁹⁹.

نحتمل بذلك أن أغلبية الأنصاب المدروسة أعلاه أصلية، خاصة في غياب أثر للتعديل، كما لا يمكن أن يكون الأمر عفويا إن اعتبرنا تداول تلك التناقضات في بقية المقاطعات الرومانية وحتى في بلاد الإغريق، فيما يتعلق بمشاهد نذرية لمواليد جدد تم فيها مزج ملامح النضج والوعي بإشارات الطفولة (الوجة المستدير والممتلئ، القماطة). يعزز العنصر الأخير وجود نظم إيكونوغرافية تخص بالتحديد الطفل المتوفي (الصور رقم 24).

⁶⁹⁹ Wilems, 1888, p.584.



الصورة 24 : مشهد بارز على نصب نذري لمولود جديد يرتدي قمادة مثبتة بإبزيم. عن: Musée archéologique national, Saint-Germain-en-Laye. https://musee-archeologienationale.fr/phototheque/oeuvres/ex-voto-representant-un-bebe-emmailote_sculpture-technique_calcaire

فيما يتعلق بمحتوى النقائش، صادفنا إشكاليات تخص مصف بعض الأطفال. نتساءل مثلا عن سبب فقر نقيشة الطفلة بايا بمدينة جميلة، بينما تم الحرص على تجسيدها في مشهد نحتي أن استوجب فيه تجسيد الحركة واللباس استثمارا ماديا معتبرا في حين يغيب حتى إسم المهدي.

نفس التساؤل فيما يخص سيكوندوس بشرشال باعتبار وضعية الجسم الجانبية وبتقنية النحت البارز، اتجاه الرأس وتوفر الرموز الجنائزية، فضلا هيئة المتوفي عاريا وفي سن الرضاعة؛ كلها تقنيات تستوجب جهدا إبداعيا إذا ما قورنت ببقية أنصاب مدينة شرشال، فضلا عن الاستثمار المادي؛ فكيف للنقيشة أن تأتي بتلك البساطة؟ قد يكون إسم المهدي متوفرا في الجزء الذي ينقص النصب، لكن تتوفر لدينا أمثلة أخرى من نفس القبيل، على غرار نقيشة بايا بمدينة جميلة ووينيريا بمدينة شرشال. نقترح بالنسبة لتلك الأنصاب احتماليين:

- إما أن وجدت هنالك نماذج متاحة في الورشات المحلية بحيث يمكن تعديل بعض تفاصيلها وتباع بأسعار تناسب تلك الشريحة من المجتمع، باعتبار أن وفاة طفل في سن مبكرة ومن مصف العبيد، مثلما

هو الحال بالنسبة لبايا (جميلة)، سيكوندوس ووينيريا (شرشال)، لا يتيح وقتا كافيا لجمع القدر المطلوب من المال وإعداد نصب جنازي يتطلب بدوره استثمارا للجهد والوقت.

-إما، وهو ما نراه الإحتمال الأرجح، أنه كانت للنقيشة دورا أساسيا في تحديد هوية المتوفي أي "الإسم"، كونه عنصرا حساسا في الذاكرة؛ أضف إلى ذلك أنه نظرا لغياب الإنجازات بفعل الوفاة المبكرة، فلا شيء يُذكر غيره، بينما يبقى المشهد بمثابة محرك الذاكرة شاغلا أكبر نسبة من مساحة النصب وهو بذلك بمثابة القلب النابض للمعلم وعنصر أساسي يندرج ضمن الشروط التي سمحت للباحثين بضبط معنى الطقس. للتوضيح، يُعرف ف. بوركيرت الطقس بكونه فعل أعيد توجيهه بغرض استعراض الهدف المقصود ومن ضمن محددات ذلك الإستعراض، يرد كلاً من التكرار والمبالغة⁷⁰⁰. نرى أنها شروط تتوفر في أنصاب عينتنا وعلى هذا الأساس، فقد تعكس عناصر النصب خطايا سوريا طقوسيا يمنح مشهد الطفل أكبر قسط من الطاقة الرمزية في إطار يخاطب الآلهة.

نشير كذلك إلى إضافة عبارة "هنا جثمانه" إلى جانب الإسم. يشير ذلك على الأقل إلى احترام حق الطفل في الذاكرة، في حين يقع على عاتق الزائر واجب تلك الذاكرة وهو ما تثبته النقيشة المخاطبة للايتوس، حيث لم يكتف الأب بمناداة المار وإنما تحدى ضميره، قائلا: "أيها المار، لك أن تقول: *praeteries*، *tuum est dicere*". في الحالة الأخيرة، فحتى وإن كانت الإمكانيات محدودة، نلاحظ تفننا في المشهد والنقيشة. نفس الملاحظة بالنسبة للعبارة الجنازية على أنصاب كل من غيميل، فاوستوس، أيميليا سيويريا وفيليكس، بحيث تأتي العبارات في صيغة المخاطب وهي موجهة للزائر لكي ينطق بها؛ يمكن بذلك أن تحمل ثقلا رمزيا يخاطب الآلهة معززة من ثمة قدسية المعلم:

-غيميل، أيميليا سيويريا وفاوستوس (شرشال): لتأتي التربة خفيفة عليك.

- لايتوس (شرشال): لترتاح عظامك.

-فيليكس (شرشال): أنت الذي تنظر إلى المعلم (أو تقرأ النقيشة)

⁷⁰⁰ *Ritual is action redirected for demonstration. Caractéristic features of ritual in this perspective are : The stereotyped pattern of action, independant of the actual situation and emotion ; repetition and exaggeration to make up a kind of theatrical effect ; and the function of communication. Burkert, 1979, p.37.*

-فلورا(شرشال): أيتها التربة الخصبة، أترجاك أن تخفي على عظامها.

نعتبر توفر العبارة الجنائزية على الأنصاب، أيًا كان مصف المتوفين وسنهم، عنصرا له أهميته، فإلى جانب الدلالة على القبر، تثبت الأنصاب كذلك شرعيته وهو ما تشير إليه الرموز الجنائزية (إتمام المراسيم الدينية) وكذا منع القانون المساس بكل ما له علاقة بالقبر بما في ذلك النصب، مما يدعم احتمال أن يكون الهدف من مكونات النصب، مخاطبة الآلهة وليس فقط ذاكرة الأحياء. من هذا المنطلق، قد لا ينحصر دور العبارة في مجرد النطق بها من طرف الأحياء وإنما قد يتسع إلى جلب اهتمام وعطف الآلهة وهو السبب الذي قد آل بسينيكيا في عزائه لماركيا إلى حثها على ترداد إسم ابنها مرارا إن أرادت له الراحة الأبدية⁷⁰¹. قد تتدرج في ذات السياق عبارات التكريس باعتبار أن المراسيم التذكارية موجهة للآلهة مانس خلال الحفلات السنوية والتي اندمج ضمنها المتوفي فضلا عن كون القبر والنصب ملك لها. أثبتت دراسة ن.بيلايش لأنصاب مقاطعة ليديا بتركيا حاليا، وجود ذلك الخطاب المقنن في النقائش النثرية والتي ضمت إليها النقائش الجنائزية⁷⁰² مضيئة أن ذلك الخطاب موجه إلى العرش الملكي المقدس⁷⁰³. إن كانت لعبارات النقيشة ثقل طقوسي، فيصعب تخيل التهاون في تفاصيل المشهد إلى حد تجسيد صورة كاذبة للمتوفي.

في سياق التناقض ما بين المشهد والسن، فإن عدنا إلى نصب غيميليا بمدينة شرشال (أربع سنوات) وركزنا على الملامح والهيئة، نلاحظ تساقطا على مستوى الكتفين يؤول بدوره إلى تحذب الضهر، فضلا عن تعابير الطمأنينة. قد تشير تلك الخصوصيات إلى السن المتقدمة. نتساءل إن لم تكن هنالك صيغة أخرى يتم اللجوء إليها لتمثيل الطفل المتوفي، في سن الكهولة أو الشيخوخة. لا يمكن في الحالة التي تهمننا أن نتكلم عن الطفل - المؤسس، باعتبار الخصوصيات الإيكونوغرافية التي ترافق ذلك المفهوم وكذلك باعتبار أن شرف التأسيس يعود لمن له السلطة الأبوية على أسرته، أي الذكر، لكن يمكن أن نحتمل مفهوم الطفل - الجد، الذي يصلح للجنسين. نعلم من جهة ثانية مكانة الشيخوخة لدى الرومان ولاسيما من خلال مؤلف كيكرو ("عن الشيخوخة") أين يمدح المفكر فضائل وحكمة تلك المرحلة من

⁷⁰¹ Sénèque, *Consolation à Marcia*, III, p. 87.

⁷⁰² Belayche, 2013, p.261.

⁷⁰³ Belayche, 2013, p.256.

الحياة. نضيف أن في دراسة خصصتها ب. بيرشر إيمري لخصائص الشيخوخة على التمثيلات الإيكونوغرافية الإغريقية، يرد بالفعل تحذب الضهر من ضمن المعايير الإيكونوغرافية⁷⁰⁴.

نعود إلى فن الذاكرة واحتمال التقنين المتفق عليه. نستعين مبدئياً بدراسة ج. هـ. تولوخ، التي تقترح أن تمثيل الجسم في هيئة كاملة أو نصفية، بالإضافة إلى الرموز الجنائزية، يُعد رسالة بصرية ذات الطابع والوظيفة التقديسية (Devotional visuality)، محتملة أن مفاد تلك الرسالة هو التبليغ عن إتمام المراسيم الجنائزية بالنسبة للمتوفي، ترقية المتوفي إلى مصف الألوهية (Apotheosis) وجلب نظر المار أو الزائر من خلال رموز آلهة تندرج ضمن الآلهة الحامية للزائر بحد ذاته.

بعبارة أوضح، إن كانت القابلية على تفكيك النقيشة ضعيفة أو منعدمة لدى بعض شرائح المجتمع ولاسيما النقائش الشعرية، فالمشهد برموزه الدينية، يؤدي وظيفتين: الإشارة إلى أنه تم دفن المتوفي بصفة شرعية، ثم دعوة الزائر إلى إحياء تلك الذاكرة وكأن له مسؤولية القيم على تعزيز المراسيم التي توثق علاقة المتوفي بالإله⁷⁰⁵، مما يتيح للمتوفي فرصاً متباينة تضمن حق الذاكرة في إطار ميكانيزمات متفق عليها⁷⁰⁶. نلاحظ بالفعل توفر الرموز الجنائزية على كل أنصاب عينتنا باستثناء نصب سور جواب وسطيف كما لنا نماذج يقف فيها المتوفي على قاعدة تمثال، على غرار أنصاب يوليا إغيا، سابوريوس ووينيريا بشرشال والتي تشير، كما ذكرنا أعلاه، إلى التأليه. نرى أن العناصر التي تهيكّل الوظيفة التقديسية التي تقترحها ج. هـ. تولوخ لم تُقصى من العينة المدروسة.

نلاحظ من جهة ثانية نوعاً من الميل، على أنصاب مدينة شرشال وعلى نصب مدينة سور جواب، إلى إضفاء جو من الحيوية المبتهجة، ليس في تحرر الذراع واليد فحسب وإنما خاصة في الملامح. قد يكون الغرض من ذلك تذكيرنا ببراءة سن المتوفي وسلوكه الذي لم تترسخ فيه بعد قيم الانضباط والتحفّظ، كما قد يشير ذلك إلى ما تمنى الوالدين إبرازه حتى تبقى لهم صورة مادية لمامح وطبع الفقيّد.

⁷⁰⁴ Birchler Emery, 2018, paragr.14.

⁷⁰⁵ Tulloch, 2011, pp.544.

⁷⁰⁶ تركّز ف. كينغ على العبارات المتداولة على الأنصاب والتي تنتمي إلى رصيد جاهز لدى حرفيي الورشات وعلى هذا الأساس، فما نراه في النقائش بمثابة ترجمة لتقاليد أكثر من كونه دليل على التجاهل؛ لتوضيح ذلك، تلجأ الباحثة إلى مقارنة تلك العبارات بعادة المجتمعات الحديثة إلى اللجوء للعبارات المتداولة في الإشعار بالأفراح أو بالوفاة.

King, 2000, p.129 à 131

في هذا السياق، نجد في المصادر إشارات إلى حاجة الوالدين الملحة إلى الإحتفاظ بصورة صادقة للملامح حتى تخف وطأة الفراق المبكر⁷⁰⁷. لاحظنا كذلك أن الأنصاب التي تظهر عليها تعابير البهجة تخص أطفالا توفوا في الطفولة المبكرة أو قبل 3 سنوات (وينيريا، ريدمبتوس، فيلوكالوس بشرشال، نصب سور جواب، بايا بجميلة). نحتمل أن وُجدت هنالك نظرة مغاير لوفاة تلك الفئة ونقصد بذلك أن تمثيل الأطفال في سن يفوق بقليل السن الذي اختطفتم فيه الموت دون المبالغة في ذلك، يوحي برغبة في أن يحظى المتوفي بطفولة أبدية لكن في سن يكون فيه على الأقل واع بوجوده، في حين اكتسب ما يكفي من النضج الحركي ليستجيب إلى مشاغل تلك السن أي اللعب. يتساءل ب. زانكر عن سبب لجوء الرومان إلى تجسيد تعابير البهجة على المشاهد الإستعارية (الميثولوجية) ويقترح أنها إحدى سبل مواجهة فاجعة الموت بحيث تساهم تلك المشاهد في إضفاء نوع من الطمأنينة، كما تحمل خلفية فلسفية مفادها تنكير الأحياء بضرورة التمتع بالحياة أو بما تبقى منها لكل منا⁷⁰⁸. يضيف ب. زانكر أن تلك التعابير بمثابة إشارة إلى الحيوية التي كانت تميز الطفل في البيت⁷⁰⁹ دون استثناء البهجة الديونيزية التي تحفل بها المشاهد الجنائزية خلال الفترة الإمبراطورية⁷¹⁰.

نحتمل من جهتنا وجود عمق أكبر من مجرد إسقاط لمخاوف كامنة أو لنظرة إلى الحياة ارتأى الأهل تجسيدها عبرة للأحياء وبتكاليف باهظة وذلك لأن الموت فاجعة تخص المعني بالأمر بالدرجة الأولى والعائلة بعده وأنها نابغة من قسوة القضاء والقدر، فإن عدنا إلى الطاقة الرمزية التي تحملها المشاهد في تكريس مفاهيم مثل الذاكرة، في إطار ما أفادنا به كل من سيمونيداس وأرسطو، فضلا عن كون النصب أداة طقوسية تابعة للقبر الذي بحد ذاته ملك للآلهة مانس، يمكن استبعاد أن اكتفي الأهل بمجرد نصيحة موجهة للأحياء للتمتع بالحياة، فالسبب المبدئي لتجسيد تلك المشاهد يتمثل في وضعية المتوفي بحد ذاته ومآله.

سبق وأن تطرق ت. فيدرمان إلى الطاقة السحرية التي ارتبطت بالطفل والتي منحته مصفا من المفترض أن قربه من الآلهة باعتبار العفوية التي تميز الطفل عن الراشد، فضلا عن أن قدرتهم على التنبؤ

⁷⁰⁷Dasen, 2006, pp.6 et 7.

⁷⁰⁸Zanker, 2010, p.158.

⁷⁰⁹Zanker, 2012, p.240.

⁷¹⁰Zanker, 1994, p.285.

بالأحداث من الأمور المتفق عليها في الذهنية الجماعية⁷¹¹. تطرقت من جهتها إ. بينيشو - سفر، بالنسبة لتوفات سالمبو، إلى إهداء الأطفال وخاصة منهم الرضع قربانا للآلهة⁷¹² كونهم يكتسبون قدسية بفعل الموت المبكرة والتي تمنحهم سلطة أمام الآلهة، قد تخدم الأحياء⁷¹³.

انطلاقاً من تلك الطاقة الرمزية ومن فكرة القرابة بين الطفل والآلهة، قد يكون ما نراه على المشاهد بمثابة محرك مفاده التأثير على تلك الآلهة لضمان فرص أفضل بعد الوفاة وليس للتأثير على الأحياء فحسب، فنحن في ظل فترة زمنية (الفترة القديمة)، تحملت عبئ الحروب والآفات واعتادت على فقدان الأهل فجأة، خاصة منهم الأقل من سنة، إلى درجة أن استعان الباحثون بنسبة الوفيات العالية لتفسير قلة المعالم التذكارية الخاصة بالأقل من 10 سنوات⁷¹⁴. بذلك، نحتمل أن تجسيد تعابير البهجة على أنصاب بايا بجميلة، وينيريا وفيلوكالوس بشرشال وهم في الطفولة المبكرة، على صلة بذاكرتهم الفردية وبمكانتهم أمام الآلهة ومفادها فتح المجال لفرص أفضل في العالم الثاني.

إن إنجاز تلك المعالم، بنقائشها وتمثيلاتها استوجب استثمار رصيد مادي ليس متاحاً لجميع شرائح المجتمع، فكيف يمكن تفسير تخصيص قيمة مالية معتبرة لتكريس ذاكرة فئة لم تحض حتى بفرصة الاندماج الاجتماعي؟ من جهة ثانية، كيف لكائن حضي بمراسيم دينية وبمعلم تذكاري في فضاء مقصى قانونياً من المشاغل الدنيوية (sacer) أن يكتسب شرعيته من خدمته للأحياء أو حتى أن يكون السبب الرئيسي في تشييد معلمه أن يبقى حياً في ذاكرة هؤلاء؟

نثير الإنتباه في هذا السياق إلى تابوت مؤرخ ببداية القرن الثالث والمحفوظ بمتحف روما. يحمل التابوت مشهداً لطفلين محاطين بآلهة الإلهام. ما يثير الإنتباه هو أنه تم تمثيل الطفل الأول مستلقياً تحت فراش الكليني، بينما فوق الفراش، يأتي طفل ثانٍ مشيراً بيده إلى الطفل المستلقي تحته. يفسر ب. زانكر المشهد بأنه ترجمة لبعث الطفل بينما يُنسب حضور آلهة الإلهام إلى شغفه بالدراسة⁷¹⁵. ما يهمنا في هذا التابوت هو أن الطفل المستلقي على الأرض يأتي في هيئة رضيع أو طفل لا يفوق السنة من العمر، بينما ذلك

⁷¹¹Wiedermann, 1989, pp.177-178.

⁷¹²Bénichou-Safar, 2007, p.7

⁷¹³Bénichou-Safar, 2012, p.270.

⁷¹⁴King, 2000, pp.123 et 125-126.

⁷¹⁵Zanker, 2012, p.61.

المستلقي على الفراش، فهو في حدود المراهقة. يقترح ب. زانكر أن كيفية تجسيد المتوفي تعكس أمل الوالدين في أن يستيقظ في هيئة إلهة للإلهام ولذلك نلاحظ على التابوت جسد طفلة بلامح وتسريحة شعر نكزية، بحيث تم ذلك التعديل حتى يتفق وهيئة إلهة إلهام، في حين تم الحفاظ على الملامح الذكرية تذكيرا هوية المتوفي الفعلية. في نماذج أخرى، قد يتم التركيز على بهاء الطفل المتوفي حتى يلقى ذلك في العالم الثاني⁷¹⁶. نشير كذلك إلى التحليل المفصل والقيم ل ه.مارو الذي، حتى وإن احتار لسبب وجود الطفل العاري تحت فراش الكليني ولم يقترح سوى أنه إشارة إلى تحضير الطفل المتوفي، فقد اقترح دراسة تحليلية ومقارنة تسمح بالتمعن في الخلفية الرمزية والفلسفية لمثل هكذا مشاهد⁷¹⁷

بذلك، يقف ب. زانكر على مسألة المصير وكذا تدخل العائلة في تهيئة ذلك المصير، لكن دون النظر في الفرق بين هيئة الطفلين على التابوت الذي يهمننا أو ربطها بمسألة إتمام المسار، حيث أشار الباحث فقط أمنية تأليه المتوفي مع تحديد لهوية الإله، بينما اكتفى ه. مارو بملاحظة تواجد الطفل تحت فراش الكليني دون اقتراح تحليل خاص بذلك التناقض سوى تجسيد الطفل العاري لواقع الوفاة؛ في حين نرى أن ذلك الفرق يندرج ضمن إحدى العناصر المفتاحية لرسالة المشهد، خاصة أن يد المتوفي متجهة نحو الرضيع المستلقي تحت فراش الكليني، مشيرة بذلك إلى ما كان عليه وما آل أو سيؤول إليه. نرى في ذلك لغة تفوق مجرد إحياء إلى مستقبل غامض ونلتمس تركيبية صورية تعزز رمزيا استمرار مسار النضج بعد الوفاة (الصورة رقم 25).

⁷¹⁶ Zanker, 2012, p.62

⁷¹⁷ Marrou, 1993.



الصورة 25 : تابوت طفل متوفي محاط بأهله الإلهام. عن: Zanker, 2012, fig.49, p.61

Museo nazionale romano, datation: après 200 ap.jc

نستند في هذا السياق إلى تحليل إ.ج غراهام التي تركز على أن الذاكرة ليست مجرد مرآة عاكسة للمصنف أو صورة تمنى المتوفي تسجيلها في الذهنيات، فهي كذلك مستلقى لمختلف المخاوف التي تحمل ثقلا عاطفيا ودينيا، محركه الخوف من "الإنذار"؛ لذلك، فللمعلم التذكاري دور الحلقة الرابطة في سيرورة العبور من عالم الأحياء إلى عالم الأموات؛ فالنقاش التي تُسجل فيها وظيفة المتوفي أو المشاهد التي تسرد لنا مقاطعا من الحياة الشخصية، فضلا عن كيفية تمثيل المتوفي (البورتريه مثلا)، تُعد نمطا من أنماط تسجيل الذاكرة وليس فقط مجرد عادة⁷¹⁸.

إن اعتبرنا من جهة أولى اعتياد الرومان على تخليد مسار المتوفي على النقيشة وأن خلفية ذلك الفعل ليست مسألة كبرياء وإنما رعب أمام الانذار الكلي، وإن اعتبرنا من جهة ثانية الرصيد المالي الذي يستوجبه إعداد النقائش البسيطة، بصرف النظر عن النقائش الشعرية التي يُرثى فيها الفقيد بحرقه، علما أن قابلية تفكيك النقائش غير متاحة لأغلبية شرائح المجتمع المقصود، قد يستحيل أن نحيل ذلك إلى مجرد استياء نبع من آمال الوالدين المجهضة.

⁷¹⁸Connerton, 1989, 72–73 cité dans Graham, 2011, pp.91-92.

تبعاً لدراسة ب. كونرتون، يجدر التمييز ما بين الممارسات التسجيلية (Inscribing practices)، أين تُصان الذاكرة من خلال النقيشة، المشهد وحتى القبر (باعتبارهم حافظي الكيان المعنوي للمتوفي بعد اندثار الجثة) ومن جهة ثانية، الممارسات الإدماجية (Incorporating practices) التي تحرص من خلالها العائلة والمدينة ككل (في إطار البارنتاليا والفيراليا مثلاً) على نفخ نفس الأحياء في تلك المعالم التذكارية الجامدة والتي بتكرارها تضمن استمرار الذاكرة حتى في غياب المعلم ومن ثمة إدماج المتوفي في العالم الثاني⁷¹⁹. وفقاً ل ب. كونرتون دوماً، يضمن ذلك الطابع التكراري استمرارية ما مضى ومن ثمة، فهو بطبيعته مقاوم لكل تعديل عفوي وإن تم ذلك، فقد يطرأ على الجانب الأسطوري (المسار التاريخي للطقس) وليس على الهيكلة الطقوسية⁷²⁰.

نفهم مما سبق ذكره وجود سيرورة يؤدي فيها كل عنصر دور المحرك التذكاري (Catalyseur mémoriel) بحيث يُكرس المعلم مبدئياً إلى الآلهة مانس، تأتي بعدها النقيشة لتوثق الهوية (الاسم، النسب، المصف، الوظيفة)، الإنجازات، الفضائل والأمانى (دعوة لذكر الاسم، الدعاء لراحة العظام، لخفة التربة)، في حين يعرض المشهد الصورة الحية للمتوفي لتحريك المشاعر في قالب مألوف وتعزيز واجب الذاكرة في غياب الأهل، لتأتي المراسيم التذكارية في إطارها المجتمعاتي المقنن مكتملة للحلقة خلال حفلة تذكارية سنوية.

يصعب في تلك الحالة التخيل أن معلم الذاكرة في فضاء تمتلكه الآلهة، مجرد مستلقى يتمتع فيه الأحياء بحرية إسقاط حدة استيائهم وإحباطهم وحتى آمالهم باللجوء، كمحرك، إلى غريزة منبوذة لدى الرومان وهي البكاء على الأطلال، فلا بد أن تكون هنالك خلفية لإيمان فعلي يتعلق بدور تلك السيرورة بمكوناتها في ضمان عدم اندثار المتوفي بعد الموت تحت رعاية الآلهة وفي الصورة التي تم تحديدها.

نشير هنا بالتحديد إلى الدور الذي يؤديه النصب كأداة طقوسية لا غير وفي هذا السياق، لنا أن نركز على أن مسألة "مضمون" الطقس بدورها شكلت جدلاً جذير بأن نقف عليه. بالرغم من اختلاف الآراء في المسار التحليلي لكل باحث، برزت هنالك مدرستين؛ تلك التي تعتبر أن أصل ومحددات الطقوس المتبعة خلال الفترة القديمة تقوم إلى واقع ضرفي يعود إلى فترة ما قبل التاريخ بحيث تجرد الطقس على مر

⁷¹⁹Connerton, 1989, pp.72-73 Cité dans Graham, 2011, p.92.

⁷²⁰Connerton, 1989, pp.44-45 et 70-71.

القرون من مضمونه وأصبح وجوده مجرد حجة تعزز قدسية الآلهة دون إيمان متفق عليه⁷²¹. من ضمن مناصري هذا التحليل س. فرويد، ه. هوبرت، م. ماوس و إ. دوركهايم. يقوم عموماً تحليل هؤلاء على أن الطقس نابع عن ميزة في السلوك البشري وعن الهيكلية الاجتماعية "القاعدية"، لكن على مر القرون، فقد الطقس طاقته السابقة؛ بعبارة أوضح، فإن مُنجز الفعل الطقوسي غير واع بمضمون الفعل، كونه يعود إلى فترات سابقة للديانات الوثنية المنظمة، التي لا تقوم على البعد السحري للفعل بقدر ما تقوم على نشأة الآلهة بأساطيرها المقننة والتي لا بد من صيانتها⁷²². أما المدرسة الثانية، فهي تلك التي تؤمن باستمرارية ذلك المضمون رغم التعديلات التي طرأت على الشكل ومن ضمنهم ف. بوركرت. يفيدنا الباحث مثلاً بأن مضمون الطقس ليس قائماً على التطابق (Similarité) وإنما التشابه (Analogie)⁷²³. بذلك، فبالرغم من تغير الظروف ومعها كيفية أداء طقس معين، فلا بد لإبراز الإستمرارية، من اللجوء إلى عنصر التشابه وليس التطابق الدقيق؛ بينما يعزز ج. شايد أن ذلك التعديل في الطقوس قد يكون نابعا عن تقاليد ميثولوجية حديثة العهد لكن تبقى محتفظة بأسس أقدم من ذلك⁷²⁴.

يفيدنا ما سبق في تعزيز الطابع المبرمج لما نراه على الأنصاب التي تهمننا وخاصة احتمال أن لها جذور أعمق في الذهنية الرومانية والتي بدورها لقت صدى في مقاطعات إفريقيا نظراً لما تتيحه من آمال.

على هذا الأساس، ركزنا في مقدمة الفصل على الواقعية التي تميز البورتريه الروماني والتي قد نبعت من القناع الجنائزي⁷²⁵ بحيث نحتل أنه لم يكن الأهل ليجرؤوا على التلاعب بشكل وهيئة أبنائهم إلى حد تشويه صورة من المفروض أن تؤدي دورها في سيرورة حفظ الذاكرة أو على حد تعبير إ. ج. غراهام، أن تحتفظ من خلال المعلم بدليل للوجود أو للهوية⁷²⁶ كما أن بداية كل مسار تذكاري، يقول ب. كونرتون، تقوم على عنصر يذكرنا بما سبق حتى يلقى الفعل صدى يفهمه الكل⁷²⁷. يعني ما سبق أن الصورة التي نراها ليست ناجمة عن صدفة إعادة الإستعمال أو مجرد إسقاط.

⁷²¹Rohde, 1936, p.115 Cité dans Durand et Scheid, 1994, p.26.

⁷²²Durand et Scheid, 1994, p.28.

⁷²³Burkert, 1979, p.45.

⁷²⁴Scheid, 2006, p.66.

⁷²⁵Hopkins, 1983, p.217 (note de bas de page) ; Carroll, 2011, p.68.

⁷²⁶Graham, 2011, p.91.

⁷²⁷Connerton, 1989, p.6.

يمكن تعزيز ما سبق باللجوء إلى التوايبت ذات المشاهد الغير مكتملة وخاصة تلك التي تخص الأطفال، بحيث قد يستوجب إتمامها أشهراً بينما يمكن للوفاة أن تحدث فجأة، كما نشير إلى الأنصاب التي يُترك عليها مجال فارغ لاستقبال أعضاء العائلة في مرحلة لاحقة⁷²⁸. إن يتفق الباحثون على أن المعلم الجنائزي كلٌ متناسق، فذلك لأنه معلم خاص بعالم الأموات وآلهتها ومن ثمة، فلا يمكن أن يكون ذلك التناسق مجرد ربط لمعطيات تقوم على وضعية الأهل النفسية؛ انطلاقاً من ذلك، فهناك محددات ولغة لا تكفي بمخاطبة الأحياء وإنما باندماجها إلى عالم المانس، توجه خطاباً لهم بالدرجة الأولى.

سبق للباحث ش.ج. بيكار أن أشار في دراسته للأنصاب النذرية البونية (قبل 146 ق.م) المزخرفة في شكل واجهة المعبد إلى أن الأضحية صورة تعويضية للمهدي وكأنه يسلم نفسه من خلالها للإله أملا في أن يُبعث من جديد تحت حمايته⁷²⁹.

تلقتي فكرة ش.ج. بيكار بقراءة ج. هوسكينسون لما تعتبر أن الإطار المعماري على الأنصاب الجنائزية يمنحها طابعا مقدسا، يضعها على علاقة بالآلهة. في هذا الصدد، نلاحظ أن 15 نصبا على مجموع 19 يأتي في شكل واجهة معبد، من خلال الجبهة المثلثية المزخرفة برمز الهلال، الأكروتير أو الأعمدة في البعض منها، ثم القاعدة التي يقف عليها بعض المتوفين أو حتى الرموز الجنائزية. نرى فيما سبق عناصر مركبة تجسد حواراً "مصيرياً" بين المتوفي والآلهة والتي تمنى الأهل أن يحظى المفقود بحمايتها.

يرد نفس التحليل لدى ج. بورنات غروسمان، التي تشير إلى أن الأنصاب الجنائزية لدى الإغريق، بمثابة أداة طقوسية تكتسي لوحدها ثقلاً مقدساً وأن وظيفتها تفوق المعلم التذكري⁷³⁰ ونجد لدى أولبيانوس ما يُثبت ذلك حين يمنع، استناداً إلى كيلسوس (Celse)، المساس بمعلم محاذ للقبر (تمثال في مثال أولبيانوس) باعتباره جزء منه⁷³¹. انطلاقاً من ذلك، فتمثيل الطفل بلامح وتعابير وهيئة لا تتلاءم وسنه يقوم على محددات ذات طابع طقوسي وبتركيبة لغوية تفهمها الآلهة التي تستقبل روح المتوفي.

⁷²⁸Koch, 1995, p.109 ; Galinier, 2013, paragr.39 à 41.

⁷²⁹Picard, 1962, p.30.

⁷³⁰Burnett Grossman, 2013, p.4.

⁷³¹Et ita de statua de monumento evulsa Celsus scribit. Idem quaerit, si neque adplumbata fuit, neque adfixa, an pars monumenti affecta sit : an vero mancat in bonis nostris? *Et Celsus scribit sic esse monumenti ut ossuarium* :

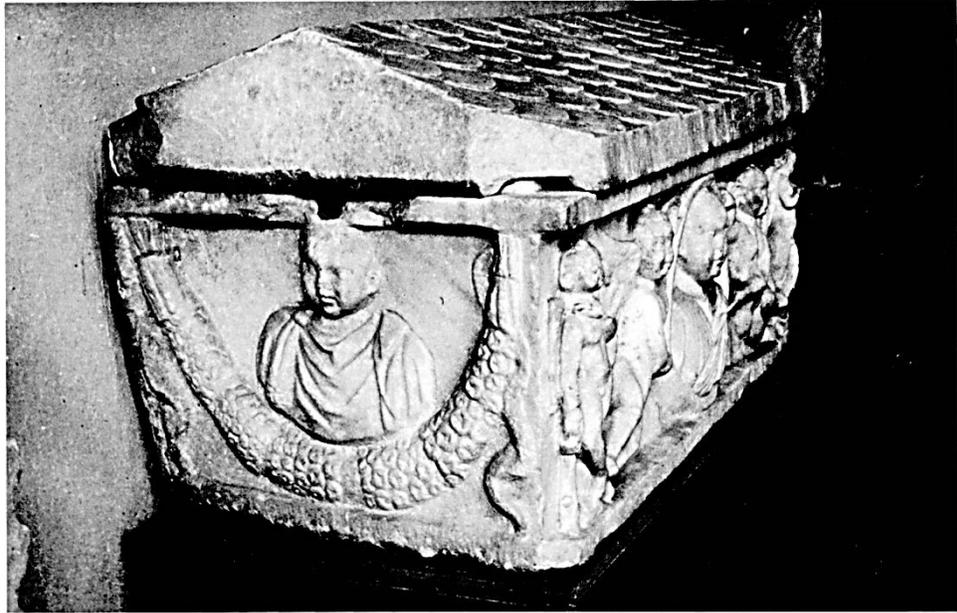
لتوضيح ما سبق، نعود إلى تابوت مدينة تيمقاد لمقارنته بنموذجين يجسدان نفس المفاهيم الإيكونوغرافية، مع التركيز على اللباس خاصة. عُثر على الأول منهما بمدينة تبرسق (توبرسوك) (الصورة رقم 26) وعلى الثاني، بمدينة سوسة (هادروميوم) بتونس (الصورة 27). يأتي الطفل في مشهد تبرسق وسوسة مرتديا نفس اللباس الذي نراه على تابوت مدينة تيمقاد (التوجة كونتابولاتا).



الصورة 26 : مشهد على إحدى واجهات تابوت من مدينة تبرسق (تونس)، يمثل تمثالا نصفيا لطفل في كوة دائرية من نوع كليبيوس محمول بزوج من الإيروتاس المجنحة. عن: Baratte, 2013, fig.7

et ideo quod vi aut clam interdicto locum fore. Ulpian, XVIII, Sur l'édit du préteur cité dans Digeste, XLVII, 12, p.287.

C'est ainsi que le pense Celse, au sujet d'une statue arrachée d'un monument. Le même demande si elle n'a pas été scellée ni attachée, sera-t elle partie du monument, ou si elle reste partie de notre bien? *Et Celse écrit qu'elle est partie du monument, comme le réceptacle des ossements* ; et ainsi il y aura lieu à l'interdit contre la violence ou la clandestinité.



الصورة 27: تابوت الطفل التابع لمدينة سوسة: التأريخ: حوالي 225م. عن: De Chaisemartin, 1987, Pl.

128

فيما يتعلق بهذا الأخير، يحتمل ف. بارات أن المغزى من المشاهد يتمثل في تجسيد الميزات والخصائل التي كان ليكتسبها الطفل بدون شك في مرحلة لاحقة، بمعنى إن لم تختطفه الموت، حيث يأتي تارة في

لباس الجندي ثم مرتديا التوجة وتارة أخرى في هيئة البطل هركليس⁷³² وبذلك فقرأه الباحث ركزت على إحياء للأمل المجهض وليس على خاصية إتمام المسار نحو النضج من خلال لباس لا يناسب سنه ومصفه. أما عن تابوت سوسة، فيرى أ. فورني فيليبينكو بأن الرسالة تكمن في الإنتصار على الموت⁷³³.

إن تداول التناقض بين السن والهيئة في المثالين أعلاه، يسمح هنا على الأقل بتجاوز حدود البعد الجمالي ومصف العائلة الإجتماعي لتعزيز الخطاب السوري المبرمج، باعتبار الصورة، على حد تعبير ب. بيرشله هيمري، ليست مجرد ترجمة لواقع يومي وإنما تحمل حوارا مجازيا يوجه رسالة رمزية في تركيبة معقدة وأحيانا لاشعورية، كما تعكس قيما مقننة تجسد مصف، دور وهيئة كل عضو في المجتمع⁷³⁴.

نستعين كذلك بتحليل غ. كوخ فيما يتعلق بالتوابيت، حيث يفيدنا بأن تلك المنجزة بالجملة تعد نادرة على مستوى المقاطعات وبالتحديد بإفريقيا وأن تلك التي تم إحصائها تندمج ضمن التوابيت المنجزة بطلب من العائلة⁷³⁵. من هذ المنطلق، فما يرد على مشهد تابوتي تبرسق، سوسة وتيمقاد يروي قصة اختارها أهل المتوفي لكن في قالب لا يجسد هوية المتوفي.

على عكس اللباس، فإن واقعية الملامح التي ترد على المشاهد، تحمل، تبعا ل م. كارول، ثقلا عاطفيا يسمح للأهل بالتخفيف من ألم الفراق، كما تعطي تلك الصورة "طبق الأصل" فرصة التقرب من شخصية المتوفي وهو بالتحديد سبب لجوء الأعداء إلى استغلالها في طقوس سحرية مفادها إلحاق الضرر بذاكرة المتوفي من خلال إتلاف أو محو الصورة⁷³⁶.

نتساءل بدورنا عن سبب اللجوء إلى محو الوجه والنقيشة لإلحاق الضرر بالمتوفي إن لم تكن هنالك خلفية مقننة وطابع مقدس للمعلم، بحيث لو لم تكن الملامح والإسم يكتسيان ثقلا سحريا، على علاقة بعالم

⁷³²Baratte, 2013, paragr.13.

⁷³³Fournet Filipenko cité dans De Chaisemartin, 1987, p.84.

⁷³⁴Birchler Emery, 2018, paragr.3.

⁷³⁵Koch, 1995, p.109.

⁷³⁶Carroll, 2011, pp.68-69.

الأموات وليس بذاكرة الأحياء فحسب، لاكتفى الملحق بالضرر بتهديم المعلم التذكاري الذي قد يكلف جهدا ووقتا أقل ولنا إشارة لدى بليينوس الأقدم لمثل هكذا تصرفات⁷³⁷.

نفهم من العلاقة ما بين الملامح، النقيشة وآليات إسقاط اللعنة من خلال المحو أو التشويه أن المسألة حساسة توحى بأن مكونات المعلم التذكاري تشكل معادلة طقوسية وليست فقط تعبيراً عن استياء أو حتى عن أمل فيما كان ليحدث لو لم يتوف الطفل، فالأهل على قناعة بالثقل السحري للصورة واللفظ وإلا لما مُنع المساس بالقبر وما يحاذيه مبدئياً.

إن ما ننعته بالذاكرة أو الصورة الكاذبة هو تعبير مجازي صوري متداول لدى الإغريق والرومان، يخدم خلفية اعتادت ذاكرة العين على تفكيك رموزها. وفقاً لدراسة إ. مانفريني، تقوم تلك التعبيرات المجازية بالذات على التلاعب بالمتناقضات والليونة في هوية ما هو مجسد، في حين أن حقيقتها الكامنة مستوعبة لدى من يشاهدها. ترى من جهتها ف. ياتس وكذلك ج. هوسكينسون، فيما يتعلق بمشاهد التوابيت، أن تعود العين على تفكيك الرموز يُعد من المحددات التي آلت إلى هيكله المشاهد بحيث توضع في فضاءات مختارة لتخلق جواً مألوفاً يخاطب ذهن المشاهد المبرمج مسبقاً ويحفز ذاكرته⁷³⁸.

تضيف من جهتها إ. مانفريني أن المساحة التي تستقبل المشهد قد تتخذ هيئتين، إما أن يستوعب المعلم المشهد في حجمه الكلي وإما أن يستوعب المشهد حجم المعلم أين يصبح العنصر الأساسي. إن نعود إلى أنصابنا، نلاحظ أن المشاهد اتخذت نسبة معتبرة من الحجم الإجمالي للأنصاب، مما يوحي بأنها استوعبت فعلاً حجم المعلم وقد يكون المغزى من ذلك تبليغ رسالة صورية استدلالية قوامها تعزيز ذلك التناقض وليونة الهوية بالتحديد والتي نحتمل أن اعتادت ذاكرة المشاهد على تفكيك رموزها.

⁷³⁷Pline L'ancien, XXXV, 2.

⁷³⁸ نجد نفس الفكرة لدى ج. هوسكينسون لما تُركز على وجود نوعين من الذاكرة (حقيقية ومتخيلة) وعلى دور المشهد في تحريك وهيكلة نوع الذاكرة من خلال تعود العين على تفكيك خلفيته المشهد.

Huskinson, 2010, p. 522 ; Koortbojian, 1995, pp.114 à 116 ; Yates, 1999, pp.2 à 4

يُراجع كذلك مقال إ. مانفريني حول مسألة الليونة والتلاعب بالأشكال على المشاهد الديونيزية: Manfrini, 2009, paragrr.8-9-18-22

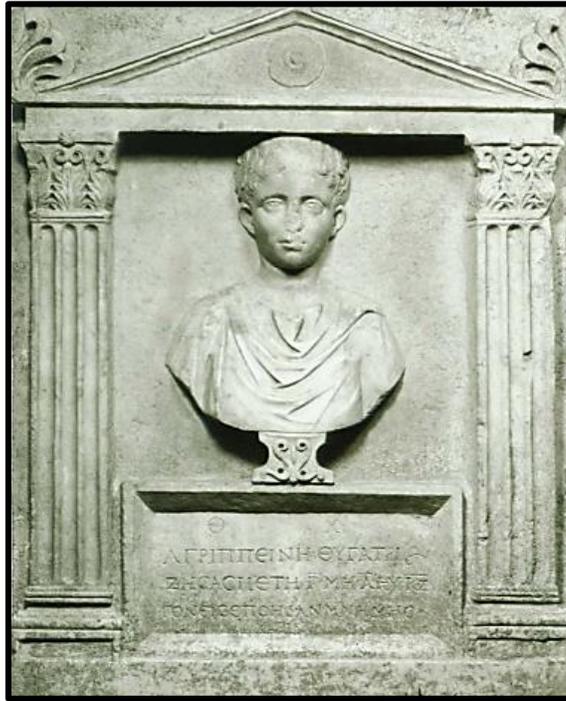
على عكس الإغريق، الذين اعتبروا التمثال كلا متجانسا لا يمكن الفصل فيه ما بين الجسد والرأس⁷³⁹ والذين اعتادوا على تعديل الملامح في ورشاتهم، خاصة تعابير الشيخوخة، العاهات أو العيوب لإبراز الكمال الجسدي، رأى الرومان أن الجسد بمثابة الحامل للرأس بحيث تعكس واقعية الملامح قيما حضارية وكذا المصنف الإجتماعي ولو تظغى عليها أحيانا التأثيرات الإغريقية من خلال الهدوء والطمأنينة المثالية مثلا أو الإنفعال⁷⁴⁰. أحد أبرز العناصر على أهمية تلك الواقعية تسريحة الشعر التي خضعت للموضة السائدة إلى درجة أن تم ترك فراغ على المعالم الجنائزية تحسبا لوفاة المعني بالأمر بحيث تتم إضافتها في أوانها⁷⁴¹.

نستند إلى نحت بارز تابع للطفلة أغريبينا أين أتت المتوفية على هيئة ذكر. اقترحت ج.فرييل في هذا الشأن عدة احتمالات ومن ضمنها أمل الوالدين في أن أنجبوا ذكرا عوض أنثى أو أبعد من ذلك، أن الطفلة كانت لها ملامح ذكرية (الصورة رقم 28). إن تعدد احتمالات الباحثة ناجم عن صعوبة الجزم في سبب عدم توافق الجنس بالصورة، مما يسلط الضوء مرة أخرى على تداول الليونة في الهوية لدى مجتمع اشتهر بحرصه على الواقعية.

⁷³⁹Bianchi Bandinelli, 1970, p.80.

⁷⁴⁰ إعتاد الإغريق، تبعاً ل ج. فرييل، على نقادي تجسيد التعابير التي تتسم بالواقعية، سواء خصت ملامح السن المتقدمة، المشاعر، مستنئين في ذلك الكائنات الميتولوجية الهجينة، على غرار الكانتور أو الساتير، فضلا عن الأجانب (البرابرة) والعبيد
Frel, 1981, p.1; Zanker, 2010, p.65

⁷⁴¹Frel, 1981, p.8 et 9.



الصورة 28: تمثال نصفي للطفلة أغريبيينا، 12 سنة. التاريخ: نهاية القرن الثاني ميلادي. عن: Frel, 1981, p.90, fig.72. Getty Museum

نحتمل من جهتنا، فيما يخص العبيد الذين حظوا بنصب، على غرار ساتورنينوس في عينتنا، أن سيده كايوس يوليوس كراكوس، لم يكن ليأخذ على عاتقه تكاليف معلم يحمل مشهدا كاذبا ليمثل شريحة ترغب في الإستحواذ على مصف رمزي، من خلال لباس وهيئة لا يليقان بها ولم يكونا لها يوما، أم أنه بالعكس، وُجدت هنالك خلفية مقننة تعكس "قناعة" بالأمل أو، إن صح التعبير، طموحا فعليا ومقبولا في الذهنية الجماعية.

ننتقل إلى مكانة الطفل في الرصيد الإبيغرافي، أين نلتمس قسطا لا يُستهان به من الغموض، عموما بسبب التباين في تمثيل مختلف الشرائح والأعمار. يعود ذلك إلى جملة من الأسباب، أهمها توفر أنصاب خالية من النقائش في القبور الجماعية أو الفردية، تداول المعالم المنجزة من مواد سريعة التلف كالخشب مثلا أو النقائش الممحية⁷⁴². من جهة ثانية، لقي الباحثون صعوبة في تحديد مكانة الطفل حتى لدى الوالدين وذلك بسبب الطابع التكراري للعبارات الجنائزية الذي يكبح التلقائية، مما يعيق الإعتماد على

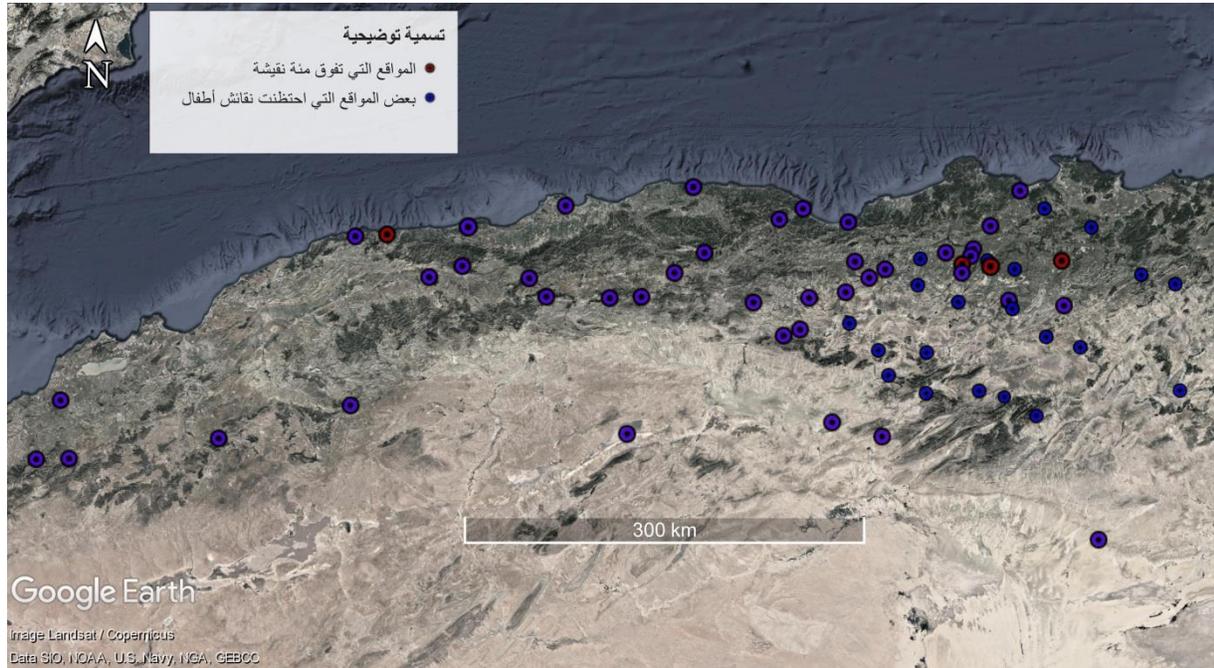
⁷⁴² Hopkins, 1983, p.211.

النقاش كأداة فعالة لهذا الغرض. أما عن إحصاء الأطفال تبعا للمصف الاجتماعي أو الجنس، فلم تسمح نتائج الجرد التي باشر بها مختلف الباحثون بالجزم في خلفيتها. من ضمن الإشكاليات المتداولة، سبب الفارق الذي يفصل ما بين الذكور والإناث، أولوية نقائش المعتوقين والعبيد على بقية الشرائح ولا سيما الأرسطوقراطية منها⁷⁴³، تداول نقائش أطفال العبيد الذين يشكلون جزءا معتبرا من رصيد الجرد في شتى المقاطعات، مما يطرح إشكالية القدرة على تحمل عبئ التكاليف لدى تلك الشريحة، فضلا عن سبب قلة نقائش فئة الأقل من سنة.

فيما يتعلق بمقاطعتي نوميديا وموريتانيا القيصرية، فقد قمنا بإحصاء النقائش المتوفرة (أطفال وراشدين) واعتمدنا في ذلك على المنصة الرقمية لمانفريد كلاوس. قمنا بعدها بانتقاء النقائش الجنائزية الخاصة بفئة الأطفال على مستوى كل مقاطعة اعتمادا على البحث اليدوي. تفادينا اللجوء إلى البحث عبر الكلمات المفتاحية باعتبارها قد تتسبب في فروقات عديدة مقارنة بالبحث اليدوي.

نظرا لتلف عدد معتبر من النقائش، احتفظنا بتلك التي يتضح فيها السن بصفة مؤكدة، في حين أدمجنا النقائش التي أُلّف فيها الجنس أو رابطة النسب وكذا تلك التي يغيب فيها الإسم كليا ضمن الفئة الغير محددة قصد بلوغ رصيد واف قدر الإمكان. انطلاقا مما سبق، فعلى مجموع 14.280 نقيشة، أحصينا 1038 نقيشة خاصة بفئة الأطفال، مع فارق عددي ملحوظ في التوزيع ما بين مقاطعتي نوميديا (718 نقيشة) وموريتانيا القيصرية (317 نقيشة) (الخريطة رقم 3).

⁷⁴³ King, 2000, p.150.



الخريطة 3: توزيع النقائش على بعض مواقع مقاطعتي نوميديا وموريتانيا القيصرية لتوضيح الكثافة.

يعود ذلك الفارق أساسا إلى الحصيلة الإجمالية للنقائش الجنائزية في كل موقع بالتحديد. في هذا السياق، نجد مثلا أنه في مقاطعة نوميديا، تحتل كل من كيرتا (1166 نقيشة) وتيبيليس (1320 نقيشة) الصدارة بينما تأتي حصيلة ثاموغادي (219 نقيشة) وكويكول (193 نقيشة) ضئيلة، مما يؤثر حتما على نسبة تمثيل فئة الأطفال في كل موقع (156 بكيرتا، 108 بتيبيليس، 21 بثاموغادي و 13 نقيشة بمدينة كويكول) ومن ثمة، على رصيد المقاطعة الإجمالي، كما أنه نادرا ما يفوق رصيد بقية المواقع الخمسين نقيشة (ك. إيليفانتوم وكيلتيانيس). أما عن حصيلة موريتانا القيصرية، فهي أقل بكثير. قد يعود ذلك إلى الإضطرابات التي عرفت المقاطعة قبل قدوم السيفيريين وبالتحديد سبتيموس سيفيروس الذي استأنف سياسية تحصينية ابتداء من 198 م والتي سمحت بتوسيع نطاق تحصينات الإمبراطور تريانوس نحو الغرب (والشرق كذلك نحو موريتانيا الثلاث مدن)⁷⁴⁴.

⁷⁴⁴ Benseddik, 1999, paragr.2.

فيما يتعلق بالأطفال، فنلاحظ عموماً أن نسبة التمثيل ضئيلة جداً مقارنة بالعدد الإجمالي للنقاش حيث لا تتعدى 7.2 بالمئة. يلتقي رصيد الأطفال الإجمالي بكلتا المقاطعتين مع رصيد باقي المقاطعات الرومانية أين يأتي بدوره ضئيلاً، إن استثنينا الدراسات المحلية، على غرار حصيلة دراسة ك. لايس ل 320 نقيشة من المنطقة الإيطالية الثالثة (البروتيوم و لوكانيا) على مجموع 500 نقيشة، أين يمثل الأطفال 26 بالمئة من الرصيد الإجمالي، في حين لا تتعدى نسبة نقاش الأطفال في المقاطعات الرومانية الغربية عموماً 16 بالمئة⁷⁴⁵، بينما لا تفوق نسبة مدينة دوقة بالبروقنصلية 11-12 بالمئة⁷⁴⁶. فيما يخص فئة العمر، فبالرغم من الفروقات الطفيفة ما بين المواقع (في كلتا المقاطعتين)، يتبع الإحصاء منحى تصاعدي كلما كبر الأطفال سناً. نلاحظ مثلاً أن في مدينة تيبيليس، تأتي فئة ال 11-16 سنة في المقدمة ب 64 نقيشة وبفارق مهم يفصلها عن فئة ال 8-10 سنوات (20 نقيشة) وكذلك ال 5-7 سنوات (16 نقيشة)، بينما لم يتم إحصاء أية نقيشة تخص أصغر الفئات (الأقل من سنة وفئة 1-2 سنة). يمكن تعميم الملاحظة إلى كل مواقع نوميديا وموريتانيا القيصرية أين نلاحظ بوضوح توفر المخلفات التذكارية بقدر ما كبر الطفل. (الجدول رقم 13 و 14؛ الرسم البياني رقم 52).

أما بالعاصمة روما، فأثبتت دراسة م.كينغ على عينة مكونة من 29.250 نقيشة، أن 1.357 نقيشة خصت فئة 0-4 سنوات في حين لم يتعد رصيد فئة ال 10-14 سنة 703 نقيشة؛ أما الأقل من سنة، فأحصت 128 نقيشة. يبدو مما سبق أن حرص سكان روما أكثر على إحياء ذاكرة فئة ال 0-4 سنوات⁷⁴⁷، لكن لا يفسر لنا ذلك سبب ندرة نقاش الأقل من سنة باعتبارها تشكل افتراضياً أكبر نسبة في رصيد الوفيات. من ضمن الإقتراحات، نجد عادة عرض الأطفال ولا سيما الإناث منهم أو قتلهم وحتى عدم إحياء ذاكرة الأقل من سنة كلياً، تبعاً لتعليمات القانون ولما يرد في المصادر. قد يفسر ما سبق فعلاً قلة النسب ومن ثمة ارتفاعها كلما كبر الطفل⁷⁴⁸، لكن يبقى التساؤل قائماً حول سبب توفر رصيد ولو ضئيل لدى الأقل من سنة والذي يُثبت بمجرد وجوده مكانة الطفل لدى الأهل رغم تعليمات القانون. من جهة ثانية، تدلي دراسة مقارنة باشر بها ف. شايبيل، دون نفي اللجوء إلى قتل الإناث، بأن القتل لم يؤثر

⁷⁴⁵ Mc Williams, 2001, p.79; Laes, 2012, pp.97 et 102. Pour Thugga

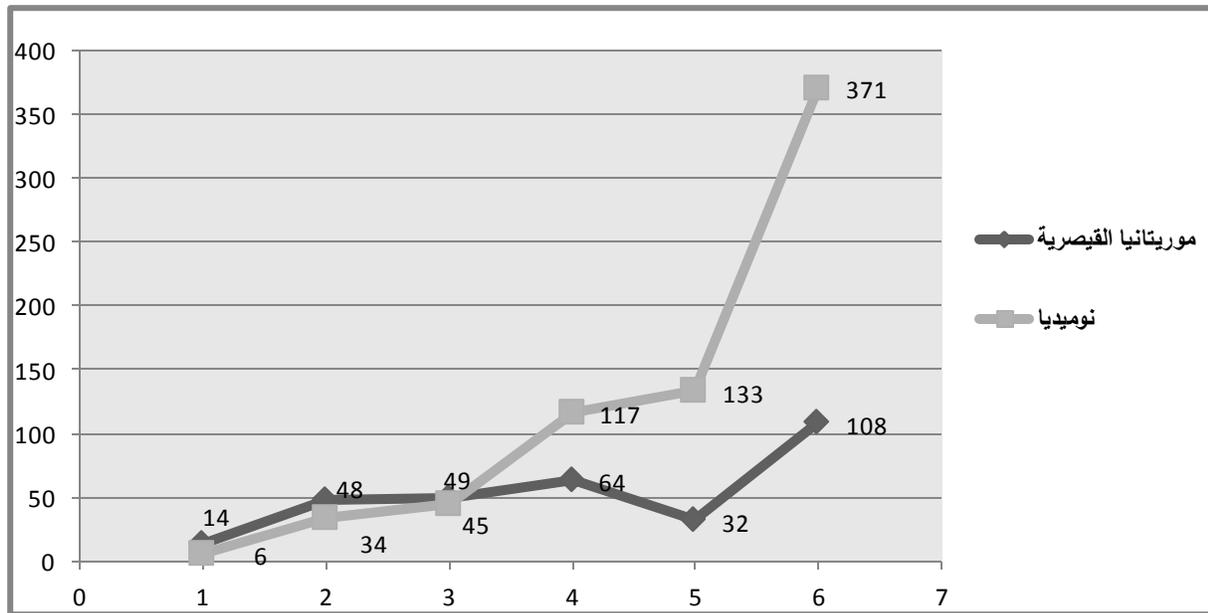
⁷⁴⁶ Harlow et Lawrence, 2011, pp.20-21.

⁷⁴⁷ King, 2000, p.139.

⁷⁴⁸ Hopkins, 1983, p.225.

في نسب التمثيل مقارنة بالذكور بحيث نرى الإناث يظهرن وبنسب متزايدة كلما كبرن سنا وبالتحديد اقترين من سن الزواج أو بعده⁷⁴⁹.

إن اعتبرنا من جهة، شهادة بلوتارخ حول عدم حاجة الأطفال إلى رثاء أو مراسيم كونهم في عالم أفضل وأقرب إلى القدسية⁷⁵⁰ ومن جهة ثانية، أهمية الإسم في ضمان راحة المتوفي⁷⁵¹ والذي يغيب لما يتعلق الأمر بمن لم يحضوا بمعلم تذكاري، نقترح أن يتعلق الأمر بالطابع القدسي الذي أشار إليه بعض الباحثون ولذلك، فاندماجهم وراحتهم أمر مضمون. يبقى من ضمن هؤلاء من لم يتلقوا إسمًا حين وفاتهم نظرا لعدم إتمامهم الأسبوع الأول بعد الولادة وفي تلك الحالة، فلا شيء يُدون على المعلم. إن كانت المسألة تتعلق بالأهمية أو انعدامها، لما حضي البعض منهم بمعالم تذكارية ولا سيما تلك التي سُجل فيها السن بالشهر واليوم⁷⁵².



الرسم البياني 52: منحني لتوفر النقائش حسب الفئات

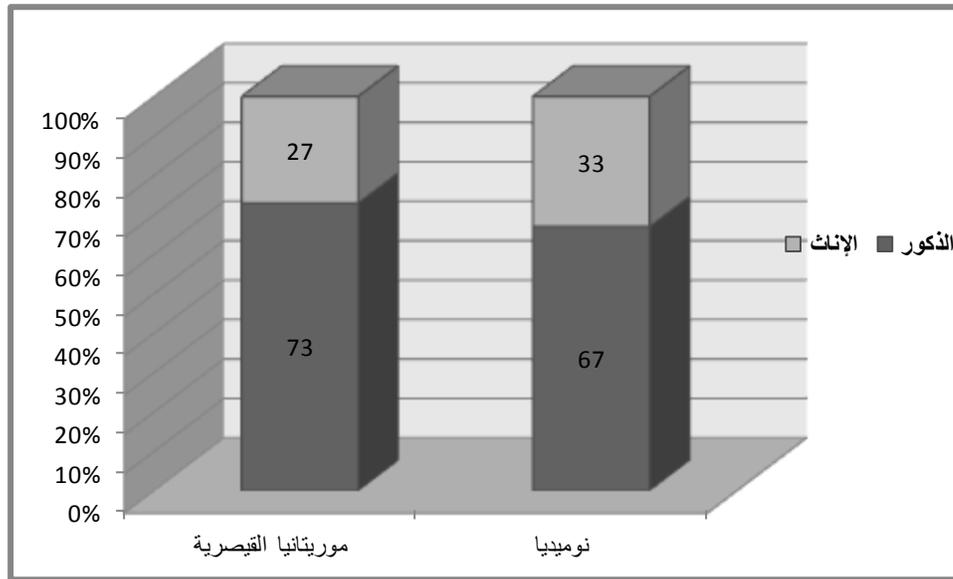
⁷⁴⁹ Scheidel, 2010, p.4.

⁷⁵⁰ Plutarque, *Consolation à sa femme*, 11.

⁷⁵¹ Sénèque, *Consolation à Marcia*, III, p.87 ; Ausone, *Parentalia* (préface), p.127.

⁷⁵² King, 2000, pp.138-139.

فيما يتعلق بالجنس، فالمسألة معقدة حيث، في حين يتفق ك. لايس مع ما أتى في مختلف الدراسات السابقة له فيما يخص نسبة الجنس (Sex-ratio) (أطفال وراشدين) أين ظهرت الأولوية بوضوح لصالح الذكور⁷⁵³. يرى ف. شايبيل أن ذلك الفارق غير مقبول منطقيا حيث لا يمكن لتلك الفروقات أن تعكس الواقع الديمغرافي وإنما المادي للعائلات، مضيفا أن الإعتماد على النقائش عموما لا يكفي لضبط نتائج صادقة لذلك الواقع الديمغرافي⁷⁵⁴. بالنسبة لمقاطعتي نوميديا وموريتانيا القيصرية، فالفارق ملحوظ ما بين الذكور والإناث لكن لا يمكن المباشرة بأية استنتاجات نظرا لضرورة اللجوء إلى معطيات مصدرية أخرى على غرار سجلات الكنسوس مثلا والتي ليست بحوزتنا فضلا عن أنه سينقصنا دوما ثلاث عناصر أساسية للمباشرة بأي استنتاج وهي أولا، أن الأنصاف الجنائزية غير متاحة لجميع الشرائح نظرا لثمنها، ثم ضرورة الأخذ بعين الاعتبار العائلات التي تخلو معالهما من أية نقيشة وأخيرا، الأطفال المتوفين قبل منحهم الإسم، حيث غياب معالهم لا يقصي وجودهم. يمكن بذلك فقط تحديد نسبة الجنس المقدرة ب 224.83 أي ما يزيد عن ذكرين لأنثى. باعتبار ما سبق ذكره، سنكتفي برسم بياني لنسب كل من الجنسين على مستوى مقاطعتي نوميديا وموريتانيا القيصرية (الرسم البياني رقم 53).



الرسم البياني 53: نسب الجنس على مستوى مقاطعتي نوميديا وموريتانيا القيصرية

⁷⁵³ Laes, 2012, p.110.

⁷⁵⁴ Scheidel, 2007, pp.5 et 6.

فيما يتعلق بالرابطة، ركزنا على الرابطة من الدرجة الأولى ونقصد بذلك الوالدين، الإخوة والأخوات، الجد والجدة. لم نحص رابطة التبني (*alumni*) أو العبودية، نظرا للتعقيدات القانونية الذي تمس مصف المتبني (ما بين العبيد المترعرع في بيت السيد (*Verna*)، المتمهن على يد المتبني أو العضو المندمج في العائلة)، في حين لا توجد إشارات (أثرية أو أدبية) إلى اندماجه الكلي والحتمي في العائلة التي تبنته⁷⁵⁵. أما العبودية، فليست رابطة نسب مبدئياً⁷⁵⁶.

اتضح من خلال الجرد أنه على مجموع 664 نقيشة بمقاطعة نوميديا، بعد حذف النقائش الغير كاملة، تظهر الرابطة على 238 معلما، بينما في مقاطعة موريتانيا القيصرية، ففي 185 نقيشة على مجموع 291 نقيشة، بعد حذف النقائش الغير كاملة. بذلك، فعلى مجموع 955 نقيشة إجمالية، ترد الرابطة في 423 نقيشة أي ما يمثل 44 بالمئة من المجموع (الرسم البياني رقم 54 و 55).

بالرغم من تعذر الجزم فيما يتعلق بالنقائش الغير كاملة، يمكن على الأقل احتمال أن كانت الرابطة متوفرة في البعض منها، مما قد يقربنا أكثر من رصيد قد يبلغ نصف الرصيد الإجمالي.

من هذا المنطلق، نتساءل عن سبب الحرص على التعامل مع الأطفال بنفس الأساليب التعبيرية التي تتوفر لدى فئة الراشدين الذين استوفوا إدماجهم الاجتماعي. في هذا الصدد، نغتنم فرصة دراسة الرصيد الإبيغرافي للنظر في توجه الأبحاث في هذا الإطار. نلاحظ بالفعل تركيز هاته الأخيرة في معظمها على دراسة إحصائية للرابطة لكن دوما مع هدف التقرب من حلول لإشكاليات تخص عالم الأحياء والتي تتعلق أساسا بتحديد السن عند الزواج، معدل سنين العيش، مفهوم العائلة بمكوناتها (*Familia/ Domus*) في الذهنية الرومانية وطبيعة العلاقة التي تربط المهدي بالمتوفي (عاطفة، إرث، قرابة، صداقة). إن اهتم الباحثون بمسألة الرابطة في الإطار التذكاري، فإنما لأنها خاضعة إلى تنظيمات قانونية، قد تخص مثلا إدماج المهدي في ميراث المتوفي (الغير مقرب بالدرجة الأولى) وذلك بعد تكفله بتنظيم الجنازة أو المعلم⁷⁵⁷. تسمح بذلك دراسة النقائش حاليا بالتقرب إلى عالم الأحياء في تركيبته ونمط تسييره لمشاغل

⁷⁵⁵ Sigismund-Nielsen, 2013, pp.289 et 294.

⁷⁵⁶ أثبتت دراسة ج. مك ويسليامس أن الأولوية في مسألة الرابطة بروما وبعض مواقع إيطاليا تعود للوالدين. يراجع:

Mc Williams, 2001, p.85.

⁷⁵⁷ Saller & Shaw, 1984; De Visscher, 1946

الحياة مما قد يؤول إلى الخلط ما بين أولويات الآثاري وتلك الخاصة بوظيفة الموقع المدروس ولا سيما المتوفين. بالرغم من كون تلك الإشكاليات أساسية لفهم الحياة الإجتماعية، نتساءل عن دورها في فهم إطار المتوفي ونحن ندرس معلمه أو نقب في قبره. إن تعلق الأمر بالميراث، نتساءل كذلك عن سبب الحرص على تسجيل تلك المعطيات على معلم مشيد في إطار مقدس كالمقبرة ونحن نعلم إصرار القانون على عدم توظيف ذلك الإطار في قضايا الحياة اليومية، في حين أتيح سبل أخرى أقل تكلفة وجهداً. بعبارة أوضح، إن كانت المسألة تتعلق بالمهدي والميراث مثلاً، فما نراه على النقيشة نابع مبدئياً من وصية المتوفي وعلى هذا الأساس، فما فائدة نقشها على معلم جنازي؟ من جهة ثانية، نجد نقائش حرص فيها المتوفي على تخصيص قيمة مالية مباشرة من ميراثه حتى تُنفق في الأضحيات، المآدب والإراقة⁷⁵⁸ وبالتالي لضمان راحته الأبدية وليس مصالح الأحياء؛ نفس الملاحظة بالنسبة لعبارة *Libertis* « *libertabusque posterisque eorum* » التي تشير إلى المعتوقين (من الجنسين) الذين يحق لهم الرسم في معلم الحامي على أساس كونهم جزء من العائلة أو تلك التي تحدد مسؤوليات المعتوقين المضبوطة مسبقاً من طرف الحامي فيما يخص فضاء المعلم الجنائزي⁷⁵⁹. يثبت العنصر الأخير علاقة تفاصيل النقيشة براحة المتوفي في العالم الثاني وكأنها آخر عقد أمضاه لتنظيم أموره في محيطه الجديد ولتنظيم ما سيأتي في نفس المحيط وليس لتنظيم أمور الأحياء أو لضمان البقاء في ذاكرة الأحياء. تتضمن تلك التفاصيل ما قد يشبه الخدمة المتبادلة، خاصة لما يتعلق الأمر بالمعتوقين أو العبيد بحيث يتلقى المنجز مكافأة مقابل إتمامه لتعليمات المتوفي⁷⁶⁰؛ هذا وإن لم يتم الوقوف على تلك الرغبة، فلا حرج من الناحية القانونية، بحيث نظم القانون من تقع على عاتقه تلك المسؤولية في حين يُحرم المسؤول الأول من المكافأة التي وهبها له المتوفي مقابل مهمته⁷⁶¹، لكن إن باشر المسؤول المعين بمهامه، فيسجل اسمه مثلما اعتدنا

⁷⁵⁸ Hopkins, 1983, p.233

⁷⁵⁹ Laubry, 2016, paragr.8, 9 et 12.

⁷⁶⁰ Laubry, 2016, paragr. 11 et 12.

⁷⁶¹ C'est à celui que le défunt a désigné, à faire les frais funéraires. S'il ne l'a pas fait, il n'est soumis à aucune peine ; à moins qu'on ne lui eut laissé quelque chose dans cette considération ; car il en serait privé s'il refusait de remplir la volonté du défunt. Si le défunt n'a pris aucune mesure à cet égard et n'a chargé personne de son enterrement, cette dépense regarde les héritiers institués ; s'il n'y en a point les héritiers légitimes et les parents, suivant le degré de succession, en sont chargés.

عليه من خلال العبارات المتداولة في هذا الإطار والمشيرة إلى هوية منجز المعلم مثلاً. نلتمس في نهاية المطاف أن المتوفي قد وظف الأحياء لضمان احترام رغبته الوثيقة الصلة براحته الأبدية أكثر من أنه يعتمد على رغبتهم في صيانتها بحيث وجدت تنظيمات قانونية للوقوف على ذلك. على هذا الأساس، نحتمل أن كانت للرابطة ولكل عناصر النقيشة دوراً في ضمان تلك الراحة الأبدية بعيداً عن مسائل الكبرياء وذاكرة الأحياء.

تطرق ج. و. تيليغن إلى أبدية الروح لدى الرومان من خلال الإعتبارات القانونية والنقائش. أشار الباحث إلى أهمية صيانة ذاكرة المتوفي لأن تذكر الأحياء له هو ما قد يسمح له باكتساب الأبدية ولذلك، يقول الباحث، تم منح إسمي أغسطس و يوليوس لشهرين في السنة، في حين طلب الإمبراطور نيرون بتغيير تسمية شهر أبريليس حتى يتم النطق باسمه بعد وفاته⁷⁶². انطلاقاً من هاته النقطة، نرى أن الإسم، الذاكرة وأبدية الروح بمثابة ثلاثي لا يقبل الفصل على معلم جنائزي، مما يمنح لنا زاوية تحليل لتفاصيل النقائش في الإطار الجنائزي تبتعد عن كبرياء المتوفي لتقترب أكثر من مشاغل مصيرية بأم معنى الكلمة بالنسبة للمتوفي.

نستعين أخيراً بنقيشة بوبيليوس هيراكلا بروما أين يطالب ويكلف وريثه بإنجاز معلم له و لزوجته بعد وفاتها مع إذن لهؤلاء لاحقاً للتقرب من المعلم، دخوله وتقديم قرابين⁷⁶³. نضيف أن النقيشة تبدأ بنكريس للآلهة مانس. إن كانت ذاكرة الأحياء تخدم كبرياء المتوفي ورغبته في البقاء حياً في ذاكرتهم طالما بقوا على قيد الحياة، فلما غلق المجال لكل من يمكنه المباشرة بواجب تلك الذاكرة والإكتفاء بتحديد الأشخاص الذين يحق لهم التقرب وزيارة المعلم؟ يثبت ما سبق حسب رأينا بأن تفاصيل النقيشة مهداة للآلهة.

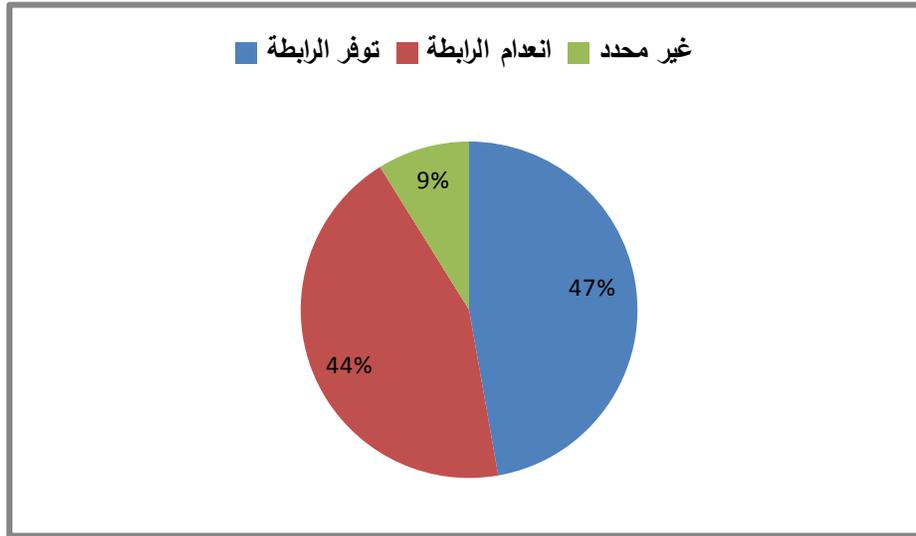
Funus autem eum facere oportet - Qui funus fatet, quem decedens elegit. Sed si non cer e debet' ille fecit, nullam esse hujus rei poenam, nisi aliquid pro hoc emolumentum ei relictum est : tune enim , si non paruerit voluntati defuncti, ab hoc repellitur. Sin autem de hac re defunctus non cavet, nec nlli delegatum id munus est, scriptos heredes ea res contingit: si nemo scriptus est, legitimos, vel cognatos quosque suo ordine quo succedunt.

Ulpian, *Ad Ed.*, 25 cité dans Dig., 11, 7, 4

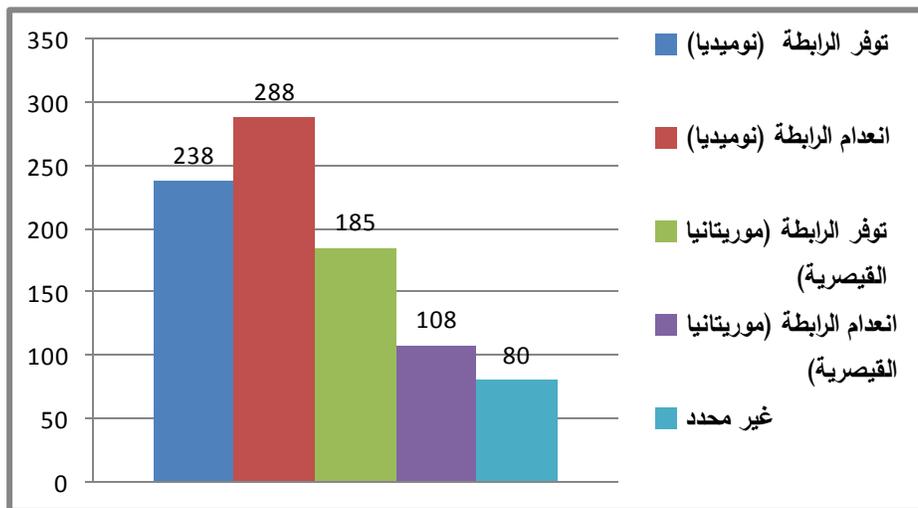
⁷⁶² Tellegen, 2012, p.184 (Texte et note de bas de page).

⁷⁶³ Tellegen, 2012, p.189 ; De Visscher, 1946.

باعتبار الأطفال في وضعية استثنائية، فلا شيء يُذكر عن إنجازاتهم ولذلك فأخر ملجأ بالنسبة للأهل قد كان التلاعب بالواقع في حياة صورة كاذبة، مصفات مرغوبة وأساليب تعبيرية متداولة لدى الراشدين كالرابطة، ربما أملا في رافة الآلهة وإعادة النظر في مصيرهم.



الرسم البياني 54: نسب ظهور أو انعدام الرابطة في المقاطعتين



الرسم البياني 55: الرابطة في كل مقاطعة

الموقع	العدد الإجمالي	الذكور	الإناث	غير محدد	توفر الرابطة	انعدام الرابطة	غير محدد	أقل من سنة	1- 2 سنة	3- 4 سنوات	5-7 سنوات	8- 10 سنوات	11- 16 سنة
كيرتا	156	95	56	5	48	84	19	2	13	17	35	32	52
تيبيليس	108	58	48	1	41	34	0	0	1	4	16	20	64
ثاموغادي	21	10	9	1	7	12	2	2	1	4	3	6	4
كويكول	13	6	7	0	5	6	2	0	2	2	1	4	5
لمبايسي	12	8	4	0	12	0	0	0	0	3	3	2	3
ميلاف	6	1	6	0	1	6	0	0	0	0	2	1	2
روسيكاد	25	19	6	0	5	20	0	1	0	1	8	4	11
تيديس	30	14	12	4	9	17	4	0	1	2	7	3	17
سيلا	20	7	13	0	5	15	0	0	0	0	1	5	14
سيقوس	32	15	17	0	16	14	2	1	0	2	3	6	18
أوزيليس	8	6	2	0	4	4	0	0	0	0	0	0	8
ك/ أرسكالي تانوم	20	14	6	0	6	14	0	0	0	0	1	2	17
تيجيسي	5	3	2	0	1	3	1	0	0	0	0	0	5
غاديوفا لا	4	3	0	1	1	2	1	0	0	0	0	2	2

ك/إيليفا نتوم	38	21	16	1	10	27	0	0	0	1	2	7	28
كيتيانيد س	35	20	15	0	4	31	0	0	1	0	3	6	25
ك/ فوانسيوم	9	6	3	3	0	6	3	0	0	0	1	0	8
ك/ سويزار يتانوم	3	2	1	0	1	2	0	0	0	0	0	1	2
أوزيليس	12	9	2	1	4	7	1	0	0	0	0	0	12
كاكايوس هيركوليد س	8	2	5	1	7	1	0	0	2	0	2	0	4
أد مايوراس	1	0	1	0	0	1	0	0	0	0	0	0	1
عين بو سليم	2	2	0	0	1	1	0	0	0	0	0	0	2
سيدر	8	2	5	1	2	4	2	0	0	0	2	2	4
لاماسبيا	5	3	1	1	1	2	2	0	1	1	0	2	1
ك/ فاباتيوم	11	5	5	1	3	5	3	0	1	0	3	2	5
مواقع مختلفة	126	70	51	3	44	70	12	0	11	8	24	26	57
المجموع	718	404	293	24	238	388	54	6	34	45	117	133	371

الجدول 13: تفاصيل نقاش فئة الأطفال بمقاطعة نوميديا

الموقع	العدد الإجمالي	الذكور	الإناث	غير محدد	توفر الرابطة	انعدام الرابطة	غير محدد	أقل من سنة	1- 2 سنة	3- 4 سنوات	5-7 سنوات	8-10 سنوات	11- 16 سنة
قيصرية	102	65	35	2	73	29	2	9	30	14	19	2	26
سالداي	9	5	4	0	7	2	0	0	1	2	4	0	2
أبولاي	6	4	2	0	6	0	0	0	1	2	0	0	3
بوماريا	6	4	2	0	6	0	0	0	0	2	1	1	2
سيتيفيس	44	33	11	0	19	24	1	2	3	8	7	7	17
أوزيا	34	22	11	1	18	8	8	2	4	6	4	6	12
مواقع مختلفة	116	70	42	4	56	45	15	1	9	15	29	16	46
المجموع	317	203	107	7	185	108	26	14	48	49	64	32	108

الجدول 14: تفاصيل نقاش فئة الأطفال في مقاطعة موريتانيا القيصرية

بالرغم من الطابع التكراري للعبارات الجنائزية، قد نصادف مصطلحات أو عبارات تحمل طاقة عاطفية ونقصد هنا بالتحديد الصفات التي ينعت بها الوالدان أبنائهم المتوفين. نلاحظ، ولو نادرا، خلا ما بين المصطلح الذي تم اختياره والسن. في هذا الإطار، نخص بالذكر فئة الأقل من سنة إلى غاية أربع سنوات، باعتبارها مراحل من العمر لا يمكن فيها للطفل أن يكون تقيا، ذو هيبة، نادرا (من حيث الفضائل والخصال) أو مستحقا⁷⁶⁴. كلها صفات تعكس مبادئ وقيم رومانية يقضي الفرد قسطا معتبرا من حياته ساعيا لإثباتها. بالرغم من أن الأبحاث تفسر وجودها برغبة من الوالدين في تجسيد نضج الطفل المبكر أي السابق لأوانه⁷⁶⁵، نحتمل بحذر إمكانية أن تكون تلك الصفات بمثابة تعبير مبالغ، مثلما هو الحال بالنسبة للمشهد.

⁷⁶⁴Carroll, 2018, pp.247-248.

⁷⁶⁵ King, 2000, p.141.

فيما يخص مبدأ الاستحقاق مثلا، فهو يعكس إلتزام الفرد طيلة حياته بالمسؤولية اتجاه نفسه وفي علاقاته مع غيره والتي يفوز من خلالها بحق العرفان والتقدير الاجتماعي⁷⁶⁶. نشير هنا إلى كيكرو الذي يربط المصطلح بالحرص النبيل على خدمة الغير⁷⁶⁷.

اعتبارا لما سبق، ارتتبنا البحث عن تلك الإشارات. في عينة مكونة من 400 نقيشة جنازية منتقاة من كل من مدن سيتيفيس، كويكول، قيصرية، تاموغادي، ماسكولا، كيرتا، روسيكاد، ميلاف، سالداي، لمبايزيس، أبولاي و بوماريا، نجد تلك الصفات متوفرة في 10 نقائش، من ضمنها نقيشة من مدينة تاموغادي تخص رضيعا يبلغ من العمر شهرين والذي وصفه والديه بالمستحق (الجدول رقم 15).

pietatis /Pientissimus	Rarissimus	Bene merenti
لمبايزيس. 3 سنوات ⁷⁶⁸ لمبايزيس. أربع سنوات ⁷⁶⁹ تاموغادي. سنة ⁷⁷⁰ تاموغادي. سنة ⁷⁷¹ كيرتا. سنتين ⁷⁷²	كيرتا. سنة ⁷⁷³ كيرتا. سنتين ⁷⁷⁴	قيصرية. 3 سنوات ⁷⁷⁵ تاموغادي. شهرين ⁷⁷⁶ بوماريا. 3 سنوات ⁷⁷⁷

الجدول 15: الصفات التي لا تتفق و سن المتوفين

⁷⁶⁶Amiri, 2008, p.306.

⁷⁶⁷Ubi enim liberalitas, ubi patriae caritas, ubi pietas, ubi aut bene merendi de altero aut referendae gratiae uoluntas poterit existere?. Que deviennent la libéralité, l'amour de la patrie, la piété, le noble désir de servir autrui ou de reconnaître un bienfait. Trad. M. Nisard ; Cicéron, *De legibus*, I, 15.

⁷⁶⁸CIL VIII, 03348.

⁷⁶⁹MEFR, 1898, p.468.

⁷⁷⁰BCTH, 1904, p.214.

⁷⁷¹BCTH, 1932-33, p.179 Cité dans http://db.edcs.eu/epigr/epi_ergebnis.php

⁷⁷²CIL VIII, 07284= IIAIlg, 02-01, 01034.

⁷⁷³CIL VIII, 07332= IIAIlg, 02-01, 01104 ; Ant Afr, 1973, p.133.

⁷⁷⁴CIL VIII, 01345.

⁷⁷⁵AE 1981, 00944.

⁷⁷⁶BCTH-1932/33-179.

تطرقنا في مقمة البحث إلى سياسة الإصلاحات التي باشر بها الإمبراطور أغسطس فيما يتعلق بضرورة التكفل بالأطفال أيا كان مصفهم وأشرنا إلى علاقة إصلاحاته بإيديولوجية تقوم على توجيه سليم لأخلاقيات المجتمع، سعيا منه لرد الإعتبار إلى العائلة بمفهومها الواسع ولكل ما تحتضنه من روابط، سواء مع الأبناء والأحفاد أو العبيد والمعتوقين، دون استثناء الخدم. هو ما يفسر، على حد تحليل ب. روسن، ارتفاع عدد النقائش الخاصة بالعبيد⁷⁷⁸، حيث وجدوا من يتكفل بتمويل المعالم التذكارية. تتدمج تلك الإصلاحات في إطار أوسع يتمثل في لم شمل الرومان تحت راية إيديولوجية مشتركة تقوم على قناعة الإلتماء إلى كل متناسق تحت رعاية أب "الوطن" المتمثل في شخصية الإمبراطور وأولهم أغسطس من خلال سياسة السلام الأغسطسي⁷⁷⁹.

قد لا يتم ذلك إلا بمنح كل شرائح المجتمع حقها في الوجود على المستوى الإجتماعي ومن ضمنهم الأطفال. خلال حكم الإمبراطور أغسطس، أصبح الإحتفال بمراسيم استبدال التوجة برايتيكستا بالتوجة فيربليس يقام في معبد مارس المنتقم (المشيد على فوروم أغسطس)⁷⁸⁰، مما يعزز تدريجيا مصف الطفل في الذهنية الجماعية ويوضح لنا أكثر خلفية فكرة بليينوس الأقدم، حين صرح بأن مهام الطفل أن يحكم يوما. تلخص ب.روسن الفكرة باللجوء إلى عبارة "الوعي بالذات" التي تتميز نمط التفكير الروماني.

(A Sense of self)⁷⁸¹. نشير كذلك إلى أن إحياء عيد الميلاد لدى الرومان كان يخضع بدوره إلى طقوس مقننة⁷⁸². انطلاقا من ذلك، فما نراه على المشهد وبالتحديد اللباس على أنصاب فلورا، كوينتوس (إبني عبيد) ولايتوس، ابن معتوق الملك يوبا، يحمل خلفية استيعاب تلك القيم والتفاعل الإيجابي مع سياسة أتاحت لأبسط الشرائح فرصة الوجود الفعلي في ظل المجتمع الروماني، بما في ذلك الأطفال، فتقريبا كل الأنصاب المدروسة بمدينة شرشال مثلا مؤرخة بالقرن الأول ميلادي. نحتمل أن كانت لتلك

⁷⁷⁷ AE 1982, 00989.

⁷⁷⁸ Rawson, 1999, p.217.

⁷⁷⁹ Bianchi Bandinelli, 1970, p.198.

⁷⁸⁰ Rawson, 2015, pp.21-22.

⁷⁸¹ Rawson, 2005, p.135.

⁷⁸² كإشعال المذبح العائلي، تقديم قرابين دامية، تحضير إكليل من الورد، نشر البخور في رداء أبيض، فضلا تحضير كعكة.

Ovide, *Tristia*, III, 13, pp.46-47.

الإصلاحات دورا في تسجيل تغير جذري في العلاقات الإجتماعية والذي يظهر بوضوح على أنصاف عينتنا.

فيما يتعلق بالعبيد، تفيد عادة دراسة النقائش في التقرب قدر الإمكان (باعتبار الدفن الجماعي والأنصاف الخالية) من تحديد نسب تداول تلك الفئة، فهم سبب توفرها بشكل معتبر، تحديد الرابطة قصد تحديد المكانة الفعلية للعبيد ضمن المجتمع (وليست القانونية فحسب)، فضلا عن إشكالية تمويل المعلم. بالرغم من وضعيتهم الحرجة، اقترحت إ-ج. غراهام تحليلا يعزز قدرة العبيد على تحمل تكاليف الجنازة وكذا المعلم التذكاري وذلك لسبب بسيط يتمثل في أن بقية شرائح المجتمع، الذين تسميهم "بالفقراء الأحرار"، تتحمل بنفسها عبئ تكاليفها اليومية كالمبيت، الأكل واللباس، في حين يحظى العبيد، رغم مأساة العبودية، بإعفاء من تلك المصاريف باعتبارها تقع على عاتق السيد وعلى هذا الأساس، فيمكن لعدد منهم إيدار القيمة المطلوبة لتمويل الجنازة والمعلم⁷⁸³. يضيف من جهته ك. هوبكينز أن العبيد المحترفين أو المثقفين تمتعوا بمكانة استثنائية لدى السيد، تؤهلهم لتسيير بعض الأمور ومن ضمن الحقوق التي كان يحظى بها هؤلاء، فرصة استلاف قيمة مالية من السيد لتسيير أمورهم الشخصية (*Peculium*)، كما يشير الباحث إلى وجود أدلة تثبت تلقي بعضهم راتبا⁷⁸⁴. بذلك، يمكن في عينتنا احتمال أن تكلف الأهل بتمويل الأنصاف التي لا يرد فيها اسم السيد وإنما الاسم الأحادي فقط وكذلك تلك التي يظهر فيها اسم أحد الوالدين أو الإثنين.

أما عن الرابطة، فقد وُجدت أمثلة ولو نادرة توحى بأن العبيد، الذين تصفهم ج.هـ. تولوك ب "منعدي الرابطة" (*Kinless*)⁷⁸⁵، وجدوا، على حد تعبير ج. بودل، من خلال معلم تذكاري كالنصب، وسيلة مقاومة لإنعدام تلك الرابطة التي تهدد بالاندثار⁷⁸⁶، بينما يستعين المعتوقون بتحررهم وباكتسابهم حق المواطنة الجزئية، لتجسيد مصفهم ومن ثمة، ترسيخ ذاكرتهم وذاكرة الأبناء (من خلال الاسم الثلاثي) في نطاق يعزز تحقيق الذات والخروج من أزمة اللاوجود⁷⁸⁷، بل حتى أن فئة العبيد بمثابة الفئة التي خلقت

⁷⁸³ Graham, 2004, pp.4 et 5.

⁷⁸⁴ Hopkins, 1978, pp.125-126.

⁷⁸⁵ Tulloch, 2011, p.559.

⁷⁸⁶ Bodel, 2017, p.88.

أكبر حصة من المخلفات التذكارية الخاصة بالأطفال بالعاصمة روما⁷⁸⁸. نلتمس من خلال تحليل ج. بودل أنه في غياب تلك الرابطة، يؤدي النصب وحتى المشهد دورا تعويظيا.

فيما يخص المعتوقين، يمكن الإستناد إلى مثال مشهور بإفريقيا، في مؤلف بيترونيوس، من خلال النقيشة التي طالب تريمالكيو بإنجازها، حيث حدد مسبقا نوع اللباس (البرايتيكستا) وحتى عدد الخواتم التي أرادها مجسدة على المشهد (خمسة)، سعيا لتخليد مصفه كعضو في مجلس الشيوخ⁷⁸⁹.

إن كانت الموت نهاية مادية للجسد وليست اجتماعية، قد لا ينطبق ذلك حتما على شريحة العبيد نظرا لغياب عنصر حساس وهو بالتحديد تلك الرابطة العائلية بحيث حتى إن اعترف القانون الروماني بها، فتبقى سلطة السيد تتحكم في كيفية تسييرها⁷⁹⁰. لنا مثال يبرز ذلك بالعاصمة روما مثلا، حين تم تشييد ضريح جماعي يعود إلى القرن الثاني ميلادي في مقبرة هُيئت تحت بازيليكا القديس بطرس بالفاتيكان.

يحتضن الضريح أفراد عائلة معتوق بالإضافة إلى المعلم والعبيد، لكن بينما تم تخصيص تمثال ونقيشة لمُجمل أفراد العائلة، اكتفى السيد بدفن العبيد تحت أرضية الضريح في طبقات متتالية دون تكريس معلم تذكاري لأي منهم⁷⁹¹. إن غياب ذلك العنصر يشكل خطرا على من يرى استمرار وجوده مرهون بمن سيقف على ذكر اسمه. على هذا الأساس، اعتبرنا أعلاه أن دور الرابطة أعمق من التوجه الذي انتهجته الأبحاث عموما وهي أقرب إلى أولويات الإطار الجنائزي والمتوفي من خلال ضمان الراحة الأبدية وتقادي أن تكون الموت نهاية جسدية واجتماعية.

نُذكر في هذا الصدد أن مفهوم العبودية لدى الإغريق، وبالتحديد لدى أرسطو، لا يختلف عن مفهوم الطفولة وهو ما أشرنا إليه من خلال المصطلح "Pais"، فلا للعبيد ولا للطفل كيان أو سلطة؛ أما لدى الرومان، فأعتيد أحيانا على نعت الطفل العبيد بمصطلح "Puer" الذي يعني بالتحديد الطفل الخادم⁷⁹².

⁷⁸⁷Taylor, 1961, pp. 129–30 ; Kleiner, 1977, pp. 18–19 ; Treggiari, 1975, pp. 211–13 cités dans King, 2000, pp.122-123.

⁷⁸⁸ Shaw, 1991, p.69 et Flory, 1984, p. 223 cités dans King, 2000, pp.122-123.

⁷⁸⁹Pétrone, *Satiricon*, 71, p.109 ; Harris, 1991, pp.222.

⁷⁹⁰Bodel, 2017, pp.83 à 85 et 87

⁷⁹¹Zanker, 2010, pp.153 et 155.

⁷⁹²Wellebrouck, 2016, p.52.

إن اعتبرنا أن مكونات النقيشة تخدم ذاكرة وإنجازات المتوفين لدى الأحياء، فما فائدة الإشارة إلى النسب على بعض نقائش العبيد في حين لا مجال لأي فخر أو إنجاز يُذكر وعلى هذا الأساس، فانطلاقاً من أن النصب معلم طقوسي، يمكن أن نعزز احتمال أن لتسجيل الرابطة بدوره وظيفة طقوسية تفوق الذاكرة، لتنظم محددات البعث في العالم الثاني وبالتحديد حتى لا يبقوا "منعدي الرابطة"؟

إن ما حضي به بعض العبيد على أنصابنا هو فرصة عدم الاندثار والتي خصت أضعف شريحة في المجتمع وأصغر فئة من أضعف الشرائح، على غرار نقيشتي كوينتوس ابن فابيوس، غيميلاً ابنة فلوروس وفيلوكالوس معتوق بيلاداس؛ أما في بقية الشرائح، فنلاحظ توثيقاً مستمراً لتلك الرابطة العائلية، على غرار المعتوق لايتوس ابن أكسبتوس (معتوق الملك يوبا)، سابوريوس ابن فيتراريوس وباولا أو مارتياليس الذي يُحتمل أن كان ابن المعتوق سيمينوس سيمفونياكوس.

لقد ركزت دراسة هوبكينز على سعي جميع شرائح المجتمع الروماني جاهدة لتفادي الدفن الجماعي باعتباره قمة العار، حيث من مخلفاته اندثار كل أثر مادي للمتوفي⁷⁹³ ومن هذا المنطلق، فتمثيل الأطفال ومن ضمنهم العبيد، على أنصاب فردية مع تحديد الرابطة، له ثقله في تركيبة ميكانيزمات الذاكرة بالنسبة لتلك الفئة ويمنحنا بنفس الصفة فكرة عن درجة استيعابها من طرف المجتمع المحلي، حيث باعتبار النصب تابع لقبر يُعتبر ملكية للآلهة مانس، فقد تؤدي الرابطة فيه وظيفة طقوسية تضمن راحة المتوفي

بالرغم من فصل القانون ما بين الأشخاص على أساس الحرية والعبودية والذي يعتبره مضاد لطبيعة الأشياء، يبدو أن كان للمصطلح "سرفوس" معنى أدق حيث يعود في الأصل إلى اعتياد الأباطرة على بيع غنائم الحرب عوض قتلهم، كما أن العبودية مصف يضع الفرد تحت سلطة فرد آخر وهو باعتراف من القانون الروماني، أمر مضاد لطبيعة الخلق

Servi ex eo appellati sunt, quod imperatores captivos vendere ac per hoc servare nec occidere solent. Florentinus, *Inst.*, 9, paragr.1 et 2 cité dans *Digeste*, I, titre V, p.63.

⁷⁹³ وفقاً ل. ك. هوبكينز، وُجدت هناك جمعيات تتكفل بتنظيم جنازات لائقة أياً كانت الشريحة الاجتماعية مقابل قيمة مالية تقدر ب 5 أس شهريا و 100 سترس كحقوق الإدماج في الجمعية، كما يضيف المعنى بالأمر أو الكفيل به أنفورة نبيذ. يوحي وجود تلك الجمعيات بالحرص الفعلي على تسجيل حقهم في الذاكرة، حيث إن غاب النصب، يمكن للقبر أن يشير إلى وجود المتوفي، بينما الدفن الجماعي، فلا يترك أي مجال لهذا الأخير في أن يبق في ذاكرة المار، المسافرين أو الزائر. يراجع:

Hopkins, 2006, pp.214-215.

فيما يتعلّق بالدفن الجماعي بروما، تداوله وتنظيماته بما في ذلك مصف المكلفين بتطبيقها، تُراجع دراسة

Hopkins, 1983, pp. 208 ; Bodel, 2000

مثلها مثل تردد الإسم. نلاحظ مثلا أن ذكر نسب واحد لم يكف دوما وإن لم توجد رابطة نسب عائلية، فيتم تسجيل نسب ذات نطاق أوسع وذلك أيا كان المصف والسن:

-في حالة يوليا إغيا من مدينة شرشال، يظهر النسب من خلال إسم الأب في نهاية النقيشة.

Felicio et tu qui legis hoc titulum Julia Hygia uixit sine lachrimis iucundissima felicissime nata hygino (p)atri

في نقيشة ماركوس كيسيوس نامبولوس، من مدينة جميلة، يكفي الإسم الثلاثي لإبراز وجود السلطة الأبوية بصفة رمزية من خلال الإسم العائلي كيسيوس.

D(iis) M(anibus) S(acrum)/ M(arcus) Cessius/ Nampulus/V(ixit) A(nnis) II, H(ic) S(itus) E(st)

-أما عن نقيشة تيتوس فلافيوس فاليريانوس، فهي فريدة من نوعها في عينتنا وتحتاج أن نقف عليها. فضلا عن ذكر الإسم الثلاثي الذي يرمز إلى السلطة الأبوية وتعزيزه بالنسب الأبوي (إبن تيتوس)، أضاف الأب القبيلة وأشرنا إلى أن الأمر غير مألوف على نقائش أطفال توفوا في تلك السن (ثلاثة أشهر وبضعة أيام)، لكن ما يثير الإنتباه أكثر هو ذكر الرابطة الأخوية من خلال تيتوس فلافيوس سوساندر.

لما نعود إلى نقيشة الأخ، نلاحظ أنه توفي في الشهر الرابع وبذلك، احتتم م. لوجلي أن فلييريانوس وسوساندر توأمين⁷⁹⁴. في ذات السياق، نشير إلى أن الولادة التوأمية تعد بمثابة ولادة مثالية، حيث تبشر بتوفر كل الشروط من الناحية البيولوجية لمستقبل واعد، باعتبار هناك خارطة بروج خاصة بنشأة الطفل في البطن وأخرى بالولادة. في هذا الإطار، يفيدنا القديس أغسطينوس بمقولة منسوبة إلى كيكرو والتي يروي فيها هذا الأخير تجربة هيبيوقراطوس أمام أخوين أصيبا بمرض وتعافا منه معا. استنتج الطبيب أنهما توأمين ولدا تحت تأثير كوكبة مشتركة⁷⁹⁵ وبذلك، فهما يتقاسمان مصيرا مشتركا حيث تربطهما علاقة تبدأ من الولادة وتستمر مدى الحياة⁷⁹⁶.

⁷⁹⁴ T(ito) Fl(avio), T(iti) f(ilio), Qui(rina tribu), Sosandro. Vixit mens(ibus) III ; Leglay, 1966, p.176.

⁷⁹⁵ Influences célestes. Saint Augustin, *De Civitate dei*, V, 2.

⁷⁹⁶ يبقى هنالك تضارب في الآراء حول مسألة المصير المشترك بالرغم مما يرد في المصادر. يراجع: 5 et 4 pp. Dasen, 2008.

من جهة ثانية، نجد بعدا رمزيا للولادة التوأمية يتعلق بالخصوبة، الرخاء والأرض الأم⁷⁹⁷. نلتبس بذلك من جهة، تدخل الإعتبارات الطبية والفلكية في تشكيل مفهوم التوأم ومن جهة ثانية، إعتبارات "كونية" تتدخل فيها الطبيعة بأسسها.

نحتمل أن أراد الأب من خلال نص النقيشة تجسيد مفهوم المصير المشترك فيما حدث لتيتوس فلافيوس فاليريانوس وأخوه تيتوس فلافيوس سوساندر من خلال الرابطة الأخوية والتي قد تعكس استياء وأمل في آن واحد: من جهة، الإستياء أمام ضياع أمل الإستمرارية بعد ولادة مثالية واعدة ومن جهة ثانية، أمل الوالد من خلال تلك التفاصيل في أن تؤثر في مصير الطفل المتوفي في محيطه الجديد.

T(it)o Fl(avio), T(iti) fil(io), Quir(ina tribu), T(iti) Fl(avii) Sosandri fratri, Valeriano vixit me(n)sib(us) III, die(bus) III

- في نقيشة كوينتوس، يظهر إسم الأب الأحادي (فابيوس)، ليتم تعزيز الرابطة في آخر النقيشة بالإشارة إلى الأم من خلال مصطلح "الوالدين"

Q(uintus) Fabi fil(ius) vixit mensibus/ octo, dulcis parentibus

- في نقيشة سابوريوس، من مصف المعتوقين، تم ذكر إسم الأب والأم. تشير دراسة م. كوربيي إلى أنه من ضمن مصفات العبيد، هنالك من تم تلقينه حرفة أو تم شرائه لحرفته. دوما وفقا لدراسة الباحثة، ينتمي هذا النوع من العبيد إلى المحظوظين، حيث كانت فرصهم أفضل في كسب ثروة كافية للتحرر وأبعد من ذلك، شراء حرية الزوجة والأبناء⁷⁹⁸. باعتبار مصطلح *Vitriarius*، نحتمل أن كان أب سابوريوس محترفا في صناعة الزجاج ومن ثمة أن سمحت له تلك الحرفة بالتحرر. حتى وإن لم يباشر الأب بتسجيل إسم الحامي كما هو معتاد⁷⁹⁹، يمكن أن أشار من خلال الكنية "فيترياريوس" إلى حرفته التي قد أتاحت له فرصة الخروج من العبودية.

⁷⁹⁷Dasen, 1998, pp.186 à 188.

⁷⁹⁸Corbier, 2008, p.314-315.

⁷⁹⁹Brunn, 2013, p.22.

إن اعتبرنا مثال المعتوق فيزونوريوس فيليروس بمدينة بومبي، الذي غير سن إبنه المتوفي على النقيشة (من 8/7 سنوات إلى 13 سنة) حتى يتم تسجيله كإبن معتوق وليس إبن عبيد⁸⁰⁰، يمكن احتمال بالنسبة لسابوريوس وجود رغبة في تسجيل ذاكرة الطفل في إطار العبودية المحظوظة، مفادها تسجيل وضعية ظرفية أو مصف اجتماعي حيث تشير م. كوربيي إلى أن هذا النوع من الإشارات ليس عفويا⁸⁰¹. أما عن نكر الأم إلى جانب الأب، فيُحتمل أن تم ذلك لتعزيز النسب من خلال الأم، باعتبار الزواج ما بين الغير أحرار لا يندرج ضمن مفهوم الزواج الشرعي في القانون الروماني ومن ثمة، فمصنف الطفل يتبع وضعية الأم القانونية، بحيث إن كانت الأم من مصنف العبيد، مثلما هو الحال بالنسبة لباولا، يندمج المولود بدوره ضمن مصنف العبيد⁸⁰²، مما قد يفسر الإسم الأحادي للإبن.

- Saburio Antae vi/triari et Paulas f(ilius)

في هذا الإطار، نحتمل أن تندرج نقيشة مارتياليس المهداة من طرف سيمينوس سيمفونياكوس كذلك ضمن نفس الإطار.

« *Martialis Hic s(itus) es(t) / v(ixit) an(n)os II / Semnos Sy(m)p(h)oniacus / fecit* »

⁸⁰⁰Duday et Van Andringa, 2013, paragr.28 et 29.

⁸⁰¹Corbier, 2008, p.315.

⁸⁰²Servi autem aut nascuntur aut fiunt. *Nascuntur ex ancillis nostris*. Les esclaves naissent tels ou le deviennent. *On est esclave de naissance quand on descend d'une femme esclave*. Gaius, Inst., I, IV, 4, p.16.

Legitimae sunt nuptiae, si romanus romanam nuptiis intervenientibus, vel consensu ducat uxorem. Le mariage est légitime s'il est contracté entre un romain et une romaine, volontairement et avec les solennités. Gaius, Inst., I, IV ss, p.40.

Cum legitimae nuptiae factae sint, patrem liberi sequuntur, vulgus quaesitus, matrem sequitur. Les enfants nés d'un mariage légitime, suivent la condition de leur père ; les bâtards suivent celle de leur mère. Celse, *Digestorum*, 29 cité dans *Digeste*, I, V, 19.

Ile qui legitimè conceptus est, ingenuus nascitur. Nam qui non legitimo matrimonio concipitur, si mater eius ex ancilla, dum prœgnans est, libera facta fuerit, liber nascetur. Si vero ex ingenua ancilla praeagnans facta fuerit, servus nascetur, quia non legitima, sed vulgo conceptus est.

Celui qui est conçu d'une union illégitime, par exemple, celui qui est conçu d'une mère esclave, si pendant la grossesse elle devient libre, l'enfant qui naîtra le sera. S'il est conçu d'une ingénue qui pendant sa grossesse tombe dans l'esclavage, il sera esclave, parce qu'il n'a pas été conçu légitimement. Gaius, Institutes, I, IV, 9, pp.41-42.

- في نقيشة أيميليا سيويريا، تم تجسيد الرابطة من خلال إسم ووظيفة الأب، لتأتي الأم والجدة في آخر النقيشة معززة سلسلة النسب وفي هذا الإطار، قد سبق وأن احتملنا أن ذكر النسب الأنثوي على علاقة بأمل الأمومة.

Aemili seuerini dec(urioni) filiae)... Iulia Ueria auia et antistia Lucilia Mater

- بالنسبة لريدمبتوس، تتمثل الرابطة في ذكر النسب من خلال الأم وفي تلك الحالة، نُذكر أن الأبناء الذي ولدوا في إطار غير شرعي ليسوا تحت السلطة الأبوية وبالتالي يتم ربطهم المستمر بالأم⁸⁰³. ابتداء من صدور مرسوم للإمبراطور كلاوديوس، المؤرخ بعام 52 م، ففي حالة علاقة بين امرأة حرة وعبيد بيت ثان، دون إذن من السيد، يسقط الأطفال إلى مصف العبودية ويُدمجون ضمن قائمة عبيد السيد⁸⁰⁴. يضيف تاكيتوس أنه إن تم الوشاء بحالة مثل تلك المذكورة أعلاه، تسقط المرأة إلى مصف العبودية بينما إن إعترفت بمحض إرادتها، فتحظى بمصف المعتوقين⁸⁰⁵. نلاحظ في نقيشتنا، المؤرخة بالقرن الأول ميلادي، أن الطفل يحمل الاسم الأحادي بينما الأم، فالإسم ثنائي؛ بذلك، فمن المفروض أن يتبع الطفل مصف الأم. على هذا الأساس، يبقى الإقتراح الأرجح أن ماكسيموس وليد علاقة أسقطت الطفل إلى مصف العبودية بحكم المرسوم الكلاودي. إن صح الإحتمال، فيمكن تحديد إطار تأريخ النقيشة ابتداء من فترة حكم كلاوديوس.

Atilia Cloe mater / Redempto filio

- نفس الملاحظة فيما يتعلق بنقيشة ماكسيموس، ابن ماميليا تارتيا، من مدينة سطيف، أين تم تجسيد النسب من خلال الأم المتوفية، دون أية إشارة إضافية.

Mamilia/Tertia vixit an(nos) XXV impendia felicitis/ filius eius maximus

- بالنسبة لنقيشة ساتورنينوس، من مصف العبيد، تتعلق الرابطة بإسم السيد الذي حرص على إنجاز المعلم لصيانة ذاكرة المتوفي:

⁸⁰³Rawson, 2005, pp.75-76.

⁸⁰⁴Celse, *Digestorum*, 29 cité dans *Digeste*, I, V, 19, p.66 ; Ulpian, *Ad sabinum*, 27 cité dans *Digeste*, I, V, 24, pp.66-67 ; Corbier, 2008, p.318.

⁸⁰⁵Tacite, *Annales*, XII, paragr.53.

[S]aturninus C(aii) Iuli(i) Craci /s(ervus)

- فيما يخص نقيشة لايتوس، تم ذكر الرابطة الأبوية مع تحديد مصف الأب كمعتوق للملك يوبا. أشرنا أعلاه إلى أبحاث م. كوربيي فيما يتعلق بمصفات العبيد. في هذا الصدد، تضيف الباحثة أن لعبيد البيت (الدوموس) وبالتحديد المُعلم (مُعلم السيد أو أبنائه) ولمسيرى الملكية أو لعبيد البلاط الأولوية على غيرهم في التحرر من مصف العبودية⁸⁰⁶. من هذا المنطلق، وكما سبق الذكر بالنسبة لنقيشة سابوريوس، فتحديد الأب لمصفه الحالي قد يشير إلى أن مصفه السابق كان من أرقى المصفات ضمن العبيد، مما يسمح بتسجيل ذاكرة الإبن ضمن هذا الإطار، لكن يبقى الإشكال قائماً حول الإسم الأحادي للإبن الذي يؤول بنا إلى ضرورة اعتبار وضعية الأم القانونية حيث يُحتمل هنا أن الزواج غير شرعي بالمعنى القانوني، كما يجدر كذلك اعتبار مرسوم الإمبراطور كلاوديوس الذي يربط مصف الجنين بمصف الأم حين النشأة وليس الولادة باعتبار النقيشة مؤرخة بالقرن الأول ميلادي. إن كانت الأم عبيداً حين نشأة الجنين، يحتفظ المولود بذلك المصف حتى وإن تم عتقها قبل الولادة⁸⁰⁷.

Laetus, Accepti regis Iubae l(iberti) f(ilius)

بينما في نقيشة فيلوكالوس، فبالرغم من غياب كل نسب، تسمح عبارة "معتوق بيلاداس"، معتوق الملك بطليموس بإبراز علاقة عاطفية. نلاحظ أن الطفل يبلغ من العمر سنة إلا 15 يوماً وبذلك، فقد حرص الحامي على إنجاز معلم لطفل توفي قبل السنة الأولى وصيانة ذاكرته في غياب نسب الوالدين، مما قد يوحي بوفاء هؤلاء من جهة وبرعاية الحامي للطفل من جهة ثانية.

Philocalus, Pyladis/regis Ptol(e)maei l(ibertui)l(ibertus)

نلاحظ في النقائش المذكورة أعلاه أنه في كل من نقائش كوينتوس (إبن عبيد)، سابوريوس (إبن معتوق) و لايتوس (إبن معتوق)، تم ذكر إسم الأب لكن نعلم أن الزواج غير شرعي من الناحية القانونية وبالتالي فالطفل يتبع مصف الأم. ما فائدة ذكر الأب دون الأم على كل من نقيشتي كوينتوس ولايتوس إن لم تكن للأب السلطة الأبوية حتى وإن يعترف له القانون بالأبوة. نلاحظ أن مصف الأب على الثلاث نقائش

⁸⁰⁶Corbier, 2008, p.315.

⁸⁰⁷Gaius, Institutes, I, IV, 9, pp.41-42.

يدمجه ضمن المعتوقين بينما إسم الإبن أحادي، مما يدل على بأن الأم (التي يتبع الطفل مصفها) من مصف العبيد، في حين يرد الأب الذي مصفه أرقى. سبق وأن ذكرنا مثال فيزونوريوس فيليروس بمقبرة بومبيي، الذي تبعا ل هـ.دودي، عدل سن إبنه حتى يحتفظ الأحياء بذاكرة إبن معتوق وليس إبن عبيد، لكن نحتمل أن حضور الأب على نقيشة لا يملك فيها سلطة أبوية يمنحه أولوية عوض الأم التي تملكها فعليا. وباعتبار أن مصف الأب على نقائشنا أرقى من مصف الأم، فقد لا يتعلق الأمر بالذاكرة وإنما بالمصير. نستوحي مما سبق على أية حال، أنه لم يتم تجاهل الأطفال فيما يخص حق الذاكرة ومن ثمة حق البقاء وذلك حتى إن لم يتسن لهم أحيانا تجاوز السنة الأولى من العمر أو ولدوا في إطار زواج غير شرعي قانونيا أو علاقة منبوذة؛ كما نلاحظ في حالة العبيد، أن النقائش التي تذكر النسب غير نادرة. نشير في نفس الإطار إلى نقيشة شعرية مؤرخة بالنصف الثاني من القرن الأول ميلادي من مدينة شرشال والمهداة إلى الطفل فيلوس، من مصف العبيد. ما يهمنا في تلك النقيشة يفوق الطابع الشعري وذكر النسب. تأتي النقيشة في الشكل الآتي:

« *Philo L Vibi Secundi Ver(a). Vibius Gemellus filio suo f(ecit). Hic lapis ossa tegit miseri collecta philonis quem uasiidls hic ia[...] cum miser in quintum [...]u[...]ir uenerat an[...]o[...] icolo ac[...]sui[...] quem paruom inu [...]eri pueri [.]nim gremio [...]perlege uersuculos {...] nitus[...] c colo[.]ss* »⁸⁰⁸

ترجمة النقيشة:

"فيلوس، عبيد وُلد في بيت لوكيوس فيبيوس سيكوندوس. أنجز المعلم فيبيوس غيميلوس لإبنه. يحتضن هذا النصب عظام التعيس فيلوس الذي...وقد بلغ السنة الخامسة. هذا الطفل، اقتلعه.... من حماية...إقرأ هذه الأبيات"

يمكن إدراج الملاحظات التالية:

⁸⁰⁸ CIL VIII, 9508= CLE 01234. Etude Ch. Hamdoun dans : <http://ccj-epischerhel.humanum.fr/interface/fiche.php?id=342etpage=>

- أن الأب حرص على تسجيل إسم سيد الإبن بينما الأب من مصف المعتوقين مما يوحي بأن الأم من مصف العبيد باعتبار أن الزواج الشرعي يتم ما بين الأحرار وما يخرج عن ذلك النطاق، يجعل الإبن مرهونا بمصف الأم ولا تنطبق عليه السلطة الأبوية⁸⁰⁹. أبعد من ذلك، لا أثر لإسم الأم مرة أخرى و هي قانونيا صاحبة السلطة.

- أن الأب لم يسجل إسم حاميه من خلال إشارة *Libertus*، بل فضل التركيز على أن إبنه كان عبيد بيت لوكيوس فيبيوس سيكوندوس أي أنه، تبعاً لأبحاث م. كوربيي، من العبيد المحظوظين ونرى في ذلك نية واضحة من طرف أب فيلوس في تسجيل ذاكرة إبنه ضمن هذا الإطار حيث نجد بالفعل إشارة لفبيبيوس سيكوندوس في مؤلف تاكيتوس أين يرد بأنه روماني الأصل ومن مصف الفرسان⁸¹⁰. يعني ذلك أنه وبالرغم من استياء الأب لوفاة الإبن وفي مصف غير مرغوب، يبقى ذلك المصف من أرقى مصفات العبودية حتى وإن يسرد لنا تاكيتوس قصة فارس تعرض للطرده من روما بسبب تهمة الرشوة التي قدمها له الموريون.

- يندمج مشهد فيلوس ضمن مفهوم الذاكرة المسبقة (الصورة رقم 28)

- أخيراً نشير إلى عبارة "يحتضن النصب عظام التعيس فيلوس" التي تعزز أن النصب جزء لا يتجزأ من القبر ومن ثمة، فهو أداة طقوسية ضمن فضاء مقدس، له شرعية لا يحق المساس بها، مما يعزز بدوره أن ما نراه على النصب لا يخاطب الأحياء فحسب وإنما بالدرجة الأولى آلهة الموت أو المانس.

⁸⁰⁹ Servi autem aut nascuntur aut fiunt. *Nascuntur ex ancillis nostris*. Les esclaves naissent tels ou le deviennent. *On est esclave de naissance quand on descend d'une femme esclave*. Gaius, Inst., I, IV, 4, p.16.

Legitimae sunt nuptiae, si romanus romanam nuptiis intervenientibus, vel consensu ducat uxorem. Le mariage est légitime s'il est contracté entre un romain et une romaine, volontairement et avec les solennités. Gaius, Inst., I, IV ss, p.40.

Ile qui legitime conceptus est, ingenuus nascitur. Nam qui non legitimo matrimonio concipitur, si mater eius ex ancilla, dum praegnans est, libera facta fuerit, liber nascetur. Si vero ex ingenua ancilla praegnans facta fuerit, servus nascetur, quia non legitima, sed vulgo conceptus est. Celui qui est conçu d'une union illégitime, par exemple, celui qui est conçu d'une mère esclave, si pendant la grossesse elle devient libre, l'enfant qui naîtra le sera. S'il est conçu d'une ingénue qui pendant sa grossesse tombe dans l'esclavage, il sera esclave, parce qu'il n'a pas été conçu légitimement. Gaius, Institutes, I, IV, 9, pp.41-42.

⁸¹⁰ Tacite, *Annales*, XIV, 28.



الصورة 29: مشهد فيلوس، ابن فيبيوس غيميلوس

<http://ccj-epicherche.l.huma-num.fr/interface/fiche.php?id=342&page=>

نستنتج كخلاصة للفصل ضرورة التساؤل عما إن لم تكن لتفاصيل الأنصاب الجنائزية عموما ولتلك التي تخص فئة الأطفال على وجه التحديد علاقة بالمصير في العالم الثاني؛ فضلا عن التمثيلات الإيكونوغرافية، تأتي النقيشة بالصفات التي لا تتفق والسن، بعبارات النسب من خلال الرابطة العائلية ولا سيما لدى العبيد أو حتى نقائش أطفال من فئة الرضع، لتعزز هوية قد تكون بمثابة نقطة انطلاق نحو مصير أفضل.

خاتمة الأطروحة

تطرقنا في الفصول السابقة إلى شقين أساسيين من الفعل الجنائزي، تعلق الأول بالمخلفات الأثرية في الموقع الأثري، في علاقتها بالمراسيم الدينية التي تسبق غلق القبر، بينما ركزنا في الثاني على جانب من المراسيم التذكارية وهو محتوى المعلم التذكاري مشهدا ونقيشة. حاولنا من خلال هذين الجانبين اقتراح قراءة تتحاز نوعا ما عن مجرى الأبحاث المعتاد والذي عادة ما يربط من جهة، توفر أو انعدام الأثاث بمفهوم الموت المشؤومة، قلة الإهتمام أو غياب الإدماج في العائلة والمجتمع أي بمصف الطفل المتوفي ومن جهة ثانية، ربط ما يرد على المعالم التذكارية بتخليد المتوفي في ذاكرة الأحياء. أدمجنا الجانب التذكاري بالتحديد لتدعيم الفصل الأول المتعلق بإثبات أو نفي فرضية الموت المشؤومة مع إضافة فرضية ثانية، تتعلق بأمل مقنن طقوسيا، هدفه ضمان مصير أفضل للمتوفين وليس تحديد مصفه فحسب ثم لما لا، إتمام مساره نحو النضج، معتمدين على تفاصيل المشاهد والنقائش.

لا يعني ما سبق أن مسألة المصف غير قائمة بذاتها، بل هي أساسية للتعرف على مكانة كل شريحة في المجتمع ودرجة حرص المجتمع المدرس على ضمان تفاعل إجتماعي مراعى لمصلحة الفرد والجماعة، فضلا عن تحديد مكانة الكل في الإطار الجنائزي، خاصة أن معطيات الآثاري عادة ضئيلة وبذلك، فمحتوى المقابر يشكل فرصة نادرة لفهم عالم الأحياء، لكن كما أشار إليه ح. إيديران في أطروحته، قد يجدر ربط تلك المخلفات بمحيطها الأصلي ومحاولة فهم خلفيتها. في هذا السياق، بدا لنا من خلال تطلعاتنا للأدبيات الحديثة، أنه تم تجاهل جانب أساسي من التحليل وهو علاقة المتوفي بعالم الأموات.

باعتبار أنه حُصصت للطقوس والمراسيم (جنائزية وتذكارية)، على اختلاف أنواعها، مكانة ضمن التنظيمات القانونية والتي لا تمت بصلة بتسيير الفضاءات أو بالمسائل الصحية وإنما بالتحديد بضرورة احترام حرمة القبر، الجثة، المعالم التذكارية وخطوات المراسيم الجنائزية والتذكارية، فتركيز الباحث اليوم على وصف خطوات الفعل الجنائزي وكذا خصوصيات المناطق المدروسة، يقصي شقا قد يكون أساسيا وهو واقع المتوفي في علاقته مع محيطه الجديد؛ ذلك لأن الموت بمثابة بوابة مفتوحة على عالم مرعب

بالنسبة للأحياء، تقطنه أرواح أجداد العائلة وما تبعها من كائنات، حرص الأهل، بمختلف الآليات (المراسيم) وبشتى أنواع المرفقات (وقائية، سحرية- طبية) على وقاية أقاربهم منها.

إن باشر القانون بمنع المساس بتمثال محاذ للقبر على أساس أنه تابع لفضاء تمتلكه الآلهة مانس، فليس عبثاً وإنما لأن المسألة تفوق ذاكرة المتوفي في ذهنية الأحياء وهي أقرب إلى عالم مجهول يجدر عدم تحديه. إن يربط فيبيوس غيميلوس نصب ابنه فيلوس بالعظام التي يحتضنها قبره، فليس للإعلان عن أن ابنه مدفون في ذات الموقع وإنما لأن القبر والمعلم مقدسين. من هذا المنطلق، ترتقي الطقوس والمراسيم إلى مصف يخضع له الجميع ولا يتلاعب به إلا من يجهل عواقبه.

قد يتيح اعتبار الطابع الطقوسي في حوار المجازي، سواء تعلق الأمر بالأثاث المتوفر أو بمحتوى المعالم التذكارية، فرصة طرح تساؤلات تُبعد الأحياء عن مركز الإهتمامات لصالح المتوفين. يبدو لنا أن أهم عنصر يتمثل في المتوفي ومصيره المشؤوم إن تم التهاون أو المساس بحرمة روح أجداده، في فضاء يُعد ملكاً لها. نطرح نفس الإشكالية بالنسبة للأطفال.

في هذا الصدد، نعزز قراءة الباحثين ومن ضمنهم إ.د. بابايكونومو حين تربط الإبزيم في قبر طفلة في سن الزواج (12- 14 سنة) بمصفا كزوجة أو كأم فقدت جنينها جراء حادثة إجهاض أو عملية توليد غير موفقة، لكن تضعنا تلك الفرضية في ذات الوقت أمام أمل مجهض بينما المتوفي على أبواب البعث ومن ثمة، فما فائدة ربط الإجهاض بالمتوفية. تنطبق نفس الملاحظة على الرضاعة المتواجدة في قبر طفل في سن الفطم والتي قد تشير فعلاً إلى مصفه حين توفي، لكن أثبتت الأبحاث المخبرية في بعض المواقع ملئها باللحيب، مما يحيلنا، في كلتا الحالتين، إلى التساؤل عن دور المخلفات: هل هو خطاب أمل أو صورة تعكس الإخفاق؟ سبق وأن أشرنا إلى أن نيب الخنزير، الذي عُثر عليه في القبر رقم 40 بمدينة تيبازة، لا يحمل تقبا وبذلك، فلم يتم حمله كطلمس من طرف المتوفي. لا نرى هنا أيضاً حجة في توفره باعتبار من جهة، أن المتوفي لم يستعمله ومن جهة ثانية، أن الوظيفة الوحيدة للضرس تتمثل في حماية الطفل "خلال مرحلة التسنين" قصد تفادي "الوفاة".

من زاوية ثانية، فإن أخذنا بأن الأثاث المتوفر في القبور يعكس مستلزمات المتوفي في الحياة الأخرى والتي اعتاد على اللجوء إليها في حياته اليومية، فما فائدة وجود أثاث على الإطلاق في قبور أطفال لم يبلغوا بعد مرحلة التماسك الجسدي والتحكم الحركي ولا حتى النضج المعرفي. نشير إلى أنها المحددات التي انجرت عنها كل المصطلحات ذات الطابع السلبي التي تطرقنا إليها في الجزء النظري من البحث ومن ضمنها مصطلح *INFIRMITAS* (غياب الاكتمال الحركي)، *DEBILITAS* (غياب النضج المعرفي) و *In fans* (الغير ناطق).

نحتمل أن تحمل تلك المخلفات حوارا مجازيا يُعبر عن أمل يضمّد جرح استياء دام لدى الأهل أمام إخفاق الطفل من جهة في إتمام مرحلة التسنين أو الفطم أو من جهة ثانية، أمل أمومة موفقة؛ لكن لا يُعقل أن يتم تجسيد ذلك الأمل بتوفير أثاث يعكس أسوأ ما حدث. ما نأمل للمتوفي هو عالم أفضل يتاح له فيه ما حرم منه حيا.

يعزز ما سبق ذكره، فضلا عن المفاهيم الإيكولوجرافية أو النقائش، ما أتى في مقولة تريتوليانوس والتي أشرنا إليها في مقدمة البحث، أين يرد أنه في المعتقد الجماعي، يبقى المواليد الجدد عند مدخل عالم الهادس ريثما استوفوا ما تبقى لهم من العمر الذي كان من المفروض أن يقضوه. نفهم كذلك من حدة حسرة الوالدين على بعض النقائش وفي عتابهم للقضاء والقدر أنهم في رفض تام للواقع بحيث لا يمكن للموت أن تلقى عذرا لدى الأحياء وذلك إلى حد اليوم، إلا إن كانت مستحقة، تأتي بعد إنهاء الكل مهامه في إطار ما يسميه كيكرو بالموت الطبيعية (*Mors naturalis*).

على هذا الأساس ومع التركيز على أهمية الواقعية، نبذ الرومان لطلق العنان لمشاعر الحداد وكون النصب بمثابة معلم طقوسي مكرس للآلهة مانس بالدرجة الأولى، نقترح أن ما نراه على المشاهد والنقائش نابع من أساليب صورية ونسخية مقننة أو من معادلة طقوسية تحمل رسالة موجة للآلهة أكثر منه إلى الأحياء وأن مفادها يفوق مجرد رفض للقدر وإنما قناعة، إن لم تكن بوجود فرصة ثانية يتسنى فيها للأطفال إتمام ما خُلقوا لأجله، فعلى الأقل، بقدر الآلهة على تعديل الأمر والدليل على ذلك، الدعاء الصريح الذي وجهه بروكلوس للحرورية نيزا، مطالبا إياها أن تمنحه الطفولة الأبدية وكأنها قادرة على ذلك.

نشير مجدداً إلى أوسونيوس، الذي، في رثائه لأخته أيميليا ميلانيا، التي توفيت في حوالي السنة الأولى والنصف من العمر، يحث أخته على صيانة شرف مانس الوالدين، بما أنها سبقته إلى العالم الثاني. نتساءل عن خلفية تلك الوصية إن اعتبرنا سن أيميليا من جهة وإن أخذنا من جهة ثانية بفكرة أنها ستبقى على الهيئة التي كانت عليها لما اختطفها الموت، بينما تزن وصية أوسونيوس كامل ثقلها إن كان مصير أيميليا أن تتم مسارها نحو سن يسمح لها بتكريم ذاكرة والديها.

قد يفسر ذلك ما نراه على المشاهد من تناقض بين السن والهيئة، الصفات التي لا تتفق وسن المتوفي، الحرص على تسجيل الرابطة ولو بدرجة أقل، فضلا عن وجود مرفقات جنائزية في قبور أطفال لم يعتادوا بعد على استعمالها أو لا حاجة لهم بها، على غرار المرفقات ذات الطابع الطبي. تكون حينها مسألة الطفل في الإطار الجنائزي على صلة بالمصير أكثر من المصنف وإن عدنا إلى مقولة ترتوليانوس، فإتمام المسار شرط يسبق الإندماج في العالم الثاني، على الأقل بالنسبة للمواليد الجدد.

يؤول بنا ما سبق إلى:

نفي الفرضية الأولى المتعلقة بالموت المشؤومة في المواقع والحقب التاريخية المدروسة.

تعزيز الفرضية الثانية التي تربط المخلفات الأثرية وتفاصيل المعالم التذكارية بالمصير لكن مع متغيرين: من جهة، الذاكرة المسبقة ومن جهة ثانية، الطفولة الأبدية.

احتمال صحة الفرضية الثالثة الخاصة بوجود تقنين لآليات التعبير عن أمل إتمام المسار أو الطفولة الأبدية من خلال خطاب صوري ونسخي، يساهم الأحياء في ترسيخه من خلال المراسيم التذكارية، لكن مع توجيهه إلى الآلهة بالدرجة الأولى.

الرسومات البيانية

- 76.....الرسم البياني 1: عدد القبور التي تتوفر على الأثاث الجنائزي لدى فئة الأطفال
- 76.....الرسم البياني 2: نسبة توفر الأثاث لدى فئة الراشدين
- 77.....الرسم البياني 3: توزيع عدد الوفيات حسب فئة العمر
- 80.....الرسم البياني 4: توزيع الأثاث الجنائزي حسب فئات العمر
- 81.....الرسم البياني 5: توزيع الحلي حسب الفئات
- 84.....الرسم البياني 6: تموضع الأثاث الجنائزي لدى فئة الأطفال حسب الموقع في القبر
- 85.....الرسم البياني 7: توزيع أثاث قبور الراشدين حسب الموقع في القبر
- 91.....الرسم البياني 8: توزيع الأثاث المتواجد في الغرفة الجنائزية حسب فئات العمر
- 91.....الرسم البياني 9: توزيع الأثاث المتواجد خارج الغرفة أو في الردم حسب فئات العمر
- 94.....الرسم البياني 10: تموضع الأواني والمصابيح في القبر لدى فئة الأطفال
- 96.....الرسم البياني 11: توفر المصابيح في قبور الأطفال
- 97.....الرسم البياني 12: توزيع المصابيح في قبور الأطفال حسب فئات العمر
- 98.....الرسم البياني 13: تموضع المصابيح في قبور الأطفال
- 100.....الرسم البياني 14: رسم بياني يوضح الفارق بين عدد المصابيح لدى فئة الأطفال والراشدين تماشيا وعدد القبور
- 108.....الرسم البياني 15: توزيع تقنيات حماية القبور حسب فئات العمر
- 111.....الرسم البياني 16: توزيع عمق القبور لدى فئة الأطفال حسب فئات العمر
- 112.....الرسم البياني 17: توزيع قبور فئة الراشدين وفقا لعمق القبور
- 112.....الرسم البياني 18: توزيع قبور الفئتين حسب العمق
- 115.....الرسم البياني 19: مخلفات المراسيم التذكارية حسب فئة العمر في قبور الأطفال
- 135.....الرسم البياني 20: توضيح للفارق ما بين قبور الأطفال التي تتضمن أثاثا وتلك التي تخلو منه
- 138.....الرسم البياني 21: عدد عناصر الأثاث المتوفر في قبور الأطفال
- 139.....الرسم البياني 22: توزيع الأثاث الجنائزي حسب الأهمية العددية
- 145.....الرسم البياني 23: توزيع الأثاث حسب الوضعية التي وُجد عليها في القبر

- 146..... الرسم البياني24: نسبة توفر أثار المرافقة وأثار الفصل
- 151..... الرسم البياني25: توزيع نسب القبور حسب النوع
- 151..... الرسم البياني 26: توزيع نسب قبور الأطفال في كل نوع مقارنة بالعدد الإجمالي للقبور
- 153..... الرسم البياني 27: توزيع عدد قبور العينة التجريبية في كل نوع من القبور مقارنة بالعدد الإجمالي للقبور
- الرسم البياني28: توزيع القبور التابعة للفئة الأطفال (اللون الفاتح) والعينة التجريبية (اللون القاتم) حسب نوع القبر
- 154.....
- 156..... الرسم البياني 29: عدد مخلفات المراسيم التذكارية والفارق بين فئة الأطفال والعينة التجريبية
- 158..... الرسم البياني30: توزيع أهم الرموز ذات الرمزية الجنائزية
- 172..... الرسم البياني 31: توزيع الأثار والحلي في قبور النمطين III-A و III-B
- 172..... الرسم البياني32: نسبة الأثار المتوفر في قبور الأطفال
- 185..... الرسم البياني33: توزيع الأثار الجنائزي المتوفر في المقبرة الشرقية
- 186..... الرسم البياني34: توزيع الأثار المكسور، الشقوق والقطع
- 188..... الرسم البياني 35 : نسبة توفر الأثار الكامل والمكسور بما في ذلك القطع والشقوق
- 191..... الرسم البياني36: الأثار المتوفر في قبور حملة 1969
- 194..... الرسم البياني37: توزيع الأثار الجنائزي حسب العدد والنوع
- 202..... الرسم البياني 38: توزيع الأثار الجنائزي حسب النوع
- 202..... الرسم البياني39: نسب توضح تشتت الأثار الجنائزي بالمقبرة الغربية
- 203..... الرسم البياني40: توزيع الأثار الجنائزي في قبور الأطفال
- 212..... الرسم البياني41: توفر وانعدام الأثار حسب الفئات
- 213..... الرسم البياني42: توزيع الأثار الجنائزي الإجمالي (بالإضافة إلى مسامير نعوش)
- 215..... الرسم البياني43: توزيع الأثار في قبور الأطفال
- 340..... الرسم البياني44: الأثار الجنائزي المتوفر في مقابر مدينة تيبازة ما بين القرن الأول ق.م والأول ميلادي
- 340..... الرسم البياني45: الأثار الجنائزي المتوفر في قبور الأطفال ما بين القرن الأول ق.م والقرن الأول ميلادي
- 342..... الرسم البياني46: توزيع الأثار الجنائزي في مجمل مقابر مدينة تيبازة خلال القرنين الثاني والثالث ميلادي
- 343..... الرسم البياني47: توزيع الأثار الجنائزي لدى فئة الأطفال بمدينة تيبازة خلال القرنين الثاني والثالث ميلادي
- 346..... الرسم البياني48: توزيع اللؤلؤات لدى فئة الأطفال
- الرسم البياني49: توضيح مكانة المصابيح والقطع النقدية مقارنة بالقلال ما بين القرن الأول ق.م والقرن الأول ميلادي
- 353.....

- الرسم البياني 50: توضيح مكانة المصابيح والقطع النقدية مقارنة بالقلال خلال القرنين الثاني والثالث. 354
- الرسم البياني 51: نسب توفر المصابيح والقلال في مجمل مقابر مدينة تيبازة. 355
- الرسم البياني 52: منحى لتوفر النقائش حسب الفئات. 385
- الرسم البياني 53: نسب الجنس على مستوى مقاطعتي نوميدا وموريتانيا القيصرية. 386
- الرسم البياني 54: نسب ظهور أو انعدام الرابطة في المقاطعتين. 390
- الرسم البياني 55: الرابطة في كل مقاطعة. 390

المخططات

- المخطط 1: مخطط مقبرة بويوت (حمامات. تونس). على اليمين، مخطط يوضح انتظام الفضاءات المسيجة على مستوى المنطقة الوسطى للمقبرة. 53
- المخطط 2: المقبرة الشرقية محاطة بالأسود؛ 2- المقبرة الشمالية؛ 3- سور القرن الرابع ميلادي؛ 4- القلعة البيزنطية؛ 5- المعبد الغربي؛ 6- حي البازيليكات؛ 7- حمامات فينوس؛ 8- "المنزل المحترق" 9- السيرك. 62
- المخطط 3: المنطقتين أ وب. المنطقة أ محاطة بلون فاتح؛ المنطقة ب محاطة بلون قاتم. 64
- المخطط 4: موقع المنطقتين أ و ب مع درجة الإنحدار على محور شمال-جنوب. 65
- المخطط 5: موقع المنطقة ب مع درجة الإنحدار على محور شرق-غرب إلى غاية الجدار الغربي لسور القلعة. 66
- المخطط 6: أنماط القبور خلال مرحلة الدفن البدائية. 68
- المخطط 7: تكثف القبور خلال مرحلة الدفن البدائية وامتزاج الفئتين تدريجيا. 122
- المخطط 8: تموضع قبور مرحلة الترميد وتنظيمها من خلال الممرات (الخطوط المنقطعة)، الأنصاب (المثلثات) وموائد القرابين (المربعات). 129
- المخطط 9: مدينة تيبازة والمقابر التي تحتضنها. على اليمين، مساحة اتساع المقبرة الشرقية. 181
- المخطط 10: توزيع جزء من القبور تحت منزل اللوحات الجدارية وعلى الكارديو المحاذي. 192
- المخطط 11: موقع المقبرة البونية الغربية خارج السور الأنطونيني. 199

الصور

- الصورة 1: نقيشة كوينتوس أيلبوس فيليكس، أين وُجهت أمنية للزائر في أن يتلقى رعاية "الإلهة" شرط أن لا ينتهك حرمة القبر. 55

- الصورة 2 : لمحة عن التعقيدات التي تخص بعض قبور المقبرة الشرقية: في الصورة، تداخل القبور رقم 308 - 309 - 310 (المرحلة المتأخرة) بحيث تم استئصال حوض هيكل القبر رقم 308 والذي عُثر عليه في القبر رقم 309 الذي بدوره هُدم جزئيا خلال حفر القبر رقم 310 66
- الصورة 3: نموذج توضيحي لتموضع الأثاث (من تصرف الطالبة)..... 95
- الصورة 4: زوج لقاعدة حذاء شخص راشد وُضع في قبر طفل (لم يتبق من القاعدة إلا المسامير) 104
- الصورة 5: مقطع من اللوحة الجدارية لقبر الملك سينيجم بمدينة طيبة. العائلة الملكية التاسعة عشرة. التأريخ: 12/13 ألف سنة ق.م 160
- الصورة 6 : نصب بارز لمدينة كيراتيبي (جنوب تركيا حاليا) يشتمل على نحت بارز لإلهة ترضع صبغرا تحت نخلة. التأريخ: القرن السابع ق.م 161
- الصورة 7 : آنية أتيكية من نوع "PYXIDE" تمثل الإلهة ليتو ماسكة بشجرة نخيل وهي تنجب الإلهين أبولو وأرتيميس. التأريخ: القرن الرابع ق.م 162
- الصورة 8: الجزء العلوي من رمز الصليب، منحوت على إحدى حجارة القبر رقم 259..... 171
- الصورة 9: عناصر من الحلبي وأدوات الزينة المتوفرة في القبر رقم 255 175
- الصورة 10: مسامير القبر 240 (أقصى اليسار)، مسمار القبر رقم 261 (في المركز) والقدر المقلوب على آنية الطهي في القبر رقم 244..... 175
- الصورة 11: على اليمين مسمار القبر رقم 261. على اليسار، مسامير القبر رقم 40 بمقبرة LA CALADE بفرنسا 177
- الصورة 12: وضعية القبر ز. 4 م التابع لطفلة من فئة 7-10 سنوات 200
- الصورة 13: تجانب قبور الراشدين (ي. 12 و ي. 3) وقبر الطفل الأنفوري على يمين الصورة (ي. 4) 205
- الصورة 14: الأثاث الجنائزي التابع للقبر رقم ز. 4 (7-10 سنوات) باستثناء الخاتم 206
- الصورة 15: معلم جنائزي لطفلة تبلغ من العمر 6 أشهر يوضح نهاية التقييط وارتداء ستارة تصل إلى الوركين .. 226
- الصورة 16: "الطفل الحامل للبول" 229
- الصورة 17: نحت من قبر عائلة هاتيري، يجسد مشهد جنازة لامرأة من العائلة محاطة بحاملي الحداد والعبيد يرثون المتوفية بضرب الصدر والترجي الجماعي 242
- الصورة 18: نحت بارز يمثل الوالدين والابن في الخلفية في هيئة تذكر بالقتاع الجنائزي لأجداد العائلة. متحف الفاتيكان. روما 246
- الصورة 19: نحت بارز لسيكوندوس، عامين و6 أشهر 246
- الصورة 20: جذع لطفل بملامح الطفولة يرتدي معظفا مثبت بإبزيم 247
- الصورة 21: نماذج لمسامير سحرية (على اليسار)، الإلهة أثروبيوس، تشير إلى رأس ميلياغروس بمسمار(على اليمين). إلهة النصر تحمل بيدها مسمارا موجهها نحو غنيمة كرمز لواقع غير قابل للتغيير (في الوسط)..... 348

- الصورة 22: على اليمين، نحت لملاحم الرجل المتوفي على جسد امرأة بعد محو الوجه 363
- الصورة 23: على اليسار، اختيار المتوفية العمدي للمشهد على يمين المعلم بينما كان المشهد الأثنوي على اليسار
- متاحا 363
- الصورة 24: مشهد بارز على نصب نذري لمولود جديد يرتدي قماطة مثبتة بإبريم. 365
- الصورة 25: تابوت طفل متوفي محاط بألهة الإلهام. 372
- الصورة 26: مشهد على إحدى واجهات تابوت من مدينة تبرسق (تونس)، يمثل تمثالا نصفيا لطفل في كوة دائرية من نوع كليبيوس محمول بزوج من الإيروتاس المجنحة. 376
- الصورة 27: تابوت الطفل التابع لمدينة سوسة: التاريخ: حوالي 225م. 377
- الصورة 28: تمثال نصفي للطفلة أغريبينا، 12 سنة. التاريخ: نهاية القرن الثاني ميلادي. 381
- الصورة 29: مشهد فيلوس، ابن فيبيوس غيميلوس 406

الجدول

- الجدول 1: نصوص قانونية تنظم كيفية تسيير القبور ومختلف الممنوعات 37
- الجدول 2: القوانين المنظمة لمصف الجنين والطفل في القانون الروماني 40
- الجدول 3: عدد القبور الإجمالي للمراحل الثلاثة بالمقبرة الشرقية وعدد قبور الأطفال في كل مرحلة 67
- الجدول 4: قبور مرحلة الدفن البدائية مصحوبة بالأثاث الذي سمح بالتأريخ. 68
- الجدول 5: توزيع الأثاث الجنائزي حسب فئات العمر 79
- الجدول 6: نماذج لحماية قبور فئة الأطفال 107
- الجدول 7: أنماط القبور خلال مرحلة الترميد والتأريخ وفقا للمخلفات الفخارية 130
- الجدول 8: وصف لأنواع القبور وفقا لكل نمط. 132
- الجدول 9: توزيع الأثاث الجنائزي في قبور الأطفال 188
- الجدول 10: توزيع الأثاث في قبور الأطفال حسب النوع 195
- الجدول 11: مقارنة لنسب توفر المصابيح، القطع النقدية والقارورات بمقابر مدينة قرطاجة ابتداء من القرن الخامس إلى غاية القرن الثالث ق.م. 350
- الجدول 12: مقارنة بين المرفقات الجنائزية لمقبرة مدينة سطيف ومقابر مدينة تيبازة (اللون الفاتم يمثل المجموع وكذا أثاث وقاية أو حماية المتوفي) 356
- الجدول 13: تفاصيل نقائش فئة الأطفال بمقاطعة نوميديا 392
- الجدول 14: تفاصيل نقائش فئة الأطفال في مقاطعة موريتانيا القيصرية 393
- الجدول 15: الصفات التي لا تتفق وسن المتوفين 394

المقاطع

- المقطع 1: نموذج لقبور أنفورية مخصصة لفئة الأطفال. الفضاء الجنائزي رقم 17. مقبرة بوبوت (الحمامات).....53
- المقطع 2 : مقطع للمنطقتين أ وب : على أقصى اليمين، سطح الأرضية قبل التنقيبات. الرقم 1 على اليسار بمثابة الردم؛ الرقم 2 طبقة المرحلة المتأخرة؛ الخط المتقطع يمثل مستوى انطلاق حفرة 1966؛ الرقم 3: طبقة مرحلة الترميد (المرحلة الوسيطة) وطبقة مرحلة الدفن البدائية.....65
- المقطع 3 : على الجهة اليسرى، رف عمودي لمختلف تقنيات غلق القبور البثرية في كل من صيدا، إيبوزوس (إيبيريا) وقرطاجة؛ على اليمين، رف عمودي للقبر رقم 38، مرحلة الدفن البدائية بالمقبرة الشرقية لمدينة سطيف70
- المقطع 4: نماذج لأنماط القبور البثرية المصرية.....71
- المقطع 5 : مخططات لنماذج من القبور البثرية القرطاجية: النمط VI-I71
- المقطع 6: القبر رقم 18 (بضعة أشهر) : لوحات حجرية من نوع الشيست مغطاة بحجارة أكثر سما وعرضا.....106
- المقطع 7: القبر رقم 2(بضعة أشهر) : لوحات حجرية مسطحة موضوعة بشكل مائل على الغرفة الجنائزية.....106
- المقطع 8: القبر رقم 13 صناديق حجرية من الكلس مغطاة بقطع من القرميد المسطحة والمتجانبة+ قطع فخارية من نوع التيغولا+ تراب الردم (طين وكلس)107
- المقطع 9: القبر رقم 14 (جنين أو مولود جديد): كوم من الحجارة الكبيرة الحجم تسد الغرفة الجنائزية والقبر.....106
- المقطع 10: القبر رقم 12 (فئة 1-2 سنة): لوحة حجرية تسد الغرفة الجنائزية تعلوها تغطية طينية عازلة مزودة بحاشية طينية على الجوانب.....106
- المقطع 11: القبر رقم 31 (فئة الرضع): قبر محمي بسقف مسنم مثبت بإطار من الحجارة على الجانبين ة تعلوه لوحة تيغولا.....106

المقطع 12: القبر رقم 30 (مولود جديد): لوحة من الطين فضلا عن تغطية من الحجارة.....107

المقطع 13 : التوزيع الطبقي للقبور (محور شرق -غرب).....205

الخرائط

الخريطة 1: مواقع أهم أنهار عالم الأموات المتوفرة جغرافيا (بلاد الإغريق)..... 32

الخريطة 2: خريطة مواقع المقابر المذكورة والمدروسة في الأطروحة.....59

الخريطة 3: توزيع النقائش على بعض مواقع مقاطعتي نومديا وموريتانيا القيصرية لتوضيح

الكثافة.....383

الرفع الأثري

الرفع 1: رفع أفقي (على اليمين) وعمودي (على اليسار) لمكان تشوه القبر رقم 156 بفعل اختراقه من طرف القبر رقم

235.....147

الرسومات

الرسم 1: أنية من نوع *Askos* عُثر عليها في قبر طفل. رقم 3.....101

الرسم 2: التركيبية النظامية على اليمين/ التركيبية الظرفية على اليسار.....123

الرسم 3: نماذج للأثاث المتداول في قبور الأطفال خلال مرحلة الدفن البدائية.....123

الرسم 4: عناصر الحلي وأدوات الزينة.....127

الرسم 5: إيزيم غير كامل (القبر رقم 171).....149

الرسم 6: تركيبية الأثاث النظامي (في الأعلى) والظرفي (في الأسفل) خلال مرحلة الترميد.....165

الرسم 7: الأثاث المتوفر في القبر رقم 30 مكرر (طبقتين).....189

الرسم 8: عنصرين من الأثاث المتوفر في القبر 6 مكرر(قرط فريد ولؤلؤة عنبر كبيرة الحجم وذات اللون

الأسود).....189

- الرسم 9: الأثاث المتوفر في القبر رقم 53 (طبقين مكسورين، قلة مكسورة معادة التشكيل، شظايا طبق ووعاء).....190
- الرسم 10: الأثاث المتوفر في القبر رقم 33.....197
- الرسم 11: الأثاث المتوفر في القبر رقم 7.....198
- الرسم 12: ضريح الطفل كورنيليوس ستاتيوس، يوضح مختلف مراحل العمر خلال الطفولة. على اليسار، الستارة التي تأتي فوق القماطة.....226

قائمة المصطلحات

الفرنسية	اللاتينية	العربية
Banquet public	<i>Epulum</i>	المأدبة العامة
Supplications	<i>Supplicatio</i>	الترجي
Apothéose	<i>Apotheosis</i>	التأليه
Art mémoriel	<i>Ars memoriae-ars memorativa</i>	فن الذاكرة
Bijoux-Ornements	<i>Ornatus</i>	الحلي
Bûcher funéraire	<i>Roga- Bustum – Ustrinum</i>	المحطبة
Bustum (tombeau-Bûcher)	<i>Bustum</i>	محطبة بداخل القبر
Cantonement		العزل الطوبوغرافي
Catalyseur mémoriel		محرك تذكاري
Conduit à Libation		قناة الإراقة-أنبوب الإراقة
Cortège funèbre	<i>Pompa funebris-Funus</i>	الموكب الجنائزي
Couverture de la tombe		تغطية القبر
Crémation	<i>Pyra-Bustum</i>	الترמיד
Cremation urns	<i>Urna</i>	المرمدة (ات)
Decubitus		الوضعية الممدودة على الظهر
Decubitus latéral droit		الوضعية الممدودة اليمنى
Decubitus latéral gauche		الوضعية الممدودة اليسرى
Dépôts alimentaires		الإيداعات الغذائية
Deuil	<i>Luctus</i>	الحداد
Deuillants	<i>Successores</i>	حاملي الحداد

Enclos		فضاء جنازي مغلق (مسيح) - سياج
Espace sacré/ interdit de la tombe	<i>Locus religiosus</i>	فضاء القبر المقدس أو المحرم
Famille purifiée	<i>Familia pura</i>	العائلية النقية
Famille souillée	<i>Familia funesta</i>	العائلة الملطخة بنجاسة الموت
Figure en médaillon	<i>imago clipeus</i>	مشهد مقلد
Formule de consécration		عبارة التكريس
Funérailles-obsèques	<i>Funus</i>	الجنائز
Gestes funéraires		خطوات الفعل الجنائزي
Habit de matronne	<i>Habitus matronalis</i>	رداء ربة البيت
Inhumation	<i>Humatus</i>	الرمس
Inhumation en fosse (en pleine terre)		الدفن
Inhumation à amphore/ Enchytrisme	<i>Enchytrismos</i>	القبر الأنفوري
Jeux funèbres	<i>Ludi funebres</i>	الألعاب الجنائزية
Lamentation	<i>Lamentatio</i>	الرتاء
Lampes	<i>Lucerna</i>	المصابيح
libation	<i>Libatio</i>	الإراقة
Médaillon	<i>Clipeus</i>	
Mémoire	<i>Monumentum</i>	الذاكرة- الإسم
Mobilier céramique		المرفقات الفخارية
Monnaies		القطع النقدية (العملات)
Mort âpre	<i>Mors acerba</i>	الموت المرة
Mort naturelle	<i>Mors naturalis</i>	الموت الطبيعية
Mort précoce	<i>Mors immatura</i>	الموت المبكرة
Nodus	<i>Nodus</i>	النتوء الوسطي
Offrandes		القرابين

Pratique funéraire		الممارسة الجنائزية
Pratiques funéraires		الممارسات الجنائزية
Procubitus		الوضعية البطنية
Repas de la neuvaine/ Neuvaine	<i>Novemdialis cena</i>	مأدبة اليوم التاسع
Repas funéraire	<i>Silicernim</i>	المأدبة الجنائزية
Restes carpologiques		بقايا الإيداعات النباتية
Restes de bûcher		نفايات المحطبة
Restes fauniques		بقايا الإيداعات الحيوانية
Restes osseux-Vestiges osseux		البقايا أو المخلفات العظمية
Restes-vestiges		البقايا- المخلفات
Rite	<i>Ritus</i>	الطقس
Rite d'enclouage		طقس التسمير
Rites funéraires		الطقوس الجنائزية
Pratiques funéraires		المراسيم الجنائزية
Sacrifice de la neuvaine	<i>Novemdiale sacrificium</i>	أضحية اليوم التاسع
Sépulture-Tombe	<i>Sepultura- sepulcrum</i>	القبر
Stéréotype figuratif		القولبة الصورية-الصورة النمطية
structure à crémation primaire		هيكل الحرق الأولي
Structure à crémation secondaire		هيكل الحرق الثانوي
Toge prétexte	<i>Toga praetexta</i>	التوجة برايتيكستا
Toge virile	<i>Toga virilis</i>	توجة الرجال/ توجة سد الرشد
Tunique	<i>Tunica</i>	الستارة
Tunique intérieure	<i>Tunica interior</i>	الستارة الداخلية
Transfert des corps	<i>Translatio corporis</i>	نقل الجثة
Fiole à onguent- balsamaire	<i>Unguentarium - Balsamarium</i>	قنينات - أنجنتريا- بلسماريا
Ustrinum	<i>Ustrinum</i>	محطبة خارج القبر
Vaisselle céramique		الأواني الفخارية

Droit religieux	<i>Religiosa Iura</i>	قانون المسائل الدينية
Os resectum	<i>Os resectum</i>	العضم المستأصل
Violation de sépulcre	<i>Violatio sepulchrae</i>	انتهاك حرمة القبر
Temps de Deuil	<i>Tempus lugendi</i>	فترة الحداد
Biens non appropriables	<i>Nullius in bonis</i>	غير قابلة للملكية
Munera	<i>Munera</i>	إهداء ألعاب
Comput digital		التعداد اليدوي
Tabula ansata	<i>Tabula ansata</i>	اللائحة ذات المقبضين
pudeur	<i>Pudicitia/Pudor</i>	العفة
	<i>Raptus</i>	الخطف
Sort	<i>Fatum</i>	القضاء والقدر
Mort/ Calamité/ Malchance	<i>Casus</i>	المصيبة
Regretté/ Perdu	<i>Desideratus</i>	الحنين إلى المفقود
Chagrin/ Mélancolie	<i>Aegritudo</i>	الكآبة / الحزن
Supplications	<i>Supplicatio</i>	ترجي الآلهة
Planctus	<i>Planctus</i>	ضرب الصدر

Jeux du neuvième jour	<i>Novemdialis ludi</i>	ألعاب اليوم التاسع
Repas du neuvième jour	<i>Cena novemdialis</i>	مأدبة اليوم التاسع
Repas funèbre	<i>Silicernium</i>	المأدبة الجنائزية
Temps officiel de deuil	<i>Feriae denicales</i>	مرحلة الحداد الرسمية
Famille souillée	<i>Familia funesta/ funestata</i>	العائلة الملطخة بنجاسة الموت
Spontanéité	<i>Virginalis verecundia</i>	العفوية المطلقة
	<i>Matronalis gravitas</i>	هيبة ربة البيت
Mollesse	<i>Mollitia</i>	الارتخاء
Habit de matrone	<i>Habitus matronalis</i>	لباس ربة البيت
Tunique	<i>Tunica</i>	التونيك
Vêtement	<i>Vestis</i>	اللباس
Déshabillé/ Adolescent glabre	<i>Investis</i>	العري
Monument commémoratif/ funéraire	<i>Monumentum</i>	معلم تذكاري أو جنائزي
Lamentation funèbre	<i>Conclamatio</i>	الرتاء الجماعي
Talisman noué/ Amulette nouée	<i>Ligatura</i>	الطلسم المعقود
Amulette/Talisman	<i>Amuletum</i>	الطلسم

Talisman prophylactique	<i>Praebia</i>	الحماية/الشفاء
Talisman apotropêque	<i>Rmedia/Fascinum</i>	العين/السحر
Immaturité cognitive	<i>Debilitas</i>	قلة النضج المعرفي
Immaturité musculaire	<i>Infirmetas</i>	قلة النضج الحركي
Vieillesse	<i>Senecta</i>	الشيخوخة
Adolescence	<i>Adolescentia</i>	المراهقة
Enfance	<i>Puertia/Pueritas</i>	الطفولة
Petite enfance	<i>Infantia</i>	الطفولة المبكرة
Esprits malfaisants	<i>Larvae</i>	الأرواح الشريرة
Justes noces	<i>Iustum matrimonium</i>	الزواج الشرعي
Expiatoire/ Acte expiatoire	<i>Piaculum/ piaculum operis faciundi</i>	التكفير
Pur	<i>Purus</i>	نقي
Sacré/ Frappé d'interdit	<i>Sacer</i>	مقدس/ممنوع
Profane/ Terrestre	<i>Profanus</i>	دنيوي
Inhumé	<i>Humatus</i>	المرموس
Portrait en médaillon	<i>Imago clipeus</i>	المشهد المقلد

القائمة الببليوغرافية

قائمة المصادر

- Apulée**, *Les métamorphoses*: III (D. Nisard Trad.). Firmin Didot. 1865.
- Aristote**, *Histoire des animaux*: VII (J. Barthélémy-Saint-Hilaire Trad.). Librairie Hachette et Cie. 1883.
- Aristote**, *Poétique et Rhétorique*: II (Ch. Emile Ruelle Trad.). Garnier Frères. 1922.
- Aristote**, *Traité de la mémoire et de la réminiscence* (J. Barthélémy-Saint-Hilaire Trad.). 1871.
- Aulu Gelle**, *Nuits attiques*: X (R. Marache Trad.). Les Belles-Lettres. 1978.
- Ausonius**. *Les parentalia* (E.F. Corpet Trad.). C.L.E. Panckoucke. 1842.
- Cicéron**, *De Legibus*: II (M. Nisard Trad.). Frimin Didot (Frères, fils et Cie). 1864.
- Cicéron**, *De Legibus*: I (M. Nisard Trad.). Frimin Didot (Frères, fils et Cie). 1864.
- Cicéron**, *De Senectute* (M. Nisard Trad.). Firmin Didot, frères, fils et Cie. 1874.
- Cicéron**, *De oratore*: II, (M. Nisard Trad.). Frimin Didot, Frères, Fils et Cie. 1869.
- Cicéron**, *Verrines*: V (M. Nisard Trad.). Frimin Didot (Frères, fils et Cie). 1869.
- Cicéron**, *Tusculanes*: I (M. Nisard Trad.). J.J.Dubrochet-Le Chevalier et Cie. 1848.
- Festus**, *De significatione verborum* (A. Savagner Trad.). C.L.F. Panckoucke. 1846.
- Fronton**, *Correspondances*: I (C. R. Haines Trad.). W. Heinemann- G. P. Putnam's Sons. 1919.
- Girard**, P. (1890). *Textes de droit romain publiés et annotés (Fragmenta Vaticani : De cognitoribus et procuratoribus, 321)*. A. Rousseau.
- Hippocrate**, *De la nature de la femme* (E. Littré Trad.). J.B. Baillière. 1854.
- Hippocrate**, *Du fœtus de 7 mois* (E. Littré Trad.). J.B. Baillière. 1854.
- Hippocrate**, *Du fœtus de 8 mois* (E. Littré Trad.). J.B. Baillière. 1854.
- Hippocrate**, *De la dentition* (E. Littré Trad.). J.B. Baillière. 1841.

Isidore de Séville, *Etymologies*: XI (S. Barney, W.J. Lewis, J.A. Beach, O. Berghof Trad.). Cambridge university press. 2006.

Les cinquante livres du Digeste de Justinien: XLVII (H. Hulot Trad.). Behmer et Lamort/ Rondonneau. 1803.

Lucain. *La Pharsale (Bellum civile)* (Marmontel Trad. complétée par M.H. Durand). Garnier Frères. 1865.

Macrobe, *Les Saturnales* (D. Nisard Trad.). Firmin Didot, frères, fils et Cie. 1875.

Martial, *Épigrammes*: X (V. Verger, N.-A. Dubois et J. Mangeart Trad.). Garnier frères, 1864.

Ovide, *Fastes* (M. Nisard Trad.), Paris, 1857. Nisard.

Ovide, *Les Amours*: I (M. Nisard Trad.). Paris, 1838: J-J. Dubrochet et Cie.

Ovide, *Les tristes*: III (M. Nisard Trad.). J-J. Dubrochet et Cie. 1838.

Pétrone, *Le Satiricon* (Ch. Héguin de Guerle Trad.). Garnier Frères. 1861.

Platon, *Lois*: XII (V. Cousin Trad.). Pichon et Didier. 1831.

Pline L'ancien, *Histoire Naturelle*: V (E. Littré Trad.). Dubrochet. 1850.

Pline L'ancien, *Histoire naturelle*: VII (E. Littré Trad.). Dubrochet-Le chevalier et Cie. 1848.

Pline L'ancien, *Histoire naturelle*: XVII (E. Littré Trad.). Dubrochet-Le Chevalier et Cie. 1848.

Pline L'ancien, *Histoire naturelle*: XXVIII (J.J.Dubrochet Trad.). Emile Littré. (1848-1850).

Pline L'ancien, *Histoire naturelle*: XXX (E. Littré Trad.). Dubrochet-Le Chevalier et Cie. 1850.

Pline L'ancien, *Histoire naturelle*: XXXIV (E. Littré Trad.). Dubrochet-Le Chevalier et Cie. 1850.

Pline L'ancien, *Histoire naturelle*: XXXV (E. Littré Trad.). Dubrochet-Le Chevalier et Cie. 1850.

Pline Le Jeune, *Lettres à Clemens*: IV, Lettre 2 (M. Nisard Trad.). Firmin, Frères, Fils et Cie. 1865.

Pline Le Jeune, *Lettres à Marcellinus* : V, Lettre 16 (M. Nisard Trad.). Firmin, Frères, Fils et Cie. 1865.

Plutarque, *consolation à sa femme* (Ricard Trad.). Charpentier. 1844.

Plutarque, *Les Symposiaques*: II (V. Bétolaud Trad.). Hachette. 1870

Plutarque, *Questions romaines*: II (Ricard Trad.). Charpentier. 1844.

- Plutarque**, *Vie des hommes illustres: Numa* (A. Pierron Trad.). Charpentier. 1853.
- Polybe**, *Histoires: VI* (D. Thuillier Trad.). Anselin. 1856.
- Propertius**, *Les Elégies* (M. De La Roche-Aymon Trad.). Quantin. 1885.
- Quintilien**, *Institution oratoire* (M. Nisard Trad.). Firmin, Frères, Fils et Cie. 1875.
- Saint Augustin**, *De civitate dei* (Bar-le-Duc Trad.). L. Guérin et Cie, 1869.
- Saint Augustin**, *Les Confessions* (J. Trabucco Trad.). Garnier Frères. 1964.
- Sénèque le Jeune**, *Consolation à Helvia*, (J. Baillard Trad.). Hachette. 1914.
- Sénèque**, *Consolation à Marcia* (J. Baillars Trad.). Hachette. 1914.
- Sénèque le jeune**, *De la providence* (J. Baillard Trad.). Hachette. 1914.
- Sénèque le jeune**, *Lettre à Lucilius* (J. Baillard Trad.). Hachette. 1914.
- Statius**, *Silves: I-IV* (J. H. Mozley Trad.). W. Heinemann- G. P. Putnam's Sons. 1928.
- Suétone**, *Des grammairiens illustres* (M. Baudemet Trad.). J-J. Dubrochet-Le Chevalier et Cie. 1845.
- Suétone**, *Vie des douze Césars : Caligula*, (M. Cabaret-Dupaty Trad.). Garnier Frères. 1893.
- Suétone**, *Vie des douze césars: Auguste* (M. Cabaret-Dupaty Trad.). Garnier Frères. 1893.
- Tacite**, *Annales: II*, (J.L. Burnouf Trad.). Hachette et Cie. 1859.
- Tacite**, *Vie d'Agricola* (Ch.L.F. Panckoucke Trad.). Panckoucke. 1833.
- Tertullien**, *De anima* (A-E. Genoud Trad.). Louis Vivès. 1852.
- Ulpian**, *Tituli ex corpore Ulpiani, I*.
- Valère Maxime**, *Actions et paroles mémorables* (P. Constant Trad.). Garnier. 1935.
- Varron**, *De la langue latine: V* (M. Nisard Trad.). Firmin Didot, Frères, Fils et Cie. 1875.
- Virgile**, *Enéide: VI* (N. Nisard Trad.). Firmin Didot. 1868.

قائمة المراجع

Ariès, Ph. (1962). *Centuries of childhood, a history of family life* (R. Baldick Trad.). Alfred A. Knopf.

Bénichou-Safar, H. (1982). *Les tombes puniques de Carthage, topographie, structures, inscriptions et rites funéraires*. CNRS.

Benzina Ben Abdallah, Z. (1986). *Catalogue des inscriptions latines païennes du musée du Bardo*. Ecole Française de Rome.

Bianchi Bandinelli, R. (1970). *Rome, the Centre of Power: Roman Art to A.D. 200* (P. Green Trad.). Thames & Hudson.

Bouchenaki, M. (1975). *Fouilles de la nécropole occidentale de Tipasa (Matarès), 1968 – 1972*. Publication de la Bibliothèque Nationale.

Burkert, W. (1979). *Structure and history in greek mythology and ritual*. University of California press.

Burnett Grossman, J. (2001). *Greek funerary sculpture, catalogue of the collections at the Getty villa*. The J. Paul Getty Museum.

Camps, G. (1961). *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*. Arts et métiers graphiques.

Carroll, M. (2006). *Spirits of the Dead. Roman Funerary Commemoration in Western Europe*. Oxford

Carroll, M. (2018). *Infancy and earliest childhood in the roman world 'a fragment of time*. Oxford university press.

Commelin, P. (1937). *Mythologie grecque et romaine*. Garnier.

[Connerton, P. \(1989\). *How societies remember*. Cambridge university press.](#)

[Crubézy, E. \(2019\). *Aux origines des rites funéraires, voir, cacher, sacraliser*. Odile Jacob.](#)

Crubézy, E., Lorans, E., Masset, C., Perrin, F. Tranoy, L. (2007). *L'Archéologie funéraire*. Errance.

Cumont, F. (1942). *Recherches sur le symbolisme funéraire des Romains*. Geuthner.

Cumont, F. (1949). *Lux perpetua* (1^{ère} éd.). Librairie orientaliste Paul Geuthner.

De Chaisemartin, N. (1987). *Les sculptures romaines de Sousse et des sites environnants. Hergla, Henchir Zembra, Sidi Bou Ali, Chott Maria, Ain Gassa, El Kenissia, Sidi el Hani, Ksiba, Kedime, Knaiss, Lemta, Ras Dimas*. Rome. École Française de Rome (102).

Edmonds, J.M. (1924). *Lyra graecae*, Vol.2. W. Heinemann- J.P. Putnam's sons.
<https://archive.org/details/lyragraecabeingr02edmouoft/page/306/mode/2up>

Fejfer, J. (2008). *Roman portraits in context* (Vol.2). De Gruyter.

Frazer, J-G. (1922). *The golden Bough, a study in magic and religion*. Macmillan press.

Frel, J. (1981). *Roman portraits in the Getty museum*, in collaboration with Knudsen Morgan, S. Philbrook art center and the J.P. Getty Museum.

Grimal, P. (1986). *A concise dictionary of classical mythology* (Translated by A.R. Maxwell-Hyslop). Basil Blackwell.

Gsell, St. (1901), *Monuments antiques de l'Algérie*, Tome II. Fontemoing.

Gsell, St. (1927). *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Les royaumes indigènes, vie matérielle, intellectuelle & morale*, T. VI. Hachette.

Harris, W. V. (1991). *Ancient literacy*. Harvard university press.

Hopkins, K. (1983). *Death and Renewal* (Vol.1). Cambridge University Press.

Hopkins, K. (1971). *Conquerors and slaves. Sociological studies in roman history* (Vol.1). Cambridge university press.

Koch, G. (1995). *Frühchristliche Kunst, eine Einführung*. Kohlhammer.

Koortbojian, M. (1995). *Myth, meaning and memory on roman sarcophagi*. California university press.

Laes, Ch. & Strubbe, J. (2014). *Youth in the roman empire, the young and the restless years*. Cambridge University Press.

Lassus, J. (1981). *La forteresse byzantine de Thamugadi, 1. Fouilles à Timgad 1938-1956*. CNRS. https://www.persee.fr/doc/etaf_0768-2352_1981_mon_1_1

Leglay, M. (1966 b). *Saturne africain (monuments)* (T.2).CNRS.

Leveau, Ph. (1984). *Caesarea de Maurétanie, une ville romaine et ses campagnes*. Ecole française de Rome (70).

Lévy-Bruhl, L. (1925). *La mentalité primitive* (4^{ème}). Librairie Félix Lacan.

- Loraux, N.** (1998). *Mothers in Mourning: With the Essay of Amnesty and its Opposite*, from the (C. Pache Trad.). Cornell university press.
- Mander, J.** (1983). *Portrait of children on Roman funerary monuments* (éd.2013). Cambridge University Press.
- Mariette-Pacha, A.** (1882). *Le Sérapéum de Memphis*, publié d'après le manuscrit de G. Maspero. Wieveg.
- Marrou, H.** (1964). *Histoire de l'éducation dans l'antiquité* (1^{ère} édition, 1948). Seuil.
- Meslin, M.** (2001). *L'homme romain depuis les origines au Ier siècle de notre ère*. Complexe.
- Morris, I.** (1992). *Death ritual and social structure in classical antiquity* (P. A. Cartledge & P. D. A. Garnsey Trad.). Cambridge university press.
- Néraudau, J. P.** (1984). *Être enfant à Rome*. Les Belles-Lettres.
- Patera, M.** (2015). *Figures grecques de l'épouvante de l'antiquité au présent. Peurs enfantines et adultes* (Mnemosyne Supplements Vol. 376). Brill.
- Pierret, P.** (1882). *Livre des morts des anciens égyptiens* (P. Pierret Trad.). Ernest Leroux.
- Poinssot, L., & Lantier, R.** (1923). *Un sanctuaire de Tanit à Carthage*. Leroux.
- Prieur, J.** (1986). *La mort dans l'antiquité romaine* (1^{ère}). Ouest université.
- Rawson, B.** (2005). *Children and childhood in roman Italy*. Oxford University Press.
- Rénier, L.** (1855). *Inscriptions romaines de l'Algérie: recueillies et publiées sous les auspices de S.Exc. M. Hippolyte Portoul*. Imprimerie impériale.
- Scheid, J.** (2005). *Quando facere è cridere : il riti sacrificali dei romani* (B.Gregori Trad.éd. 2011). Laterza.
- Van Gennep, A.** (1909). *Les rites de passage, étude systématique des rites* (3^{ème} éd.). A. et J. Picard.
- Wiedermann, Th.** (1989). *Adults and children in the roman empire* (First ed.). Routledge revival.
- Yates, F.** (1999). *The art of memory (Selected works. V.III)*. Routledge.
- Zanker, P. & Ewald Björn, Ch.** (2012). *Living with myths: the imagery of Roman Sarcophagi* (J. Slater Trad.). Oxford university press.

Zanker, P. (1988). *The power of images in the age of Augustus* (A. Shapiro Trad.). Ann Arbor (The Michigan university press).

Zanker, P. (2010). *Roman Art* (H.Heitmann-Gordon Trad. 2^{ème} éd.). J. P. Getty Museum.

Wilems, P.G.H. (1888). *Le droit public romain: ou, Les institutions politiques de Rome depuis de la ville jusqu'à Justinien* (6^{ème} éd.). Ch. Peeters.

قائمة الدوريات والحواليات

Allély, A. (2018). Les enfants handicapés, infirmes et malformés à Rome et dans l'Empire romain pendant l'Antiquité tardive. *Pallas 106*, pp. 197-211.

<https://doi.org/10.4000/pallas.5691>

Allély, A. (2004). Anomalies du langage et de la parole et mutisme à Rome sous la République et le Principat. Approches religieuse, politique, sociologique et juridique, *Kentron 20*, pp.117-136. <https://doi.org/10.4000/kentron.1827>

Allély A. (2003). Les enfants malformés et considérés comme prodigia à Rome et en Italie sous la République. *Revue des Études Anciennes 105* (1), 127-156.

<https://doi.org/10.3406/rea.2003.5652>

Baradez, J. (1957). Nouvelles fouilles à Tipasa .Dans une nécropole païenne. *Libyca V*, 160-221.

Baradez, J. (1969). Nécropole orientale côtière de Tipasa de Maurétanie. *Ant. Af.* 3, 83-113. <https://doi.org/10.3406/antaf.1969.899>

Baroin, C. (2007). Techniques, arts et pratiques de la mémoire en Grèce et à Rome. *Mètis* (Dossier : Tekhnai/artes),135-160. <http://10.4000/books.editionsehess.2227>

Baroin, C. (2012). Genres et codes vestimentaires à Rome. *Clio 36*, 43-66. <http://10.4000/clio.10734>

Bel, V., Bonnet, Ch., Wittmann A., Vieugué J., Deberge Y., Georges P., Gisclon J-L., Blaizot F. (2009). La pratique de l'inhumation. *Gallia 66* (1), 15-87. <https://doi.org/10.3406/galia.2009.3372>

Belayche, N. (2013). Fonctions de l'écriture dans les inscriptions religieuses de l'Anatolie romaine : du *monumentum* à l'écriture efficace, *RHR 2*, 253-272. <https://doi.org/10.4000/rhr.8114>

Ben Abed, A., & Griesheimer, M. (2001). Fouilles de la nécropole romaine de Puppit (Tunisie). *CRAI 145*(1), 553-592. https://www.persee.fr/doc/crai_0065-0536_2001_num_145_1_16284

- Ben Younes, H.** (1988). La nécropole punique d'Elkhayma, seconde campagne de septembre 1985. *Reppal IV*, 49-59. <http://www.inp.rnrt.tn/periodiques/reppal/reppal4.pdf>
- Benichou-Safar H.** (2007). Iconologie générale et iconographie carthaginoise. *Antaf 43*, 5-46. <https://doi.org/10.3406/antaf.2007.1416>
- Bénichou-Safar H.** (2010). Un inédit du R.P. Delattre. *Antaf 46-48*, 35-54. <https://doi.org/10.3406/antaf.2010.1529>
- Bénichou-Safar, H.** (1988). Sur l'incinération des enfants aux tophets de Carthage et de Sousse. *RHR 205* (1), 57-67. <https://doi.org/10.3406/rhr.1988.1937>
- Bénichou-Safar, H.** (2002). Les Carthaginois sacrifiaient-ils vraiment leurs enfants ?. *Cahier des thèmes transversaux, ArScAn, II, Thème 6 : Rites, Cultes et Religions*, Paris, 2000-2001, 247-249 ou *Journal pour les droits de l'enfant 33* (1^{er} Trimestre 2008). <http://ame.enfant.org.free.fr/ame33.htm>
- Bérard, G.** (1963). La nécropole gallo-romaine de La Calade à Cabasse (Var). *Gallia 19* (1), 105-158. DOI : <https://doi.org/10.3406/galia.1963.2393>
- Berard, R-M.** (2014). L'objet dans les nécropoles mégariennes : réflexion méthodologique autour de la notion de « dépôt funéraire. *Pallas 94*, 103-122.
- Berbrugger, A.** (1933). Stèles et inscriptions de Gouraya. *RevAfr 74*, 54-74. <https://www.opu-dz.com/portal/fr/revue-africaine>
- Berbrugger, A.** (1860). Livret de la bibliothèque et du musée d'Alger. *RevAfr 4*, 220-228.
- Berbrugger, A.** (1865). Chronique : Visite de l'empereur à la bibliothèque et au musée d'Alger. *RevAfr 9*, 212-222.
- Bernard, C., Capone, S., Lenoir, F. et Champion, F.** (2001). Regards croisés sur le bricolage et le syncrétisme. *ASSR 114*, 61-66. <https://doi.org/10.4000/assr.20727>
- Berthon, A-A.** (2009). Les clous en fer de la nécropole des Dunes de Poitiers : contenants et pratiques rituelles dans un cadre funéraire antique. *Instrumentum 29*, 13-15. https://www.academia.edu/301641/Les_clous_en_fer_de_la_n%C3%A9cropole_des_Dunes_de_Poitiers_Vienne_F_contenants_et_pratiques_rituelles_en_contexte_fun%C3%A9raire_antique
- Beschaouch A.** (1980). Saturne ou plutôt une divinité africaine inconnue ? (A propos d'une stèle votive de la région de Thignica (Aïn-Tounga), en Tunisie). *AntAf 15*, 125-134. <https://doi.org/10.3406/antaf.1980.1039>
- Birchler Émery, P.** (2018). Entre vieux sages et mendiants émaciés : la mise en images de la vieillesse en Grèce archaïque, *CEA 55*, 37-64. <https://journals.openedition.org/etudesanciennes/1047#quotation>

- Blaizot F.** (2009). – L'image sociale et culturelle des pratiques funéraires : expressions et évolutions de la société romaine dans le sud-est de la Gaule. Chapitre VI. *Gallia* 66, fascicule 1, 311-343. Pratiques et espaces funéraires dans le Centre et le Sud-Est de la Gaule durant l'Antiquité. doi: <https://doi.org/10.3406/galia.2009.3377>
- Blaizot, F., Alix, G. & Ferber, E.** (2003). Le traitement funéraire des enfants décédés avant un an dans l'Antiquité : études de cas. *Bulletins et mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris* 15 (1-2), 49-77. <http://journals.openedition.org/bmsap/560>
- Boyancé P.** (1935). Une allusion à l'œuf orphique. *MélRome* 52, 95-112. <https://doi.org/10.3406/mefr.1935.7258>
- Boyancé, P.** (1972b). Funus acerbum. Etudes sur la religion romaine : *MélRome* 11, 73-89. https://www.persee.fr/doc/AsPDF/efr_0000-0000_1972_ant_11_1_1533.pdf
- Bradley, K.** (1998). The Sentimental Education of the Roman Child : the Role of Pet-Keeping. *Latomus* 57 (3), 523-557. <https://www.jstor.org/stable/41538365>
- Cagnat, R.** (1908). *Stèle funéraire de marbre blanc trouvée à Cherchel*. *BSNAF*, 200-201.
- Cagnat, R.** (1934-35). Séance de la commission de l'Afrique du Nord, *BCTH*, 255-266.
- Camps, G.** (1955). Nécropole de Draria El-Achour. *Libyca* (archéologie-épigraphie) 3, 225-264.
- Camps, G.** (1991). Bou Nouara (Mer de). *Encyclopédie berbère* 10, 1570-1577. <https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1793>
- Camps, G.** (1994). Croissant. *Encyclopédie berbère* 14, 2121-2125. <http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/2336>
- Camps-Fabrer, H.** (1994). Coquilles d'œuf d'autruche. *Encyclopédie berbère*. 14, 2093-2100. <https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2328>
- E.B.** (1997). Fer. *Encyclopédie berbère* 18. 2753-2763. <https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2029>
- Carcopino, J.** (1918). Sur quelques antiquités récemment acquises par le musée des antiquités algériennes. *BCTH*, 225-237.
- Carp, T.** (1980). "Puer senex" in Roman and Medieval Thought. *Latomus* 39(3), 736-739. www.jstor.org/stable/41531906
- Carroll, M.** (2008). Vox tua nempe mea est : Dialogues with the Dead in Roman Funerary Commemoration. *The The Accordia Research Papers* 11, 37-80.

- Carroll, M.** (2011). Infant Death and Burial in Roman Italy. *Journal of Roman Archaeology* 24, 99-120. [10.1017/S1047759400003329](https://doi.org/10.1017/S1047759400003329)
- Casanova, M.** (2001). Le lapis-lazuli, la pierre précieuse de l'Orient ancien. *DHA* 27 (2), 149-170. https://www.persee.fr/doc/dha_0755-7256_2001_num_27_2_2518
- Cassimatis H.** (1998). Le miroir dans les représentations funéraires apuliennes. *Mefra* 110 (1), 297-350. <https://doi.org/10.3406/mefr.1998.2029>
- Challet Centlivres -E. C.** (2016). Tire-lait ou biberons romains ? Fonctions, fonctionnalités et affectivité. *AntCl* 85, 157-180. https://www.academia.edu/8481471/Tire-lait_ou_biberons_romains_Fonctions_fonctionnalit%C3%A9s_et_affectivit%C3%A9
- Cintas, P.** (1948). Fouilles puniques à Tipasa (Algérie). *Rev.Af* 92 (3^{ème} et 4^{ème} trimestres), 263-330.
- Corbier, M.** (1999). Lois, normes, pratiques individuelles et collectives : la petite enfance à Rome. *Annales. Histoire, Sciences Sociales* 54 (6), 1257-1290. <https://doi.org/https://doi.org/10.3406/ahess.1999.279815>
- Dasen, V.** (1998). Les naissances multiples dans les textes médicaux antiques. *Gesnerus* 55 (3-4), 183-204. https://www.academia.edu/9101678/_Les_naissances_multiples_dans_les_textes_m%C3%A9dicaux_antiques_Gesnerus_55_1998_183-204
- Dasen, V.** (2003/1). Les amulettes d'enfants dans le monde gréco-romain. *Latomus* 62 (2), 275-289. <https://doi.org/10.2307/41542481>
- Dasen, V.** (2006a). La mort de l'enfant à Rome : l'impossible chagrin. *La Vouivre* 15, 29-37. https://doi.org/https://www.academia.edu/3618934/_La_mort_des_enfants_%C3%A0_Rome_limpossible_chagrin_
- Dasen, V.** (2008/2). Le secret d'Omphale. *Ra* 46(2), 265-281. <https://doi.org/10.3917/arch.082.0265>
- Dasen, V.** (2017). L'enfant qui ne sourit pas, Sous presse. *RA* 2, 261-283. https://www.academia.edu/35451138/_L_enfant_qui_ne_sourit_pas_Revue_arch%C3%A9ologique_2_2017_261-283_preprint_
- Dasen, V.** (2017). Le hochet d'Archytas : un jouet pour grandir. *Annales de Bretagne et Des Pays de l'ouest* 3, 89-107. <https://doi.org/https://doi.org/10.4000/abpo.3697>
- Dasen, V.** (2016-2017). Magie, divination et histoire du corps. *EPHE* 124, 121-130. <http://asr.revues.org/1595>
- De Larminat, S.** (2013). [Petite enfance et rites funéraires en Afrique romaine.](#)

[DossArch 356, 36-39.](#)

https://www.academia.edu/5539235/La_petite_enfance_dans_l_Antiquit%C3%A9_Dossiers_d_arch%C3%A9ologie_no_356_mars-avril_2013_85_pages_Introduction_p_2-7. <http://www.dossiers-archeologie.com/numero-356/petite-enfance-monde-grec-romain.3754>

De Visscher, F. (1946). A propos d'une inscription nouvellement découverte sous la Basilique St. Pierre. *L'antiquité classique* 15 (1), 117-126. <https://doi.org/10.3406/antiqu.1946.2767>

De Vogué, M. ; Delattre, A-L., Delattre, L. (1889). Nécropole punique de Byrsa, *RA* 15, 8-15. <https://www.jstor.org/stable/41729192>

Delattre, R-P. (1893). Fouilles archéologiques sur le flanc sud-ouest de la colline de Saint Louis. *BCTH* 1, 94-123.

Detienne M. (1970). L'olivier : un mythe politico-religieux. *RHR* 178(1), 5-23. <https://doi.org/10.3406/rhr.1970.9619>

Djéribi, M. (1988). Le Mauvais œil et le lait. *L'Homme* 28(105), 35-47. https://www.persee.fr/doc/hom_0439-4216_1988_num_28_105_368933

Duchesne, S., Petit, Ch., Baduel, N., Midant-Reynes, B., Crubézy, E. (2003). Le rôle des parures dans les cérémonies funéraires au prédynastique : l'exemple des sépultures d'enfants à Adaima. *BIFAO* 133, 133-166. <https://www.ifao.egnet.net/bifao/103/05/>

Duday, H. & Van Andringa, W. (2013). Des formes et du temps de la mémoire dans une nécropole de Pompéi. *Les nouvelles de l'archéologie* 132, 48-54. <https://doi.org/10.4000/nda.2075>

Dumont, J-Ch. (2003). La loi de Puzzoles sur les pompes funèbres, *ArScAn*, CNRS-UMR 7041, 146-148. <https://hal.archives-ouvertes.fr/hal-02103284/document>

Dupuis, X. (2006). Les origines de la colonie de Cuicul. *BSNAF*, séance du 9 mai 2001, 151-161. <https://doi.org/10.3406/bsnaf.2006.10521>

Durry M. (1955). Le mariage des filles impubères à Rome. *CRAI* 99 (1), 84-91. <https://doi.org/10.3406/crai.1955.10388>

Durand, J-L. & Scheid, J. (1994). «Rites» et «religion» : Remarques sur certains préjugés des historiens de la religion des Grecs et des Romains / « Rites » and « Religion ». Remarks Around Some of the Préjudices Shared by Historians of the Religion of the Greeks and the Romans. *ASSR* 85, 23-43. <https://doi.org/10.3406/assr.1994.1424>

Etienne, R. (1964). La démographie de la famille d'Ausone. *Études Et Chronique De Démographie Historique*, 15-25. <http://www.jstor.org/stable/44378670>

Février, P.A. (1970). Inscriptions de Sétif et de sa région, *BAA* 4, pp.319-410.

<http://cnra.dz/?p=3299>

Flecker, M. (2017). Ahnenbild und Totenmaske. Die imagines maiorum und die Erforschung des römischen Porträts. *Antike Welt* 2, 72-78.

https://www.academia.edu/32319067/Ahnenbild_und_Totenmaske._Die_imagines_maiorum_und_die_Erforschung_des_r%C3%B6mischen_Portr%C3%A4ts_Antike_Welt_2_2017_72-78

Florence M. (2003). Hermès ou le mouvement spiralé de l'initiation. *Bulletin de l'Association Guillaume Budé* 1, 53-81. <https://doi.org/10.3406/bude.2003.2096>

Gautier, E-F. (1907). Etudes d'ethnographie saharienne. *L'anthropologie* 18 (Extrait), 1-50. <http://dar.bibalex.org/webpages/mainpage.jsf?PID=DAF-Job:144887&q>

Gauckler, P. (1902). [Les fouilles de Tunisie. RA 41, 369-408.](#)

<https://www.jstor.org/stable/41731508>

Golden, M. (1988). Did the Ancients Care When Their Children Died? *Greece & Rome*, 35(2), 152-163. www.jstor.org/stable/642999

Gorostidi Pi, D. (2019). Too Young to Die: Grief and Mourning in Ancient Rome. *Thersites (Ancient Greek and Roman Multi-Sensory Spectacles of Grief)* 9, 71-88.

<https://doi.org/10.34679/thersites.vol9.127>

Gsell, St. & Graillot, H. (1893). Exploration archéologique dans le département de Constantine (Algérie)-Ruines romaines au nord de l'Aurès (à suivre). *MélRome*, 13, 461-541. doi.org/10.3406/mefr.1893.6108

Gsell St. (1894). Tipasa, ville de la Maurétanie Césarienne. *MélRome* 14, 291-450.

<https://doi.org/10.3406/mefr.1894.6801>

Guiot, Th., Couvin, F., Blanchard, Ph. (2003). Le site antique des "Béziaux" à Langeais (Indre-et-Loire) avec la collaboration de Fabrice Couvin pour l'étude du mobilier céramique et de Philippe Blanchard pour l'étude des structures funéraires / The gallo-roman rural settlement (1st-3rd C. A.D.) at "Les Béziaux" in Langeais (Indre-et-Loire). *RACF* 42, 75-119. <https://doi.org/10.3406/racf.2003.2935>

Gutron, C. (2008). La mémoire de Carthage en chantier : les fouilles du tophet Salammbô et la question des sacrifices d'enfants. *Année du Maghreb* 4, 45-65.

<https://doi.org/10.4000/anneemaghreb.427>

Haack, M-L. (2007). Boules et bulles. Un exemple de transfert culturel. *DHA* 33(2), 57-67. <https://doi.org/10.3406/dha.2007.3040>

Hamdoun, Ch. (2013). Les distiques élégiaques de Césarée et la familia des rois de Maurétanie. *AntAf* 43, 5-17. <https://doi.org/10.3406/antaf.2013.1540>

- Heurgon J.** (1930). Nouvelles recherches à Tipasa, ville de la Maurétanie césarienne. *MélRome* 47, 182-201. <https://doi.org/10.3406/mefr.1930.7206>
- Humbert-Bucher, S.** (1998). La représentation du défunt sur les monuments funéraires gallo-romains du nord de la Meuse. *Cahiers Lorrains* 1, 3–28.
- Idiren, H.** (2016). Les aménagements dédiés aux offrandes funéraires dans les nécropoles de l'antique Tipasa (Ier – IIIe siècle ap. J.-C.). *Revue d'études archéologiques* 14 (2), 30-41.
- Jobbé-Duval, E.** (1923). Les morts malfaisants « Larvae, Lemures » d'après le droit et les croyances populaires des Romains. *Revue Historique De Droit Français Et étranger (1922-)* 2 (quatrième série), 344-384. www.jstor.org/stable/43846903
- Laes, Ch.** (2012). [Latin Inscriptions and the Life Course. Regio III \(Bruttium and Lucania \) as a Test Case.](https://doi.org/10.3406/arctos.2012.46.95-113) *Arctos* 46, 95-113. <https://journal.fi/arctos/article/view/85099/44070>
- Lancel, S.** (1970). La nécropole romaine occidentale de la porte de Césarée : Rapport préliminaire, *BAA IV*, 149-226. <http://cnra.dz/?p=3299>
- Lancel, S.** (1967). Tipasitana I fouilles dans la nécropole occidentale de Tipasa, *BAA I* (1962-1965), 41-74. <http://cnra.dz/?p=2405>
- Lancel S.** (1978). Fouilles de Carthage 1976-1977 : la colline de Byrsa et l'occupation punique. *CARAI* 122 (2), 300-331. <https://doi.org/10.3406/crai.1978.13472>
- Lapeyre, G.G.** (1934). [L'enceinte punique de Byrsa d'après les dernières fouilles de la colline Saint Louis de Carthage.](https://doi.org/10.3406/revaf.1934.75.336-353) *Rev.Af* 75, 336-353.
- Laubry, N.** (2009). Aspects de la romanisation en Gaule et en Germanie : les monuments et les inscriptions funéraires sous le Haut Empire. *Pallas* 80, 281-305. <https://doi.org/10.4000/pallas.1843>
- Le Glay M.** (1951). Reliefs, inscriptions et stèles de Rapidum. *MélRome* 63, 53-91. <https://doi.org/10.3406/mefr.1951.7361>
- Le Goff, I.** (2013). Brûler le défunt pour traverser le temps des funérailles. *Les nouvelles de l'archéologie* 132, 41-47. <https://doi.org/10.4000/nda.2073>
- Leclerc, J.** (1990). La notion de sépulture. *Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris (Nouvelle Série)* 2 (fascicule 3-4), 13-18. https://www.persee.fr/doc/bmsap_0037-8984_1990_num_2_3_1738
- Legras, B.** (2008). Violence ou douceur. Les normes éducatives dans les sociétés grecque et romaine. *Histoire de l'éducation* 118, 11-34. <https://doi.org/10.4000/histoire-education.2018>
- Leveau Ph.** (1999). Fouilles sur la nécropole de la gare routière de Cherchell, Algérie (1992-

- 1993). *Antaf* 35, 77-114. doi.org/10.3406/antaf.1999.1312
- Leveau, Ph.** (1976). Une area funéraire de la nécropole occidentale de Cherchel (1971-1974), *BAA V*, 73-152. <http://cnra.dz/?p=3471>
- Leveau, Ph.** (1977). Les hypogées de la rive gauche de l'oued Nsara et la nécropole orientale de Caesarea (Cherchel) d'après des fouilles et des dessins anciens. *AntAf* 11, 209-257. <https://doi.org/10.3406/antaf.1977.995>
- Leveau, Ph.** (1980). Nouvelles inscriptions de Cherchel. *BAA VI*, 2^{ème} série, 83-165.
- Leveau, Ph.** (1985). Nouvelles inscriptions de Cherchel. *BAA VII*, 3^{ème} série, 111-191. <http://cnra.dz/?p=3841>
- Lichoka, B.** (2012). Portrait d'une dame de la famille julio-claudienne (?) sur un camée en verre de l'ancienne collection Minutoli. *Etudes et travaux* 25, 190-204. http://etudesetravaux.iksiopan.pl/images/etudtrav/EtudTrav_otwarte/EtudTrav_25/14-lichocka.pdf
- Lillehammer, G.** (2010). Archeology of children. *Compluttum* 21(10), 15-45.
- Manfrini, I.** (2009). Images en gestes. *Mètis (Dossier : Images mises en forme)*, 43-61. <https://books.openedition.org/editionsehess/2444?lang=fr>
- Marlier, Th.** (2006). Histoires de fantômes dans l'Antiquité. *Bulletin de l'Association Guillaume Budé* (1), 204-224. <https://doi.org/10.3406/bude.2006.2208>
- Marrou, H-I.** (1944). Le symbolisme funéraire des Romains (Deuxième et dernier article). *JournSav (Avril-juin 1944)*, 77-86. www.persee.fr/doc/jds_0021-8103_1944_num_2_1_2694
- Michel-Dansac, F. & Caubet, A.** (2013). L'iconographie et le symbolisme du palmier dattier dans l'Antiquité (Proche-Orient, Egypte, Méditerranée orientale). *Revue d'ethnoarchéologie* 4. <https://doi.org/10.4000/ethnoecologie.1275>
- Millett, M., & Gowland, R.** (2015). Infant and child burial rites in Roman Britain : a study from East Yorkshire. *Britannia* 46, 171-189. https://pdfs.semanticscholar.org/215b/31d134282054e8f7958487763c72ba441d1f.pdf?_ga=2.14045431.1532337231.1596636114-767470816.1596636114
- Minaud, G.** (2006). Des doigts pour le dire. *Histoire & mesure*, 21 (1), 3-34. doi.org/10.4000/histoiremesure.1534
- Molleson, T.** (1989). Social implications of mortality patterns of juveniles from Poundbury Camp, Romano-British Cemetery. *Anthropologischer Anzeiger*, 47(1), 27-38. www.jstor.org/stable/29539936
- Missonnier, F.** (1933). Fouilles dans la nécropole punique de Gouraya (Algérie). *MélRome* 50, 87-119. DOI : <https://doi.org/10.3406/mefr.1933.7233>

- Molinier Arbo, A.** (2014). Le costume en Afrique à l'époque sévérienne : réalités et symboles dans le De Pallio de Tertullien. *Vita Latina 189-190*, 158-180. https://www.persee.fr/doc/vita_0042-7306_2014_num_189_1_1797
- Molinier Arbo, A.** (2009). Sous le regard du père : Les imagines maiorum à Rome à l'époque classique. *DHA 35*(1), 83-94. <https://doi.org/10.3917/dha.351.0083>
- Morizot, P.** (1989). Remarques sur l'âge du mariage des jeunes Romaines en France et en Afrique. *CRAI 133* (3), 656-669. <https://doi.org/10.3406/crai.1989.14779>
- Paturet, A.** (2007). Le transfert des morts dans l'antiquité romaine aspects juridiques et religieux. *RIDA 54*, 349-378. <http://local.droit.ulg.ac.be/sa/rida/file/2007/Paturet.pdf>
- PATURET, A.** (2012). Funérailles publiques et sépulture privée : le paradoxe de la mort dans l'ancienne Rome. *Acta Iasyensia Comparationis 10*, pp.22-29. *Ritura de trecere/rite of passage/rites de passage*
- Penn, W. S.** (1964). Springhead, the temple ditch. *Archeologica cantiana 79*, 170-189. <https://www.kentarchaeology.org.uk/Research/Pub/ArchCant/Vol.079%20-%201964/079-13.pdf>
- Picard, G.** (1962). Influences étrangères et originalité dans l'art de l'Afrique romaine sous les Antonins et les Sévères. *AntKunst 5*(1), 30-41. <https://www.jstor.org/stable/41318550>
- Poplin, F.** (1995). L'homme et l'animal dans le bûcher de Patrocle (Iliade, XXIII). *Anthropozoologica 21*, 1-28. <https://sciencepress.mnhn.fr/fr/periodiques/anthropozoologica/21/1-homme-et-l-animal-dans-le-bucher-de-patrocle-iliade-xxiii>
- Prescendi, F.** (2008). Le deuil à Rome : mise en scène d'une émotion. *RHR. Dossier : La Mort et l'émotion. Attitudes Antiques 2*, 297-313. <https://doi.org/https://doi.org/10.4000/rhr.6123>
- Prowse TL, Saunders SR, Schwarcz HP, Garnsey P, Bondioli L, and Macchiarelli R.** (2008). Isotopic and dental evidence for infant and young child feeding practices in an imperial Roman skeletal sample. *Am. J. Phys. Anthropol. 137*, 294-308. https://www.academia.edu/559156/Isotopic_and_dental_evidence_for_infant_and_young_child_feeding_practices_in_an_imperial_Roman_skeletal_sample
- Rochette, R.** (1838). [Notice sur deux vases en argent. Nouvelles annales publiées par la section française de l'Institut archéologique 2 \(1\), 170-190.](#)
- Roffo, P.** (1938). Sépultures indigènes antéislamiques en pierres sèches, étude de 3

nécropoles de l'Algérie centrale. *Rev.Af* 82 (3^{ème}-4^{ème} trimestre), 197-241.

Ropars, J-M. (2016). Le dieu Hermès et l'union des contraires. *Gaia : revue interdisciplinaire sur la Grèce Archaique* 19, 57-117.
<https://doi.org/10.3406/gaia.2016.1698>

Rutgers, L.V., van Strydonck, M., Boudin, M. et Van der Linde, C. (2009). Stable isotope data from the early Christian catacombs of ancient Rome: new insights into the dietary habits of Rome's early Christians. *J. Archaeol. Sci.* 36 (5), 1127-1135.
https://www.academia.edu/4295466/Stable_Isotope_Data_from_the_Early_Christian_Catacombs_of_Ancient_Rome_New_Insights_into_the_Dietary_Habits_of_Rome_s_Early_Christians

Saller, R-P. et Shaw, B-D. (1984). Tombstones and Roman Family Relations in the Principate: Civilians, Soldiers and Slaves. *JRS* 74, 124-156.
https://www.academia.edu/25473740/Tombstones_and_Roman_Family_Relations_in_the_Principate_Civilians_Soldiers_and_Slaves

Scheid, J. (2010). Religion, institution et société. *L'annuaire du Collège de France* 109, 717-746. <https://doi.org/10.4000/annuaire-cdf.197>

Scheid, J. (1984). [Contraria facere : renversements et déplacements dans les rites funéraires.](#) *AION* 6, 117-139.

Scheid, J. (2013). Religion, institutions et société de la Rome antique. *L'annuaire Du Collège de France* 112, 449-464. <https://doi.org/10.4000/annuaire-cdf.893>

Shaw, B-D. (1987). The age of roman girls at mariage : some reconsiderations. *JRS* 77, 30-46.
https://www.academia.edu/12930374/The_Age_of_Roman_Girls_at_Marriage_Some_Reconsiderations

Slim, L. (1984). A propos d'un cimetière· d'enfants à Thysdrus. *L'Africa Romana* I, 167-177.

Slim, H. (1976). Masques mortuaires d'El-Jem (Thysdrus). *Antaf* 10, 79-92.
<https://doi.org/10.3406/antaf.1976.984>

Slim, H. (1995). Djem (El djem Thysdrus). *Encyclopédie berbère* 16, 2427-2434. <http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/2182>

Somville, P. (1979). La tombe du plongeur à Paestum. *RHR* 196 (1), 41-51. <https://doi.org/10.3406/rhr.1979.6885>

Sterbenc Erker, D. (2004). Voix dangereuses et force des larmes : le deuil féminin dans la Rome antique. *RHR* 221(3), 259-291. <https://doi.org/10.3406/rhr.2004.1491>

- Toutain, J-F.** (1911). Les symboles astraux sur les monuments funéraires de l'Afrique du Nord. *RÉA* 13(2), 165-175. <https://doi.org/10.3406/rea.1911.1661>
- Turcan, R.** (1961). L'œuf orphique et les quatre éléments (Martianus Capella, *De Nuptiis*, II, 140). *RHR* 160(1), 11-23. <https://doi.org/10.3406/rhr.1961.7662>
- Valette-Cagnac, E.** (2009). Etre enfant à Rome. Le dur apprentissage de la vie civique. *Terrain* 40, 49-64. <https://doi.org/10.4000/terrain.1534>
- Van Andringa, W. et Lepetz, S.** (2008). Pour une archéologie de la mort à l'époque romaine : fouille de la nécropole de Porta Nocera à Pompéi, *CRAI* 150 (2), Avril-Juin 2006, 1131-1161. [10.3406/crai.2006.87121](https://doi.org/10.3406/crai.2006.87121)
- Vatin, C.** (1983). Une épigramme funéraire grecque de Cherchel. *AntAf* 19, 65-74. <https://doi.org/10.3406/antaf.1983.1093>
- Mcharek, A.** (2002). Sculptures antiques de Hajeb el-Aioun : de la tradition numide à la romanisation. *Antaf* 38, 19-38. <https://doi.org/10.3406/antaf.2002.1348>
- Vismara, C.** (2015). Della cremazione all'inumazione. *Archeologica classica* 65 (2), 595-613.
https://www.academia.edu/35321588/Dalla_cremazione_allinumazione_Archeologia_classica_LXVI_ns_II_5_2015
- Vuillemot, G.** (1971). Siga et son port fluvial. *Antaf* 5, 39-86. <https://doi.org/10.3406/antaf.1971.919>
- Scheidel, W. (2010). Greco-Roman Sex Ratios and Femicide in Comparative Perspective. Princeton/Stanford working papers in classics. Disponible sur
SSRN: <https://ssrn.com/abstract=1505793> ou <http://dx.doi.org/10.2139/ssrn.1505793>
- Scheidel, W. (2007), Epigraphy and Demography: Birth, Marriage, Family, and Death. *Princeton/Stanford Working Papers in Classics Paper 060701*. Disponible sur
SSRN: <https://ssrn.com/abstract=1096436> ou <http://dx.doi.org/10.2139/ssrn.1096436>
- Wierzejski, J.** (1901), Catalogue du Musée de Cherchel. *Rev.Af* 45, 237-288.
- Zanker, P.** (1994). Nouvelles orientations de la recherche en iconographie, commanditaires et spectateurs. *RA* 2, 281-293. www.jstor.org/stable/41737738
- Ziegler, Ch.** (1999). Les pierres précieuses de l'Égypte pharaonique, l'exemple des bijoux du Serapeum de Memphis. *BSNAF* (séance du 12 juin 1996), 244-251.
<https://doi.org/10.3406/bsnaf.1999.10097>

قائمة فصول المراجع

- Baills-Barré, N.** (2016). Les enfants en bas âge en Gaule romaine : identification des lieux d'inhumation et des marqueurs matériels. In Bourrouilh, A., Pierre-Emmanuel A., Haidar Vela, N. (eds.), *Appréhension et qualification des espaces au sein du site archéologique* (pp.177-198). Editions de la Sorbonne. 10.4000/books.pSORbonne.4735
- Benseddik, N.** (1999). Septime Sévère, *P. Aelius Peregrinus Rogatus* et le *limes* de Maurétanie Césarienne. In Dupuis, X. et Lepelley, Cl. (éds), *Frontières et limites géographiques de l'Afrique du Nord antique : Hommage à Pierre Salama* (pp.89-110). Editions de la Sorbonne.
- Ben Younès, H et Ben Younès-Krandel, A.** (2014). Punic identity in North Africa: the funerary world. In Crawley Quinn, J. & Vella, N.C. (eds), *The Punic Mediterranean Identities and Identification from Phoenician Settlement to Roman Rule* (pp.148-168). Cambridge University Press.
- Berrendonner, C.** (2009). L'invention des épitaphes dans la Rome médio-républicaine.. In Haack, M. (éd.), *Ecritures, cultures et sociétés dans les nécropoles d'Italie médio-républicaine* (pp.181-201). Ausonius. <https://books.openedition.org/ausonius/4388>
- Birk, S.** (2001). Man or Woman? Cross-gendering and Individuality on Third Century Roman Sarcophagi. In Huskinson, J., Elsner, J. (eds.), *life, death and representation : some new work on roman sarcophagi* (pp.229-260). Gruyter.
- Blandin, B.** (1998). Recherches sur les tombes à inhumation de l'Hérôon d'Erétrie. In D'Agustino, B. & Bats, M. (éds.), *Euboica : L'Eubea e la presenza euboica in Calcidica e in occidente* (pp.135-146). Centre Jean Bérard.
- Bodel, J.** (2017). Death and social death in ancient Rome. In Bodel, J. and Scheidel, W. (eds.), *On Human Bondage: After Slavery and Social Death* (pp.81-108). Blackwell.
- Bodel, J.** (2000). [Dealing with the Dead: Undertakers, Executioners and Potter's Fields in Ancient Rome](#). In Hope, V. & Marshall, E. (éds), *Death and Disease in the Ancient City* (pp.128-151). Routledge.
- Bodel, J.** (1999). Death on Display: Looking at Roman Funerals. In Bergmann, B. & Kondoleon, C. (eds), *The Art of Ancient Spectacle* (pp.258-281). Yale University Press
- Brunn, Ch.** (2013). Greek or Latin? The owner's choice of names for *vernae* in Rome. In Michel Georges (ed.), *Roman slavery and roman material culture, collection Phenix supplementary, V.52* (pp.19-42). Toronto university press.

Carroll, M. (2018). Archaeological and epigraphic evidence for infancy in the Roman world. In S. Crawford, G. Shepherd and D. M. Hadley (eds.), *The Oxford Handbook of the Archaeology of Childhood* (pp. 148-164). Oxford University Press.

Carroll, M. (2011). Memoria and damnatio memoriae. Preserving and erasing identities in Roman funerary commemoration. In M. Carroll. & J. Rempel, (eds), *Living through the dead. Burial and commemoration in the classical world* (pp.65-90). Exbow.

Carroll, M. (2012). "No part in earthly things". The death, burial and commemoration of newborn children and infants in Roman Italy. In L. Larsson Lovén and M. Harlow (eds.), *The Familia and its Transformation from ancient Rome to Barbarian Europe (50-600 CE)* (pp.41-63). Continuum Press.

Cecchini, S.M. (1995).L'Art (Arts mineurs). In Krings, V. (éds), *LA civilisation phénicienne et punique : Manuel De Recherche* (pp.527-534). E.J. Brill.

Coltelloni-Trannoy, M. (2017). Le langage des pierres : le mot et l'image sur les stèles votives et funéraires de Caesarea de Maurétanie (Cherchell, Algérie). In Corbier, M. & Sauron, G. (dirs.), *Langages et communication : écrits, images, sons* (pp.137-169).Éditions du Comité des travaux historiques et scientifiques. 10.4000/books.cths.900

Dasen, V. (2008). Naître jumeaux : un destin ou deux ? In L. Brisson, M.-H. Congourdeau, J.-L. Solère (éd.), *L'embryon : formation et animation. Antiquité grecque et latine, traditions hébraïque, chrétienne et islamique* (pp.109-122).Vrin. https://www.academia.edu/3618937/_Na%C3%A9tre_jumeaux_un_destin_ou_deux_

Dasen, V. (2016). Corps d'enfants : de l'anatomie à l'anthropologie du corps. In H Perdicoyanni-Paleologou (Éd.), *History of Anatomy and Surgery from Antiquity to the Renaissance* (pp. 205-235). Hakkert. https://www.academia.edu/27447857/Corps_denfants_in_Hélène_Perdicoyanni-Paléologou_éd._Anatomy_and_Surgery_from_Antiquity_to_the_Renaissance_Amsterdam_Hakkert_2016_205-235

Dedet, B. (2008). La mort du nouveau-né et du nourrisson dans le sud de la France protohistorique (IXème-Ier siècles av.jc). In Gusi, F., Muriel, S., Olaria, C.R. (éds). *Nasciturus, infans, puerulus vobis mater terra : la muerte en la infancia* (pp.143-182).Servei d'investigacions arqueològiques et prehistòriques.

Dubois, C. (2012), Le dépôt de matériel funéraire dans les sépultures des tout-petits du monde grec archaïque et classique. In Hermary A. et Dubois C. (éds.), *L'enfant et la mort III, Aix-en-Provence/Arles, 2012* (pp. 329-342). Publication du centre Camille Jullian.

Fentress, E. (2019). The archeological and genetic correlates of Amazigh linguistics. In Gatto M.C., Mattingly, D.J., Ray, N. & Sterry, M. (eds.), *Burials, Migration and Identity in the Ancient Sahara and Beyond* (pp.495-524). Cambridge University Press.

Ferrand, N. (2001). Du topos selon E.R.Curtius aux recherches de la stator : éléments pour une définition du topos narratif. In Ferrand, N., & Weil, M. (éds.), *Homo narrativus : Recherches sur la topique romanesque dans les fictions de la langue française avant 1800* (pp.27-23). Press universitaire de Perpignan.
<https://books.openedition.org/pulm/1312?lang=fr>

Gaggadis-Robin, V. et Heijmans, M. (2015). Espaces et monuments funéraires en Arles. In Sandrine Agusta Boularot ; Emmanuelle Rosso (éd.), *autour des stèles à portraits : Signa et tituli. Monuments et espaces de représentations en Gaule méridionale, Aix-en-Provence 26 – 27 novembre 2009* (pp. 123-143). Errance. <https://hal.archives-ouvertes.fr/hal-01461695>

Galinier, M. (2004). Le stéréotype de l'enfant, ou la *mors acerba* à Rome. In *Le stéréotype : outils de régulations sociales* (pp.119-142). Presses universitaires de Rennes.
10.4000/books.pur.21007

Graham, E. J. (2011). From fragments to ancestors : re-defining the role of os resectum in rituals of purification and commemoration in republican Rome. In Carroll, M. ; Rempel J. (eds.), *Living through the dead, burial and commemoration in the classical world* (pp. 91-109). Oxbow books.

Harlow, M. & Laurence, R. (2011). "Viewing the Old: Recording and Respecting the Elderly at Rome and in the Empire", In Krötzel, Chr., Mustakallio, K. (eds.), *On old age. Approaching death in antiquity and the middle ages* (pp.3-23). Brepol.

Huskinson, J. (2010). Ch.31. Picturing the roman family. In Beryl Rowson (ed.), *A companion to families in the greek and roman world* (pp.521-541). Blackwell

Huskinson, J. (2011). Bad Deaths, Better Memories. In V. Hope and J.Huskinson (eds.), *Memory and Mourning: Studies on Roman Death* (pp.113-125). Oxbow Books

Iles Johnston, S. (1995). Defining the dreadful: Remarks on the greek child-killing demons. In Meyer, M. & Mirecki, P. (éds.), *Ancient magic and ritual power* (pp. 361-387). E. J. Brill.
https://www.academia.edu/3103246/Defining_the_dreadful_Remarks_on_the_Greek_child-killing_demon

Keith, A. (2008). Lament in Lucan's bellum civile(Ch.11). In Sutton, A. (ed.), *Lament, Studies in the Ancient Mediterranean and Beyond* (pp.223-257). Oxford university press.

King, M. (2000). Commemoration of Infants on Roman Funerary Inscriptions. In Oliver, G.J. (ed.), *The epigraphy of death, Studies in the History and Society of Greece and Rome* (pp.117-154). Liverpool University Press.

Laubry, N. (2012). Des rites pour le faire, des mots pour le dire : désignations, conceptions et perceptions de l'espace funéraire à Rome (Ier siècle av. J.-C. – IIIe siècle apr. J.-C.). In Manuel de Souza ; Annick Peters-Custot ; François-Xavier Romanace (éds.), *Le sacré dans tous ses états. Catégories du vocabulaire religieux et sociétés, de l'Antiquité à nos jours*, (pp.169-180). Publications de l'université de Saint-Étienne. {halshs-01303334}

Laubry, N. (2016). La désignation de la postérité. Autour de la *formule libertis libertabusque posterisque eorum* dans les inscriptions funéraires romaines. In Dondin-Payre, M., et Tran, N. (éds.), *Esclaves et maîtres dans le monde romain : Expressions épigraphiques de leurs relations*. Rome : Publications de l'Ecole française de Rome.

Laurence, R. and Trifilò, F. (2011). 'Vixit plus minus. Commemorating the age of the dead – towards a familial roman life course?' in Laurence, R. and Stromberg, A. (eds.) (in press) Proceedings of the 2009 conference "Oikos – Familia: The family in ancient greco-roman society. Framing the discipline in the 21st Century". London : Continuum Publishers.

Mc Williams, J. (2001). Children among the dead, The influence of urban life on the commemoration of children on tombstone inscriptions. In : Dixon, S. (ed.), *Childhood, class and kinship in the roman world*. London and New York (pp.74-98). Routledge.

Mathieu, N. (2011). Introduction. Une enquête sociale dans les Alpes, les Gaules et les Germanies. In *L'épithaphe et la mémoire : Parenté et identité sociale dans les Gaules et Germanies romaines* (pp.13-29). Presses universitaires de Rennes.
<https://books.openedition.org/pur/108933>

Mays, S. (2005). The archeology and history of infanticide and occurrence in earlier british populations. In Sofaer Derevenski, J (éds), *Children and material culture* (pp.180-190). Routledge.

Papaikonomou, I-D. (2008). Enfance et identité sexuée dans les cités grecques. In Gusi, F., Jener, I., Olària, C. & Muriel, S. (éds.), *Nasciturus, infans, puerulus vobis mater terra : La muerte en la infancia, Sèrie de prehistòria i arqueologia* (pp. 595-618).
 Servei d'investigacions arqueològiques et prehistòriques.
https://www.researchgate.net/publication/28242209_Rites_funeraires_et_pratiques_magiques

Papaikonomou, I-D. (2013). La jeune fille morte en couches : Un cas de maternité précoce, souhaitée ou avortée, d'après les témoignages des sépultures. In *Mères et Maternités en Grèce ancienne* (pp.109-144). Edition de l'Ecole des hautes études en sciences sociales.
<https://books.openedition.org/editionsehess/3018>

Pietri, Ch. (1997). Inscriptions funéraires latines : Version originale en français de Grabinschrift II (lateinisch), *RAC XII, Stuttgart, 1983, col. 514-590*, 1407-1468.
https://www.persee.fr/doc/efr_0223-5099_1997_mon_234_1_5825

Prescendi Moresi, F. (2019). **Deuil** In Bodiou, L. et Mehl, V. (éd.), *Dictionnaire du corps dans l'Antiquité : anthropologie des mondes grec et romain* (pp. 184-187). Rennes.

Rawson, B. (1999). The iconography of roman childhood, chapter 9. In Rawson, B., Richard, P. Carey Weaver (eds.), *The Roman Family in Italy : Status, Sentiment, Space* (pp.305-332). Oxford university press.

- Rawson, B.** (2015). Children as cultural symbols, imperial ideology in the second. In Dixon, S. (ed.), *Childhood, class and kin the roman world* (pp.21-42). Routledge.
- Roussel, A.** (2005). Famille et circonstances politiques. In Rousselle, A., Sissa, G., Thomas, Y. (éds.), *La Famille dans la Grèce antique et à Rome* (pp.126-177). Complexes (1^{ère} éd.1986).
- Scheid, J.** (2007). Les sens des rites. L'exemple romain. In Scheid, J. (éd.), *Rites et croyances dans les religions du monde romain: huit exposés suivis de discussions* (pp.39-64). Droz.
- Sigismund-Nielsen, H.** (2013). Slave and lower-class roman children. In Evans Grubbs, J. & Parkin, T. (eds.), with the assistance of Bell, R., *The Oxford handbook of Childhood and education in the classical world* (pp.286-301). Oxford university press.
- Tellegen, J. W. (2012). The immortality of the soul and roman law. In Tellegen Coperus, O. (ed.), *Law and Religion in the Roman Republic* (pp. 181-221). Leiden-Boston.
- Tulloch, J.H.** (2011). Ch. 32. Devotional visuality in family funerary monuments in the roman world. In Rowson, B. (eds.), *A companion to families in the greek and roman world* (pp.542-563).Blackwell.
- Van Andringa, W.** (2018). Le monument et la tombe. Deux façons de mourir à l'époque romaine. In Nenna, M.D., Huber, S., Van Andringa, W. (éds.). *Constituer la tombe, honorer les défunts en Méditerranée antique* (pp.381-402). Centre d'Études Alexandrines.
https://www.academia.edu/38555904/Le_monument_et_la_tombe._Deux_fa%C3%A7ons_d_e_mourir_%C3%A0_l%C3%A9poque_romaine_in_M.D._Nenna_S._Huber_W._Van_Andringa_%C3%A9d._Constituer_la_tombe_honorer_les_d%C3%A9funts_en_M%C3%A9diterran%C3%A9e_antique_Centre_d%C3%89tudes_Alexandrines_2018_p._381-40
- Wallace-Hadrill, A.** (2008). Housing the Dead : The Tomb as House in Roman Italy. In Saller, R., Brink, L., Green, D. (eds.), *Commemorating the dead, Texts and Artifacts in Context. Studies of Roman, Jewish and Christian Burials* (pp.39-77). De Gruyter.
- Voisin, J-L.** (2014). La mort dans la Rome antique. In M. Godelier (dir.), *La mort et ses au-delà* (pp.65-117). CNRS (Coll. Bibliothèque de l'Anthropologie)

قائمة الملتقيات

- Amiri, B.** (2008). De la différenciation à l'intégration : bene merens dans les épitaphes des Germanies. In *La fin du statut servile ? Affranchissement, libération, abolition, actes du groupe de recherche sur l'esclavage depuis l'Antiquité : actes du XXXème colloque de la GIREA* (pp. 303-311), Besançon : Presses Universitaires de Franche-Comté.
https://www.persee.fr/doc/girea_0000-0000_2008_act_30_2_1044

Baills-Talbi, N., et Dasen, V. (2008). Rites funéraires et pratiques magiques : In Gusi i Jener, F, Olària, C. et Muriel, S (éds.), *Nasciturus, infans, puerulus vobis mater terra : La muerte en la infancia, Sèrie de prehistòria i arqueologia* (pp. 595-618), Castello de la Plana : Servei d'investigacions arqueològiques et prehistòriques.

Baills, N. (2016). Les sépultures d'enfants en bas âge dans les territoires des Gaules à l'époque romaine. In Portat E., Detante M., Buquet-Marcon C., Guillon M.(dir.), *Rencontre autour de la mort des tout-petits : actes de la 2e Rencontre du groupe d'anthropologie et d'archéologie funéraire (4 déc. 2009, Saint-Germain-en-Laye. Condé-sur-Noireau)* (pp.161-177), Condé-sur-Noireau : Gaaf.

https://www.academia.edu/27091860/Les_s%C3%A9pultures_denfants_en_bas_%C3%A2ge_dans_les_territoires_des_Gaules_%C3%A0_l%C3%A9poque_romaine

Baratte, F. (2013). Les sarcophages dans l'Afrique antique. In Galinier, M. & Baratte, F. (éds.), *Iconographie funéraire romaine et société : corpus antique, approches nouvelles ? Collection Histoire de l'art 3 : actes du colloque international (sept. 2011, Perpignan)* (pp.173-191), Perpignan : Presses universitaires de Perpignan. Doi : 10.4000/books.pupvd.7120

Bénichou-Safar, H. (2012). Le statut de l'enfant punique et les objets funéraires. In Hermary, A. et Dubois, C. (éds.), *L'enfant et la mort dans l'Antiquité III. Le matériel associé aux tombes d'enfants : actes de la table ronde internationale organisée à la Maison méditerranéenne des sciences de l'homme d'Aix-En-Provence, 20-22 janvier 2011* (pp.263-272), Aix-En-Provence : Publications du Centre Camille Jullian. Doi :10.4000/books.pccj.1375

Bérard, R.M. (2016). Trouver sa place : les sépultures d'enfants dans les ensembles funéraires antiques. In Lauwers M. et Zemour. A. (dirs.). *Qu'est-ce qu'une sépulture ? Humanités et systèmes funéraires de la Préhistoire à nos jours : actes des XXXVIème Rencontres Internationales d'Archéologie et d'Histoire d'Antibes* (pp.451-466), Antibes : Librairie archéologique.

Bifarella, A. (2020). Les coquillages dans le monde funéraire phénico-punique. In Ferdjaoui, A. et Redissi, T. (éds), *La vie, la mort et la religion dans l'univers phénicien et punique : actes du VIIème congrès international des études phéniciennes et puniques, V.III (La mort, la religion)* (pp.1445-1448), Tunis : Institut National du Patrimoine.

Brives, A-L. (2016). Principales caractéristiques et fonctions du mobilier d'accompagnement des immatures à l'époque romaine. Réflexions autour de quelques exemples aquitains. In Portat, E., Detante, M., Buquet-Marcon, C. & Guillon, M. (éds). *Rencontre autour de la mort des tout-petits : actes de la 2e rencontre du groupe d'anthropologie et d'archéologie funéraire, 3-4 décembre 2009* (pp.179-189), Saint-Germain-en-Laye.

https://www.academia.edu/34879709/Principales_caract%C3%A9ristiques_et_fonctions_du_mobilier_d_accompagnement_des_immatures_%C3%A0_l_%C3%A9poque_romaine._R%C3%A9flexions_autour_de_quelques_exemples_aquitains

Corbier, M. (2008). Famille et intégration sociale : la trajectoire des affranchi Frances. In *La fin du statut servile ? Affranchissement, libération, abolition. V. II : actes des colloques du Groupe de recherche sur l'esclavage dans l'antiquité, 30-2 (15-17 décembre 2005)* (pp. 313-327), Besançon : Presses Universitaires de Franche-Comté.

https://www.persee.fr/doc/girea_0000-0000_2008_act_30_2_1045

Dasen, V. (2010). Archéologie funéraire et histoire de l'enfance : nouveaux enjeux, nouvelles perspectives. In *L'enfant et la mort dans l'Antiquité. Nouvelles recherches dans les nécropoles grecques : actes de la table-ronde, Athènes, Ecole française d'Athènes, 29-30 mai 2008 (Collection Travaux de la Maison René Ginouvès 11)* (pp.19-44), Paris : De Boccard.

https://www.academia.edu/3813455/_Arch%C3%A9ologie_fun%C3%A9raire_et_histoire_d_e_l_enfance_nouveaux_enjeux_nouvelles_perspectives_in_L_enfant_et_la_mort_dans_l_Antiquit%C3%A9._Nouvelles_recherches_dans_les_n%C3%A9cropoles_grecques._Le_signalement_des_tombes_d_enfants_Paris_De_Boccard_2010_19-44

De Larminat S. (2012). Gestes et pratiques funéraires autour des inhumations en fosse d'enfants en Afrique romaine à l'époque. In Nenna, M-D. (éds.), *L'Enfant Et La Mort Dans l'Antiquité II. Types De Tombes Et Traitement Des Corps Des Enfants Dans l'Antiquité Gréco-Romaine : actes de la table ronde internationale organisée à Alexandrie, CEAlex, 12-14 Novembre 2009* (pp.501-538), Alexandrie : Études Alexandrines 26.

https://www.academia.edu/2514170/Gestes_et_pratiques_fun%C3%A9raires_autour_des_inhumations_en_fosse_denfants_en_Afrique_romaine_%C3%A0_l%C3%A9poque_pa%C3%AFenne_Funerary_acts_and_practices_in_child_pit_burials_of_Roman_Africa_in_the_pre-Christian_era

De Larminat, S. (2012). [Le mobilier déposé dans les sépultures d'enfants en Afrique du Nord à l'époque romaine.](#) In *L'enfant et la mort dans l'antiquité III, le matériel associé aux tombes d'enfants : actes de la table ronde internationale organisée à la Maison Méditerranéenne des Sciences de l'Homme (MMSH) d'Aix-en-Provence, 20-22 janvier 2011* (pp.293-312). Aix-En-Provence : Publication du Centre Camille Jullian. Doi : 10.4000/books.pccj.1356

De Larminat, S. (2015). 1983-2013 : Trente ans d'archéologie funéraire dans l'Africa Romana. In *Momenti di continuità e rottura : bilancio di trent'anni di convegno L'Africa romana : Atti del xx Convegno Internazionale di studi Alghero – Porto Conte Ricerche, 26-29 settembre 2013* (pp.835-843), Roma : Carocci editore.

De Larminat, S. (2016). Le traitement funéraire des tout-petits en Afrique. In Portat (E.), Detante (M.), Buquet-Marcon (C.), Guillon (M.) (dir.), *Rencontre autour de la mort des tout-petits : 11ème Rencontre du Groupe d'Anthropologie et d'archéologie funéraire, 3-4 déc. 2009, Saint-Germain-en-Laye* (pp. 79-89), Condé-sur-Noireau : Gaaf.

De Larminat, S. (2017). Fœtus et mort-nés en Afrique romaine, de la gestion des corps au vécu familial. In Charrier, P., Clavandier G., Gourdon V., Rollet C., Sage Pranchère N. (dirs.), *Morts avant de naître : la mort périnatale* (pp.221-236), Tours : Presses Universitaires de François-Rabelais.

Dedet, B. (2012). Mobilier funéraire et statut des enfants dans le monde indigène protohistorique du Sud de la France. In Hermary A. et Dubois C. (éds.), *L'enfant et la mort dans l'antiquité III, le matériel associé aux tombes d'enfants : actes de la table ronde internationale organisée à la Maison Méditerranéenne des Sciences de l'Homme (MMSH) d'Aix-en-Provence 20-22 janvier 2011* (pp.149-169), Aix-En-Provence : Publication du centre Camille Jullian.

https://www.academia.edu/6694404/B._DEDET_Mobilier_fun%C3%A9raire_et_statut_des_enfants_dans_le_monde_indig%C3%A8ne_protohistorique_du_Sud_de_la_France

Dondin-Peyre, M. (2006). L'onomastique vue par H.G. Pflaum. In Hans Georg Pflaum, un historien du X^e siècle, Demougin, S., Lorient, X., Cosme, P., Lefebvre, S. (éds.), les 21, 22 et 23 octobre 2004 (pp.49-75), Paris : Droz.

Fascady, A.R. (2011). Les traits iconographiques des stèles funéraires familiales à Aquincum : *acti XII. Medunarodnog Kolokvija o rimskoj provincijalnoj umjetnosti datiranje kamenih spomenika i kriteriji za odredivanje kronologije, at Pula.*

https://www.academia.edu/9366861/Les_traits_iconographiques_des_st%C3%A8les_fun%C3%A9raires_familiales_%C3%A0_Aquincum

Fentress E.W. B. (1990). The Economy of an Inland City : Sétif. In *L'Afrique dans l'Occident romain (Ier siècle av. J.-C. – I^{er} siècle ap. J.-C.) : actes du colloque de Rome (3-5 décembre 1987)* (pp. 117-128), Rome : École Française de Rome.

https://www.persee.fr/doc/efr_0000-0000_1990_act_134_1_3870

Galinier, M. (2013). À vendre : les sarcophages romains dans les ateliers, suggestions méthodologiques. In Galinier, M. et Baratte, F. (éds.), *Iconographie funéraire romaine et société : corpus antique, approches nouvelles ?, actes du colloque international (sept. 2011, Perpignan)* (pp.81-115), Perpignan : Presses universitaires de Perpignan.10.4000/books.pupvd.7096

Gallay, A. (2015). Ethnoarchéologie : une réévaluation nécessaire ?. In *Current ethnoarchaeology : 7^{ème} congrès international d'ethnoarchéologie* (pp.1-6), Rome.

<http://www.archeo-gallay.ch/wp-content/uploads/2015/07/26RomeConcl.pdf>

Hirt, M. (2004). La législation romaine et les droits de l'enfant. In Dasen, V (ed.), *Naissance et petite enfance dans l'Antiquité : actes du colloque de Fribourg (28 novembre - 1^{er} décembre 2001)* (pp.281-291), Fribourg/ Göttingen : Academic Press Fribourg /Vandenhoeck & Ruprecht Cöttingen. <https://www.zora.uzh.ch/id/eprint/137883>

Laubry, N. (2016). Les lieux funéraires dans la Rome ancienne : désignations et configurations (I^{er} s. av. n. è. – III^e s. de n. è.). In Lauwers, M. et Zémour, A. (éds.), *Qu'est-ce qu'une sépulture ? Humanités et systèmes funéraires de la Préhistoire à nos jours : actes des Rencontres, (13-15 octobre 2015)* (pp.75-93), Antibes : APDCA.

Marshall, A. (2012). Le mobilier d'accompagnement des enfants en Égypte ancienne, à l'époque pharaonique. In Hermary A. et Dubois C. (éds.), *L'enfant et la mort dans l'antiquité III, le matériel associé aux tombes d'enfants : actes de la table ronde internationale organisée*

à la Maison Méditerranéenne des Sciences de l'Homme (MMSH) d'Aix-en-Provence, 20-22 janvier 2011 (pp. 243-261), Aix-En-Provence : Publication du Centre Camille Jullian.

Scheid, J. (1981). Le délit religieux dans la Rome tardo-républicaine. *Le délit religieux dans la cité antique : actes de la table ronde de Rome (6-7 avril 1978)* (pp.117-171), Rome : Ecole Française de Rome.

Silvino, T. & Robin, L. (2012). Les « balsamiques » en contexte funéraire à Lyon/Lugdunum (Ie-Iie s. ap. J.-C.). In *Un état de la question : actes du colloque sur les parfums antiques* (pp.179-189), Rome (novembre 2009) : PUR.

Tristant, Y. (2009). Les enterrements d'enfants dans l'Égypte prédynastique et pharaonique. In Nenna, M.-D. (éd.) In *L'Enfant et la mort dans l'Antiquité II. Types de tombes et traitement des corps des enfants dans l'Antiquité gréco-romaine : actes de la table ronde internationale organisée à Alexandrie, CEAlex, 12-14 Novembre 2009* (pp.15-59), Alexandrie : Études Alexandrines 26.

قائمة التقارير

Christofle, M. (1936). *Chronique sur l'archéologie algérienne en 1938 : Rapport sur les travaux de fouilles et de consolidations effectuées en 1933-1934-1935-1936 par le Service des monuments historiques de l'Algérie*. F. Fontana.

Christofle, M. (1936). *Rapport sur les travaux de fouilles et de consolidation menés par les services des monuments historiques de l'Algérie pendant les années 1933 à 1936*, V.1. F. Fontana.

Guéry, R. (1985). *La nécropole orientale de Sitifis (Sétif, Algérie). Fouilles de 1966-1967*. CNRS. https://www.persee.fr/doc/etaf_0768-2352_1985_mon_1_1

Stirling, L. M., Mattingly, D. J., & Ben Lazreg, N. (2001). *Leptiminus (Lamta) Report, The east baths, cemeteries, kilns, Venus mosaic, site museum and other studies* (N° 2): Journal of Roman Archaeology.

قائمة الأطروحات

إيديران، ح. (2017). مقابر مدينة تيبازة القديمة: عمارة وممارسات جنائزية (القرن ال اول ل-القرن الثالث ميلادي)، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2.

Cenzon-Salvayre, C. (2014). Le bûcher funéraire dans l'Antiquité : une approche archéologique, bioarchéologique et historique d'après l'étude des structures de crémation en Gaule méridionale. [Thèse de doctorat, université du Maine]. <https://halshs.archives-ouvertes.fr/tel-01661126>

Graham, E.-J. (2004). Death, disposal and the destitute:

The burial of the urban poor in Italy in the late Republic and early Empire. [Thèse de Doctorat, université de Sheffield].

Hamoutène, A. (1983). *Inventaire du musée de Timgad*, [thèse de doctorat non publiée], Aix université.

Orfali, M.K. (1989). *Inventaire des sculptures funéraires et votives de la Maurétanie*, [thèse de doctorat non publiée], Université d'Aix-en Provence.

Paturet, A. (2006). *Iura sepulchrorum : la sépulture en droit romain classique*, thèse de doctorat, Clermont-Ferrand.

Wellebrouck, G. (2016). *Présence et ambitions des affranchis dans l'Empire Romains*, [thèse de doctorat, Université Paris-Sorbonne IV], Paris. <https://hal.archives-ouvertes.fr/te-01546642/document>

قائمة القواميس

Daremberg, Ch. et Saglio, Edm. (1877). *Dictionnaire des antiquités grecques et romaines*, T.I, Paris. Hachette. <http://dagr.univ-tlse2.fr/>

L'abbé Migne (1844). *Encyclopédie théologique (Vol. 8)*, Paris. Au petit-Montrouge.

Monchablon, E. J. (1792). *Dictionnaire abrégé d'antiquités*, Paris-Liège. J. J. Tutot.

Noel, F. (1823). *Dictionnaire de la fable : ou Mythologie grecque, latine, égyptienne, celtique, persane, syriaque, indienne, chinoise, mahométane, slavone, scandinave, africaine, américaine, iconologique, rabbinique, cabalistique, etc*, Vol. 2, 4^{ème} éd., Paris. Le Normant.

Olivetti, E et F. (2003). Grand dictionnaire latin. <https://www.grand-dictionnaire-latin.com/dictionnaire-latin-flexion.php?lemma=IMPENDIUM100>

قائمة المحاضرات

Scheid, J. (2011). *Religion, institution et société de la Rome antique : iusta facere* [Conférence]. Le culte des morts dans l'France antique et dans les provinces septentrionales de l'empire. Collège de France. https://www.college-de-france.fr/media/john-scheid/UPL1210775488102220806_R1112_Scheid.pdf

قائمة المواقع الإلكترونية

http://www.histoiredudroit.fr/corpus_iuris_civilis.html

<http://www.remacle.org>

<https://droitomain.univ-grenoble-alpes.fr/Responsa/uipian.htm>